AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01069 6270





DT
107.2
A5
A3
1934
v.2
Pt.1

Aḥmad Shafīq

Mudhakkirātī fī niṣf qarn

مذكراتي في نصف قرن

بقلم



الحاج احمد شفيق باشا

رئيس الديوان الخديوي ووكيل الجامعة المصرية الأهلية سابقاً
وخريج مدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس

الجزء الثاني

عباس حلمي الثاني

القسم الأول من يناير سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٢

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

مطبعة مصر ٤٠ شارع نوبار باشا (سابقاً شارع الدواوين)

B12071687
14221779

923.262
Sh13M
v.2
pt.1
Mck.

٩٢٠
ش١٠م
ص ٢
قسم اول

V.1
c.2

bineled red & green

V.2, 3

18234

V.2, V.1, V.2, V.
green

مؤلفات صاحب هذه المذكرات

الرق فى الاسلام : باللغة الفرنسية

ترجمة الرق فى الاسلام : « العربية لحضرة صاحب السعادة احمد زكى باشا

ترجمة الرق فى الاسلام : « التركية بمعرفة جريدة إقدام بالاستانة

وقد نفدت كلها

قناة السويس : باللغة العربية وبه خريطة وصور وثمنه ٥ قروش

مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها : « الفرنسية وبه كثير من الصور والخرائط وثمنه ٢٥ قرشاً

حوليات مصر السياسية فى عشرة أجزاء

منها الثلاثة الأولى تمهيد والسبعة حوليات

التمهيد الأول : فذلكة من محمد على إلى نشوب الحرب . الحماية وتولية السلطان حسين . تأليف الوفد ونفى سعد وصحبه إلى مالطة . ثورة ١٩١٩ . إطلاق سراح سعد وصحبه وسفرهم لباريس . لجنة ملنر ومقاطعتها . مفاوضات سعد وملنر . الاعتداءات . (٨٧٢ ص و ٤١ صورة وأربع خرائط وثمنه ٥٠ قرشاً)

التمهيد الثانى : الاتحاد المقدس . انقسام الوفد . سعد وعدلى يختلفان . المظاهرات وقمعها بالقوة . الوفد الرسمى بلندرة وإخفاقه . سعد وصحبه فى سيشل . اعتقال أعضاء اللجنة المركزية للوفد . ثروت وأللنبى . (٩٢٧ ص و ٣٢ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

التمهيد الثالث : تصريح ٢٨ فبراير ورجوع المنفيين . لجنة تحضير الدستور . تعويض الموظفين الأجانب . تأليف حزب الأحرار الدستوريين . (٧٣٤ ص و ١٧ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

الحولية الأولى : الانتخابات . وزارة سعد . الخلافة . البرلمان . السودان . الاعتداء على سعد . مفاوضات سعد مع مكدونالد . مقتل السردار . الانذار البريطانى . حل البرلمان . (٦١١ ص و ١١٩ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

الحولية الثانية : الوفد والعرش . تأليف حزب الاتحاد . إخلاء السودان . الانتخابات الثانية . افتتاح البرلمان وحله . استقالة اللنى . النضال بين الأحزاب . الحكم فى قضية مقتل السردار . محاكمة الشيخ على عبد الرازق . الدعوة إلى عقد مؤتمر وطنى عام . تسليم جغبوب لايطاليا . (١١٠٤ ص و ٧٤ صورة وثمنه ٤٠ قرشاً)

الحولية الثالثة : الأحزاب المؤتلفة . الانتخابات الثالثة . عدلى يخلف زيور . عيد الجهاد الوطنى . (٧٠٦ ص و ١٩ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

الحولية الرابعة : القضية المصرية والأحزاب . ثروت يخلف عدلى . زيارة جلالة الملك رسمياً لايطاليا وفرنسا وانجلترا وبلجيكا . مفاوضة ثروت وتشمبرلن . وفاة سعد . افتتاح البرلمان . الامتيازات الأجنبية . (٧٨٢ ص و ٦ صور وثمنه ٣٠ قرشاً)

الحولية الخامسة : ملك الأفغان فى مصر . أعمال البرلمان . ولى عهد إيطاليا فى مصر . النحاس يخلف ثروت . حالة الائتلاف بين الأحزاب . مشروع اتفاق ثروت مع انجلترا . وفاة حسين رشدى . النزاع الحزبى . محمد محمود يخلف النحاس . تعطيل البرلمان . النحاس فى الأقاليم . مشروعات الرى الكبرى فى مصر والسودان . وفاة ثروت . النضال بين الوفد والوزارة . محاكمة النحاس . (١٥٢٦ ص و ٢٤ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً)

الحولية السادسة : الانفاق على مياه النيل . زيارة جلالة الملك لألمانيا وفرنسا وسويسرا وانجلترا . مفاوضات محمد محمود وهندرسون . تفتيش بيت الأمة . عدلى يخلف محمد محمود . عودة الحياة النيابية . الانتخابات الرابعة . (١٦٠٠ ص و ٢١ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً)

الحولية السابعة : النحاس يخلف عدلى . افتتاح البرلمان وأعماله . مفاوضات النحاس وهندرسون . اسماعيل صدقى يخلف النحاس . تأجيل البرلمان . موقف الانجليز . تغيير الدستور وقانون الانتخابات . تأليف حزب الشعب . (١٦٠٠ ص و ١٣ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً)

وتتضمن هذه المجموعة الخطب والمحادثات السياسية وتعليقات الصحف على اختلاف نزعاتها ؛ فهى دائرة معارف سياسية جامعة .

الجزء الأول من مذكراتى فى نصف قرن من سنة ١٨٧٣ إلى وفاة توفيق فى يناير سنة ١٨٩٢ (٥٢٧ ص و ٣٥٥ صورة وثمنه ثلاثون قرشاً)

فهـــرس

القسم الأول من الجزء الثانى من مذكراتى فى نصف قرن

ســـنة ١٨٩٢

ولية الخديو عباس (اعتبار بلوغه رشده على الحساب الهجرى — برقية الصدر بتوليته .)

مقدمه إلى الاسكندرية ص ٢ (على يخت أمبراطور النمسا — أربع قطع من الأسطول البريطاني تنشر العلم المصرى تحف باليخت بين إطلاق المدافع منها ومن السفن والطوابى .)

الحفلات والرسوم الأولى ص ٣ (فى الاسكندرية والقاهرة — الزهور والرياحين تنثر على الموكب — استقباله فى عابدين — تحية الجنود المصرية والانجليزية له — تلاوة برقية التولية — تثبيت النظارة — التشريفات الرسمية .)

الضباط المصريون والانجليز والجيش يؤدون يمين الطاعة والاخلاص للخديو ص ٨

مسألة الفرمان وتطوراتها ص ٩ (تنازل مصر عن العقبة — دارعتان انجليزيتان تشتركان فى تحية حامل الفرمان المشير احمد أيوب باشا — استقباله فى الاسكندرية والقاهرة — الخلاف بين تركيا وانجلترا وزواله بابقاء الطور لمصر — حفلة قراءة الفرمان وإطلاق مائة مدفع ومدفع واغتباط الشعب بأميره الشاب وفى حماسته بحر عربته — سفر المندوب .)

مجاملات الدول ص ١٤ (إهداؤها نياشينها الرفيعة للخديو — فرنسا ترسل خمس قطع من اسطولها حاملة نيشان الليجيون دونور وإهداء ملكة الانجليز وسام الخمام والسلطان نياشين مختلفة والبابا نيشان الكريست .)

الخديو والصحف الأجنبية ص ١٥ (التيمس تقترح تعيين مستشار انجليزى لعباس وعباس يرفض — الملكة تلمح فى خطاب العرش إلى أملها في أن يتبع الخديو خطة والده نحو انجلترا .)

تنظيم المعية ص ١٦ (رأى عباس قبل التولية عن والده والمعية وتغيير سموه فى رجالها — اختيارى رئيساً لقلم الترجمة — انتخاب ثلاثة دواوين خديوية وقلمين للياوران والتشريفات — محمد على بك (النهلبست) وعبد العزيز عزت بك .)

شئون مختلفة ص ٢٥ (تعيين السيد محمد توفيق البكرى شيخاً للطرق الصوفية — الخديو فى الجمعية العمومية — تعرفه بالموظفين والأعيان وتخصيص يوم لمقابلتهم — رياسته لمجلس النظار — تنظيمى مجموعة للأخبار الخاصة بمصر — أحمد زكى بك وترجمته الرق فى الاسلام — النظار على مائدة عباس — جلسات تفسير القرآن فى رمضان وخرافات عن تفسير إرم ذات العماد — الافطار على مائدة الخديو — تهنئة مسيو مزمر ونصائحه لى — افتتاح كوبرى امبابه —

عباس يؤدى فريضة الجمعة بالأزهر — الخديو بالاسكندرية ومواعيد مقابلته — زيارته المدارس — عباس يؤدى صلاة عيد الأضحى مع موظفيه وخدمه — صلاة الجمعة بسيدى بشر — مآدب التعارف — فرقة اسكندر فرح للتمثيل — مجلة الهلال — عيد الجلوس السلطاني — إنعامات خديوية على رجال الدين — نظام للرتب والنياشين والمقابلات — إشاعة تغيير النظارة واتهامى باذاعتها — زيارة معاهد الاسكندرية — غرام روليه بك — الخديو فى دار الآثار — عيد ميلاده — تجديد كسوة المحمل — عباس فى الأزهر .)

العفو عن العرابيين ص ٣٥

الخديو واهتمامه بالجيش ص ٣٧ (انتقاده على الضباط الانجليز عدم قيامهم بتحيته عند مروره — استقالة السردار وتعيين خلفه - استعراض عباس للجيش ورجال الحرس بمصر واسكندرية)

الخديو فى مصيفه ص ٣٨ مشكلة الطائفة القبطية ص ٣٩

وثيقة الدكتور عثمان غالب السياسية ص ٤٠

إنشاء قصر المنتزه ص ٤٤ (نزهة قمرية فى الصحراء — على بك شاهين يستغيث — انتخاب موقع المنتزه وتسميته .)

زيارة الخديو لأدفينا ص ٤٦ (افتتاح ترعة فزارة)

طواف الخديو أثناء الفيضان ص ٤٨ (حرصه على كرامة المصريين .)

زيارته للمعاهد والمدارس ص ٤٩

إنشاء الجمعية الخيرية الاسلامية ص ٥٠

بدء الفتور بين عباس وكرومر ص ٥٢ (كرومر يحادث روليه ويتهمه بتحريض الخديو على الانجليز — حقد كرومر على عباس وإيعازه للتيمس بانتقاد نظام المقابلات وغيره .)

سنة ١٨٩٣

إقالة النظارة الفهمية واعتراض الانجليز ص ٥٨ (ترشيح عباس لتيجران للنظارة وكرومر يرفض فيعين حسين فخرى باشا — اعتراض وزير خارجية انجلترا لعدم أخذ رأى كرومر ويهدد عباساً .)

حل المشكل ص ٥٩ (تعيين رياض وتعهد الخديو باستشارة انجلترا فى المسائل الهامة — طلب كرومر رفت روليه والخديو يرفض ويمنحه اجازة خارج القطر .)

نظارة رياض باشا ص ٦١ (تذمر كرومر لمنع المستشارين من حضور جلسات مجلس النظار .)

تأييد الشعب لموقف الخديو ص ٦٢ (الوفود والبرقيات — عباس يشكر الشعب — مهاجمة إدارة جريدة — الخديو بالأوبرا واحتفاء الموجودين به — اعتبار الانجليز تلك المظاهرات عدائية .)

صدى الأزمة فى تركيا وانجلترا وفرنسا ص ٦٢ (احتجاج تركيا على خطة كرومر — حملة الصحف الانجليزية واعتبارها عباساً كطفل يعامل بالكرباج مثل أبناء العلة — بين فرنسا

وانجلترا — دولونكل النائب الفرنسى يفتح باب المناقشة فى موضوع تعدى كرومر على سلطة عباس — حملة الصحف الفرنسية على موقف انجلترا ورأى بعض الفرنسيين .)

زيادة قوة الاحتلال ص ٧٠ (تعزيز موقف كرومر .)

حديث الخديو عن سياسته ص ٧١ (عباس يشكو لصحفى انجليزى عدم إنصاف الانجليز لمصر ويقول : الوعد وعد ولا بد من الجلاء .)

أحاديث لبعض كبراء المصريين ص ٧٤ (صحفى أمريكى .)

حديث لكرومر ص ٧٦ (توقعه حدوث ثورة وقت الأزمة النظارية — الجرائد الانجليزية تجمع على ميل عباس للفوضى .)

رسالة مزارع مأجور فى التيمس ص ٧٦ (سليمان هزاع المجرم الهارب يثنى على إدارة الانجليز بمصر)

نزاع بين النظار والموظفين الانجليز ص ٧٩

محمد ماهر باشا فى وكالة نظارة الحربية ص ٨٠ (خلاف بينه وبين كتشنر — مرتبات العسكريين من الانجليز فى الجيش المصرى .)

افتتاح الخط الحديدى بين اسيوط وجرجا ص ٨٤ (إلقاء فلاح قنابة بالصالون الخديوى رجاء قبولها — الحفاوة فى كل المحطات — عباس فى أسيوط — « صل على النبى والهم عنك ينجلى » — افتتاح الخط — الخديو فى دار محمود سليمان بك بأبى تيج — الاستقبال الفخم في دار على شعراوى بك .)

افتتاح الخديو لكوبرى طاخا وسفره لمصيفه ص ٨٧ (استقباله والحفاوة به في المنصورة والمحطات التى مر بها وفى الاسكندرية .)

حالة التعليم فى مصر ص ٨٨ (تقريرى عن المدارس الملكية وتقرير اسماعيل سرهنك بك عن المدرسة الحربية .)

زيارة الخديو للسلطان ص ٩٢ (القائمقامية لأول مرة — المصريون يهرعون للاستانة لاستقبال الخديو — ياور شاهانى يرافق الخديو من مصر — فى الدردنيل وجناق قلعة — ياوران شاهانيان يرافقان عباساً — استقباله بالاستانة — مقابلة اسماعيل المؤثرة لحفيده .)

استقبال الخليفة له وحفلة إهدائه نيشان الامتياز المرصع ص ٩٦ (الصدر والغازى عثمان باشا يستقبلان الخديو — الحاشية بين يدى عبد الحميد — تخصيص سراى دفتردار بورنو لنزول الخديو وحاشيته — أقوال عبد الحميد الأبوية لعباس — الخدم ينقلون خلسة أسماء زوار عباس للمابين — السلطان يقلد الخديو الامتياز المرصع — كيف يأكل جلالته .)

حفلات ومآدب وزيارات ص ١٠٠ (زيارة عباس للصدر فى عربة بأربعة خيول — حفلة السلاملك والاستعراض العسكرى — ماوقع لى فى هذه الحفلة — جاردن پارتى في يلدز للمصريين والانعامات السلطانية — الطاعة فوق الأدب — مشاهدات الخديو في الاستانة — هدية العاشوراء من السلطان .)

احتفاء الخديو اسماعيل بحفيده ص ١٠٥
هدايا السلطان للخديو ص ١١٣
لقاء عباس بالسيد جمال الدين الأفغانى ص ١١٣ (أتريد أن تجعلها عباسية ؟ !)
حفلة الوداع والعود الى مصر ص ١١٣ (الاستقبال بالملابس الرسمية — مآدب خديوية — قالت الجرائد الانجليزية إن عبد الحميد كان يقدم لعباس بيد حلوى وبالأخرى عصا !)
شئون مختلفة ص١١٥ (شعار خاص للمحامين أمام محكمة الاستئناف — المجيدى المرصع لرياض باشا — عودة الخديو للقاهرة .)
ملاحظة الخديو على سلوك الضباط الانجليز ص ١١٥
افتتاح الخط الحديدى بين الاسماعيلية وبور سعيد ص ١١٦ (الاستقبالات والزينات .)

سنة ١٨٩٤

رحلة الخديو إلى الحدود ص ١٢٠ (ملاحظات رياض على مرافقة محمد ماهر باشا للخديو — استقبال كتشنر لسموه فى إدفو — الاستعراض في أسوان وكورسكو — الموائد الخديوية .)
ملاحظات على الجيش تثير أزمة خطيرة ص ١٢٣ (فى وادى حلفا .)
موقف السردار ص ١٢٣ (تفاصيل هامة .)
وعيد انجلترا وطلب الترضية ص ١٢٥
إذعان الخديو ص ١٢٦
تقرير سرى عن الحادث ص ١٢٨ (من عباس لوزير خارجية انجلترا .)
حديث كرومر وتيجران ص ١٣١ (نقل محمد ماهر باشا محافظاً للقنال .)
صدى الحادث فى الدوائر الخارجية ص ١٣١ (تعليقات الصحف — دو رفرسو يتقهقر — صدى الحادث فى فينا وعطف الشعب على الخديو والحكومة لا تؤيده — صدى الحادث فى باريس — حملة صحفية لصالح مصر والخديو ورسالة هوريس Horus .)
استقالة النظارة ص ١٣٨ (نوبار يخلف رياضاً .)
مسألة الحجز على مخصصات العائلة الخديوية ص ١٣٩
سفر الخديو للاسكندرية ص ١٣٩
المعرض الصناعى الوطنى ص ١٤٠ (عباس يفتتحه .)
رحلة الخديو الثانية للاستانة وسياحته بأوربا ص ١٤١ (نصح الانجليز له بعدم زيارة الاستانة والسلطان لا يرتاح لزيارته للندره — عباس فى الاستانة — إنعامات سلطانية على الوالدة وكريمتها .

سحب بين الخديو والسلطان ص ١٤٣ (بسبب ملابس — السلطان يحقق ليلا فى اخطاء بعض رجاله — زوال السحب .)

زيارات ونزه وأحاديث ص ١٤٤ (بين ملك الصرب وعباس — البرنس رادولين سفير ألمانيا يزور الخديو وحديثهما عن الانجليز فى مصر — تهنئة عباس لعبد الحميد بالعام الهجرى وإنعام جلالته على البرنس محمد على — عطف الرأى العام فى تركيا على عباس والمصريين — اسماعيل يهدى حفيده سيف إبراهيم — مأدبة خاصة للخديو ووالدته ومشاهدة التمثيل — حديثى مع سفير ألمانيا عن الخديو وتخوفه من تكرار زيارته له — الزلزال وزيارة عباس للسلطان — اهتمام الخليفة بالسودان — عبد الحميد يسمح لعباس بزيارة أوربا متنكراً للاستشفاء — حديثى السياسى فى المحروسة مع رادولين عن مصر — محاورات بين عباس وعبد الحميد بخصوص موعد السفر — حديثى مع جودت باشا واحمد عزت العابد بك ونقل ما دار للسلطان — ديموقراطية عباس — عزم الخديو على تغيير القبوكتخدا .)

مسألة زواج الخديو باقبال هانم ص ١٥٥ (تفكير السلطان والحريم فى تزويج عباس بسلطانة — دسائس أبى الهدى تمنع .)

سفر الخديو إلى أوربا وطوافه ببعض عواصمها ص ١٥٧ (مأدبة الوداع — فى إيطاليا — فى سويسرا — رفض الخديو الاحتفاء به فى لوسرن — فى كولونيا — فى لاهاى ومشاهداتنا بها والراقصة لوبى فولر — معرض أنفرس — السلطان لا يصرح لعباس بزيارة ملك البلجيك — العود إلى سويسرا — فى إفيان الحمامات — حكاية فتاة — فى بكس — مصنع الملح — مغارة الشياطين — مضيق تريان وحسين فوزى بك — في اندرمات وجمال الطبيعة — الخديو والخمر .)

أزمة سياسية جديدة ص ١٦٤ (حديث روليه ضد انجلترا مع صحفى)

ناظر انجليزى للمدرسة الخديوية ص ١٦٦

العود إلى مصر ص ١٦٦ (الوصول للاسكندرية — عودة الخديو إلى القاهرة)

قضية الاتجار بالرقيق ص ١٦٨ (محاكمة بعض الذوات)

زواج المؤلف وشئون أخرى ص ١٧٢ (رقعة دعوة مصورة نادرة المثال — موكب الزفاف — منحى نيشانى الأكاديمي والمعارف بدرجة أوفيسييه — بينى وبين عباس — العمال المصريون بشركة قناة السويس — تعيين جورست مستشاراً للداخلية وتغيير نظام البوليس — تعيين الشيخ حسونة النواوى وكيلا للأزهر .)

إقبال هانم أيضاً ص ١٧٧ (بشرى حملها من عباس)

سنة ١٨٩٥

مرض الخديو اسماعيل ووفاته ص ١٧٩ (رفض الحكومة رجوعه لمصر للاستشفاء — تشييع جنازته — تركة اسماعيل والمعارضة فيها — استقالة البرنس احمد فؤاد باشا من السرياورية .)

الشيخ محمد عبده والخطوة الأولى لاصلاح الأزهر ص ١٨٥ (إعجاب الشيخ بوطنية عباس وتقربه منه — اول مجلس إدارة للازهر .)

مولودة للخديو وزواجه باقبال هانم ص ١٨٦ (حفلة عقد الزواج .)

الاعتداء على بحارة انجليز ومحام بلجيكى وتشكيل المحكمة المخصوصة ص ١٨٧ (محاكمة المعتدين وقسوة الحكم — حملات الصحف الانجليزية .)

ظهور مصطفى كامل فى ميدان السياسة ص ١٩٠ (إعجاب الخديو به ومساعدته له .)

اللجنة السرية ص ١٩٠ (لتعمل مع مصطفى كامل — تغيير مكاتب شركة هافاس .)

حديث لمصطفى كامل مع الأميرالاى بارنج ص ١٩٢ (بخصوص سياسة الاحتلال .)

حديثا كرومر ونوبار مع مكاتب الجورنال الباريسى ص ١٩٦ (عن درجة كفاية المصريين .)

سياسى فرنسى يدافع عن القضية المصرية ص ١٩٧ (إحتفاء المصريين بالمسيو فرنسوا دولونكل — خطبته الحماسية وأمله فى جلاء الانجليز عن مصر .)

جهاد مصطفى كامل فى أوربا وتقديمه صورة رمزية للبرلمان الفرنسى ص ٢٠٠ (إذاعة هذه الصورة في أنحاء العالم — تعضيد الصحف الأجنبية ما عدا الانجليز له .)

خطبته فى تولوز ومحادثاته بفينا ص ٢٠١ .

رسالاته إلىّ ص ٢٠١ (اختلاف بين مصطفى كامل ودولونكل فى الرأى وزواله .)

احتفال مصطفى كامل بعيد الجلوس السلطانى ص ٢٠٤ (بباريس .)

حملة الصحف الانجليزية على الطلبة المصريين بباريس ص ٢٠٥ .

خطاب مصطفى كامل للورد سالسبورى وخطبته فى الجمعية الجغرافية ص ٢٠٦ .

رحلة الخديو الثالثة للاستانة ص ٢٠٦ (السلطان يقلد الخديو نيشان خاندان آل عثمان وينعم بنيشان شفقت المرصع على الحرم — احتفال عباس بعيد الجلوس السلطانى بالاستانة — عودة الخديو للاسكندرية فالقاهرة .)

تغيير النظارة ص ٢١٠ (الأسباب .)

شئون مختلفة ص ٢١١ (ندماء الخديو المسنون — قران شقيقة الخديو البرنسيس خديجة هانم افندى بالبرنس عباس حليم وموكب الزفاف — زواج البرنس احمد فؤاد باشا بالبرنسيس شويكار هانم افندى — الحفلة الراقصة بعابدين — سلاطين بك وكيفية هروبه من السودان — الأسطول البريطانى في ثغر الاسكندرية ومأدبة الخديو لضباطه — تعيين الشيخ حسونة النواوى شيخاً للازهر — تعيين الشيخ عبده في القضاء — مهرجان الجمعية الخيرية وحضور الخديو حفلة الأوبرا .)

سنة ١٨٩٦

المسالة المصرية على بساط البحث ص ٢١٨ (أقوال الصحف الأجنبية .)
بين مصطفى كامل وجلادستون ص ٢٢١ (بخصوص الجلاء .)
محمد مراد بك الصحفى التركى ص ٢٢٣ (إصدار جريدة ميزان وتعطيلها وخروجه من مصر .)
شكوى برنسيس لملكة الانجليز ص ٢٢٤ (بخصوص الحجر عليها .)
شئون مختلفة ص ٢٢٥ (قران البرنسيس نعمت الله هانم افندى بالبرنس جميل طوسون — الخديو والدوق أوف كمبردج يستعرضان الجيش — رؤية هلال رمضان وملاحظة الخديو — مصر فى معرض برلين العام — سفر الخديو للاسكندرية — مولودة جديدة للخديو — رحلة الخديو إلى الطور — سفر الوالدة للاستانة وعودتها — زيارة الخديو لتكية الفقراء بالاسكندرية .)
حادثة رواق الشوام ص ٢٢٧ (بسبب إصابة أحد الطلبة بالكوليرا .)
تابع الخطوة الأولى لاصلاح الأزهر ص ٢٢٨ (قانون التدريس به .)
سفر مصطفى كامل إلى أوربا والاستانة ص ٢٢٩ (دعايته لمصر فى برلين وفينا — حديثه مع السلطان — هدية وإنعامات الخليفة له .)
حادثة البرقية السرية عن حملة دنقلة ص ٢٣٠ (إذاعتها فى المؤيد والتحقيق فيها .)
سفر الخديو لأوربا ص ٢٣١ (فى جبال السويسرا والاستشفاء فى ديفون ورجوعه لمصر .)
السينما فى مصر ص ٢٣٢ (بداية ظهوره .)
الأب هياسنت لوازون ص ٢٣٣ (نزوله ضيفاً عندى — محاضراته فى الأوبرا والاسكندرية بالتوفيق بين الاسلام والمسيحية .)
ندب المؤلف لحضور امتحان مدرسة القبة ص ٢٣٤
قضية صندوق الدين ص ٢٣٦ (مصاريف حملة دنقله وصداها في مجلس النواب الفرنسى .)

سنة ١٨٩٧

نداء مصطفى كامل للشعب الألمانى ص ٢٣٨
الخديو فى الصحف الأمريكية ص ٢٣٨ (بتفيلد معتمد أمريكا ورأيه فى عباس .)
ردم الخليج المصرى ص ٢٣٩
الحرب التركية اليونانية ومساعدات مصر للدولة العلية ص ٢٣٩ (لجان الاكتتابات برعاية الخديو — إنشاء جمعية الهلال الأحمر — رفع الأعلام العثمانية وحنق الانجليز .)
ترقيم منازل القاهرة ص ٢٤٣

وضع الحجر الأساسى لبناء دار الآثار ص ٢٤٣ (بحضور الخديو .)
عباس فى مصيفه ص ٢٤٤
مصطفى كامل فى ميدان الجهاد ص ٢٤٤ (خطبته فى الاسكندرية ضد الاحتلال — فى الأستانة وأوربا — رأى فرنسى فى واجبات المصريين .)
مقتل وطنى بيد جندى انجليزى ص ٢٤٥ (أمام سراى راس التين ! ومحاكمة القاتل وبراءته واستياء المصريين .)
افتتاح أول خط ترام بالاسكندرية ص ٢٤٦ (بحضور الخديو .)
زيارة ملك سيام للخديو ص ٢٤٦ (إنعامات متبادلة — انقطاع التيار الكهربائى أثناء المأدبة .)
قضية الطعن على الخديو ص ٢٤٨ (الحكم على المتهمين .)
شئون مختلفة ص ٢٤٩ (افتتاح الخديو لمعرض الزهور بحديقة الأزبكية — الخديو والأعمال الخيرية — ضيف إيطالى واحتجاج قنصل إيطاليا على ضيافة الخديو له — تقرير لورد كرومر عن سنة ١٨٩٦ عن حملة دنقلة وديوان الأوقاف وتعاون كبار الموظفين — عيد الملكة وعدم موافقة عباس على جعله يوم عطلة رسمية — نيشان ليوبلد الأول النمساوى للخديو — زيارة الخديو لطلبات العطف — مآدب خديوية لقواد جيش الاحتلال — عودة الخديو للعاصمة وزيارته للغربية والبحيرة والمنوفية — مولودة ثالثة للخديو — وفاة روليه بك وتعيينى محله — تعيين الشيخ حسونة النواوى مفتياً للديار .)

سنة ١٨٩٨

جمعية المودة السرية لضباط الجيش فى وادى حلفا وسواكن ص ٢٥٣ (مخابراتها معى .)
بيع بعض المرافق المصرية ص ٢٥٦ (البوستة الخديوية وأملاك الدائرة السنية .)
خطبة لمصطفى كامل فى الاتحاد ص ٢٥٨ (بمناسبة عيد جلوس عباس .)
تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٨٩٧ ص ٢٥٩ (عن جهود الموظفين المصريين والانجليز وعن بناء خزان أسوان .)
شئون مختلفة ص ٢٦٠ (سياحة برية للعريش — مشاهدة الحد الفاصل بين تركيا ومصر — الحج والكوليرا وطلب الحكومة منعه ثم إطلاقه بشروط — افتتاح الرواق العباسى بالأزهر بوجود الخديو — عناية الخديو بالشئون الصناعية — زيارته لمعمل الرمالي ودار الصناعة بنظارة الأشغال — زواج البرنس على فاضل بك بأجنبية وغضب الخديو عليه — محمد شريف باشا وصاحبته الفرنسية والتماس والدته تركها — إنشاء البنك الأهلى المصرى .)
حادث الاعتداء على البرنس احمد فؤاد باشا ص ٢٦٣ (الحكم على الجانى بالسجن والحجر عليه فى تصرفاته ومعالجته في انجلترا لخلل فى قواه العقلية .)
رحلة الخديو لأوربا والاستانة ومهمتى فى برلين ص ٢٦٨ (استصحابى مدحت بدرخان بك — السلطان يمنع الخديو من زيارة طاشوز ومن عمل إصلاحات فيها وفى قوله — كان

يلقب الخديو بالولد المجنون وكان لا يشجعه سياسياً — مهمتى فى برلين وعرض برنامج زيارة الأمبراطور لمصر في طريقه إلى فلسطين — عدم وقوع هذه الزيارة لعدم رغبة السلطان والانجليز فيها — دورفرسو يبدى سروره لهذه الزيارة — حديث لمصطفى كامل مع مكاتب الليبر بارول عن عباس ومساعدة فرنسا لمصر — احتفاء الطلبة المصريين بالخديو ونصيحته لهم — الخديو فى ديفون للاستشفاء لأول مرة وكيفية معالجته — اجتماعات الخديو فى نيون بالسويسرا مع كبار الساسة الفرنسيين — الرجوع إلى فينا والسفر منها للاستانة — احتفاء السلطان بالخديو وإنعامات شاهانية ثم الرجوع للاسكندرية .)

عود الخديو من المصيف وزيارته الغربية والشرقية والدقهلية ص٢٧٣ (محاكمة احمد خيرى باشا مدير البحيرة بتهمة إجبار الأهالي على إقامة الزينات .)

جريدة بريد الشرق الفرنسية ص ٢٧٤ (تعويض صاحبها لاغلاقها وخروجه من مصر .)

سنة ١٨٩٩

مجلس شورى القوانين والتعليم فى تقرير كرومر عن سنة ١٨٩٨ ص ٢٧٦

امتناع الخديو عن حضور الاحتفال بوضع الحجر الأساسى لخزان أسوان ص ٢٧٧ (الأسباب .)

مولد ولى العهد ص ٢٧٧ (محمد عبد المنعم — الاحتفالات به .)

تدخل الانجليز فى المسائل الشرعية ص ٢٧٩ (بسبب الحج أيضاً وطلب تعيين اثنين من قضاة محكمة الاستئناف فى المحكمة العليا الشرعية — رفض مجلس الشورى هذا الطلب واحتجاج الباب العالى — سعي الانجليز في تعيين قاضى مصر من علماء الأزهر ومعارضة الخديو بمشورة الشيخ محمد عبده .)

حملة لاسترداد السودان ص ٢٨١ (غضب الخديو لعدم أخذ رأيه عن الحملة — اعتذار كرومر — توديع عباس للجنود .)

موقف الباب العالى ص ٢٨٢ (استعلام الصدر عن أسباب إرسال الحملة ورد الحكومة .)

تعليقات الصحف الأجنبية ص ٢٨٣ (حديث للخديو عن الحملة — احتلال دنقله وإنعامات الخديو على السردار والضباط ومكافأة الجند — تمثيل رواية المهدى وفتح السودان — تكريم الخديو وكرومر للسردار — ثناء كرومر على الجنود المصرية وانتقاد بعض أقواله — شكر كتشنر لكرومر وثناؤه على الجنود المصرية — مأدبة لكتشنر فى نادى محمد على — الاستيلاء على أبى حمد وتهنئة عباس بانتصار الجيش فى العطبرة — الاستيلاء على أم درمان ومكافأة الخديو للجنود مرة أخرى — الاستياء العام فى السودان من رفع العلم الانجليزى بجانب العلم المصرى على أم درمان — برقية الخديو لفخرى باشا بالتمسك بحقوق مصر .)

مسألة فاشودة ص ٢٨٨ (خط سير مرشان واحتلالها — قيام كتشنر لاسترداد فاشودة — مقابلته مع مرشان ومناقشتهما الحادة — رفع العلمين المصرى والانجليزى على البلدة — إخلاء الفرنسيين لفاشودة — الانعام بلقب لورد أوف خرطوم وإسبال على كتشنر باشا وتأسيس كلية جوردون .)

انتهاء الحرب السودانية ص ٢٩٢ (قتل التعايشى والانعام على ونجت باشا — استقالة كتشنر وتعيين ونجت خلفاً له .)

سفر اللورد كرومر الى السودان ص ٢٩٣ (وضعه الحجر الأساسى لكلية جوردون — خطبته فى أم درمان وظهور نية الانجليز فى حكم السودان — رجوعه إلى مصر ومقابلة الخديو له — إعلان المحاكم المختلطة عدم قبولها نظر القضايا المختصة بالبلاد السودانية .)

اتفاقية السودان وصداها فى البلاد ص ٢٩٥ (موافقة النظار عليها رغم ملاحظة الخديو .)

صدى الاتفاقية فى الصحف الأجنبية بمصر وأوربا ص ٢٩٨ (تعطيل جريدة الجورنال إجبسيان لحملتها على هذه الاتفاقية — دفع مصر نفقات الجنود الانجليزية فى حملة السودان .)

سفرى للاستانة مع الوالدة ص٢٩٩ (استصحابى الشريف يحيى من خصوم الدولة — استقبال الوالدة فى الاستانة — محادثة هامة مع الباشكاتب بخصوص الصحف المعادية للسلطان — زيارتى للسفارات ومحادثتى مع سفير انجلترا بخصوص الصحف — حديثى مع سفير إيطاليا بخصوص السودان وحديثى مع ترجمان أول سفارة ألمانيا عن الثورة العرابية — حديثى مع سفير فرنسا ونصيحته للسلطان بأن يرضى الخديو — محادثتى مع مكسيموف عن الصحف — تهنئتى للسلطان بعيد رأس السنة الهجرية — توزيع نقود فضية جديدة فى هذا اليوم — ختان الأمير عبد الرحيم افندى — العثور فى تكة سروال أحد المختونين على عريضة من والدته بالتماس إجراء عملية الختان لزوجها — بين الخديو والسابين — مماطلة الباشكاتب فى مقابلتى وملاحظتى بشدة عليه لتأخير معروضاتى — حديثى فى هذا الشأن مع سفير فرنسا ورأيه — بينى وبين دولة الوالدة بخصوص هذا الموضوع وانزعاج السلطان من إشاعة سفرها لأوربا — استردادى العريضة من الباشكاتب وتقديمها بمعرفة الوالدة للسلطان وأوامره بخصوصها وملاحظاتى عليها .)

رحلة الخديو الى أوربا ص ٣٠٩ (مقابلتى للخديو في جزيرة كلازومين ورجوعى للاستانة والتحدث مع الباشكاتب بخصوص الجرائد المعادية — حديث اسفير انجلترا معى عن حرية الخديو فى السفر لأى جهة شاء بصفة غير رسمية — تعرفى بصاحب جريدة إقدام وانتقاده الادارة التركية — إلحاق بالخديو فى فينا — طورنيزون باشا ومدير فندق سافوى — زيارة الخديو لأمبراطور النمسا — رجوعى للاستانة .)

دسيسة ضد الوالدة ص ٣١٣ (اتهام جلال الدين باشا الوالدة بمعاونة جماعة تركيا الفتاة — رجوعها والخديو لمصر .)

رفع الستار عن تمثال دولسبس ببور سعيد ص ٣١٤ (خطاب الخديو ورد رئيس مجلس إدارة الشركة وغيره — عباس يقلد البرنس دارنبرج الوشاح المجيدى — دعوة الخديو لأفراد

دولسبس لمائدة فى القبة — دعوتى لشارل دولسبس وقرينته للغداء وتحادثنا في شئون مصر السياسية ونصيحته بمصادقة الانجليز .)

عيد الميلاد السلطانى ص ٣١٦ (برقية السلطان لعباس استرضاء له ليزول سوء التفاهم بخصوص الصحف .)

شئون مختلفة ص ٣١٧ (الاحتفال بوضع الحجر الأساسى لبناء البنك الأهلى المصرى — العفو عن بعض زعماء الثورة العرابية .)

حديث بين الخديو وشيخ الأزهر ص ٣١٧ (بخصوص تهافت الشعب لرؤية أميره .)

سنة ١٩٠٠

شئون مختلفة ص ٣١٨ (عيد الجلوس الخديوى وتأليف لجنة للاحتفال به فى حديقة الأزبكية — افتتاح الخديو ساحل مصر القديمة — معاش المسيو مزر ومساعدة الخديو له — القبض على عثمان دفنه — ميلاد أميرة وتسميتها شوكت هانم افندى — شكوى أصحاب المقطم لعدم تعرف أخبار المعية ككل زملائهم .)

من جوليت آدام الى مصطفى كامل ص ٣٢٠ (بمناسبة إنشائه جريدة اللواء .)

تمرد فرقتين مصريتين فى السودان ص ٣٢١ (بسبب تجريدهم من أسلحتهم — التحقيق وإدانة بعض الضباط والجنود .)

رسالة قاذفة من صحفى أجنبى الى الخديو ص ٣٢٢

رحلة الخديو الى الصحراء الغربية ص ٣٢٦ (اتهامه بالمخابرة مع وكيل السنوسى بشأن الخلافة العربية.)

رحلتى ومهمتى فى الأستانة ص ٣٢٦ (أبو الهدى والخديو — رأى القزلر أغاسى فى الشيخ — حديثى مع مكسيموف وأوكونور سفير انجلترا بخصوص مصر واستعداد السلطان لارسال ضباط عثمانيين بدلا من الضباط المصريين الذين عصوا الانجليز — مصيف للحرم الخديوى .)

سفر الخديو الى أوربا وعزمه على زيارة لندره ص ٣٢٨ (سرور السلطان من إخلاص الخديو — لحاق بعباس فى فينا .)

الاستعداد لاستقباله ص ٣٢٨ (فى لندره وبرنامج الاستقبال .)

مرض الخديو ص ٣٢٩ (بدؤه فى مدينة كولونيا — فى أنفرس ومنها إلى فلوسنجن والانتقال إلى اليخت أزبورن — شدة المرض على الخديو وملازمتى له — تقرير الدكتور السير سيمونسن عن نوع المرض — اهتمام الملكة وعائلتها بعباس — تمثاله للشفاء وإخطار مصطفى فهمى باشا بذلك .)

الاستقبالات والزيارات ص ٣٣٢ (نزولنا من اليخت بالملابس الرسمية والنياشين — الاستقبال الرسمى بمحطة شارنج كروس وتعيين قسطاكى باشا سفير الدولة لمرافقة سموه — ركوب الخديو فى عربة ملكية بأربعة خيول — فى سراى بكنجهام — فى قصر وندسور — تزاور الخديو والبرنس دوجال — مقابلة الملكة فى وندسور وتقديم الحاشية لها —

إهداء الملكة لسموه وأخيه وإنعاماتها على الحاشية — مأدبة عشاء — جلوس الخديو عن يمين الملكة وشقيقه أمامها — ونجت باشا يقدم الحاشية بعد العشاء — جلالتها تقول لعبد العزيز عزت بك إنها تعتبره كضابط فى جيشها لتخرجه فى مدرسة ووليش — حفلة موسيقية حضرناها وقوفاً ما عدا الخديو واللورد سالسبورى — توديع الخديو وكبار الحاشية للملكة بثياب التشريفة ورجوعنا إلى بكنجهام — زيارات ومآدب للخديو ومأدبة أقامها سموه لكبار الانجليز الذين خدموا فى مصر — مشاهدة آلة ناقلة — فى جلد هول « دار البلدية » — استقبال سموه الفخم بها وخطاب البلدية ومأدبة غداء لثمانمائة مدعو — خطبة المحافظ الترحيبية ورد عباس بالشكر — رجوعى للاستانة ومسألة الداماد — سفر الخديو إلى ديفون — سرور الوالدة لحفاوة الانجليز بنجليها .)

عود الخديو الى مصر ص ٣٣٩ .

رحلتى فى أوربا ص ٣٣٩ (زيارتى والعائلة لليونان وإيطاليا وسويسرا — وصولنا إلى باريس — زيارتنا للمعرض — خسارة القسم المصرى المالية بسبب منع رقصة القلة — مسيو بوكار يستضيفنا فى قصره — مشاهداتنا فى باريس — رجوعنا إلى مصر .)

سنة ١٩٠١

تهنئة مصطفى كامل لعباس فى عيد الجلوس يعقبها فتور بينهما ص ٣٤٧ (الأسباب .)

وفاة ملكة الانجليز ص ٣٤٨ (تعازى الحكومة والخديو وانتدابه شقيقه لرياسة وفد يشهد تشييع جنازتها .)

عباس وأبو الهدى وشكيب معشوقه ص ٣٤٨ (سعى البكرى والمويلحى للتقريب بين عباس وأبى الهدى — حسين زكى بك الوسيط — إرجاع شكيب إلى الاستانة — القزلر أغاسى يقدم للسلطان رسم أبى الهدى وشكيب يتعاقران — غضب السلطان على أبى الهدى وتوتر العلاقات ثانية بين الأخير والسيد محمد توفيق البكرى والخديو .)

محمود باشا الداماد والجون تورك ومهمتى فى الاستانة ص ٣٥٣ (سعى سفارتى الروسيا وفرنسا لارجاع الداماد نظير معادن طاشوز للخديو ومبلغ ٢٥ ألف جنيه من سموه وفشلهما — سفرى للاستانة — طلبات المابين من الخديو بخصوص الداماد ورجال تركيا الفتاة والصحف وسرور السلطان لمساعى الخديو — رجوعى لمصر — المخابرات بين الخديو والسلطان عن إرجاع الداماد ونجليه — عباس يصرف بسخاء عليهم نظير تنازل الداماد له عن امتيازه فى بعض المعادن وإرضاء للسلطان — حبوط المساعى وسفرهم إلى اوربا .)

سفير انجلترا وبعض الشئون المصرية ص ٣٦٠ (انتقاده السلطان لمنحه رتبة الروملى بكلر بك للنشاوى باشا ولمسألة القاضى الجديد .)

سفرى للاستانة بمعية الوالدة لاتمام المسائل المعلقة ص ٣٦٢ (التعليمات — استصحابى تسعة من جماعة تركيا الفتاة — إخراج اسماعيل كمال بك من مصر — إشاعة السعى لتعيين أمير مصرى والياً على ألبانيا — أحمد جلال الدين باشا ومقابلتى له ونفيه اتهامه الوالدة —

البرنس حسين كامل باشا عند السلطان — استغراب عبد الحميد وجود صورة عباس عند شكيب — جماعة تركيا الفتاة وجمعية حميت .)

اتهام الخديو بمساعدة ثوار اليمن ومنشور طلب مبايعته بالخلافة ص ٣٦٧ (تأثر الخديو وطلبه التحقيق — إحراق السلطان بيده نسخة من المنشور .)

مسألة ليون فهمى الأرمنى ص ٣٦٨ (القبض عليه في سراى رأس التين وطلب كرومر تفتيشها والمحروسة — نصيحة الشيخ محمد عبده لتفادى الخطر — سفر المقبوض عليه لأوربا .)

الخديو فى الاستانة وأوربا ص ٣٦٩ (منع عباس عن زيارة ألبانيا — رد سموه — استئجار محل فى جبوفلى لنزول العائلة وتفويضى فى شراء الأثاثات ودفع أثمانها من الصدارة — وصول الخديو للاستانة مع عائلته — على المائدة السلطانية — تشريف سلطانى للخديو بوجود صدور ووكلاء وتقليده نيشان الافتخار المرصع وإنعامات شاهانية — سفر الخديو للحمامات — تقديم عباس لعبد الحميد مكاتبات طعن على الادارة التركية من أعدائها — قاطرة كشافة أمام القطار الخديوى — الباشكاتب يرفض قبول ألف جنيه كهدية — الاحتفاء بعباس فى محطات الدولة والصرب — في باريس وديفون الحمامات — بين عرابي والسلطان — رجوع الخديو للاستانة وبرفقته ابراهيم المويلحي بك لتركه بها — مأدبة رسمية لعباس ولسفراء الدول بمناسبة زواج ثلاث سلطانات — أحاديث مع السلطان عن الديون التركية والداماد — تهنئة الخليفة لعباس بعيد ميلاده — زيارة جلالته وسموه معمل الصينى بيلدز — زيارة للمستشفى الحميدى للاطفال — نزهة لعباس لم يستحسنها الخليفة — مأدبة رسمية حضرها الوكلاء وإنعامات السلطان علينا وزيارة دار الآثار بيلدز ومشاهدة عباس لغرفة نوم الخليفة — منح عباس للمرافقين وغيرهم وسفره لمصر وبقائى بالاستانة .)

هدايا الخديو للسلطان والحاشية ص ٣٧٦ (قميص من الحرير ذى زرد مصفح — دعوتى عند سفير انجلترا .)

الشيخ محمد عبده فى الاستانة ص ٣٧٧ (الدسائس ضده ومحاولة القبض عليه وضماتى له لدى السلطان وعريضته للخليفة وشكره لى .)

رأى عزت العابد بك فى علاقات عباس وعبد الحميد ص ٣٨٣ .

شئون مختلفة ص ٣٨٥ (حصر عدد أعضاء العائلة الخديوية — زيارة الخديو للسودان .)

سنة ١٩٠٢

افتتاح خزان أسوان ص ٣٨٧ (بحضور عباس والدوق اوف كنوت — النفور بين مختار باشا والخديو .)

المؤتمر الطبى الدولى فى مصر ص ٣٨٨ (افتتاح عباس له .)

البرنس محمد على باشا والوالدة على المائدة السلطانية ص ٣٨٩ .

التشريفات السلطانية فى عيد الأضحى ص ٣٨٩ (نخامتها .)

قضية المنشاوى باشا ص ٣٩١ (سرقة ثورين من مزارع الخاصة — التحقيق والحكم على المنشاوى وغيره لتعذيبهم السارقين .)

بين الخديو وأبى الهدى ص ٣٩٢ (توتر العلاقات ثانية بينهما لدسائس الشيخ ضد الخديو .)

قضية المطبعة العثمانية ص ٣٩٤ (أمر كرومر باقتحام المطبعة وكسره الأختام القضائية وأخذ الأوراق الموجودة بها .)

مسألة طاشوز ومعادنها والخلاف بين الخديو والباب العالى ص ٣٩٥ (تذمر الأهالى وأسبابه ومظاهرتهم — احتلال الجزيرة بالبوليس التركى — ابتداء الخلاف بين الخليفة والخديو — عرض كرومر مساعدته للخديو — عريضة يوسف طلعت باشا للسلطان بهذا الخصوص لصالح عباس — التماس الأهالى من الخليفة إرجاع الجزيرة لعباس — جعل طاشوز متصرفية عثمانية — كلام عباس القاسى لحسنى باشا — نصيحة السفير الانجليزى بكتابة مذكرة عن طاشوز للسلطان — برنامجى للعمل فى هذه المسألة ورأى سفيرى انجلترا والروسيا — السلطان وكلبه — عبد الحميد وخزان أسوان — ضم معادن طاشوز لخزانة الخاصة السلطانية .)

مسألة القبوكتخدا ص ٤٠٣ (تسلمى أعمالها لوفاة عزيز بك — تهنئة الشيخ محمد عبده لى — ترشيح محمود شكرى باشا — السلطان يطلب بقائى مؤقتاً — رجوعى مع الخديو لمصر — برقية الصدر بالموافقة على تعيينى إذا رغب الخديو .)

إعانة الوالدة للجمعية الخيرية الاسلامية ص ٤٠٥

رحلة الخديو للأستانة وأوربا ص ٤٠٥ (استقباله بالاستانة)

بين عبد الحميد وعباس ص ٤٠٦ (طلبات السلطان بخصوص جماعة تركيا الفتاة ورد الخديو عليه وهدية جلالته لسموه .)

سفرى إلى ديفون ص ٤٠٨ (ردى على أوامر شاهانية كلفت بتبليغها للخديو — الأوقاف الخديوية ووشاية محمود مختار باشا — عودتى للاستانة ودعوتى سفير فرنسا لزيارة المحروسة — السلطان وعلاج الكوليرا — عود الخديو إلى الاستانة — الخديو وأمير البلغار ومقابلتهما فى صوفيا — تذمر عباس من تصرفات عبد الحميد — حضور عباس حفلة أول رجب فى يلدز — عود الخديو إلى مصر .)

مسألة طاشوز تدفع عباساً للتقرب من الانجليز ص ٤١١ (تشجيعهم له .)

بين عباس والشيخ محمد عبده ص ٤١٣ (وشاية مصطفى كامل بك والشيخ على يوسف فى حقه للخديو ومكيدة سموه له .)

شئون مختلفة ص ٤١٤ (مولد البرنس محمد عبد القادر — إنعامات وتعيينات .)

فهرس الأعلام

الواردة فى القسم الأول من الجزء الثانى من مذكراتى فى نصف قرن

(ا)

ابراهيم المويلحى بك ٣٤٨ر٣٦٨ر٣٧٤ ر٣٧٦

ابراهيم حلمى باشا ، البرنس ٥ر١٨٠

ابراهيم رشدى باشا ٥٠

ابراهيم فؤاد باشا ٤

ابراهيم نجيب باشا ١٤٠

أبو الهدى الصيادى ١٥٦ر٣٤٨ر٣٦٢ ر٣٩٢

احمد الرفاعى ، الشيخ ٢٨

احمد السيوفى باشا ٢٣٤ر٢٤٠

احمد العريس افندى ٣٦٨

احمد المنشاوى باشا ٣٩١

احمد أيوب باشا (المشير) ١١ر١٢ر١٣

احمد جلال الدين باشا ٣١٣ر٣٦٢ر٣٩٧

احمد جودت باشا ١٤٧ر١٥٣ر١٥٥

احمد خيرى بك ١٩

احمد خيرى باشا ٢٧٤ر٣١٧ر٣٩٦ر٤٠١ ر٤١٣

احمد ذو الفقار بك ١٦

احمد زكى بك — باشا (شيخ العروبة) ٢٧ر٣٢٩

احمد زيور بك ١٠٢

احمد سيف الدين ، البرنس ٢٦٣

احمد عزت العابد بك ١٠٢ر١٤٧ر١٥٥ ر٣٨٢ر٣٨٣

احمد على محمود افندى ٤٧

احمد فؤاد باشا ، البرنس ١٨ر١٢٠ر١٨٠ ١٨٤ر٢١٣ر٢٦٣

احمد فؤاد افندى (صاحب الصاعقة) ٢٤٩

احمد كمال ، البرنس ٢٦٦

احمد لطفى السيد بك ١٠٢

احمد مختار باشا (الغازى) ٢ر١٠ر١٢ ر٣٢ر٦٣ر٧٦ ر١٠١ر١٤١ر١٤٣ ر٢٢٤ ر٣٠٤ر٣١٦ر٣٥٤ ر٣٥٧ ر٣٨٧ ر٤١٣

احمد مظلوم باشا ١٩ر٥٩ر٧٥ر٢٤٤

ادريس راغب بك ٥١ر٢٨٠

ادوار روويه (ترجمان سفارة فرنسا) ٣٥٥

أرستيد جافيو ، المسيو ٢٩

اسكندر فرح افندى ٣٢ر٢٨٥

اسماعيل باشا الخديو ٩٦ر١٠٠ر١٠٥ ر١١٤ر١٤٢ر١٤٧ر١٧٣ر١٧٩

اسماعيل أبو دبوس بك ٤٧

اسماعيل الشيمى بك ١٩٠ر١٩٩

اسماعيل سرهنك بك ٨٨

اسماعيل صبرى بك ١٠٢

اسماعيل كمال الألبانى بك ٣٥٦ر٣٦٢ ر٣٦٤ر٣٦٨ر٤٠٧
افلين بارنج ، السير — اللورد كرومر ١ر١٢ ر٥٢ ر٥٩ ر٦٠ ر٦٣ ر١٢٥ ر١٢٦ ر١٣١ ر١٨٨ ر١٩٦ ر٢١٠ ر٢٤٤ ر٢٥٠ ر٢٥٩ ر٢٧٦ ر٢٨١ ر٢٩٣ ر٣٦٧ ر٣٦٨ ر٣٩٥ ر٣٩٧ ر٤١٢
إقبال هانم افندى ١٧٧ر١٨٦ر٣٧٢
الامبابى، الشيخ (شيخ الأزهر) ٨ر١٧٧ ر٢١٦
ألبير روويه ، المسيو ٣٥٣ر٤٠٣
الدون جورست ، السير ١٧٧ر٢٦٢ر٤١١
المهدى ، الشيخ ٣٢
ألوين پالمر ، السير ١ر٣٢ر٢٦٢
أمين سامى بك ٤٩
أمين فكرى بك ١٠٢ر٢٣٤
أمينة هانم افندى (الوالدة) ١٤٢ر١٤٧ ر١٥٥ ر٢٤٢ ر٢٩٩ ر٣٠٥ر٣١٣ ٣٧٢ر٣٨٩ر٤٠٥
أوكونور (سفير انجلترا بالاستانة) ٣٦١

(ب)

بدراوى عاشور باشا ٤٦
بروستر بك ١٨ر٩٤ر١٠١
بطرس غالى باشا ٥٩ر٦٠ر٧٥ر١٢٥ ر١٣٨ر٢٤٣ر٢٩٥ر٣٦٧
بنفيلد ، المستر ٢٣٨
بوكار ، المسيو ٦٩ر١١٧ر١٣٥ر١٧٦ ر٢٣٦ر٣٤٠

(ت)

تحسين بك (الباشكاتب) ٣٥٦ر٣٥٧ ٣٦٠ ر ٣٦١ ر٣٦٢ ر ٣٦٥ ر ٣٦٧ ر٣٦٩ر٣٧٣ر٣٨٢ر٤٠٠ر٤٠٨
توفيق فهمى بك ١٤١
تيجران باشا ١ر١٢ر٥٩ر٦٠ر٧٤ر٩٤ ر٩٨ر١٠١ر١٢٦ر١٣١ر١٣٨

(ث)

ثابت محمد باشا ١٧ر١٨ر٩٣ر٩٨ر١٠١ ر٢٤٠

(ج)

جرانفل باشا (السردار) ٣ر٩ر٣٨
جلادستون ، المستر ٧٠ر٢٢١
جمال الدين افندى (قاضى مصر) ٢٧٩
جمال الدين الأفغانى ، السيد ١٠٢ر١١٣
جميل طوسون باشا ، البرنس ٢٢٥
جميلة هانم افندى ، البرنسيس ١٨٤
جواد باشا (الصدر الأعظم) ٩٧
جورج فسيو ، المسيو ١٩٢
جورجى خياط بك ٨٥
جورجى زيدان ، الأستاذ ٢
جولييت آدام ، مدام ١٩١
جون ستوك ، المسيو ١١٧
جيشار ، المسيو ١١٧

(ح)

حبيب سكاكينى باشا ٣١٩

حسن المرصفى ، الشيخ ١٨٦
حسن عاصم بك — باشا ٥١ر٢١٠
ر٢٦٥ر٢٧٣ر٣٢٩ر٣٦٦ر٤١٤
حسن مدكور بك ٢٤٠
حسن موسى العقاد ، السيد ٣٥
حسنى باشا ٤٠١
حسونة النواوى ، الشيخ ١٧٧ر١٨٥
ر٢١٦ر٢٤٠ر٢٥٢ر٢٧٩ر٢٨٠
حسين رشدى بك ١٧ر٨٨ر٢٣٤
حسين رمزى بك ١٩ر١٠١
حسين زكى بك ٣٤٩
حسين فخرى باشا ٥٩ر٦٠ر٧٤ر٢٠٦
ر٢٤٣ر٢٨٨
حسين فهمى بك ٣ر١٠١
حسين فوزى بك ١٦٣ر١٦٤
حسين كامل باشا ، البرنس ٣ر١٨٠ر٢٦٥
حسين محرم بك ١٩ر١٠١
ر١٢٧ر١٤١
حسين واصف بك — باشا ٨٧ر١٦٨

(خ)

خديجة هانم افندى ، البرنسيس ٢١٣ر٢٢٤
خليفة على محمود بك ٤٦

(د)

دارنبرج ، البرنس ٣١٧
درويش باشا ٩٧
دلاسالا باشا ، الكونت ١٣٥
دوجال ، البرنس — الملك أدوارد السابع
٣٣٢ر٣٤٨
دو رفرسو ، المركيز ١٢ر١٢٦ر١٣٢
٢٧٠ر٣٢٨
دوفرين ، اللورد (سفير انجلترا بباريس) ٦٦
دوق أوف كنوت ٢٧٧ر٣٣٠ر٣٨٧
دوق أوف يورك ٣٣٢
دولونكل (النائب الفرنسى) ٦٦ر١٩٧
ر٢٠٢
دومرتينو باشا ٣ر١٨ر٤٧ر٩٤ر١٠١
ر١٢٧ر٢٦٥
دومرجان ، المسيو ٣٥

(ر)

رادولين ، البرنس (سفير ألمانيا) ١٤٥
ر١٥٠
رائف باشا ٩٧
رستم باشا (سفير الدولة بلندره) ٦٣
رشيد بك ٣٦٣
روزبرى ، اللورد ٦٠ر٦٣ر٦٦ر١٢٥
روليه بك ٢ر١٤ ر١٨ ر٣٤ر٤٤ ر٦١
ر٩٤ر١٢٠ر١٣٢ر١٣٥ر١٥٨ر١٦٤
ر١٧٥ر٢٥٢
رينل روود ٣٣٠

(س)

سالسبورى ، اللورد ١٢ ر٢٠٦ ر٢٨١
ر٣٣٥
سعد زغلول بك ٥١ر١٠٢
سعيد ذوالفقار بك ١٩
سعيد طوسون ، البرنس ١٨ر٩٤ر١٠١
ر١٢٠

سكوت ، السير ١٨٨
سلاطين بك ٢١٥
سلامة حجازى ، الشيخ ٣٢ر٣١٩
سليم البشرى ، الشيخ (شيخ الأزهر) ٢٨٠
سليمان هزاع ٧٦
سيمونسن ، السير (الدكتور) ٣٣٠

(ش)

شاكر باشا ١٤٢ر١٤٣ر٢٦٢
شكيب ٣٤٨
شوكت هانم افندى ، البرنسيس ٣٢٠
شويكار هانم افندى ، البرنسيس ٢٦٥

(ص)

صابر صبرى بك ٢٣٤
صالح بك (سكرتير الدامادمحمود باشا) ٣٥٤

(ط)

طورنيزون باشا (الميراخور) ٣١١ر٣٤٨

(ع)

عاصم بك (كاتب الشفرة) ٣٥٤
عباس حليم باشا ، البرنس ٢١٢
عبد الحليم عاصم باشا ١٨ر٩٤ر١٠١
ر١٢٠ر١٤١ر١٨٤ر١٨٧
عبد الحميد الشافعى (الدكتور) ١٦٨
عبد الحميد خان ، السلطان ٩٢ر٩٧ر٩٨
ر ٩٩ ر١٠٠ ر١٠٢ ر١٠٣ ر١١٣
ر١١٤ ر١٤٢ ر١٤٤ ر١٥٢ ر١٥٥
ر١٥٧ ر١٦٠ ر٢٢٩ ر٢٦٨ ر٣١٦
ر٣٥٧ ر٣٦٩ ر٣٧٥ ر٤٠٢ ر٤٠٧
ر٤١١
عبد الرحمن الشربينى ، الشيخ ٢٨
عبد الرحيم صبرى بك ١٩
عبد العزيز عزت بك — باشا ٢٤
ر٣٣٠ر٣٣٥ر٣٤٨ر٣٦٤ر٤١٤
عبد الغنى افندى (قزلر أغاسى) ١٣٢
٣٥٥ر٣٦٢
عبد القادر حلمى باشا ٣١٨
عبد الكريم سلمان ، الشيخ ١٨٦
عبد الله نديم افندى ٣٥
عبده الحامولى (المطرب) ٢٠٩ر٢٧٨
عثمان باشا ، الغازى ٩٧
عثمان بدرخان باشا ٣٦٦
عثمان غالب بك ٤٠
على بك ، الحاج (المابنجى) ٩٨ر١٥٥
على خشبة بك ٨٥
على ذو الفقار باشا ١٧ر١٨
على سليم (قومندان وابور الشرقية) ١٠١
على شاهين بك ١٩ر٤٤ر١٤١ر٢٦٥
ر٣٤٨ر٣٦٨ر٣٩٠
على شريف باشا ٣١ر١٦٨
على شعراوى بك ٨٧
على عبادى بك — باشا ١٠١ر٢٧٣
على فخرى بك ٥١
على يوسف ، الشيخ ٧٦ر١٠٢ر١٤٧ر١٩٩
ر٢٣١ر٣٥٨ر٣٦٨ر٣٧٧ر٤١١

(غ)

غليوم الثانى (امبراطور ألمانيا) ٢٢٦
ر٢٦٩

(ف)

فارس نمر ، الدكتور ٧٦
فران ، المسيو ٦٧
فليبوتو ، المسيو ٢٠٠
فؤاد الأرناؤودى باشا ٣٦٣ر٣٦٤
فيكتوريا ، الملكة ١٥ر٣٣٠ر٣٤٨
فيليب بولاد ٣٣٩

(ق)

قاسم أمين بك ٥١ر١٠٢
قره تيودورى افندى (سفير الدولة فى بلجيكا) ١٦٠ر١٦١
قسطاكى باشا (سفير الدولة فى انجلترا) ٣٣٢
قلينى فهمى بك ٣١٩

(ك)

كارنجتون ، الكولونيل ٣٣٠
كاوتسكى بك ، الدكتور ٣٢٩ر٣٣٠
كتشنر باشا ، اللورد ٣٨ر٨٠ر١٢٣ ر١٢٤ ر١٢٥ ر١٢٧ر ٢٨٥ ر٢٨٦ ر٢٩٠ر٢٩٢
كرستيان ، البرنس ٣٣٢
كنعان بك ، القائمقام ٩٥
كومانوس باشا ، الدكتور ١٦ر٩٤ر١٠١ ر١٢٠ر١٤١ر١٥٥ر٢٠٧
كونستان (سفير فرنسا بالاستانة) ٣٥٣
كيرلس ، الأنبا ٤٠

(ل)

لوسيير ، المسيو ١٩٢
ليون فهمى الأرمنى ٣٦٨

(م)

مارشان ، الكولونيل ٢٨٨
ماك ايلوث ملكولم ، المستر ٢٦٣
محمد ابراهيم وحيد الدين ، البرنس ١٨ ر٢٦٦ر٣٤٨
محمد الجركشى بك ١٥٦ر١٧٣
محمد الدرى بك ، الدكتور ٥٠
محمد الرمالى بك ٢٦١
محمد الشوارنى باشا ١٦٨
محمد العبانى بك — باشا ١٩ر٩٤ر١٠١ ر١٤١ر٢١٠ر٢٤٤ر٢٦٣
محمد توفيق بك (الياور) ١٠١
محمد توفيق البكرى ، السيد ٢٥ر٧٤ر٢١٤ ر٢٤٨ر٣٤٨
محمد راتب باشا (السردار الأسبق) ١٨٢ ١٨٤ر٢٤٠
محمد راشد ، الشيخ ٢٣ر١٠١
محمد زكى باشا ٢٩
محمد شوقى باشا ٩٤ر١٠١
محمد عبده ، الشيخ ٥١ر١٨٥ر١٨٦ر٢١٦ ر ٢٣٤ ر٢٨٠ ر ٣٦٨ ر٣٧٧ ر٤٠٣ ر٤٠٥ر٤١٢ر٤١٣
محمد عزت بك — باشا ٣٤٨ر٣٥٨ر٣٦٢ ر٣٦٩ر٣٩٥ر٤٠١
محمد على باشا ، البرنس ٢ر١٤٦ر٢٠٤ر٢٧٣ ر٣٢٩ ر٣٤٨ ر٣٦٣ ر٣٦٤ ر٣٨٩
محمد على بك (النهليست) ٢٤
محمد على البيلاوى ، السيد ٢١٤
محمد على حليم ، البرنس ٣٥٣ر٣٦٣

محمد ماهر باشا ٨٠ر١٢٠ر١٢٦ر١٣١ ر١٨٥
محمد مراد بك (الصحفى التركى) ٢٢٣
محمد ياور بك ٣٣٠ر٣٤٨
محمود الداماد باشا ٣٥٣ر٣٧٤
محمود سالم بك ١٠٢ر١٩٠
محمود سليمان بك ٨٦
محمود شكرى باشا ١٠ر١٣ر١٨ر٤٦ر٩٤ ر١٠١ر ١٢١ر ١٢٥ر ١٥٢ ر ١٥٥ ر١٥٦ ر ١٨٥ر١٨٧ر ٢٦٥ ر ٢٧٨ ر٣٩٧ر٤٠٤
محمود عزيز بك (القبوكتخدا) ٩٥ر١٠١ ر١٥٤
محمود فهمى باشا ١٨ر٩٤ر١٠١ر١٣٩ ر١٨٥ر١٨٧ر٢٦٥
محمود مختار باشا ٤٠٩
مريكا رالى — روليه ٣٤
مزمر ، المسيو ٢٩ر٣٢٠
مصطفى الديب الماوردى ، السيد ٣٣٩
مصطفى المليجى بك ٥١
مصطفى داود يكن بك ١٩
مصطفى رياض باشا ٦٠ر٧٤ر٩١ر٩٣ ر١٠١ ر١١٥ر ١٢١ر ١٢٥ر ١٣٨ ر٢٤٠
مصطفى فهمى باشا ١ر٢ر٦ر٥٨ر٢١٠ ر٢٤٣ر٢٥١ر٢٦٥ر٣٣٢
مصطفى كامل بك — باشا ٥٠ر٦٢ ر١٩٠ ر١٩٢ ر١٩٩ ر٢٠٠ ر٢٠١ ر٢٠٤ ر٢٠٦ ر٢٢١ ر٢٢٩ ر٢٣٨ ر٢٤٤ ر٢٥٩ ر٢٧٠ ر٣٤٧ ر٤١٣
مصطفى لطفى المنفلوطى ، السيد ٢٤٨
مكسيموف ، المسيو ١٠١ر٣٢١ر٣٥٣ ر٤٠٣
منير بك (سفير الدولة فى باريس) ٣٦٣
موسى قطاوى بك ٣١٩

(ن)

نازلى فاضل هانم افندى ، البرنسيس ٣١٤
نعمت الله هانم افندى ، البرنسيس ٢٢٥ ٢٤٢
نوبار باشا ١٣٩ر١٤١ر١٥٧ر١٦٤ر١٦٨ ر١٧٧ ر١٨٨ ر١٩٥ ر١٩٦ ر٢١٠

(هـ)

هابونتشيف ، المستر (رئيس الحزب الرديكالى) ٤٠
هكسيوس ، المسيو ٣٩٥
هياسنت لوازون ، الأب ٢٣٣

(و)

وادنجتون (سفير فرنسا بلندره) ٦٦
ونجت بك — باشا ٢١٥ر٢٩٢ر٣٢١ ر٣٣٠ر٤١٢
وهبى باشا ، اللواء ٩٥ر١٤٣ر١٤٤ر١٤٥

(ى)

يحيى افندى (قاضى مصر) ٣٦١
يعقوب أرتين باشا ٣٣ر٤٩ر٩١ر٢٦٤
يؤانس ، الأنبا ٤٠
يوسف الحنبلى ، الشيخ ١٨٦
يوسف شكور باشا ٢٣
يوسف صديق بك ١٩٠
يوسف ضيا بك ١٩ر١٠١
يوسف طلعت باشا ٣٩٨
يوسف عزت باشا ٣٩٤

فهرست الصـــور

الواردة فى القسم الأول من الجزء الثانى من مذكراتى فى نصف قرن

صفحة	بيـــان الصور
٢	فرنسوا جوزيف
٤	زينة بورصة الاسكندرية
٤	باغوص نوبار باشا
٥	استقبال الخديو بالقاهرة
٦	« « فى سراى عابدين وتلاوة برقية التولية
٧	اصطفاف الجيش الانجليزى فى استقبال الخديو
٨	المندوبان وفليشهكر ورولييه وطورنيزون باشا المير اخور الخديوى
٩	وقوف الخديو وناظر الحربية بميدان عابدين يوم حلف الجيش اليمين
١١	حسين فهمى باشا
١٣	اصطفاف الجنود المصرية يوم تلاوة الفرمان بميدان عابدين
١٦	الدكتور كومانوس باشا
١٩	محمود فهمى باشا
١٩	دومرتينو باشا
٢٠	بروستر بك
٢٠	احمد شفيق بك
٢٠	صاحب الدولة البرنس احمد فؤاد باشا
٢١	عبد الحليم عاصم باشا
٢١	البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين

صفحة	بيـــان الصور
٢١	البرنس سعيد طوسون
٢١	يوسف ضيا بك
٢٢	حسين محرم بك
٢٢	احمد مظلوم باشا
٢٢	سعيد ذو الفقار بك
٢٢	محمد العبانى بك
٢٣	مصطفى بك داود يكن
٢٣	الشيخ محمد راشد
٢٣	احمد صبرى بك
٢٥	السيد محمد توفيق البكرى
٢٧	احمد زكى بك
٢٩	محمد زكى باشا
٣١	الشيخ سلامه حجازى
٣٣	يعقوب أرتين باشا
٣٣	السير ألوين بالمر
٣٣	يوسف شكور باشا
٣٤	رولييه بك
٣٤	مريكا رالى (رولييه)
٣٦	عبد الله نديم
٣٦	السيد حسن موسى العقاد
٣٨	السير جرانفل سردار الجيش المصرى سنة ١٨٩٢
٤٠	الانبا يؤانس

صفحة	بيـــان الصور
٤٠	الأنبا كيرلس
٤١	الدكتور عثمان غالب
٤٥	قصر المنتزه
٤٧	خليفه بك محمود
٤٧	بدراوى باشا عاشور
٤٧	احمد افندى على محمود
٤٩	أمين سامى بك
٥٠	محمد الدرى بك
٥١	إدريس راغب بك
٥١	قاسم أمين بك
٥٨	مصطفى فهمى باشا
٥٨	حسين فخرى باشا
٦٠	جون بول يحاول أن يلعب بعباس ولكنه يقول إن هذه اللعبة ليست مسلية أحياناً
٦٠	جون بول يؤدب عباساً والسلطان يرفع يديه إلى السماء مستغيثاً والملكة تنظر إلى جون بول مصفقة وضاحكة
٦١	بطرس غالى باشا
٦٥	محمد طاهر بك
٦٦	اللورد جرانفل
٨٠	محمد ماهر باشا
٨٥	جورجى خياط بك
٨٦	محمود سليمان بك
٨٦	حسين واصف بك
٩١	اسماعيل سرهنك بك

صفحة	بيـــان الصور
٩٤	محمد شوقى باشا
٩٦	باب سراى ضولمة بغجه
١٠٦	السلطان عبد الحميد خان
١٠٦	الغازى احمد مختار باشا
١٠٧	جامع بايزيد
١٠٧	« سليمانية
١٠٨	« الحميدية
١٠٨	مسجد أبى أيوب الأنصارى
١٠٨	جامع أيا صوفيا
١٠٩	« نور عثمانية
١٠٩	غرفة الطعام فى يلدز
١١٠	سراى بكلر بك
١١٠	البسفور
١١١	الكاغدخانة
١١١	كوبرى غلطة
١١٢	مطافىء الحريق الأهلية
١١٢	منظر السوق الكبير من الداخل
١١٢	« « من الخارج
١١٣	رائف باشا
١١٧	الخديو فى محطة الاسماعيلية
١١٨	زينة الوطنيين ببور سعيد
١١٨	« حى الأفرنج «
١١٩	« اليونانيين «
١٢٤	القائمقام ابراهيم فتحى بك
١٢٥	جون بول بزيه العسكرى واقف وأمامه عباس يقول له البلد بلدى

صفحة	بيان الصور
	وسأعمل ليعرف العالم ذلك
١٢٦	المركيز دى رفرسو
١٣٥	الكونت دلاسالا باشا
١٤٢	نوبار باشا
١٤٧	احمد جودت باشا
١٥٩	غابة مدينة لاهاى
١٥٩	بحيرة لوفيفى لتربية الأسماك فى لاهاى
١٦٠	حديقة النباتات بانفرس
١٦٣	رقعة الدعوة لحفلة قراءة الفاتحة لزواج الباشا
١٦٧	عباس على ظهر اليخت صفا البحر وعند قدميه كلبه بوسو
١٦٨	محمد الشواربى باشا
١٨٠	البرنس ابراهيم حلمى باشا
١٨٢	« محمود حمدى
١٨٣	جنازة اسماعيل
١٩١	مسيو ارستيد جافيو
١٩١	محمود سالم بك
١٩١	يوسف صديق باشا
١٩١	اسماعيل الشيمى بك
١٩٢	مسيو جورج فسيو
١٩٨	القمر على بعد متر — المسيو دولونكل ومنظاره
٢٠٠	صورة رمزية قدمها مصطفى كامل للبرلمان الفرنسى
٢٠٦	اللورد سالسبورى
٢٠٨	الزينة فى بيك أمام الميدان من جهة اليالى
٢٠٨	الزينة بجوار الكشك فوق الجبل
٢١٠	حسن عاصم بك
٢١٠	أبو سعدة الجنايني والشيخ عيد واحمد قبودان ندماء الخديو المسنون
٢١٤	السيد محمد البيلاوى
٢١٤	البرنس جميل طوسون
٢٢٠	التحضير للجلاء عن مصر
٢٢١	المخابرات بخصوص الجلاء
٢٢٤	محمد مراد بك
٢٣٥	أمين فكرى باشا
٢٣٥	احمد السيوفى باشا
٢٣٥	صابر صبرى باشا
٢٣٩	المستر بنفيلد
٢٤٠	حسن مدكور بك
٢٤٢	دولة الوالدة أمينة هانم
٢٤٧	عباس وملك سيام
٢٤٩	احمد فؤاد افندى
٢٤٩	السيد مصطفى لطفى المنفلوطى
٢٥٤	صورة العريضة المرفوعة للخديو والموقع عليها من بعض ضباط الجيش فى السودان من أعضاء جمعية المودة السرية
٢٦١	محمد بك الرمالى
٢٦٤	البرنس احمد سيف الدين
٢٦٦	« احمد كمال

صفحة	بيـــان الصور
٢٦٩	امبراطور ألمانيا غليوم الثانى
٢٨٠	الشيخ سليم البشرى
٢٨٨	فاشودة
٢٨٩	خريطة خط سير مارشان
٣١٠	محمد عزت بك
٣١١	طورنيزون باشا
٣١١	الدكتور كاوتسكى بك
٣١٢	مدينة جريفنبرج بالنمسا
٣١٢	« كارلسباد
٣١٣	قناة كورنت
٣١٤	البرنسيس نازلى فاضل افندى
٣١٩	موسى قطاوى بك
٣١٩	حبيب سكاكينى باشا
٣٣١	الخديو على ظهر اليخت لأول مرة بعد مرضه
٣٣٣	استقبال الملكة للخديو
٣٣٤	قائمة الطعام فى مأدبة وندسور
٣٣٦	« « « « العشاء بقصر بكنجهام
٣٣٧	قائمة طعام الغذاء فى جلدهول
٣٣٨	رقعة الدعوة لمأدبة جلدهول
٣٣٨	قائمة الطعام فى مأدبة جلدهول
٣٤٠	مسيو فيليب بولاد
٣٤٠	السيد مصطفى الديب الماوردى
٣٤٢	الرصيف المتحرك

صفحة	بيـــان الصور
٣٤٢	المنظار المعظم
٣٤٣	السيارة سنة ١٩٠٠ مكان تعليم الناس قيادة السيارات
٣٤٣	سراى النباتات (صوبة)
٣٤٤	العجلة الهائلة
٣٤٤	مناظر من بعض بلاد العالم
٣٤٥	الوجهة المهمة للحارة المصرية ومعبد دندرة ومنظر وكالة وتياترو
٣٤٥	سراى النظارات
٣٤٦	الزخارف المصرية والسورية بالقطر العظيم
٣٤٦	السراى البلورية المضيئة
٣٤٩	حسين زكى بك
٣٥٠	ابراهيم المويلحى بك
٣٦٤	فؤاد باشا الارنابودى
٣٨٩	الوالدة وهى فوق الجبل مع حاشيتها يترامين بالثلج بجوار الكشك
٣٩٠	الوالدة مع حاشيتها فوق الجبل فى عربة الثيران
٣٩٦	احمد خيرى باشا
٤١٤	اللواء احمد زكى باشا
٤١٥	الأستاذ جورجى زيدان
٤١٥	البرنس رادولين
٤١٥	البارون ريشتهوفن
٤١٥	قلينى فهمى بك

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اهداء

الى مصر . .

الوطن الذى فيه نشأت وإياه أحببت وله أخلصت ووفيت أقدم هذه المذكرات لأشهد أبناء الجيل الحاضر صفحة من أعمال الجيل الغابر فى غير تزييف ولا التواء وما أخشى غير الله هو حسبى

احمد شفيق

السنه الثانيه من الجيل الرابع عشر هجريه

شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٣٠٢

الوقائع المصرية

٢٠ الخبر وقد صار في هذا اليوم على سائر عادته العامة عيد رأس السنة الهلالية وعلى عادتها ورد واعيانه الحاضر حضرته وملابسه الاولية حسب ما تقدم ذكره اليوم والثانية بالكساوى العادية والثالثة الى التهنئة بمقابل مقصورة وحرم ورودها وراجعها هذا بوقوف مصحوبة بشا الاول الى الله تعالى صولته واعز شوكته وقهره على اعداه ومحاسبه العادل كل من عاداه ظلما وعدوانا واحفظه واجلال الكرام واهل بيته الكرام واشملهم بعين عنايته الملوكانية بكرمه وكاهه من ضمنه الوافدية كثرة من الاجانب والقناصل والوزراء ورؤساء الدوائر حضرة رجله فوقع على الرخام وقام مقابلا بعد فتح عضة تحت رئاسة الوزراء ورؤساء مجلس مركب من السير بريج ونوبار باشا ومصطفى باشا فاضل وراتب باشا وبلوم باشا وقيس جرالد وداود بشاره فتداولوا في ميزانية السنة المالية وتخفيض المبالغ اللازم لها حسب الوارد من الحاشات التي ستصدر قريبا

منقول من إحدى مذكراتى على مقاسها الأصلى

مقـــــدمة

بقلم حضرة صاحب العزة الكاتب القدير عضو مجلس الشيوخ

الدكتور محمد حسين هيكل بك

ما أكبر الفرق بين الشخص الواحد حين يكون مرتدياً ملابسه ، وحين يخلعها ! وما أكبر الفرق بين ما نراه ونسمعه على المسرح ، مما يستدر عبراتنا أو يثير ضحكاتنا ، وما يدور خلف أستار المسرح من تحضير وتمهيد لهذا الذى نراه ونسمعه ! الفرق فى هذين الحالين كالفرق بين الطعام الشهى الذى يقدم لنا فى آنية نظيفة جميلة . لنتناوله بشهية ، وبين هذا الطعام حين يجىء الخدم والطهاة بمواده الأولى إلى المطبخ ، وحين يجيئون معه بالتوابل ، ويقومون بتنظيفه ، وتهيئته ، قبل تقديمه لنا فى صورته الفنية الشهية .

وهذا الفرق يوجد فى الحياة دائماً . فشتان بين الوردة الجميلة الذكية الرائحة ، التى تعطر الجو بشذاها العبق ، وبين التربة التى غذت شجرة الورد لتنبت هذه الأزهار الرائعة الجمال . وكما يثمر فن الطبيعة هذه الثمرات البديعة ، كذلك يثمر فن الانسان مثلها فى نواحى نشاط الانسان المختلفة . والفن الذى نريد أن نتحدث الآن عنه لهذه المناسبة ، هو التاريخ ؛ والمثل الذى نريد أن نضربه للفرق ما بين الثمرة الناضجة للفن فى هذا الصدد ، وبين الأعمال التحضيرية للأثر الفنى فيه ، هو تاريخ مصر الحديث . وهو هذا التاريخ الحديث فى أول عهد عباس الثانى . كما يصوره رجال الفن من المؤرخين ، وكما يصف الحاج احمد شفيق باشا ما وراء أستار مسرح هذا التاريخ فى الجزء الثانى من « مذكراتى فى نصف قرن » .

لم يكتب هذا التاريخ بعد بصورة فنية كاملة . فعباس حلمى الثانى ما يزال على قيد الحياة ، وعهده ما يزال قريباً منا ، وما يزال الذين عملوا فيه أو الكثيرون منهم أحياء . مع ذلك . وضعت مؤلفات تاريخية غير قليلة عن هذا العهد بلغات شتى . ولعل ما كتب عنه بالانكليزية من المؤلفات أكثر مما كتب عنه بأية لغة أخرى . ولعل العربية أحوج إلى أن يكتب فيها عن هذا العهد من كثير من اللغات الأوربية . فنحن نقرأ لملنر ولكرومر ولكلفن ولجورج لويد ولغيرهم من كتاب الانجليز مؤلفات مختلفة فى الموضـــوع

بالانكليزية . وقد لوحظ فى هذه الكتب وفى غيرها مما كتب بلغات أخرى — ككتاب فريسينيه عن المسألة المصرية مثلا — أن جانب الفن روعى فيها لتنسيق الحوادث تنسيقاً قصصياً مقصوداً به إلى غاية معينة . وقد كان لأكثر من كتبوا من المهارة الفنية فى حسن سوق الحوادث ودقة تنظيمها ما يشهد لهم بالتفوق والبراعة . وقد نحا بعضهم ناحية النقد وما هو أكثر من النقد لعباس الثانى وعهده ، وحاول آخرون أن يظهروا بمظهر الانصاف ، ومال غير هؤلاء وأولئك إلى مديح عباس . لكن الصياغة الفنية فى تنسيق الحوادث كانت بادية الأثر فيما كتبوا ، حتى ليتعذر على القارىء أن ينفذ إلى الحقيقة ، وأن يضعها موضع النقد ؛ ما لم يكن ملما جهد الطاقة بحقيقة الحوادث وبالأسباب والدوافع التى أدت إليها . وهذا أمر لا يتيسر لكثيرين ؛ لأن مواده : إما مبعثرة فى صحف الوقت فجمعها متعذر ، واستنباط الحقيقة منها أشد تعذراً ، لتأثرها هى الأخرى بدوافع الوقت وأهواء الساعة ؛ وإما مسطورة فى الكتب الزرقاء أو البيضاء أو الصفراء أو الخضراء الرسمية ، والاطلاع على هذه الكتب واستنباط الحقيقة من خلال ما تقصه عن الحوادث يحتاج إلى مجهود ليس أقل من المجهود الذى يقتضيه استنباط الحقيقة من صحف الوقت ، الخاضعة لدوافع وأهواء متباينة ، تباين الدوافع والأهواء التى تملى المكاتبات الرسمية .

ولهذه الاعتبارات أخذ المعاصرون للحوادث فى البلاد المتحضرة ، والذين يقومون فيها بدور ذاتى ، يدونون مذكراتهم عنها ، وينشرونها على الناس ، يقصون فيها من الأسرار مايجلو غوامض التاريخ ، ويلقى الضياء الحق على أمور لا يصدق الحكم عليها إلا بعد معرفة هذه الأسرار . ووضع هذه المذكرات ليس وليد اليوم ، ولا هو من عمل الغربيين فى هذا العصر الحاضر وحدهم ، وإن كانوا قد افتنوا فيه ، ووصلوا من البراعة فى تدوينه حتى لقد أصبح هو الآخر فناً كالتاريخ . وهذه المذكرات هى التى تكشف عن الأسرار وتجلو حقيقة الدوافع لأمر من الأمور . هذه الدوافع التى تبدو فى بعض الأحيان خاطئة كل الخطأ ، ثم إذا هذه المذكرات تبررها ، أو بالغة من تحرى الحق غاية المدى ثم إذا هذه المذكرات تكشف عن أسرار تنقض ذلك من أساسه . ولسنا بحاجة لنضرب الأمثال على ذلك إلى أن نذهب بعيداً عن مصر . فهذه يوميات الجبرتى عن عصر الحملة الفرنسية وعهد محمد على تجلو الشىء الكثير من الحقائق التى ما كانت لتعرف لولا هذه اليوميات . وهذه مذكرات الشيخ محمد عبده عن الثورة العرابية تدل على أمور لا يجلوها التاريخ ، إذ يتناول كاتبه الأمور بصورة عامة ؛ ولا تجلوها مذكرات عرابى نفسه ، وهى

أدنى إلى أن تكون دفاعاً عن عمله ؛ كما أن كتاب « السياسة المصرية » لفريسينيه مطبوع بهذا الطابع ، طابع الدفاع عن تخلى فرنسا عن مركز الشريك فى السياسة المصرية ، حتى ضرب الأسطول البريطانى بقيادة الأميرال سيمور الاسكندرية فى سنة ١٨٨٢

والجزء الثانى من « مذكراتى فى نصف قرن » للحاج احمد شفيق باشا يتناول السنوات العشر الأولى من ولاية الخديو عباس الثانى ، أى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٣ . وقد تناول الباشا فى الجزء الأول من هذه المذكرات العهد الأخير من حكم اسماعيل باشا وحكم الخديو توفيق. لكنه فى الجزء الأول قد تناول أكثر المسائل، وبخاصة فى العهد الأخير من حكم اسماعيل ، والعهد الأول من حكم توفيق ، تناولا موجزاً لأنه كان يومئذ فى أول شبابه وأول اشتغاله بالمعية موظفاً . ومع أنه صاحب المعية فى موقف الخديو توفيق من الحوادث العرابية ؛ إلا أنه لم يكن له بعد من الأثر فى توجيه الحوادث ما كان له حين اطمأنت اليه ثقة توفيق ، ثم ثقة عباس . مع ذلك ، فالجزء الأول من « مذكراتى فى نصف قرن » ملىء بحوادث هامة تدل على اتجاه السياسة البريطانية إزاء مصر من عهد اسماعيل ، وتزيد فى هذه الدلالة منذ دخل الجيش البريطانى مصر ، بعد موقعة التل الكبير ، ومنذ بدأت انجلترا توفد رجالها لوضع الخطة التى تتبعها فى وادى النيل . وقد أتيح لى أن أشير إلى شىء من ذلك فى بحث نشرته بأحد ملاحق جريدة السياسة .

فأما الجزء الثانى من مذكرات شفيق باشا ، وهو الجزء الذى أقدمه الآن له ، فيتناول الحوادث كما وقعت ، والباشا صاحب مركز مطمئن فى المعية ، قد آلت اليه ثقة الأمير الشاب الذى جاء من فينا إلى مصر ، وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، ليتولى بنفسه أعباء الحكم فى بلد آل الأمر فيه إلى النفوذ الانجليزى ، وأصبح لعميد انكلترا فى عاصمته الكلمة العليا فى تصريف الجليل والدقيق ، مما يحلو له أن يصرفه من شئونه

وبحسب القارىء ليقدر أهمية ما يحتوى عليه هذا الجزء ، أن يعلم دقة المركز الذى كان يومئذ . فقد توفى توفيق باشا بعد أن سلك إزاء انكلترا سياسة استسلام مطلقة ، يبررها شفيق باشا فى بعض مواضع من هذا الجزء بما كان لانكلترا من فضل فى توطيد مركز الخديو توفيق حين حدثت الثورة العرابية . فلما تولى العرش الخديو الشاب فى سنة ١٨٩٢ ، ولم يكن لانكلترا عليه هذا الدين ، شعر بأن له حقوقاً ، ولمصر حقوقاً ، وبأن هذه وتلك من الحقوق يجب أن تصان. وقد قابلت البلاد أميرها الشاب

بما زاد فى شعوره بهذا العبء ، وبما جعله - وهو فى فتوة الشباب ، وهو آت من بلاد حرة هى النمسا ، كانت تود لو لم تقع الحوادث التى أدت إلى احتلال انكلترا مصر - يصور سياسته على أساس ماله ولمصر من حقوق يجب أن لا يسلم فيها لانكلترا ما دام يستطيع الدفاع عنها

ولم يكن ذلك وحده سبب الدقة . فقد كان هنالك إلى جانب الخديو وانجلترا عوامل زادت الموقف تعضيداً . كانت هنالك تركيا التى شعرت بالصدمة العنيفة لوجود انكلترا على ضفاف النيل ، وإن كانت مع ذلك تريد أن تحتفظ بعلاقات المودة والصداقة مع انجلترا ؛ وكانت هنالك الدول صاحبات الامتيازات ، والحامية لمئات وألوف من الرعايا الأجانب المقيمين بمصر ، والذين يبتزون ثروتها بكل ما تسمح به لهم هذه الامتيازات ؛ وكانت هنالك فرنسا التى خسرت نفوذها المتفوق فى وادى النيل ، والتى تريد أن تسترد هذا النفوذ بمعاونة الخديو وبمعاونة الوطنيين المصريين ؛ ثم كانت هنالك الوازرة المصرية الجامعة لعناصر جمعت إلى اليأس من مقدرة مصر على مقاومة انكلترا ، الحرص على الاستفادة ، إلى غاية حدود الاستفادة ، لأشخاص أفرادها ، ولذويهم والمتصلين بهم ، استفادة مادية بازدياد جاههم وثروتهم ؛ وإلى جانب هؤلاء جميعاً كان الشعب المصرى الناقم ما يزال تحت ضربة الثورة العرابية ، والذى وجد فى الأمير الشاب متنفساً لآماله ومطامعه ، هذه الآمال والمطامع التى كانت تتردد بين الرجاء واليأس ، تخفتها قوة انكلترا حيناً ، وينفخ فيها حق مصر حيناً آخر ؛ يرفع عامتها أكف الضراعة لله أن ينصر الاسلام وخليفة المسلمين ، ويحاول المتعلمون الاستفادة الذاتية من الموقف على حساب عواطف الجاهلين ما استطاعوا الاستفادة

هذه كانت دقة السياسة المصرية أول ماتولى عباس الثانى الحكم وما كان يجرى وراء أستار هذه السياسة خلال عشر سنوات ، هو الذى يتناوله الجزء الثانى من « مذكراتى فى نصف قرن » لشفيق باشا

على أن صاحب المذكرات ، لم يقف عند ما يتجاذب الرقعة السياسية من جذب ودفع ، ليفصح عن الأسرار التى كانت تجرى وراء الستار ، ولم يجعل نفسه ترجماناً للتاريخ المكتوب عن هذه الفترة من حياة مصر ؛ لأن هذا التاريخ لم يكتب بعد كما قدمنا . إنما دون الباشا « مذكراته » عن المشاهدات والحوادث التى وقعت تحت سمعه وبصره ، ودون منها ما قام هو فيها بنفسه من دور ألقى عليه مركزه فى القصر أن يقوم

به ، وما عرفه عنها بحكم هذا المركز ، وما تحدثت به صحف الوقت من أمرها . فهو بذلك يضع أمام نظر قارئه صورة من كل حادث من الحوادث كما رآه الناس يوم وقع من غير قصد إلى وصله بالسياسة العامة أو تعليق السياسة العامة به . وهو لذلك كثيراً ما يذكر أموراً حدثت قد لا يرى الانسان لوقوعها بين رجال القصر أى اتصال بالسياسة العامة . وهو كثيراً ما يدون من أسفار الخديو عباس وما وقع له فيها ما لا يفسر حادثاً من الحوادث ، ولكنه يصف جانباً من جوانب الحياة فى عهد ولى الأمر فى مصر فى ذلك الوقت . وهو يصف رحلات الخديو فى أقاليم مصر واتصاله بأعيانها ، ويسهب فى ذلك أحياناً إسهاباً لا ترى أنت له مساساً بخطة مرسومة ؛ وإن دلت الحوادث التى سبقته والتى لحقته على أن الرحلة كانت لذاتها مقصودة إلى غرض سياسى ، كالدلالة على تعلق الشعب بالأمير ، أو على أن الشعب الذى يصفه الانجليز بأنه صديقهم ، أشد صداقة للعرش ولصاحبه . وما دام غرض صاحب المذكرات تدوين ما وقع ، وترك صلته بالحوادث ليدونها المؤرخون متى آن لتاريخ هذه الفترة من حياة مصر أن يكتب ، فان قارىء المذكرات يجد فى هذه الحوادث التى لا تبدو صلتها بحوادث السياسة فى كل جلائها ووضوحها صورة من تفكير القصر وأهله فى ذلك العصر ، قد تعينه على فهم جانب من جوانب الحياة فى مصر ؛ إن لم تكن ذات أثر مباشر على حوادث العصر

وليست هذه المقدمة ميدانا للتفريق بين ما فى المذكرات من أمور تتصل ، وأخرى لا تتصل - بأحداث السياسة ولا ترفع عنها الأستار لتجلو ما ليس مجلواً منها . وحسبى أن أشير إلى غرام روليه بك وزواجه من الآنسة ماريكا . وإلى شقيقة مدام كومانوس الطبيب ، وما كان يقع بعد الزواج من حوادث بين الزوجين ، يتدخل صاحب المذكرات لازالتها ، وإلى سفر الخديو متخفياً إلى سويسرا ، وتقدم آنسة له عرفت أمره تخبره أنها كاتبته بمصر فى أمور سياسية ، وما أثارت المقابلة من انكار الخديو للمكاتبة السياسية ، وحمرة وجهه ووجه الآنسة بعدذلك ، وإلى أمثال هذه الحوادث التى لا تتصل بسياسة العصر . لكن ما يتصل بالسياسة من حوادث تجلوها مذكرات شفيق باشا ، له أهمية خطيرة فى هذه الفترة من حياة مصر السياسية . وما كان أكثر هذه الحوادث فى ذلك الوقت مما أثار كثرة الاحتكاك بين كرومر وعباس ، وكتشنر وعباس ، على النظارة المصرية وتأليفها وبقائها . وكم أدى الخلاف بين كرومر وعباس ، إلى محادثات سرية كانت تتصل بين قصر الخديو وقصر الخليفة فى الأستانة ، وكان لشفيق باشا فى أحيان كثيرة حظ وافر منها !

وثمت ناحية أخرى تكشف المذكرات عن غوامض كثيرة لم تكن أسرارها معروفة إلا للخاصة . أقصد ناحية النشاط السياسى والنشاط الاجتماعى والأدبى فى الناحية القومية ، غير الرسمية . فقد اقترن اسم عباس حلمى فى هذه النواحى بأكبر هذه المظاهر ، سواء اقتران تأييد ، أو اقتران معارضة وتثبيط . ويكفى أن نذكر اسم الزعيم السياسى الشاب مصطفى كامل لترتسم أمام القارىء صورة من هذا النشاط . فقد اتصل مصطفى بعباس منذ تسنم عباس عرش أبيه. وكان عباس شاباً وكان مصطفى شاباً. وكان عباس طموحاً وكان مصطفى طموحاً . وكان للشابين ثقة بالسياسة التى ترمى إلى الاستفادة من تناقض مصالح الدول . ولما لم يكن عباس قديراً بحكم مركزه الرسمى على الظهور علانية فى هذا الميدان ، فقد وجد فى مصطفى أداة قوية لهذا الظهور . وقد عرف الجمهور آثار ذلك فيما كتب عن مصطفى كامل وعن سياسة ذلك الوقت . لكن الصلات التى كانت بين عباس ومصطفى ، والمراسلات التى كان القصر يتبادلها مع الداعية الشاب الذى تسنم من ناحيته عرش الزعامة السياسية وما يزال فى ريعان شبابه ، هذه الصلات وهذه المراسلات لم تكن معروفة إلا للانكليز . ولقد كشفت هذه المذكرات فى الجزء الذى أقدم له عن الكثير منها ، وبينت بوضوح المرامى والغايات التى قصد اليها الأمير الفتى والزعيم الفتى

فأما النشاط الاجتماعى والأدبى ، فكان يقوم به طائفة ممن حضروا الثورة العرابية ، واشتركوا فيها شباناً ، واقتنعوا بأن النهضة السياسية إذا لم تقترن بنضج اجتماعى وعلمى وثقافى ، لم تكن حرية بأن تؤتى ما يراد منها من ثمرات . ولقد كان المرحوم الشيخ محمد عبده زعيم هذه النهضة . فهو قد اشترك فى الثورة، وعرف أسرارها، وعانى من ضعف النفوس آلاماً اجترها وهضمها أثناء منفاه فى سوريا ومقامه بباريس إذ كان يصدر جريدة العروة الوثقى بالاشتراك مع السيد جمال الدين الأفغانى . فلما عاد إلى مصر واطمأن له المقام بها ، ملكته فكرة النهوض بالبلاد فى مناحى حياتها العامة ، توطئة للنهوض بها من الناحية السياسية . وكانت له بعباس صلات اختلفت بين الرضا والغضب على نحو يبين شفيق باشا أسرار كثيرة منه فى هذه المذكرات .

هذه إشارة موجزة لبعض ما فى هذه المذكرات . ولو أننى أردت أن أقف عند مجمل ما احتواه هذا الجزء لما زدت على أن كررت هنا فهرسه . وليست هذه غاية يتوخاها من يقدم كتاباً من الكتب . وحسبى أن أذكر أن مراجعة هذه الصحف المعدودة التى بين

يدى القارىء تغنيه عن مراجعة الصحف التى صدرت فى هذه السنوات العشر التى تناولها الكتاب، وتضيف إلى ما تحويه هذه الصحف ذخيرة من أسرار لم يقف عليها أحد ما، ووقف عليها شفيق باشا. وهذه الأسرار والحوادث معروضة فى صورة مشوقة تنسى القارىء وقته وتتنقل به بين جد السياسة ومسرات الحياة، فى صحبة أمير وحاشيته، حكم مصر اثنتين وعشرين سنة، لم يفتر فيها نشاطه، ولم يتضعضع فيها طموحه، ولم يهن فيها عزمه. وهو بعد رجل محب للحياة ومباهجها، لا تنسيه أفاعيل السياسة ووسائلها الحرص على الاستزادة من الثروة، وعلى المتاع بما فى الحياة من فتنة ومسرة. وهذا كله هو ما يراه القارىء مجلواً فى هذه المذكرات، على نحو يجعله وكأنه يراه، وكأنه يعيش مع صاحبه:

والقارىء حكم عدل على هذا الرأى الذى أبديه فى إيجاز عن هذه المذكرات، ولعله متى تلاها يوافقنى عليه: وهذا غاية ما أرجو؟

محمد حسين هيكل



الخديو عباس حلمى الثانى

هذه الصورة أهداها عباس للمؤلف وقد وقع عليها بخطه
وذلك فى يوم ١٠ يناير سنة ١٩٠٥



سنة ١٨٩٢

تولية الخديو عباس . مقدمه الى الاسكندرية . الحفلات والرسوم الأولى . بين الضباط المصريين والانجليز . مسألة الفرمان وتطوراتها . مجاملات الدول . الخديو والصحف الأجنبية . تنظيم المعية . شئون مختلفة . العفو عن العرابيين . الخديو واهتمامه بالجيش . الخديو فى مصيفه . مشكلة الطائفة القبطية . وثيقة سياسية للدكتور عثمان غالب . انشاء قصر المنتزه . زيارة الخديو لاوفينا . طواف الخديو أثناء الفيضان . زيارته للمعاهد والمدارس . انشاء الجمعية الخيرية الاسلامية . بدء الفتور بين عباس وكرومر

تولية الخديو عباس . فى أوائل يناير سنة ١٨٩٢ اشتدت وطأة المرض على المرحوم توفيق باشا ، فاجتمع السير افلين بارنج عميد انجلترا ومصطفى فهمى باشا رئيس النظار وتيجران باشا ناظر الخارجية والسير الوين پالمر المستشار المالى ، وتباحثوا فيما يجب اتخاذه عند وفاة الخديو ، واتفقوا على وجوب إعلان الأمة المصرية والسلطان فى الحال بارتقاء البرنس عباس — ولى العهد الشرعى — خشية تدخل السلطان فى الأمر .

فلما توفى الخديو توفيق فى اليوم السابع من يناير ، وعلى أثر تشييع الجنازة فى اليوم التالى ، اجتمع النظار ومعهم السير افلين بارنج وبحثوا فيما اذا كان البرنس عباس الذى لم يبلغ ثمانية عشر عاماً ميلادياً من عمره ، يصلح للحكم بنفسه أم يجب أن يعين نائب له . وانتهى الأمر بأن قرر العلماء أن التاريخ الهجرى هو الذى يجب العمل به لأن البلاد إسلامية فضلا عن أنه قد أُعلن بلوغ عباس سنّ الرشد فى يوم ١٤ يولية سنة ١٨٩١ ، واحتفلت البلاد بهذا اليوم ، وبذلك انتهى المشكل وأرسلت الحكومة برقية الى فينا — حيث كان البرنس عباس يتلقى دروسه — بأن يحضر الى مصر بأول باخرة .

وفى اليوم التاسع من يناير وردت برقية من الاستانة الى كل من الغازى احمد مختار باشا ومصطفى فهمى باشا رئيس النظار ، بأن السلطان حينما بلغه نبأ وفاة المغفور له توفيق باشا ، أصدر أمره باجتماع الوكلاء ، فقرروا أن يقلد البرنس عباس منصب الخديوية ، وأن تعهد شئون الحكم الى مصطفى فهمى باشا حتى يحضر الخديو الجديد من فينا . وقد صدرت الارادة السلطانية بالتصديق على هذا القرار .

وقد اغتبطت الأمة لهذا النبأ ايما اغتباط واستبشرت بولاية الأمير الشاب .

وفى اثناء ذلك اجتمع مجلس النظار مراراً للنظر فيما يجب اتخاذه من الاجراءات لاستقبال سموه ؛ وأرسل منشوراً للمديرين لحضور الاحتفال ، وكذلك إلى معتمدى الدول وقناصلها بمؤدى الارادة السلطانية . وبادرت الحكومة بأقامة « أكشاك » بميدان عابدين أمام السلاملك . أُعدّ كل واحد منها لاستقبال هيئة من الهيئات المختلفة من وطنيين وأجانب ، وعُيّن لكل كشك مندوبون لاستقبال المدعوين . وقد عُهِدَ إلىّ باستقبال الوفود فى الكشك رقم « تسعة » الذى خصص لجلوس رجال القضاء الأهلى والمختلط .

وأقيمت الزينات الفخمة فى الاسكندرية والقاهرة والمحطات التى بينهما .



فرنسوا جوزيف

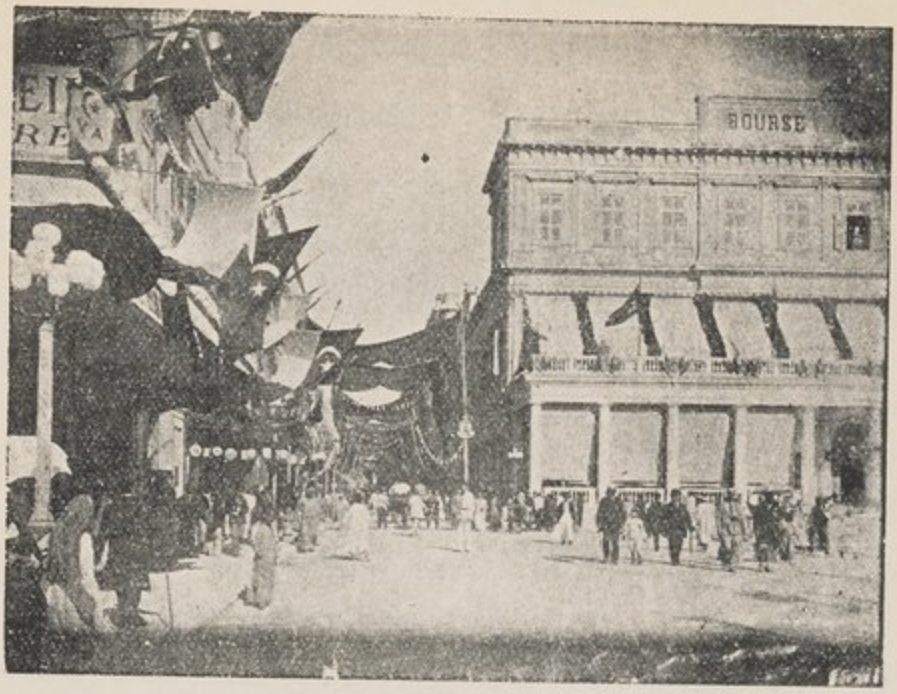
مقدمه الى الاسكندرية .

وفى الساعة الأولى من صباح يوم ١٦ يناير ، وصل إلى مياه الاسكندرية اليخت « فرديناند مكسيمليان » الذى أمر امبراطور النمسا فرنسوا جوزيف باعداده لنقل الخديو وشقيقه البرنس محمد على وأستاذه فى الحقوق المسيو روليه ، وفليشهيكر الذى كان زميله فى المدرسة ، وانتدب الضابطان النمسويان الشوفاليه دولينهرت وكيباك قومندان اليخت لمرافقة سموه . وكان فى انتظاره الطراد « نور البحر » من سفن مصلحة خفر السواحل . فلما شاهد رجاله قدوم اليخت أطلقوا أسهماً نارية للاعلان ؛ فلما رآها الراصدون فى طابية كوم الناضورة

أعلنوا ذلك للمحافظ فاسرع باخطار النظار ، وبقى اليخت خارج البوغاز حتى الساعة السابعة صباحاً حيث سار موريس باشا مدير الفنارات اليه ومعه طبيبان من مصلحة الصحة البحرية والكورينتينات كالمعتاد ، وحفّت باليخت أربع قطع من الأسطول الانجليزى تنشر العلم المصرى ، وحيته باطلاق المدافع . ثم أخذ اليخت فى اجتياز البوغاز ، فأطلقت المدافع من الطوابى والسفن الراسية فى الميناء من مصرية وأجنبية ترحيباً بمقدم الخديو ، وأخذ البحارة يتسلقون الصوارى وهم يهتفون باسمه والموسيقى تعزف أثناء ذلك بالسلام الخديوى .

الحفلات والرسوم الأولى . وقد استقبل سموّهُ ، عمّهُ البرنس حسين كامل باشا وجرانفيل باشا السردار وحسين فهمى بك قومندان المحروسة ومندوبان بالنيابة عن الغازى مختار باشا الذى تخلف لمرضه وعثمان رأفت باشا السرياور ودومرتينو باشا رئيس القلم الأفرنجى وغيرهم من الكبراء . ثم نزل سموه فى الساعة الثامنة متشحاً بكسوة فريق بالجيش المصرى ، فى زورق خاص ومعه البرنسان حسين كامل باشا ومحمد على والياوران والمندوبان النمسويان والأستاذ رولييه والنظار ؛ وعندئذ تكرر إطلاق المدافع من جميع السفن والقلاع ، واصطفت فرقة من الجنود المصرية والانجليزية على رصيف سراى رأس التين مع موسيقى المعية . وغصت السراى بالمستقبلين . ولما وصل سموه الى الرصيف ، استقبلته الجنود وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى ، واستقبله العلماء يتقدمهم قاضى افندى مصر ومفتى الثغر ثم قائد جيش الاحتلال ، وقناصل الدول ؛ فحياهم سموه وصعد الى البهو الأكبر بالسراى ، وكانت فى الحديقة فرقة من الجنود المصرية بموسيقاها فأدت له التحية ، وانطلقت ألسنة الجميع بالدعاء .

وبعد أن استراح سموه قليلا ، أصدر أمره باجراء التشريفات ، وكان إلى جانبيه شقيقه البرنس محمد على والنظار ؛ فتشرف بمقابلته من كانوا بانتظاره على الرصيف ، وفى داخل السراى ، كل هيئة على حدتها . ثم خرج سموه بعد التشريفات فى موكبه من سراى رأس التين ؛ وكان معه فى العربة الخديوية البرنس حسين كامل باشا ، وتلتهما عربة بها البرنس محمد على ومصطفى فهمى باشا ، ثم عربات أخرى بها النظار والياوران والمندوبان النمسويان ومندوبا الغازى مختار باشا . وكان الشعب السكندرى يحتشد أفواجا على جانبى الطريق وفى شرفات المنازل من رأس التين الى المحطة ، والزينات عامة على شرفات المنازل والحوانيت والمساجد ودوائر الحكومة وسواها ؛ ونخص بالذكر منها القوس الذى أقامته مدرسة الفرير فى ساحة قنصلية فرنسا القديمة وزينته باسم سموه على شكل بديع ، ووقف تلامذتها صفوفا فى هذه الساحة ، وكذلك زينة



زينة بورصة الأسكندرية

البورصة الخديوية وبورصة طوسون باشا وما بين ذلك من المنازل . أما المحطة فقد لبست حلة زاهية من الزينات الباهرة وقد اصطفت فى ساحتها فرقتان من الجنود المصرية والانجليزية مع موسيقاهما لأداء التحية العسكرية .

وفى الساعة العاشرة استقل سموه القطار الخاص الذى كان تحت قيادة هالتون باشا الانجليزى وپرونت الفرنسى وباغوص نوبار باشا أعضاء مجلس السكك الحديدية . فأطلقت المدافع مؤذنة بالسفر ؛ وكان يرافقه البرنسان والنظار وقنصل جنرال النمسا والمندوبان النمسويان ومندوبا الغازى مختار باشا والسردار والسرياور وغيرهم .



باغوص نوبار باشا

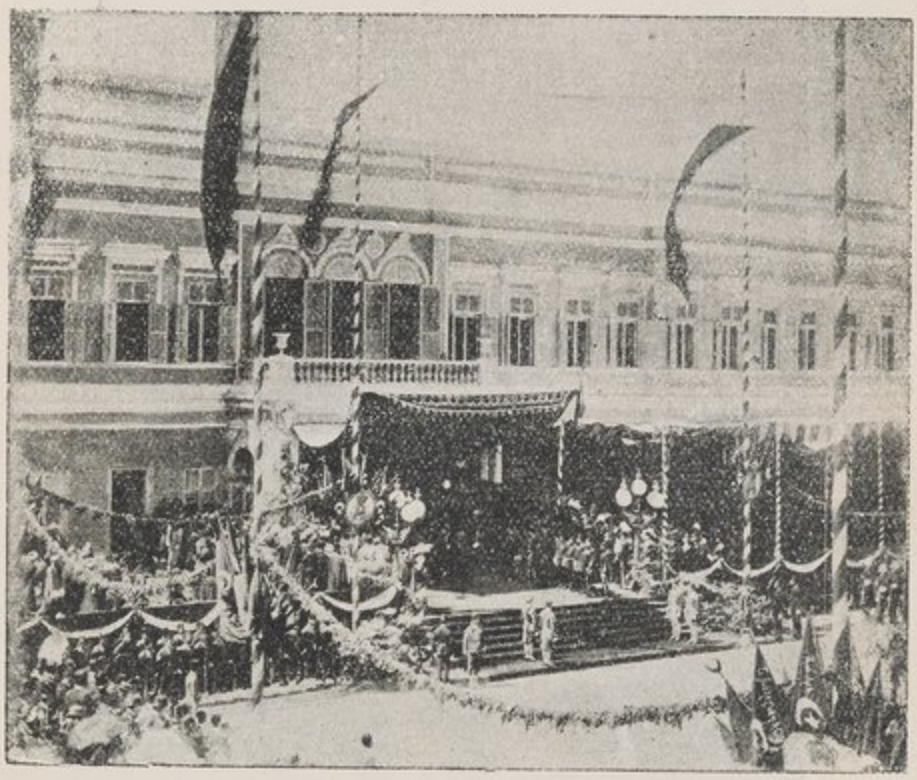
وصوله للقاهرة : وسار القطار تحييه الجموع فى كل المحطات حتى بلغ القاهرة فى الساعة الثانية بعد الظهر . وبعد أن استقبل بحفاوة ؛ ركب سموه ومعه البرنس محمد على والبرنس حسين كامل والبرنس ابراهيم حلمى فى عربة التشريفات الكبرى تجرها أربعة من الجياد ، وركب فى العربات التالية من كان بمعيته فى الاسكندرية . وسار الموكب



استقبال الخديو بالقاهرة

تتقدمه كوكبة من الفرسان بين صفوف من الجند والجماهير المحتشدة من مختلف الجنسيات من المحطة إلى سراى عابدين . وقد زينت شرفات المنازل وواجهات الحوانيت بمختلف الزينات . والزهور والرياحين تنثر على الموكب طول الطريق . ولما وصل السراى استقبل سموه المدعوون فى « الأكشاك » وقوفاً ، وأدت الجنود التحية . ثم نزل

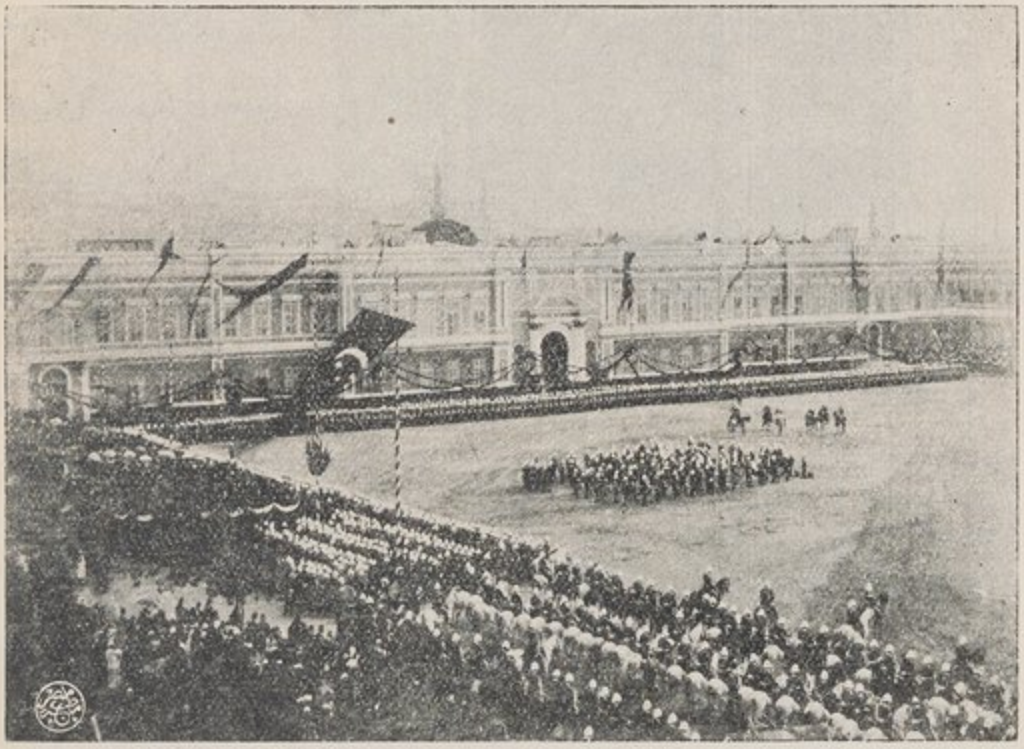
ومن معه ووقف على سلم مدخل التشريفات ؛ وقد فرش بالبسط الفاخرة وزين من جميع جهاته بالطنافس وحفت جوانبه بالرياحين الزاهرة . وكان فى ميدان السراى جنود جيش الاحتلال ؛ وقد انتظموا على شكل ثلاثة أضلاع المربع وأمامهم الجنود المصرية شاهرة السلاح مؤلفة من فرقتين من المشاة وصفين من الرماة ، وأمام كل جيش موسيقاه وكبير قواده ؛ وكان على رأس جيش الاحتلال قائده العام وعلى رأس الجيش المصرى السردار السير جرانفل ، يحف بكل أركان حربه . فحيي الخديو المستقبلين .



استقبال الخديو في سراى عابدين وتلاوة برقية التولية

قراءة برقية توليته : ثم تقدم رئيس النظار وتلا بين يديه باللغة التركية صورة الرسالة البرقية المرسلة من الصدر الأعظم بتعيين سموه خديواً لمصر والجميع وقوف وهذا نصها : « بناء على ما عرضناه على الحضرة الشاهانية من أنه بمقتضى فرمان وراثة الخديوية المصرية ، يؤول مسند الخديوية الى حضرة عباس حلمى باشا أكبر أولاد المرحوم محمد توفيق باشا ، وأنه لحينما يصل حضرته لمصر تكون إدارة الحكومة المصرية بواسطة عطوفتكم بالاشتراك مع هيئة النظار . وقد صدرت الارادة السنية بذلك

فلزم الاخطار ، وعندئذ صدحت الموسيقى الانجليزية بالسلام الشاهانى — وهذه المظاهرة من الانجليز كان القصد منها إعلان رغبة انجلترا فى الاعتراف بحقوق السلطان الشرعية فى مصر وبتعضيدها للخديو — فأخذ سموه السلام العسكرى ثم صدحت الموسيقى المصرية السلام الخديوى ثلاث مرات هتف خلالها الجنود بالدعاء .



اصطفاف الجيش الانجليزى فى استقبال الخديو

ثم قُدِّم لسموه فناصل الدول الجنراليين فصافحهم فرداً فرداً ، وصعد مع شقيقه وافراد أسرته واعضاء النظارة الى الدور الأعلى من السلاملك حيث استقبل العلماء وقدمت لهم القهوة . ثم اصدر امره بتثبيت النظارة وبأن تكون التشريفات العامة فى الساعة الثامنة والنصف من صباح ١٧ يناير بالملابس الرسمية والنياشين . وبعد ذلك ركب سموه والى يساره شقيقه ، وأمامه عثمان رأفت باشا ودومرتينو باشا ؛ وسار بموكب حافل تتقدمه كوكبة من الفرسان الى محطة كوبرى الليمون ، حيث كان بانتظار سموه قطار خاص أقله مع رجال معيته الى سراى القبة لزيارة والدته .

وفى صباح اليوم التالى عاد الى سراى عابدين واجريت التشريفات العامة ؛ وارسل سموه مندوباً للسؤال عن صحة الغازى احمد مختار باشا .



مبارحة اليخت فرديناند مكسيمليان المياه المصرية . وفى يوم ٢٥ منه سافر المندوبان النمسويان ومن معهما للاسكندرية ثم أبحروا عائدين الى النمسا . وقد أنعم الخديو عليهم بنياشين مختلفة الدرجات.

١ ٢ ٣ ٤ ٥

(١و٢) المندوبان (٣) فليشهيكر (٤) رولييه (٥) طرنيزن باشا اليراحور الخديوى

يمين الضباط المصريين والانجليز . وفى يوم ٢٧ منه كان الاحتفال بتأدية الجيش يمين الطاعة والاخلاص للجناب الخديوى بساحة عابدين ؛ وقد كانت الجنود مصطفة على شكل مربع أمام ثكنة عابدين ، مؤلفة من ضباط أركان حرب فرقة الكوكبة الأولى والثانية من المدفعية ومن فئة الهجانة وموسيقى الفوارس والمدفعية ومن تلامذة المدرسة الحربية والقسم الطبى وموسيقات المشاة . وقد أدى الضباط الوطنيون يمين الطاعة باللغة العربية واضعين أيديهم على الكتاب العزيز بين يدى صاحب الفضيلة الشيخ الامبابى شيخ الجامع الأزهر ، وكانت صيغة اليمين :

« أقسم بالله العظيم ثلاثا وبكتبه المنزلة عموماً وبرسله وبذمتى وشرفى واعتقادى ، أن أكون صادقاً مخلصاً أميناً للحضرة الفخيمة الخديوية ولحكومتها السنية ، مطيعاً لجميع أوامرها الكريمة ، ولجميع الأوامر الحقة التى تصدر إلى من رؤسائى ، منفذاً لارادة الجناب العالى فى البر والبحر وداخل وخارج القطر ، معادياً لمن يعاديه ومسالماً لمن يسالمه مدافعاً عن حقوق بلاده ، محافظاً على سلاحى لا أتركه من يدى لعدو قط حتى أذوق الممات ، والله على ما أقول وكيل » ولما انتهى الضباط من ادائه أداه الجنود بعدهم بنفس صيغته .

أما الضباط الانجليز بالجيش المصرى ، فقد تولى تحليفهم جرانفيل باشا . وكان سموه قد طلب الى رئيس النظار أن يطلعه على صيغة القسم ، وبعد قراءتها وافق عليها وهذا نصها : « أقسم بشرفى باعتبارى ضابطاً ذا شرف ، انى فى خدمتى للحضرة الخديوية ، أثناء مدة شروط خدمتى الحالية والتالية اذا تجددت ، أقوم بأداء الواجبات التى تعهد إلىّ باخلاص وأمانة ، وأبذل غاية جهدى فى بث وتقوية شعائر الولاء والاحترام لذات جنابه العلية ولعائلته الكريمة فى من يكون تحت إمرتى »

وخرج الخديو من سراى عابدين متشحاً بكسوة الفريق ، ممتطياً جواداً كريماً ؛ وحضر استعراض الجنود ومن حوله ناظر الحربية والسردار وأركان حربه ووقف تحت العلم فى جنوب الميدان ، واستعرضت أمامه الجنود بنظام دقيق . ولما تم الاستعراض ركض الجناب العالى بجواده الى سلم السراى ، فكان ذلك إيذاناً بانتهاء الاحتفال .



وقوف الخديو وناظر الحربية بميدان عابدين يوم حلف الجيش اليمين

مسألة الفرمان وتطوراتها . كان السبب فى تأخر الفرمان أن الباب العالى كان يريد تحوير الحد الفاصل بين سينا والعقبة وسلخ الأخيرة عن الحدود المصرية .

وقد دارت المفاوضة فى هذا الشأن بين الحكومة المصرية والباب العالى بواسطة مختار باشا ؛ وبعد موافقة السير بارنج على طلب تركيا ، تقرر نهائياً فى يوم ١٦ فبراير أن تتخلى مصر عن العقبة للدولة العلية ، ورفع هذا القرار للصدارة العظمى . وكان الخديو يرمى بهذا التساهل الى استمالة الباب العالى واظهار تقربه للدولة .

وبعد ذلك وردت برقية من الأستانة فى يوم ٢٤ فبراير بأن احمد باشا أيوب — مشير السراى الهمايونية — سيقوم إلى القاهرة حاملا فرمان التولية . فانقشع الريب الذى كان يساورنا ، وزاد فى سرورنا ان كانت هذه أول مرة يحمل فيها الفرمان مندوب برتبة مشير ، وهو دليل على رضاء السلطان عن سمو الخديو وعطفه عليه . بيد ان هذا الخبر لم يتحقق سريعاً .

مضى بعد ذلك أكثر من شهر ، ولما لم يصل المندوب حتى أواخر مارس ، بحث الخديو مع النظار فى إرسال خطاب استعجال الى الباب العالى مشرب بروح الود والتفاهم ، فأرسل بعد الاتفاق على صيغته .

وفى يوم ٢ أبريل وردت برقية من الاستانة بمبارحة اليخت العثمانى « عز الدين » قاصداً القطر المصرى مقلا أيوب باشا . فاسترحنا عندئذ من التفكير فى شأن الفرمان وأيقنا أن الأمر قد انتهى .

وقد توجه شوقى باشا صهر الغازى مختار باشا مندوباً من قبله الى الاسكندرية لاستقبال المبعوث السلطانى والقدوم معه إلى القاهرة . وكذا قدمت الدارعتان الانجليزيتان « كولنجوود » و « استراليا » من مالطة إلى الاسكندرية للاشتراك فى هذا الاستقبال .

وصول حامل الفرمان : وعند منتصف الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٤ أبريل ظهر اليخت أمام بوغاز الاسكندرية . وأسرعت مصلحة الفنارات بابلاغ محافظ الثغر فبادر بتنظيم حفلة الاستقبال . وفى صباح اليوم التالى دخل اليخت البوغاز ، وكانت جميع السفن الراسية قد زينت بالأعلام العثمانية وصعد رجالها على الصوارى . وعند إطلاق مدافع الاستقبال علت أصوات الجميع داعية بحياة جلالة السلطان صائحة « پادشاهمز جوق يشا » ثلاث مرات ثم صدحت الموسيقى بالسلام الشاهانى .

وفى منتصف الساعة الثامنة رسا اليخت فى المكان الذى أعد له ، وكان بانتظاره بالزوارق المخصوصة المزينة بالأعلام محافظ الثغر ومحمود بك شكرى رئيس الديوان

التركى ، الذى عين مهمندارا للمشير ، وامين باشا توفيق قومندان الدارعة محمد على وحسين فهمى بك قومندان اليخت « المحروسة » وكبار الضباط البحريين وياوران من قبل الخديو . فلما رسا اليخت استقبلوا دولة المندوب وحيوه باسم الخديو ، فتقبلهم بالبشاشة وقدم لهم رجال الوفد الشاهانى المرافقين له . وكان قد اجتمع على رصيف سراى رأس التين العلماء والرؤساء الروحانيون وعدد كبير من أعيان الثغر



حسين فهمى بك

وعند الساعة التاسعة والنصف نزل دولته فى زورق خاص يرفع العلم العثمانى ومعه الذين استقبلوه ، ونزل رجال الوفد فى زوارق أخرى يصحبهم ياورا الجناب الخديوى حتى وصلوا الى السراى . فأطلقت المدافع وأدى التحية العسكرية فريق من الجنود وصدحت الموسيقى ؛ ووقف المستقبلون صفوفاً فحياهم دولته وهتف الجميع لجلالة السلطان . وبعد ذلك ركب فى عربة يرافقه المهمندار الى المحطة ؛ وكانت الطريق غاصة بالمحتفلين وقد زينت المحطة بالزينات الجميلة فأديت له التحية هناك . وعند تحرك القطار أطلقت المدافع ؛ واستقبل فى كل المحطات التى مر بها القطار استقبالا رسمياً حافلا .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر وصل الى محطة العاصمة ، وقد ازدانت بالأعلام والزهور . فاستقبله السرتشريفاتى نائباً عن الخديو ، والنظار والمستشار القضائى والعلماء والأعيان ، وأدت السلام العسكرى فرقة من الجيش وصدحت الموسيقى بالسلام الشاهانى . وتوجه دولته الى سراى المنيرة التى أعدت خصيصاً لنزوله مع حاشيته . وفى الساعة الرابعة مساء قصد سمو الخديو الى السراى لمقابلة المشير ، فأظهر لسموه رعاية جلالة الخليفة له ، ورد سموه بأعلان تعلقه بالحضرة السلطانية . وتوافد على سراى المنيرة فناصل الدول وأعيان العاصمة فرد لهم دولته الزيارة .

العقبات وتذليلها : وقد كان من المنتظر قراءة الفرمان تواً كالعادة ، ولكن كانت ثمة عقبات لم تذلل بعد ؛ وذلك أن الباب العالى كان يريد الاستيلاء على الطور أيضاً بعد التسليم له فى العقبة ، وقد ورد ذلك فى الفرمان الذى لم يطلع عليه سفير انجلترا فى الاستانة . فأرسل اللورد سالسبورى رئيس الوزارة الانجليزية الى السير بارنج بالمعارضة فى تلاوة الفرمان قبل الاطلاع عليه وحتى تصدر إرادة سلطانية بترك إدارة الطور لمصر.

وقد اجتمع قنصلا فرنسا والروسيا مع الجناب الخديوى ، وتحادثا معه فى مسألة الطور . ثم اجتمع تيجران باشا ناظر الخارجية بالغازى مختار باشا وتداولا ملياً فى الموضوع . ورفعت نتيجة المحادثات الى السلطان .

وعلمت من المركيز دوريفرسو أن فرنسا والروسيا كانتا توافقان على ترك الطور لتركيا على أن يسمح لمصر نظير ذلك بتقوية جيشها الى حد يكفى لصون حدودها . ولكن انجلترا كانت تعارض فى هذه النظرية .

وجاءت البرقيات الخارجية يومئذ تتحدث فى الموضوع ؛ فقالت التيمس بتاريخ ٩ أبريل : « ان تصرف الباب العالى فى مسألة الفرمان لا معنى له ، ولو قبلت مصر ما جاء بالفرمان لكان ذلك ماساً بكرامتها »

ثم شاء القدر أن يحل المشكل لمصلحة مصر وأن تبقى الطور فى يدها . وبناء على ذلك حدد يوم ١٥ أبريل لتلاوة الفرمان كالمعتاد . وأبلغ ذلك رسمياً الى الغازى مختار باشا والمشير أيوب باشا وقناصل الدول ، وأرسلت الدعوة للمدعوين لحضور الاحتفال ، ووزعت تذاكر الدعوة على العمد والأعيان .

حفلة قراءة الفرمان : وفى اليوم المحدد ، أعدت معدات الاحتفال بسراى عابدين فأقيمت الأكشاك أمام السلم الكبير للسلاملك والزينات كما كان فى حفلة تلاوة برقية التولية واصطفت الجنود المصرية . وفى الساعة التاسعة أقبل الخديو ومعه شقيقه البرنس محمد على ؛ وكان فى انتظار سموه البرنسات والنظار والغازى مختار باشا .

ثم أقبل موكب المندوب العثمانى فى الساعة العاشرة تتقدمه كوكبة من الفرسان . وحين وقفت العربة استقبله السر تشريفاتى وصحبه الى باب السلاملك حيث استقبله سمو

الخديو ومن معه ؛ وبعد ذلك سلم للجناب الخديوى الفرمان فقبّله ، ثم ناوله لمحمود باشا (١) شكرى لفض أختامه وقراءته مع الارادة السلطانية الخاصة بالطور ، فتلاه وهو أمام باب السلاملك بصوت جهورى سمعه جميع المدعوين . وعلى أثر تلاوته نادى السردار باشارة التعظيم . فهتف الجنود بحياة السلطان . وأطلقت مائة مدفع ومدفع .



اصطفاف الجنود المصرية يوم تلاوة الفرمان بميدان عابدين

وبعد ذلك صعد الجناب العالى إلى قاعة الاستقبال وتقبل تهنئة النظار والقناصل والعلماء وعاد المندوب الى سراى المنيرة . وفى المساء طاف سمو الخديو مع شقيقه أكثر الشوارع لمشاهدة الزينات والاحتفالات .

وفى ١٧ أبريل صدر الأمر الشاهانى للمبعوث العثمانى بالعودة الى الاستانة ، فاستأذن سمو الخديو فى السفر صباح اليوم التالى ، وبارح العاصمة بعد الوداع الرسمى المعتاد الى الاسكندرية حيث أبحر منها مودعاً بمثل ما قوبل به من الحفاوة .

ومما يذكر بهذه المناسبة ، أن حامل الفرمان كان يتناول عادة مبلغ اثنى عشر ألف جنيه من الخزينة المصرية ؛ منها الرسوم المقررة لبراءة الفرمان وقدرها خمسة آلاف

---

(١) أنعم عليه برتبة الميرميران فى ١٤ أبريل

جنيه ، والباقى هدية للمبعوث . أما فى هذه المرة فقد صدر الأمر للمندوب بألا ياخذ إلا رسوم الفرمان فقط ، وأن يكون سفره على نفقة الخزينة السلطانية .

مجاملات الدول . وقد أهدت الدول نياشينها الرفيعة إلى عباس فى تواريخ مختلفة ؛ ونخص بالذكر من بينها فرنسا وانجلترا ، وكانت الأولى هى البادئة أملا فى أن تسترد شيئاً من نفوذها فى عهد سموه ؛ إذ أهدت اليه وشاح الليجيون دونور ، وقد حضر أسطول فرنسى للمياه المصرية عقب التولية مؤلفا من خمس قطع ، فتبودلت التحية بينه وبين السفينة « محمد على » وتشرف ضباطه بمقابلة الخديو فى سراى عابدين فى أول فبراير برفقة قنصل فرنسا الجنرال ، فقدمهم لسموه وسلمه النيشان .

وأهدت ملكة الانجليز لسموه وسام الحمام الرفيع الشأن ، وقدمه السير بارنج للخديو فى يوم ٢٩ ديسمبر وبعث سموه لجلالة الملكة بتلغراف شكر .

أما إيطاليا فانها أرسلت بعض السفن الحربية لاستقبال الخديو عند وصوله للاسكندرية ، ورداً على ذلك أهدى صورته الكريمة إلى الملك أمبرتو ، وقد عهد إلى أمير الأسطول الايطالى بتوصيله مع كتاب رقيق بخطه . أما جلالة السلطان فانه أهدى الى سموه فى تواريخ مختلفة المجيدى المرصع ، ثم العثمانى المرصع ، ثم مدالية « لياقت » الذهبية .(١)

وأهدى إلى سموه أيضاً نيشان من البابا ليون الثالث عشر وأوعز قداسته إلى مبعوثه بالاسكندرية أن يهنىء الخديو بتوليته وأن يباركه وأن يهديه نيشان « الكريست » المسيح ، وهو من أعظم النياشين البابوية . وقد تردد مسيو روليه — الذى عين سكرتيراً عاماً للديوان الخديوى الافرنجى — فى عرضه هذا الأمر على سموه باعتباره أميراً مسلماً لا يصح أن تهدى اليه نياشين نصرانية . فلجأ المبعوث البابوى الى السرتشريفاتى ، ولما عرض الأمر على الخديو لم ير بأساً من القبول ، وبالفعل حدد يوماً لاستقبال المبعوث وتسلم النيشان .

وبهذه المناسبة أنعم الخديو بعدة أوسمة ونياشين مختلفة الدرجات على رجال السلكين السياسى والقنصلى لجميع الدول التى اشتركت فى تهنئته ومجاملته باهداء النياشين.

---

(١) لم تهد هذه المدالية لأحد من المصريين إلا لسموه ولمحمود شكرى باشا والمؤلف

الخديو والصحف الاجنبية . تحدثت جريدة التيمس عن عباس أثر توليته عرش مصر وعلاقتها بانجلترا فى مقال افتتاحى قالت فيه : « ان وجود الانجليز ضرورى لتثبيت مركز الخديو ، وأن السير بارنج يجب أن يبقى فى مصر لخبرته بشئونها ، وأن على الخديو الحالى أن يستمع الى نصائح المستشارين الانجليز . وأشارت تلميحاً إلى ايجاد مستشار انجليزى بالسراى يسترشد الخديو بآرائه (١) نظراً لصغر سنه »

وقد نشرت البتى كاپورال الفرنسية مقالا رداً على ما كتبته التيمس جاء فيه : « لقد وقفنا على نيات الانجليز بما كتبته صحفهم ولا يخفى أن وزارة اللورد سالسبورى متفقة على وضع كفالة للخديو عباس باشا ، تجعله فى حالة شبيهة بأمراء الهنود الذين يقودهم فى طريق الخضوع والطاعة للدولة البريطانية رجل من رجال الانجليز ، وعلى هذا المنوال اذا أراد الانجليز أن يجعلوا للخديو مستشاراً يحمله على أن يرفض كل نفوذ أجنبى ما عدا نفوذ الانجليز ، فان ذلك يكون عنواناً على ضياع مصر التى لا تزال هدفاً لمطامع السياسة الانجليزية فى الشرق ، وهذا يتطلب طبعاً مد زمن الاحتلال الى أجل غير مسمى »

ونشرت جريدة الاندبندانس بلج ما ملخصه : لقد استقر الخديو عباس باشا على عرش الحكومة بدون حدوث شىء يخل بالنظام العام ، فيجب والحالة هذه أن يمحى من الأفكار كل أثر يدل على أن الباب العالى يترقب الفرص للعبث بحقوق مصر .

وكان ما كتبته الجريدة الأخيرة ناشئاً عن اشاعات وصلتنا من مصادر خصوصية ؛ مفادها ان الباب العالى كان يريد انقاص امتيازات الخديو الحالى عن امتيازات والده ، وأن فرنسا والروسيا تدخلتا لدى الباب العالى لابقاء الفرمان كما كان مع السماح لمصر بابلاغ جيشها الى ثمانية عشر ألفاً حتى تستغنى عن حماية الجنود الانجليزية .

الخديو فى مجلس العموم البريطانى : وقد انتهزت الحكومة الانجليزية فرصة إلقاء خطاب العرش فى مجلس العموم لتشير فيه على الخديو من طرف خفى باتباع خطة والده مع الانجليز وقد جاء فيه : « ان انجلترا قد فقدت بوفاة المغفور له الخديو توفيق حليفاً أميناً تمكن بحسن سياسته من إعادة السلم والنظام والرفاهية للبلاد المصرية » ثم أعربت الملكة عن تمام ثقتها بأن الخديو الحالى عباس حلمى باشا سيقتفى أثر هذه السياسة بعد أن وجه إليه جلالة السلطان المعظم مسند الخديوية .

---

(١) ولكن ذلك لم يتحقق لعدم رغبة سموه

تنظيم المعية . بعد أن فرغ الخديو من الاستقبالات وما يتبعها فى مبدأ ولايته ؛ كان أول ما عمله هو زيارة ضريح المغفور له والده فى يوم ١٩ يناير وأغدق العطاء على الفقراء والمساكين الذين توافدوا مزدحمين على الضريح .

وعقب عودة سموه تشرفتُ بمقابلته - بصفة خاصة - فى مكتبه بسراى عابدين ، فلقيت منه كل لطف ورعاية وهنأته ودعوت له ؛ فشكرنى وطلب منى أن أحضر لزيارته كلما سنحت فرصة لذلك لأنه فى حاجة لمعرفة شئون القطر . فشكرت له حسن ثقته ووعدت بأن أكون دائما أهلا لهذه الثقة العالية مقيماً على إخلاصى له .



الدكتور كومانوس باشا

وكان مما دار من الحديث بيننا فى هذه الجلسة ما أعرفه عن مرض والده ، فذكرت له ما أعلمه من أمر الخلاف فى تشخيص المرض وأن الأدوية التى استعملت لم تكن هى المطلوبة ونتج تسمم من احتباس البول فقال لى : « لقد سمعت ذلك أيضاً من بعض كبار رجال المعية ولهذا قررت إحلال الدكتور كومانوس محل الدكتور سالم باشا لأننى علمت أنه من أكفأ الأطباء »

وعلى أثر ذلك صدر الأمر فى ١٩ يناير باجراء هذا التغيير . ولا زلت دائم التردد على سموه بصفة خاصة حتى عينت بالمعية .

رأى عباس قبل التولية عن المعية : فى صيف سنة ١٨٩١ ، عند وجود عباس فى اجازته المدرسية بالاسكندرية ، أقيم فى سراى رأس التين المرقص الصيفى السنوى ؛ وقد حدث أن انتقد سموه على يوسف ضيا بك وبعض رجال المعية وجودهم فى المقصف بحالة غير مرضية(١) . فلما انفرد بى أبدى استياءه وقال لى : « يا شفيق بك ، أنا غير ممنون مما ألاحظه عن الحالة فقد استسلم والدى للانجليز ، وكبار حاشيته سائرون على سياسته

(١) راجع صفحة ٥١٧ من الجزء الأول من المذكرات

وموظفو المعية يأتون أعمالا لا تليق بكرامتهم ، والرقابة عليهم غير متوفرة . فلا عجب اذا فكر سموه بعد توليته فى اصلاح « المعية » وتجديد نظامها .

ففى عصر يوم الجمعة ٢٢ يناير زرت سموه فوجدته مغتبطاً بما لقيه منذ مقدمه من حفاوة الشعب وحماسته ، ولا سيما عند ما توجه للصلاة فى المسجد الحسينى ذلك اليوم ؛ فقد حدثت أثناء مسير الموكب الخديوى مظاهرة مؤثرة ؛ إذ تقدم الطلبة وغيرهم من المحتشدين بالسكة الجديدة نحو العربة الخديوية . وأقصوا جيادها ، وجروها بأنفسهم . وأبدى الشعب المحتشد داخل المسجد وخارجه حماسة لا توصف . وقد ظهر على سموه عميق تأثره وارتياحه لهذا الروح ، ورغبته فى خدمة هذه الأمة المتعلقة به وعمل كل ما يمكنه لاسعادها . ثم سألنى عن ذى الفقار باشا السرتشريفاتى وثابت باشا رئيس الديوان الخديوى ؛ فأجبته أن الأول خدم الأسرة باخلاص من زمن سعيد باشا حتى اليوم ، وأن الثانى من ذوى الكرامة ، وقد أبى منذ أن كان ناظراً للداخلية أن ينقاد لاستبداد كليفورد لويد وكيلها فاستقال ؛ لأنه لا يستطيع أن يؤدى واجبه فى خدمة الحكومة مع وجود هذا الوكيل . فقال لى : « نعم ، هذا صحيح ، ولكن تقدمهما فى السن هو الذى حملنى على أن أفكر فى عمل ترتيب آخر للمعية » . ثم سألنى عن حسين رشدى الذى كان يدرس الحقوق يومئذ بباريس ، فأجبته بأنه إذا حضر لمصر استطاع أن يملأ منصباً هاماً لما أعرفه من ذكائه وكفايته مذ كنت معه بباريس . وعلى أثر ذلك أمر سموه نظارة المعارف بأن تكتب لرئيس الارسالية « البعثة » المصرية فى فرنسا بالتنبيه على « حسين رشدى » بالعودة إلى مصر نظرا لانتهاء دراسته .

وقد عاد فعلا إلى مصر فى يوم ٢٠ ابريل ، بعد أن لبث فى فرنسا نحو خمسة عشر عاما درس فيها علم الحقوق دراسة مستفيضة . وكان حينما طلبت إدارة الارسالية عودته ، اعتذر لموانع ذكرها ووعد بالعودة عند انتهائها . ولكن لما بلغه نبأ وفاة والده محمود حمدى طبوزاده باشا وكيل الداخلية ، أسرع بالعودة إلى مصر : وقد زرته عقب وصوله وعزيته وحدثته بما دار بينى وبين الخديو بشأنه . وبعد ذلك عين مفتشا بنظارة المعارف .

وفى يوم ٢٥ يناير استدعانى الخديو لسراى عابدين عصراً ، وأخبرنى بما ينوى اجراءه من التغيير والتبديل فى المعية ، وسألنى عما إذا كنت أريد البقاء فى نظارة الخارجية — وكنت حتى ذلك الوقت سكرتيراً خاصاً لناظرها — أو الانتقال للمعية ؟ فاجبته بأننى ربيب هذا البيت ، وأنى مدين للمغفور له والده بكل ما وصلت اليه أو

ما يمكن أن أصل اليه من المراكز ؛ لأنه هو الذى ربانى منذ البداية وأغدق على عطفه ، وبعثنى للدراسة فى أوروبا فجعل منى رجلا . واذا كان قد توفى الى رحمة ربه قبل أن أستطيع الوفاء ببعض دينى نحوه فانه يجب أن أفى بهذا الدين لولده وخلفه .

فشكرنى سموه على عرفانى لهذا الجميل وقال لى : « اننى اخترتك لرياسة قلم الترجمة بالمعية » فقبلت يده ودعوت له . وفعلا صدر الأمر فى ١٣ فبراير بتعيينى فى هذا المنصب .

تنظيم المعية : وقد أحسّ ذو الفقار باشا ومحمد ثابت باشا بما اعتزمه الخديو من تغيير فى نظام المعية ، وذلك على أثر تبادله الرأى مع دومرتينو باشا ومحمود شكرى بك (١) وكان من المقربين اليه . فقدما استقالتيهما ، فقبلهما الخديو فى ٢٧ يناير ، وأرسل لكل منهما خطاباً رقيقاً يشكره فيه على سابق خدماته ، وقرن الخطاب المرسل لذى الفقار باشا بأن منحه لقب سرتشريفاتى شرف .

الدواوين الخديوية : وانتهى البحث بتغيير النظام القديم ووزعت الأعمال على ثلاثة دواوين ؛ وصدر الأمر فى ٢١ أبريل لنظارة المالية بتعيين محمود فهمى باشا رئيساً للديوان العربى ، ومحمود شكرى بك رئيساً للديوان التركى ، ودومرتينو باشا رئيساً للديوان الأفرنجى ، ويتبعه مسيو روليه (٢) السكرتير العام للديوان الخديوى ، واحمد شفيق بك رئيس قلم الترجمة . أما بروستر بك السكرتير الانجليزى الخاص من مدة المغفور له الخديو توفيق ، فقد بقى كما هو وأنعم عليه برتبة المتمايز .

قلم الياوران : وقد أحيل الى المعاش بعد الترقية جملة من الياوران فى تواريخ مختلفة وعين البرنس احمد فؤاد باشا سرياوراً — بعد ان نال العثمانى الأول ورتبة الفريق — (٣) وعبد الحليم عاصم باشا ياوراً أول (٤) والبرنسان محمد ابراهيم وسعيد

---

(١) أنعم عليه برتبة المتمايز فى ٣ فبراير وستجئ صورته مع البرنسين عبد المنعم وعبد القادر وأساتذتهما .

(٢) كان أستاذاً للاقتصاد السياسى بمدرسة العلوم الشرقية بفينا وانتدب مدرساً خصوصياً للخديو أيام ان كان فى مدرسة الترزيانوم وعين فى يوم ١٤ أبريل سكرتيراً عاماً للديوان بعد موافقة حكومة النمسا بناء على طلب الخديو وأنعم عليه برتبة المتمايز في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٩٣ والمجيدى الثالث فى أول فبراير سنة ١٨٩٧ وصورته فى صفحة ٨ .

(٣) كان ملحقاً عسكرياً بالسفارة العثمانية بفينا وقدم استقالته وحضر الى مصر فى ١١ مايو وأنعم عليه بالعثماني الأول فى ٢٨ يونيو وفى ١٥ يوليو تسلم كتاباً من الصدر الأعظم ينبئه بأن السلطان قبل استقالته وأباح له قبول ما يشاء من المناصب فى الحكومة المصرية . وفى ٢٧ منه منح رتبة الفريق وعين سرياورا . وبالأسف لم نعثر على صورته الكريمة بالملابس العسكرية .

(٤) منح رتبة اللواء وعين ياوراً أول في ٢٤ فبراير .

طوسون وحسين رمزى بك ويوسف ضيا بك وغيرهم فى قلم الياوران ، وعين حسين محرم بك قومندانا للمراسلات الخديوية التى سميت الحرس الخديوى فيما بعد .

قلم التشريفات : ولما استقال على ذو الفقار باشا السر تشريفاتى ، خلفه احمد مظلوم باشا الذى كان محافظاً لعموم القنال بترشيح دومرتينو باشا ، وعين محمد العبانى بك (١) فى ٢ أبريل تشريفاتياً أول ، وعين سعيد ذو الفقار بك تشريفاتياً ثانياً . أما مصطفى داود يكن بك (٢) الذى كان معاوناً للتشريفات فأنه نقل الى السكرتيرية الانجليزية . وعين كل من على بك شاهين وعبد الرحيم بك صبرى واحمد بك خيرى معاونى تشريفات .



محمود فهمى باشا



دومرتينو باشا

(١) وفي ٢١ يناير سنة ١٨٩٣ أنعم عليه برتبة المتمايز وفى ٢٨ أغسطس سنة١٨٩٣ برتبة اميرمران وفي ٣ نوفمبر عين سر تشريفاتي خلفا لأحمد مظلوم باشا الذى عين ناظر مالية .

(٢) كان متخرجا في المدرسة البحرية الانكليزية بانكلترا .



أحمد شفيق بك



بروستر بك





عبد الحليم باشا عاصم



البرنس محمد ابراهيم



البرنس سعيد طوسون



يوسف ضيا بك

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO LIBRARY



حسين بك محرم



احمد مظلوم باشا



سعيد ذو الفقار بك



محمد العبانى بك



مصطفى بك داود يكن



احمد خيرى بك

وعين الشيخ محمد راشد فى ٧ نوفمبر مفتياً للمعية .

وأنعم على كثير من الياوران والتشريفاتية وغيرهم من موظفى دواوين المعية برتب ونياشين فى تواريخ مختلفة .

وقد كان فى هذا الاصلاح ما يبعث إلى الغبطة خصوصاً وقد اندمج الأمراء فى الهيئة الجديدة وأصبحوا يخالطوننا دون كلفة .



الشيخ محمد راشد

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO LIBRARY

محمد على بك « النهليست » وعبد العزيز عزت بك : عبد العزيز عزت بك هو نجل المرحوم عبد الله عزت باشا ابن المرحوم محمود عزت بك ناظر الجهادية أيام محمد على. فجده وأبوه من الرجال البارزين الذين خدموا مصر خدمة صادقة .

عنى والده بتربيته وتثقيفه عناية خاصة فوكل أمر تعليمه الأوّلى إلى بعض الأساتذة الأفاضل ، ثم أرسله الخديو توفيق إلى انجلترا فدخل جامعة كمبردج وبعد خروجه منها التحق بمدرسة ووليش الحربية وتخرج فيها برتبة ضابط طوبجى . وقد كان الخديو توفيق شغوفاً به من صغره ولذلك كان يراسله بين حين وآخر مستحثاً إياه على النشاط والمثابرة فى دروسه وتحصيله . وقد أرسل إليه مرة صورته ممهورة بتوقيعه ، وعاد بعد مدة فأهداه صورة أخرى . ولما زار البرنس عباس وشقيقه انجلترا أمر الخديو أن يستقبلهما عبد العزيز بك ويلازمهما مدة بقائهما فى لندره .

عاد عزت بك لمصر سنة ١٨٩١ فعينه الخديو ياوراً تشريفاتياً . ولوثوقه به كان يطلعه على الخطابات الانجليزية الخاصة ليترجمها له ويعامله معاملة طيبة لاخلاصه وصراحته .

ولما تولى عباس حرص على إبقائه محفوفاً بعنايته حائزاً لثقته . ولكن الصراحة والاخلاص اللذين جبل عليهما عزت بك وعرف بهما بيننا كانا يحتمان عليه إبداء ملاحظاته مشفوعة بخالص نصحه كلما وجد إلى ذلك سبيلا . وقد كان عباس يسمع ذلك منه إما ساكتاً مطرقاً أو ممازحاً ضاحكا . وحدث فى ٢٢ مارس — وكانت قد جرت بعض التعديلات فى الحرس والمعية وأتت غير متفقة وما يراه عبد العزيز بك فى شأنها — أن راجع الخديو فى ذلك وعرض عليه وجهة نظره بسراى القبة بحضور دومرتينو وحسين بك رمزى فأعجبا بصراحته وشجاعته وهنآه على ذلك بعد انصراف الخديو الذى استاء لهذه المراجعة .

وفى ٢٣ منه استدعى الخديو محمد على بك المشهور بيننا « بالنهليست » — لاسراعه فى تنفيذ الأوامر الضارة بغيره — فدخلت معه فبادرنا بقوله : « الظاهر أن عزت بك غير مستريح لعمله بالمعية بدليل ما حصل أمس وأرى أن نكتب للمالية . » قلت : « فى الواقع إنه غير مستريح وقد عزم على الاستقالة فلا داعى للكتابة للمالية . »

وفى نفس اليوم قدم عبد العزيز بك استقالته وفى ٢٦ منه خلفه احمد خيرى افندى . ولكن عاد عباس فيما بعد وقربه اليه (راجع ص ٣٣٠ و ٣٤٨ و ٤١٤) .

شئون مختلفة : —

مشيخة الطرق الصوفية : فى يوم ٢٠ يناير صدر الأمر العالى باسناد مشيخة الطرق الصوفية إلى السيد محمد توفيق البكرى مع اضافة نقابة الأشراف اليه ، وكان ذلك على أثر وفاة السيد عبد الباقى البكرى . وكان السيد محمد توفيق من تلامذة المدرسة العلية مع عباس فكان يعرفه شخصياً ويعلم مبلغ لياقته لهذا المنصب . ولهذا ضمّ اليه نقابة الأشراف بعد ما كان بيت البكرى خاصاً بمشيخة الطرق الصوفية فقط .



السيد محمد توفيق البكرى

وفى يوم ٢٣ مارس أنعم عليه بكسوة التشريفة .

وفى يوم ١١ مايو عين السيد توفيق وعبد الله جمال الدين افندى قاضى مصر عضوين بمجلس شورى القوانين بدلا من المرحومين السيد عبد الباقى البكرى وعبد الرحمن افندى القاضى السابق

الخديو فى الجمعية العمومية : فى ٣٠ يناير زار الخديو الجمعية العمومية وحلف الأعضاء بين يدى سموه اليمين الآتية : « والله العظيم ثلاثا إنى صادق للحضرة الفخيمة الخديوية وخاضع لقوانين القطر » وبعد ذلك رقى الخديو منبر الخطابة والقى الخطاب التالى : —

« يسرنا أن نعلنكم فى اجتماعنا اليوم أول مرة بحضراتكم أننا فى غيابنا عن ديارنا كنا نتتبع أعمالكم بكمال الأهمية مفتخرين بوجود هيئة فى القطر تنوب عن أهاليه ، فكونوا على يقين من أن غاية مقصدنا المحافظة على امتيازات هذه الهيئة المرتبط بها نجاح مصر ومستقبلها . ولذلك كان من أول ما اهتممنا به أن جمعناكم حولنا . ويسرنا أن نبشركم أنه فى أول اجتماعكم هذا بنا — بالاتفاق مع هيئة حكومتنا — قد قررنا الغاء

الضريبة التى كنتم وافقتم على ربطها فى جلستكم المنعقدة فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٩ فى نظير الغاء العونة بتمامها . وتنقيص ثمن المصلح « الملح » . والغاء عوائد « رخصنامات » الصنائع . وأننا نقوم الآن بواجب مقدس فنذكر أن الفضل فى اتخاذ هذه الاجراءات، التى من شأنها تخفيف الأحمال عن عاتق الأهالى ، انما هو راجع لحسن ادارة وحكمة ساكن الجنان والدنا الأبر ولما بذله من الحزم والثبات فى تدبير ايرادات الخزينة واستعمالها بغاية الاقتصاد . وأننا سنثابر على انتهاج المنهج الذى اختطه لنا . وأملنا أنه بعون الله ومعاضدة الأمة تكون مساعينا وأعمالنا عائدة على مصر بالسعادة والرفاهية ان شاء الله » .

وبعد ذلك رجع سموه لسراى عابدين . وكنت أرافق ناظر الخارجية لحضور هذا الاجتماع الهام .

وعقب ذلك صدرت الأوامر العلية بالغاء ضريبة العونة المقدرة بمبلغ خمسين الف جنيه سنوياً وبالغاء قانون الباتنتا وتخفيض ثمن المصلح الى ٦٠ ٪ من ثمنه .

تعرف الخديو بالموظفين والأعيان : أبدى الخديو لأكابر معيته رغبته فى أن يتعرف بموظفى حكومته . فكان من رأينا أن تقدم كل مصلحة من المصالح الحكومية كشفاً عن طرق سيرها واختصاصاتها وأشخاص موظفيها وأعمالهم ومرتباتهم ودرجاتهم. وعليه صدر الأمر الى رئيس الديوان العربى بطلب هذه الكشوف من النظارات . وعند ما وردت فى آخر يناير استدعانا الخديو وطلب الينا الادلاء بمعلوماتنا عن هؤلاء الموظفين . فأخبره كل منا بما يعرف .

وفى جلسة أخرى دار الحديث على أحوال الموظفين ورؤى أن الكشوف التى وردت بأسمائهم وأحوالهم لا تكفى لتعرف الجناب العالى بهم . وأن الأعيان يجب أن يكون لهم كذلك نصيب فى الاتصال بسموه . وأنه يستصوب أن تتاح الفرصة للجميع بالحضور للسراى والمثول بين يديه حتى يقف منهم على أحوالهم . ولهذا أصدر أمره يوم ٦ فبراير بأنه اعتباراً من يوم ١٠ الجارى تكون المقابلات للجناب الخديوى بسراى عابدين من الساعة التاسعة صباحا الى الساعة الحادية عشرة والنصف من يوم الأربعاء كل خمسة عشر يوما .

الخديو يرأس مجلس النظار : جرت العادة أن رياسة مجلس النظار ترسل للديوان الخديوى قبل عقد جلساته الأوراق المطلوب عرضها على الخديو لاطلاعه عليها . وقد

دار الحديث فى هذا الشأن بينه وبين رجال المعية، فطلب سموه أن يبدأ بعقد الجلسات تحت رياسته ليزاول تصريف الشئون بصورة عمليـة فعقد مجلس النظار جلسته فى يوم ١٧ مارس بسراى عابدين تحت رياسة سموه . وكانت جلسة عادية هادئة .

تنظيم مجموعة للأخبار الخاصة بمصر : عندما توليت قلم الترجمة بالمعية كنت أعرض يومياً على الجناب العالى البرقيات العمومية التى ترد عن أحوال مصر، ولا سيما الانكليزية والفرنسية . وكذلك عنيت بجمع ما ينشر فى الجرائد العربية والأفرنكية، واشتركت — على نفقة الديوان — فى شركة « آرجوس دولاپرس » Argus de la Presse وهى التى تعنى بجمع الأخبـار من صحف العـالم عن كل موضوع نظير مبلغ معلوم . وكلفنا الشركة أن ترسل الينا كل ما ينشر بالصحف الانجليزية والفرنسية والألمانية عن مصر . وعند ورود هـذه القصاصات يعرض المهم منها على الخديو ثم يكلف أحـد الموظفين بترتيبها ولصقها على ورق رفيع منظمة مبوبة ، ثم تجـلد آخر السـنة مع وضع أسماء الصحف وتواريخها وموضوعات المقالات وعمل فهرس فى آخر كل جزء عن محتوياته .

احمد زكى بك وترجمة الرق فى الاسلام : فى يوم ٢٢ مارس تشرف بمقابلة الجناب العـالى احمد زكى بك مترجم أول مجلس النظار وقدم لسموه كتاب « الرق فى الاسلام » ، الذى وضعته باللغة الفرنسية — كما تقدم فى الجزء الأول من المذكرات — بعد أن ترجمه إلى اللغة العربية . وقد علمت منه أن سمو الخـديو قابل هـذا المجهود بالشكر والثناء على المؤلف والمترجم قائلا : « ان هذا الكتاب حاز شهرة فى بلاد أوروبا لما فيه من البيانات التى كانت خافية على الأوروبيين فأجدر بهـا أن يكون فى الديار المصرية . » وأظهر سموه ارتياحا كبيرا حينما علم أن الكتاب انتشر بعـد ترجمته فى مصر ولقى رواجا وتشجيعا .



أحمد زكى بك

النظار على مائدة الخديو : دعا سمو الخديو النظار ، لأول مرة ، لتناول طعام الغداء على مائدته فى يوم ٢٤ مارس بسراى عابدين ، ليشعرهم باطمئنانه اليهم ، وثقته فيهم ، ويوجد جواً من التفاهم الصريح بينه وبينهم .

جلسات تفسير القرآن فى رمضان : وافق يوم ٣٠ مارس الليلة الأولى من رمضان فوفد المهنئون من جميع الطبقات على سراى عابدين ، وكان سموه يتلقاهم بالبشاشة مظهراً ارتياحه لتعلقهم به . ولما علم سموه أن المعتاد فى رمضان أن يتلى القرآن الكريم وتفسر آياته فيما بين العصر والافطار ، أمر بانتداب أحد العلماء المبرزين فى التفسير للقراءة فى حضرة سموه ورجال معيته بسراى القبة ، فانتدب شيخ الأزهر الشيخ احمد الرفاعى للقيام بهذه المهمة . وقد ظل الأستاذ عدة أيام يتابع دروسه وكنت ممن يحضرها ، وكان كثير الاسهاب فى إيراد أقوال المفسرين ، وإيراد بعض الآراء والروايات الغريبة .

وفى ذات يوم تحدث عن « إرم ذات العماد » ؛ فهالنا ما أورده عنها من الروايات الغريبة ولا سيما القول بأنها مدينة شُيِّدَت طوبة من الذهب وأخرى من الفضة ، وانها معلقة بين الأرض والسماء ! ، ثم توسع فى ذلك وعرض الى علم الفلك بأسلوب يثير الاشفاق والضحك ، فكنا والخديو نزم شفاهنا حتى يغلبنا الضحك الرنان .

ولما انتهى الدرس وأفطرنا اجتمعنا مع الخديو وتحادثنا فيما سمعناه من الشيخ فأبدى سموه دهشته وانكاره لطريقته ، وتقرر أن يرسل لشيخ الأزهر باستبداله فانتدب مكانه الشيخ الشربينى .

الافطار على مائدة الخديو : كان من عادة الخديو توفيق أن يدعو الى مائدته فى رمضان مختلف الطوائف وفى مقدمتهم العلماء . فحذا عباس حذوه ودعا فى الأسبوع الأول خمسة وعشرين من كبار العلماء كما دعا باقى الهيئات فى الثلاثة الاسابيع الأخرى من هذا الشهر .

وفى ٥ أبريل تناول طعام الافطار مع سموه المشير احمد أيوب باشا — الذى جاء بالفرمان — ورجال معيته ومحمود شكرى باشا المهمندار . وقد استمرت هذه العادة طوال حكم عباس .

مدير الأوقاف العمومية :

فى ٢ أبريل صدر الأمر العالى بتعيين محمد زكى باشا الذى كان تشريفاتياً أول وحل محله العبانى بك مديراً لديوان الأوقاف العمومية .



محمد زكى باشا

رسالة مسيو مزمر : وردت لى بتاريخ ٢٩ أبريل رسالة خاصة من المسيو مزمر — رئيس البعثة المصرية سابقاً بباريس — جاء فيها : — « انى أنتهز هذه الفرصة لتهنئتك بالثقة التى أولاك إياها الخديو الجديد باعادتك الى ديوانه العالى » .

« إن الدروس العالية التى تلقيتها تتيح لك أن تخدم أميرك وبلادك ، ولاسيما إذا رفعت أخلاقك الى مستوى علومك ومعارفك ، فأصحاب الكفاءة يملأون الشوارع ولكن أهل الاخلاص والغيرة نادرون ، وهم على قلتهم الذين يصلحون وحدهم لخدمة الأمراء » .

« إن مؤلفى عن العالم الاسلامى سيظهر قريباً ، وسترى عند اطلاعك على المسودات المرفقة أنى الأوربى الوحيد الذى أنصف الاسلام كل الانصاف . إن الناموس الطبيعى الذى يعمل على وضع كل شىء وكل فرد من الناس فى محله — عاجلا أو آجلا — يعمل لمصلحتى ، فالى الملتقى يا عزيزى شفيق وتقبل أصدق عواطف مودتى » .

افتتاح كوبرى امبابه : لأول مرة فى عهد الخديو ، أنجز مشروع من المشروعات العامة وهو كوبرى امبابه ، الذى أنشىء لتسهيل المواصلات وربط الخط الحديدى بين محطتى مصر وبولاق الدكرور . وكان الاحتفال بافتتاحه يوم ٥ مايو فخما ، دعى اليه كبار الموظفين والأعيان وكبار الجاليات الأجنبية ، وأقيمت السرادقات على الجانب

الغربى من الكوبرى ، ونصبت أقواس النصر ، وركب سمو الخديو القطار من محطة مصر فاجتاز به الكوبرى الى محطة امبابه فى عشر دقائق ، وهناك استقبل استقبالا عظيما .

وفى الساعة العاشرة افتتح الكوبرى رسمياً فأطلقت المدافع إيذانا بذلك .

وبعدئذ أغلق الكوبرى وعاد الجناب العالى ورجال معيته والمدعوون إلى السرادقات . ثم استراح قليلا ورجع بالقطار الخاص إلى القاهرة .

عباس يؤدى فريضة الجمعة بالأزهر : كان ذلك لأول مرة فى ١٣ مايو ، وكان بمعيته كبار رجال الديوان ومحمد زكى باشا مدير الأوقاف ، وكبار موظفيها . وبعد الصلاة تفقد سموه العمارة الجارية بالمسجد وشاهد بها نقوشا عربية دقيقة فسرّ من دقتها وخصوصا لما أن علم أنها من صنع أيد مصرية . وكان الزحام فى هذا اليوم شديداً .

الخديو بالاسكندرية ومواعيد مقابلته : عند وصول الخديو الى مصيفه بالاسكندرية حدد مواعيد للتشرف بمقابلته ؛ ففى يوم ٣ يونيو حظى بلقائه جميع كبار موظفى الثغر والأعيان الوطنيين طائفة بعد أخرى فلقوا من لدنه كل عطف ورعاية . ونظراً لأن سموه قدم حديثا الى الاسكندرية فقد تقرر أن يخصص اليوم التالى أيضا لمقابلة كبار الأجانب . فاستغرقت المقابلات بذلك يومين متتاليين .

وقد خصص سموه يوم الأربعاء من كل أسبوعين لمثل هذه المقابلات العامة ، ولكنه لما رأى أن يوما واحدا لا يكفى أصدر أمره بجعل المقابلات فى كل يوم أربعاء .

أول زيارة للمدارس بالاسكندرية : فى يوم ٢٣ يونيو ، زار سموه مدرسة رأس التين ، فاستقبله ناظرها على بك شعبان والغازى مختار باشا وتيجران باشا ناظر الخارجية وعبد الرحمن رشدى باشا ناظر المالية والسير ألوين بالمر المستشار المالى ومحمد ماهر باشا محافظ الثغر وغيرهم من الأكابر . وقد سُرّ سموه من حسن نظام المدرسة واستحث أساتذتها على مضاعفة جهودهم لخدمة العلم والمتعلمين .

عيد الاضحى : وافق يوم عيد الاضحى فى هذا العام يوم ٤ يوليو ، فأدى سموه صلاة العيد فى رحبة السراى وصلى معه جميع الموظفين والخدم . وكانت التشريفات الخديوية دليلا واضحاً على تعلق الشعب بأميره .

صلاة الجمعة فى سيدى بشر : وفى يوم الجمعة ٢٢ يوليو ، أدى سموه فريضة الجمعة بمسجد سيدى بشر ؛ وكان يرافقه عبد الحليم عاصم باشا الياور الاول . وكان قصد

سموه من الخروج فى كل أسبوع للصلاة ، أن يرى الشعب ويراه حتى لا تكون هناك وحشة بين الامير وشعبه .

مآدب التعارف : وبمناسبة وجوده بالاسكندرية ، دار الحديث بينه وبين حاشيته ، حول التعرف بكبار الاعيان من أجانب ووطنيين بالثغر . فاستقر الرأى على أن يدعى الاعيان الى مآدب كل هيئة على حدتها .

وقد بدأ سموه سلسلة هذه المآدب ، بمادبة أقامها فى اليوم الثانى من أغسطس لأفراد أسرته ومعهم النظار وكبار رجال الحكومة بالثغر وكبار رجال المعية ؛ وصدرت الاوامر باعداد اليخت المحروسة لهذه المآدب ، فزينت الميناء بالانوار لهذه المناسبة ، وكانت الجماهير متراصة لمشاهدة الزينات ، والموسيقى تصدح .

وكانت المأدبة الثانية فى ٨ منه — على هذا النظام — خاصة بأعضاء المجلس البلدى بالاسكندرية ، ولم تكن تقل فى رونقها عن الوليمة السابقة .

والثالثة فى ١١ منه لبعض كبار الجاليات الأوروبية بالثغر .

والرابعة فى ١٧ منه للباقين من كبار الجاليات الأوروبية ، وكان من بينهم ربان وضباط الدارعة اليابانية التى كانت راسية فى ذلك الوقت فى المياه المصرية .

والخامسة فى يوم ٢٥ منه لممثلى الدول الأجنبية .

والسادسة فى يوم ١٤ سبتمبر كانت خاصة بكبار ضباط الجيش المصرى وجيش الاحتلال .

فرقة اسكندر فرح للتمثيل : كان على شريف باشا مغرما بالتمثيل والطرب . ومما يؤثر عنه ، أنه كان كلما خرج للنزهة بالجزيرة ومر على جماعة من المطربين الجوالة يستدعيهم ويأمرهم بالغناء والعزف فى حضرته . وقد أسس مسرحا خشبياً وطنياً بالقاهرة فى شارع عبد العزيز فى ملكه



الشيخ سلامه حجازى

بالقرب من العتبة الخضراء لتمثل فيه فرقة اسكندر فرح التى انضم اليها المطرب الشهير الشيخ سلامه حجازى وفى يوم ٢٥ اغسطس قامت الفرقة بتمثيل رواية « تليماك » فنالت استحسانا عاما . وسرنى أن يتقدم التمثيل بمصر .

مجلة الهلال : صدر فى ٢٥ اغسطس أول عدد من هذه المجلة العلمية الأدبية ، ومنشئها هو الأستاذ جورجى زيدان . وقد استحسنتها واشتركت فيها .

عيد جلوس السلطان : وافق يوم ٣١ اغسطس عيد الجلوس السلطانى . وقد أصبحت البلاد عامة والاسكندرية خاصة فى زينة جميلة ، وأقام الغازى مختار باشا بسراى (نمرة ٣) على شاطىء المحمودية ، زينات بديعة . وكان يتلقى تهانى المهنئين من مصريين وأجانب . وأقام سمو الخديو مأدبة شائقة لهذه المناسبة بسراى رأس التين .

انعامات خديوية على رجال الدين : بسطنا فيما تقدم خطة الخديو نحو الطوائف المختلفة ، وأشرنا إلى المآدب التى أقيمت ، ومنها يبدو أن سموه كان يبذل كل جهد لتأليف القلوب حوله واجتذاب النفوس اليه . وكان شأنه كذلك مع رجال الدين ، فأنعم يوم ١١ سبتمبر بالنيشان العثمانى من الدرجة الأولى على كل من قاضى مصر والشيخ الانبابى شيخ الأزهر والشيخ المهدى مفتى الديار المصرية .

نظام للرتب والنياشين والمقابلات : لما رأى الجناب العالى أن طلب النياشين والرتب ليس قائماً على نظام ثابت ، كما هو الشأن فى الأمم الراقية ، وأن التشريفات والمقابلات لا تطلب من قلم التشريفات لتحديد مواعيد لها ، بل يتكرر الاستئذان المفاجىء بها كلما جاء زائر ، ورأى أن هذه الحالة لا يحسن السكوت عليها ، طلب الى كبار رجال المعية كمظلوم باشا ومحمود شكرى باشا ودومرتينو باشا والبارون مالورتى بنظارة الخارجية وضع نظام ثابت للتشريفات والرتب والنياشين . فأتموا وضعه وعرض على سموه وصدر به الأمر العالى فى يوم ١٨ سبتمبر .

اشاعة تغيير النظارة : فى ١٤ سبتمبر ، حضر لسراى رأس التين السير الوين پالمر المستشار المالى وتشرف بمقابلة الخديو ، وأبلغه أنه سمع بعزم سموه على تغيير النظارة ، وسأل عما إذا كان هذا الخبر صحيحاً . فأجابه بدهشة : « كيف أشيع هذا الخبر مع أنه لا أساس له مطلقا ؟ » فقال : « ان الخبر أشيع من أحد رجال السراى » . فطلب الخديو معرفة اسم هذا الموظف ، فأجابه : « هو شفيق » ، وذكر أسماء النظار الذين سيتولون

النظارة المقبلة ومنهم يعقوب أرتين باشا للمعارف، . فما كاد يسمع سموه هذا الاسم حتى صاح يكذب هذا الخبر وقال له : « لو كان الأمر بيد شفيق لما بقى يعقوب أرتين باشا يوما واحدا فى النظارة ! لأن شفيقا لا يميل اليه ولا يستحسن خططه فى التعليم بمصر » . فاقتنع المستشار بكذب هذه الاشاعة .



يعقوب أرتين باشا



السير الوين بالمر

زيارة معاهد الاسكندرية : سبق أن نوهنا باهتمام الجناب العالى بمختلف الشئون القومية ولم يكن هذا الاهتمام قاصرا على ناحية دون أخرى ، بل كان موجها إلى مختلف الشئون ؛ففى ١٢ اكتوبر بدأ سموه بزيارة المستشفى الأميرى ، ثم المستشفى الانجليزى . فقابله مديرا المستشفيين بكل حفاوة ، وبعد ان تفقد المرضى وأماكنهم خرج مثنياً على همة القائمين بأمرهما .

وفى يوم ١٧ منه زار المجلس البلدى ، فاستراح قليلا فى القاعة الكبرى ، ثم قام فتفقد الأماكن جميعها ، والى جانبه يوسف شكور باشا مدير المجلس يشرح لجنابه اختصاص كل قلم . وبعد انتهاء الزيارة أثنى على أعضاء المجلس .



يوسف شكور باشا

ثم توجه سموه بعد ذلك لزيارة المتحف الاسكندرى للعاديات الرومانية الذى افتتح فى نفس اليوم ، فاستقبله أعضاء لجنته الادارية ، وتنقل فى ردهاته مشاهداً ما بها من الآثار ، وفى النهاية أبدى عظيم سروره وارتياحه .

وفى يوم ١٩ منه ، زار المستشفى الروسى مع رجال المعية ، فاستقبله فيه القنصل الجنرال لدولة الروسيا ، وبعد أن استراح قليلا ، تفقد الغرف وما فيها من المعدات ، ثم زار المرضى فواساهم . وشكر للقائمين بأمر المستشفى عنايتهم بالمصريين .

غرام روليه بك : لما تقرر سفرى وروليه بك مع الخديو لتمضية فصل الصيف ضمن أفراد المعية بالاسكندرية ، استأجرنا مسكنا بسان استيفانو . وكان للدكتور كومانوس منزل قريب منا ، فكنا نزور عائلته فى أغلب الأيام . فلفت نظر رفيق ، جمال الآنسة مريكا رالى شقيقة مدام كومانوس ، وكانت فوق حسنها ذكية لعوباً ، فهام بحبها ، وكان شديد الغيرة عليها حتى أنه ذات يوم وجدها فى عربة «دوكار» مع أحد الشبان ، فثار غضبه وظن أنها لا تشاطره غرامه . فلما عاد للمنزل ، حدثنى بما رآه وأنه لا يستطيع الحياة بدونها . ولما رأيت مبلغ يأسه وخشيت أن يعمد الى الانتحار ، هونت عليه الأمر . وأخفيت مسدسه ، وفى الغداة سألنى عنه فأجبته أننى محتفظ به . وقد انتهى الأمر باعلان خطبته رسمياً بالآنسة مريكا وزفت اليه ، وكنت أحد شهود العقد . وكان كلما حصلت بينهما مشادة بسبب الغيرة ، يدعوانى للتوفيق بينهما .



روليه بك



مريكا روليه

الخديو فى دار الآثار : فى يوم ٢٠ نوفمبر ، زار الخديو دار الآثار المصرية مع بعض رجال المعية ، وكان المسيو دومرجان مدير الدار ، يجيب سموه عن أسئلته . وقد استراح قليلا بالقاعة الكبرى بالدور العلوى وتناول القهوة مع من كانوا معه ، ثم عاد الى سراى القبة .

عيد الميلاد الخديوى : كان غرة جمادى الأولى سنة ١٣١٠ الموافق ليوم ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩٢ عيد ميلاد الخديو ، فزينت سراى عابدين وسراى القبة ، ووفد المهنئون من النظار والعلماء وقناصل الدول للتهنئة . وأقيم الكثير من الزينات فى الشوارع والمحال التجارية . وجاءت الأخبار بأن المدن والبنادر احتفلت بهذا اليوم السعيد .

تجديد كسوة المحمل : لم تكن كسوة المحمل قد جددت منذ تولى المغفور له محمد توفيق باشا إذ كانت العادة أن يتم تجديدها عند تعيين كل وال جديد ، ولذا أصدر سمو الخديو أمره فى ٣ ديسمبر بتجديدها .

زيارة الخديو للأزهر : سبق أن وعد الخديو بزيارة الأزهر أسوة بالمعاهد الأخرى التى زارها من قبل ؛ ففى يوم ١٢ ديسمبر توجه مع أكابر رجال الحاشية فدخلنا المسجد من باب الصعايدة وكان فى استقبال سموه الشيخ الانبابى والشيخ سليم البشرى شيخ السادة المالكية والشيخ سليم عمر امام مسجد القلعة ، وغيرهم من كبار العلماء . وبعد التحية والاستقبال ؛ تفقد سموه غرف النوم والمطالعة . ووقف الشيخ حموده الجرجاوى أحد العلماء ، وألقى بين يديه كلمة ترحيب ودعاء ، ثم زار الخديو ضريح الأمير عبد الرحمن كتخدا ، ثم طاف بأبهاء الجامع . وكانت دروس الفقه تلقى وقتئذ ، فسار بين صفوف الطلبة حتى وصل رواق الحرمين الشريفين ، ثم زار الأروقة المختلفة ، وألقيت بين يديه كثير من الخطب . ثم خرج سموه مودعا بهتاف الطلبة والعلماء .

العفو عن العرابيين . كان للخديو توفيق عادة حسنة ، وهى دعوة كبار موظفى معيته إلى تناول الغداء على مائدة سموه ، وفى أثناء الطعام كان يتحادث معهم فى شتى الأمور . ولما كان الخديو عباس ، قد اتبع هذه العادة ، عرض أحدنا على سموه أثناء تناول الطعام ، أن يعفو عن بعض أشخاص من زعماء الثورة العرابية . فاستحسن سموه الفكرة ، وأصدر أمره فى يوم ٣ فبراير بالعفو عن عبد الله افندى نديم محرر جريدة لسان الأمة والمحكوم عليه بالنفى خارج القطر ، والسيد حسن موسى العقاد من

كبار تجار القاهرة المحكوم عليه بالنفى إلى مصوع مدة عشرين سنة وعلى قبودان راغب من مستخدمى وابور الدقهلية فى مصلحة البوستة الخديوية والمحكوم عليه بالنفى إلى مصوع مدة عشرين سنة وكان هاربا فى الاستانة ، ومحمد بك عبيد من ضباط الجهادية المحكوم عليه بالنفى المؤبد والتجريد .

فوصل عبد الله افندى نديم من منفاه يوم ٩ مايو ، وهنأه أهل الثغر بالعفو . وكنت قد تعرفت به فى أوائل سنة ١٨٨٠ حينما كنت بمعية الخديو توفيق بالاسكندرية ؛ وذلك أننى علمت أن أحد الأدباء أنشأ مدرسة بشارع رأس التين لتعليم اللغة العربية بأسلوب عصرى جديد ، فزرت المدرسة وحضرت بعض الدروس ، فسررت بطريقته لأنها جذابة سهلة المأخذ على الأطفال ، تعلمهم القواعد فى شكل محاورات مسلية لذيذة . وشكرته على عنايته بالناشئة وأثنيت على مجهوده وطريقته الجديدة .



عبد الله نديم



السيد حسن موسى العقاد

وبمناسبة العفو عن عبد الله نديم ، نذكر أنه قد بلغ مسامع الخديو ، تظلم بعض المحكوم عليهم فى الثورة العرابية وشكوى ذويهم . فشاور سموه رجال معيته فى الأمر ، وأسفر البحث عن أن يعفو عنهم خَيْرٌ من تركهم يرسفون فى أغلالهم ، وأنه

يكون حسن الوقع والأثر لدى الشعب ، خصوصا وأن ما ارتكبوه كان فى عهد مضى ولا صلة له بهذا العهد ، وليس من خطر فى الافراج عنهم . وبناء على ذلك أصدر سمو الخديو أمره فى ٦ نوفمبر بالعفو العام عن جميع الذين اشتركوا فى الحوادث العرابية ، ولم يفرج عنهم حتى اليوم ، سواء أكانوا ملكيين أم عسكريين ، وأن يرد اليهم كل ما جردوا منه من الألقاب وشارات الشرف والامتيازات والرتب ، على أن لا يدخل فى هذا العفو المحكوم عليهم بالنفى المؤبد ، وعلى أن الأشخاص الذين يعفى عنهم يجوز اعادتهم الى خدمة الحكومة ، ولكن لا تحسب لهم مدة خدماتهم السابقة فى تسوية معاشهم . وقد قوبل هذا العفو بمظاهر الفرح والسرور من أسر المنفيين ، وبالاعجاب والثناء من جميع الطبقات والصحف ، وكان له أجمل أثر فى اظهار الخديو بمظهر الكريم المتسامح .

الخديو والاهتمام بالجيش . كان لسمو الخديو عناية خاصة بشئون الجيش ، ظهرت منذ أيام دراسته بكلية التريزيانوم العسكرية بفينا . وقد تولى منصبه وهو يعنى بالشئون العسكرية كبيرها وصغيرها . وقد لاحظ فى الأيام الأخيرة ، أنه عند مروره بركبه على بعض الضباط الانجليز أو المصريين ، أنهم يهملون فى أداء التحية العسكرية . فأبلغ هذه الملاحظة الى رئيس النظار ، واهتم السردار بالمسألة فأصدر أمراً فى يوم ١٦ فبراير لقومندانات الجيش ؛ بأنه عند مرور الجناب العالى ، أو أحد أعضاء أسرته . على أى قره قول ، يجب على جميع أفراده أن يخرجوا تحت السلاح لتأدية التحية العسكرية الواجبة ، وعلى القره قول أن يتعرف ما إذا كان الجناب العالى يقصد الدخول فى أحد القشلاقات ، فان كان ذلك ، فعلى بروجى القره قول أن يضرب نوبة اجتماع ، وعند ذلك تصطف العساكر داخل القشلاق بملابس التعليم لأداء التحية .

الاستعراض الأول للجيش : وكذلك كان الخديو مولعاً بالحركات العسكرية . وقد رغب فى مشاهدة الجيش المصرى يقوم ببعض هذه الحركات ، وكاشف رئيس النظار بهذه الرغبة فتقرر عمل استعراض بالعباسية فى يوم ٢٧ مارس ، وفى الساعة الثامنة صباحا ، امتطى سموه جواده وهو بالملابس العسكرية ، وسار فى كوكبة من ياورانه . وكان السردار قد سار يحف به أركان حربه إلى منتصف الطريق الموصلة من

سراى القبة إلى العباسية ، لمقابلة الخديو . فأم سموه مكان الاستعراض بميدان العباسية ، حيث استعرضت أمامه الأورطة الرابعة والسابعة ونصف الأورطة السادسة المشاة المصريين وفرقة تلامذة المدرسة الحربية . وكان الاستعراض فى غاية الدقة وحسن الترتيب . وقد أظهر سموه سروره من حسن النظام ، وأثنى على الضباط . وبعد الانتهاء عاد لسراى القبة .

استقالة سردار الجيش وتعيين خلفه : استدعى السير فرنسيس جرانفل سردار الجيش المصرى إلى بلاده فقدم استقالته ؛ ولما رأى كتشنر باشا رئيس قلم الضبط والربط فى نظارة الداخلية ، أنه لا بد من تعيين أحد الجنرالات الانجليز خلفاً للسردار رجا الجناب العالى فى تعيينه فى هذه الوظيفة السامية ، فقبل سموه وطلب إلى السير افلين بارنج مخابرة حكومته فى هذا الشأن ، فَقُبِلَ الطلب وصدر الأمر العالى بتعيين كتشنر باشا سرداراً للجيش فى يوم ١٣ أبريل مكان السردار المستقيل . وقد أنعم الخديو بالعثمانى الأول على جرانفل باشا لمناسبة تركه الخدمة .



السير جرانفل

الاستعراض الثانى للجيش : وفى يوم ٩ مايو حضر سموه الاستعراض السنوى العام للجيش ثم مر بعد ذلك باصطبلات الجيش والطوبخانة والمستشفى الحربى وتفقد حالة المرضى ، وأعلن ارتياحه لحسن النظام وأثنى على الضباط .

استعراض رجال الحرس : وفى يوم ١٢ اكتوبر ، إبّان وجود سموه بالاسكندرية ، استعرض بالقرب من سراى مصطفى فاضل باشا رجال الحرس الخديوى . وكان يرتدى لباسه العسكرى ويمتطى جواداً كريماً . وبعد الاستعراض وابداء ارتياحه لحسن النظام رجع لسراى رأس التين .

الخديو فى مصيف . اعتزم سموه مبارحة القاهرة الى العاصمة الثانية لقضاء فصل الصيف بها . فأخذ الأهبة لذلك ، وسافرت فرقتان من الجيش المصرى الى

الاسكندرية لتكونا بها مدة إقامة سموه ، وفى يوم ١٧ مايو أجريت المقابلات العامة تمهيداً للوداع ، وكان سموه يقابل الزائرين بالأيناس واللطف .

ونشط أهالى الاسكندرية الى إقامة الزينات احتفاء بمقدم الخديو بشكل لم يسبق له مثيل .

وفى الثالث والعشرين من شهر مايو ، وهو اليوم المقرر للسفر ، توافد المودعون على محطة العاصمة وفى مقدمتهم أعضاء الأسرة والنظار والعلماء والرؤساء الروحانيون وكبار الموظفين وضباط الجيش والأعيان . وفى الساعة الثانية عشرة والنصف تحرك القطار مقلا سموه ورجال معيته والنظار الى الاسكندرية ، وكان قد سبقه قطار آخر أقلّ سمو الوالدة والأميرتين شقيقتى الخديو .

وقد أقيمت الزينة بجميع المحطات التى مر بها القطار الخديوى . أما فى الاسكندرية فقد كانت الزينات شائقة رائعة تأخذ بالأبصار ، وجماهير حاشدة من المستقبلين يرفعون أصواتهم عالية بالهتاف ، ويتقدم أعضاء الأسرة الكريمة سمو الأمير عمر طوسون ، فحيي المستقبلين سموه باسم الثغر ، وكانت تبدو عليه أمارات السرور .

ثم استقل عربته الخاصة . وسار الموكب تحف به كوكبة من الفرسان بين صفوف متراصة من الجماهير الهاتفة بالدعاء الى سراى رأس التين .

وفى الساعة التاسعة مساء ، خرج سموه فى عربته لمشاهدة الزينات والأنوار التى جعلت المدينة كأنها شعلة النور .

وفى اليوم التالى جرت التشريفات العامة لتهنئة سموه بسلامة الوصول .

مشكلة الطائفة القبطية . بدأت هذه المشكلة فى يوم ٣٠ يونيو ، حينما أعيد انتخاب المجلس الملى للاقباط بدل المجلس المنحل ، وعارض البطريرك فى اجراء هذه الانتخابات ، وعد أجزاءها تدخلا من الحكومة فى السلطة الدينية المخولة له ، وبعث برسالة احتجاج لسمو الخديو . وتفاقمت المشكلة رغم ما بذله رجال الطائفة لحلها ، ولكن البطريرك تشبث وعاونه فى ذلك مطران الاسكندرية وأبى أن يسمح لرئيس المجلس المنتخب بالدخول الى البطريركية ، وزاد على ذلك فأعلن خلعه من الطائفة

القبطية . مع أنه لا يملك هذا الحق . فكان عمله بمثابة مقاومة مادية لأوامر الحكومة . وعندئذ رفع المجلس الملى تقريراً للخديو راجياً منه أن يشملهم بعطفه وينقذهم من هذا المأزق . فتحادث سموه مع رجال المعية . وظهر من كلامه أنه محب للتجديد . ثم تباحث مع رجال حكومته فى حل المسألة القبطية بما يتفق وهذه الرغبة ، فصدر الأمر العالى فى يوم ٢٧ أغسطس بعزل الأنبا كيرلس ومطران الاسكندرية الأنبا يؤانس ، ونفى الأول الى دير البيرموسى والثانى الى دير الانبابولا (١) فى الصحراء . وعين الأنبا اثناسيوس اسقف كرسى صنبو مكان الأنبا كيرلس ، وأنعم عليه بالنيشان المجيدى الثالث ، وكان البطريرك المعزول قد ذهب فى سعيه الى أن بعث الى قنصل جنرال الروسيا يطلب معونته . فأجابه بأنه لا يستطيع أن يعاونه بشىء لتعديه حدود القانون ومخالفة أوامر الحكومة .



الأنبا كيرلس



الأنبا يؤانس

وثيقة الدكتور عثمان غالب السياسية . فى يوليه سنة ١٨٩٢ تلقيت من الدكتور عثمان غالب وقد كان بالأجازة بلندرة — رسالة مستفيضة ضمنها حديثاً سياسياً دار بينه وبين المستر هابو نتشيف رئيس الحزب الراديكالى فى البرلمان الانجليزى . وقد جاء فيها :

« . . . وبعد فقد كنت أرتاض يوماً على نهر التاميز ، وإذا بى أمام قصر مشيد تحف به حديقة جميلة ، فسألت لمن القصر ؟ واذا به للمستر هابو نتشيف رئيس الحزب

---

(١) ولكن تدخلت الطائفة فيما بعد واستعطفت الخديو فى العفو عنهما وقبل سموه الرجاء وصدر الأمر فى ٣١ يناير سنة ١٨٩٣ بالعفو عنهما واعادتهما لمركزيهما .

الراديكالى فى البرلمان الانجليزى . فتذكرت أن هذا الرجل العظيم رفع صوته مرات مطالبا الحكومة الانجليزية بالجلاء عن مصر ، وكان هذا دافعاً لى على أن أزوره . فكتبت له رسالة أخبره فيها أننى مصرى وأنا أقيم الآن على مقربة منه بالبلدة التى هو بها وأن اسمه المعروف المحبوب لدى المصريين هو الذى يحملنى على طلب التشرف بمعرفته .



الدكتور عثمان غالب

فبعث الىّ برسالة أظهر فيها رغبته فى التعرف بى وضرب لى ميعادا فتلاقينا . ثم تكررت المقابلات ودارت بيننا أحاديث فى المسألة المصرية أبعث اليك خلاصتها ، فوجه الىّ الأسئلة الآتية :—

س — ما حال بلادكم الآن ؟ — ج — حال بلاد تحتلها الجيوش الأجنبية .
س — ما رغبة المصريين من ناحية جيش الاحتلال ؟ — ج — الجلاء عن مصر .
س — كيف ذلك ونحن كلما طالبنا حكومتنا بالجلاء عن مصر أخبرنا أن التقارير الرسمية تفيد رغبة المصريين فى بقاء جيش الاحتلال ؟ — ج — ان الرسميات دائما تخالف الحقيقة ، بل هى ستار للكذب يَتَخَفَّى وراءه — س — ما رأى خديويكم بالنسبة للأحوال الحاضرة ؟ — ج — لا يمكننى أن أجيب على هذا السؤال ؛ لأنى بحكم ظروفى لست من المقربين لدى سموه ، ولكنى بصفتى أحد أفراد الأمة المصرية البعيدين عن الغايات ، أقرر أن الشعب المصرى يرى فى وجود سموه خيرا للبلاد ، وكلنا نأمل فى عهده الخير والنجاح والتقدم — س — ألم يرتفع الظلم عن الأهالى منذ احتل الانجليز مصر ؟ — ج — ارتفعت المظالم عن الشعب منذ تولى سمو الخديو المغفور له توفيق باشا ، ولم يعق التقدم والنظام إلا قيام الثورة العرابية — س — نسمع كثيرا أن الصحف

المصرية تريد بقاء الاحتلال فهل هذا حقيق ؟ — ج — الصحف التى تشير بذلك ليست صحفا مصرية صحيحة ، بل هى فى الواقع أجنبية محضة ، وان كان قلائل من المصريين يرون رأيها فلمصالح خاصة ، وهى على كل حال لا تعبر عن أمانى الأمة المصرية — س — أظن أن أغلب الأجانب الموجودين بمصر من رعاع قومهم ؟ — ج — ظن بهم ما شئت ، فلا تكون قد بعدت كثيراً عن الصواب — س — كيف ينظر المصريون إلى مسألة الجلاء عن السودان ؟ — ج — يعتبر المصريون أنها غلطة من غلطات الحكومة الانجليزية ، وربما كان وراءها غايات سياسية غير ظاهرة الآن ، وأن السودان يرغب الآن فى العودة إلى مصر بعد أن تعطلت مصالحه التجارية ، ولكى يعود الامن فيه إلى نصابه — س — هل للرق بقايا فى بلادكم ؟ — ج — لقد زال الرق منذ زمن طويل وليس له الآن وجود — س — تحادثت مرات مع اسماعيل باشا الخديو السابق لما كان هنا ففهمت من أقواله ان فتح السودان وتوطيد نفوذ مصر فيه كان على عهده بواسطة دفع أتاوات لرؤساء القبائل ، فهل لديك معلومات عن هذا الموضوع ؟ — ج — ليس لدى معلومات عن هذه المسألة ، ولكنى أعلم ككل مصرى ، أن السودان كان من أملاكنا — س — هل يعود نفوذ فرنسا بمصر كما كان أولا إذا خرج جيش الاحتلال ؟ — ج — لا أظن ذلك ، وأنا على يقين أن نفوذ انجلترا هو الذى يبقى فى المكان الأول ، ونحن قوم لا ننسى الجميل إذا لم يكن ثمة خدعة سياسية . وكن على يقين أيها السيد ، أن نفوذ انجلترا فى مصر يكون يوم خروج جيش الاحتلال أعظم منه الآن بكثير ، لأننا إذ ذاك نتأكد أنكم جئتم بلادنا لمصلحتنا لا لقصد آخر — س — ألا تظن أن بقاء جيش الاحتلال لازم للمحافظة على نفوذنا ؟ — ج — لا أظن ذلك مطلقاً ، وهل كان لفرنسا فى مصر احتلال أيام كان لها النفوذ الأول بمصر !! — س — ألا يزداد نفوذ الدولة العلية فى بلادكم بعد خروجنا ؟ — ج — ان نفوذ الدولة العلية بمصر كان وهميا قبل احتلال جيشكم ، وان تشبث به بعض المصريين الآن ، فما ذلك إلا اتقاء لنوازل أخرى ، وكل ما يتمناه المصريون أن تصبح مصر دولة مستقلة تحت حماية الدول آمنة شر الاعتداءات . فقال محدثى : « ان هذا خير أمر لبلادكم ولكننا نجد فى هذه السبيل مصاعب كثيرة من ناحية الباب العالى ، ولو أنه ليس له على مصر سوى الجزية السنوية . ثم عاد إلى السؤال — س — هل الانجليز فى مصر كما هم هنا ؟ — ج — ليسوا سواء ، ولئن حكمنا على الأمة الانجليزية بما نراه من أبنائها هناك لكان ذلك مزريا بكرامتكم ، ولكننا نعلم جيداً قيمة أمتكم وسمو تقاليدها . فلا نحكم عليكم إلا بما أنتم عليه هنا ، وليس

بما يرتكبه مواطنوكم فى الخارج . فقال : « انى متأكد من وجود بعض العيب وان أغلب الموجودين هناك ليسوا من الطراز الأول » ثم تحادثنا فى أمر انتزاع الانجليز ادارات العمل من يد الوطنيين ، وادعائهم عجز المصريين عن الاضطلاع بها . وقد ذكر لى أن غاية المستر غلادستون الحقيقية ، هى الجلاء عن مصر وتركها لأهلها . وعاد فسألنى : — س — هل فى الامكان جعل مجلس شورى القوانين مجلس نواب ؟ — ج — بلا شك وتلك رغبة المصريين من زمن بعيد — س — هل فى البلاد رجال مثلك متعلمون يكفون لادارة حركة البلاد ؟ — ج — انى أقل وأصغر المتعلمين معرفة وكفاية ، والمرشحون هناك يعدون بالألوف ، ولكن الانجليز الموجودين بمصر فى داخل الحكومة المصرية وخارجها ، لا يعترفون بذلك خوفا على مراكزهم ذات المرتبات الضخمة .

وبعد ذلك أخذ يقول : « ان أحوالنا الآن مضطربة بسبب الأمور الداخلية ، وخصوصاً المسألة الارلندية ، وهى بلا شك تشغلنا كثيراً عن النظر إلى المسائل الخارجية ، ولكنكم أنتم معشر المصريين لابد لكم أن تساعدونا حتى إذا ما طلبنا الجلاء عن مصر لم نلق معارضة » . والمساعدة منكم تكون بطلب الجلاء عن طريق العرائض أو بتأليف لجنة منكم تقابل بعض النواب البريطانيين وتفهمهم حقيقة الموقف ، لأن المفهوم هنا أنكم تريدون بقاء الجيش المحتل ؛ فجلاء الموقف يكون بواسطتكم أو بواسطة وزرائكم أو مجلس الشورى عندكم وكذا عمد البلاد . وتصرف كهذا يكون له وقع هام فى البرلمان ، ويكون لنا عضدا قويا وسندا كافيا للدفاع عنكم ، واظهار الحقيقة للبرلمان الانجليزى . وإذا شغلتنا الشئون الداخلية ، فقد نرسل إلى مصر لجنة للتحقيق وتقديم تقرير عن المسألة المصرية ، لمعرفة رغبات المصريين الحقيقية ، على أن تختلط بالوطنيين وتحادثهم . فعليكم إذا سمعتم بوصول هذه اللجنة ، أن تبادروا بالاتصال بها وشرح أمانيكم لها ، والا فالسكوت من جانبكم يفسر بأنه الرضى بما هو واقع الآن .

وقد ختم رسالته لى بقوله : « واعلم يا أخى أنى ما أخبرت أحدا ولا كتبت لأحد بهذا إلا لك ، لعلمى باخلاصك وصدقك لاخوانك ولأميرك ووطنك » .

ولما أطلعت عباساً على هذه الوثيقة سر جداً وأمرنى أن أشكر الدكتور عثمان غالب بك ، وأعلمه بأنه عند عوده إلى مصر يحضر للسراى للتشرف بمقابلته .

ومن ذلك الحين ، صار الدكتور غالب فى عداد الذين يعتد برأيهم فى المسائل السياسية .

انشاء قصر المنتزه .

نزهة قمرية فى الصحراء : كان الخديو أثناء وجوده بالاسكندرية ، يخرج إلى النزهة فى كثير من الأيام مع بعض رجال الحاشية . فكنت أشهد معه هذه النزهات ؛ وكان يقصد غالباً سراى والده على آخر خط الرمل الحديدى ، ومن هناك نركب الهجن إلى جهات مختلفة فى ضواحى الثغر ، ولا سيما طريق سيدى بشر إلى شاطىء البحر الأبيض المتوسط .

وأذكر أنه فى احدى الليالى القمرية ، أمر الخديو باعداد ثمانين حماراً من حمير « المكارية » لنركبها ليلا فى الصحراء على شاطىء البحر ، وأمر أن ترافقنا الموسيقى الخديوية ، وعدد رجالها خمسة وأربعون ؛ فركبنا ، وركبوا وهم يعزفون بموسيقاهم حتى وصلنا إلى سيدى بشر وبعدنا عنها بقليل . ولما سمع العربان بهذه الموسيقى التى لا عهد لهم بها ، هرعوا الينا رجال ونساء وأطفالا ليستطلعوا ذلك الحدث . فلما علموا بوجود أميرهم صاحوا بالتهليل على عادة العربان ورافقونا فى رجوعنا إلى مسافة طويلة . ثم عدنا وقد مضى أكثر الليل . ولقد أعجب الخديو بالبقعة المجاورة لسيدى بشر وألسنتها الجميلة الداخلة فى البحر ، وتسرب الماء بين ثنياتها الصخرية فى خرير ساحر . فعزم على التوغل فيها لمشاهدتها عن كثب .

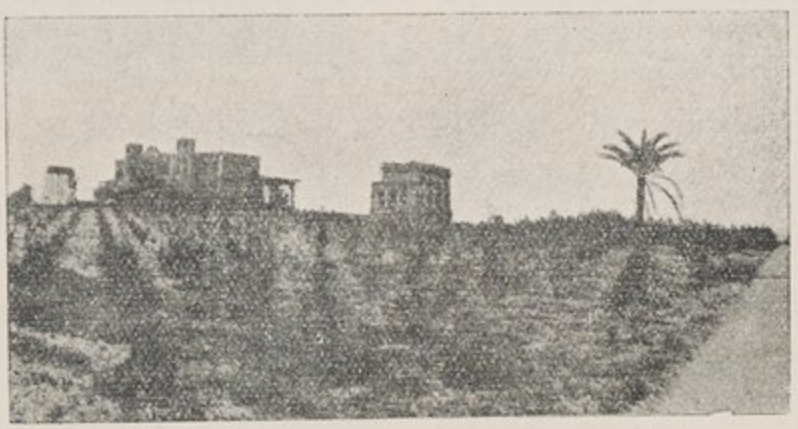
الخديو وعلى بك شاهين : وفى اليوم التالى ، تجاوزنا فى تجوالنا سيدى بشر بمسافة كبيرة ؛ وكنا ثلاثة مع الخديو . رولييه بك السكرتير الخصوصى وعلى بك شاهين معاون التشريفات وكاتب هذه السطور . وسرنا حتى بلغنا مكانا أعجب الخديو بمنظره تكتنفه رابيتان عاليتان وبينهما ضلع صغير وفى طرفه الشمالى جزيرة صغيرة . وهنا أمر الخديو بالاناخة ، فنزلنا عن رواحلنا تجاه هذا الموقع الجميل .

ورأى سموه أن ننزل نحن فى قارب صيد كان متروكا على الشاطىء لنرتاد هذه الجزيرة وما حواليها ونتعرف ما فيها . وما يحف بها ؛ وما كان يخطر ببالنا أن أحدنا وهو على بك جبان يرتجف من ركوب البحر ، فقد تردد أولا فى الركوب ولكن أذعن أمام اصرار الخديو . وما كدنا نبتعد عن الشاطىء حتى لعبت الأمواج بالفلك الصغير وتقاذفته ذات اليمين وذات الشمال ودب الخوف إلى قلب صاحبنا ، فالتجأ إلى قاع الفلك وتشبث بأرجلنا تشبث الغريق ؛ ولكن ذلك لم يعصمه من الاهتزاز فانخلع قلبه وأخذ

يصيح مستغيثاً بالخديو ، وكان جالساً على الشاطىء فى انتظارنا : « يا أفندينا اعمل معروف قل لهم يرجعونى » ولكن سموه ضحك ولم يجبه .

ومضينا فى سيرنا بالقارب على الرغم من صياح صاحبنا واستغاثته المتكررة . ولما رأى أن الخديو يلتفت إلى صاحبه ، ولا يأمرنا بالرجوع ، وذكر أن وظيفته بالمعية هى التى اضطرته إلى ركوب هذا المركب الصعب ، وجعلته تحت رحمة الأوامر التى قد تدفعه أحياناً إلى التهلكة صاح بملء فيه : « أنا مستغيث يا أفندينا . . . أنا مستغيث . . ! » وعندئذ أشفق سموه عليه حين بلغ به الرعب هذا المبلغ ، فأشار الينا بالرجوع .

انتخاب موقع المنتزه وتسميته : ومنذ هذا اليوم ، تقرر فى ذهن الخديو أن تكون النقطة التى اكتشفها وأعجب بها مصيفاً له ، وأن ينشىء بها قصر أنيق هو قصر المنتزه .



قصر المنتزه

ونعود إلى الحديث عن الرابيتين والخليج والجزيرة وما بها ، وهى التى كانت موقعاً للقصر وملحقاته .

كان على احدى الرابيتين مدافع قديمة من عهد محمد على الكبير ، وكانت تستخدم لحماية الشواطىء وقد بنى مكانها السلاملك ، وأقيمت أمام هذا السلاملك مزولة نقش عليها بيتان مناسبان للمقام من شعر المرحوم الشيخ على الليثى . وكان يقوم على الرابية الأخرى ، قشلاق خفر السواحل الذى ابتاعه سموه من الحكومة وبنى مكانه « الحرملك » وكان يقوم وراء الرابيتين بيت منعزل صغير يملكه مسيو « سينا دينو » الثرى المشهور بالاسكندرية ويدعو اليه فى ليالى الصيف القمرية أصدقاءه فيقضى معهم ليلتين أو ثلاثا

فى ظل الطبيعة الساحرة . وقد اشترى الخديو منه هذا المنزل ، كما اشترى أرضا واسعة من الحكومة ومن الأهالى لتكون ملحقات للقصر الجديد . ومما يذكر أن سموه وضع بنفسه تخطيط القصر وتصميماته ، واختار مواقع السلاملك والحرملك والتلغراف والتليفون والمرافق الأخرى ، واتخذ من الخليج ميناء للسراى . وهو الذى كانت ترسو أمامه المحروسة . وكذلك انتقى أنواع الأشجار التى تغرس فى الحديقة ، وخطط الطرق والممرات بها .

ثم بنيت بعض البيوت لسكنى المستخدمين والعمال الذين يعملون بالقصر ، وشيّد مسجد وتكية للعجزة الأتراك .

وهكذا كان تاريخ قصر المنتزه . أما سبب تسميته بهذا الاسم ، فقد كنا ذات يوم بحضرة الخديو ، وكان بيننا محمود شكرى باشا رئيس الديوان التركى . فطلب منا سموه أن ننتخب اسما للقصر الجديد ، فأخذ كل منا يقترح اسما ، وكان اقتراح محمود شكرى باشا أن يسمى هذا القصر باسم « قصر المنتزه » فارتاح سموه إلى هذا الاسم ، وأطلقه عليه من ذلك الحين .

زيارة الخديو لأدفينا . قرر سمو الخديو السفر لأدفينا وهى من المزارع التى خصته من ميراث والده ، وتقرر بهذه المناسبة أن يفتتح سموه ترعة فزاره .

فاستقل قطاره الخاص إلى أدفينا فى ٢١ أغسطس ، يرافقه السر يار فؤاد باشا وأقطاب الخاصة والمعية .

ولما وصل إلى رشيد ، قوبل مقابلة شائقة وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى وأطلقت المدافع إيذاناً بالقدوم . ثم نزل سموه الى اليخت النيلى « قاصد خير » فسار به وبحاشيته بين صفين من الأعلام والزينات المقامة على شاطىء النيل ، حتى وصل إلى أدفينا عصراً ، وقوبل بها بحفاوة عظيمة . وعندما استقر اليخت تشرف بالمثول بين يديه كبار موظفى الحكومة بمديرية الغربية وأعيانها . ثم جرى افتتاح ترعة فزاره فى حفل فخم . وفى الساعة الخامسة ، ركب سموه وبعض رجال المعية وبدراوى باشا عاشور وخليفه بك محمود عمدة الرحمانية الجياد ، وسار الموكب تحف به كوكبة من الفرسان إلى التفتيش الخديوى . وماجاء المساء حتى كانت السرادقات تزهو بالأنوار والنيازك تعلو فى الفضاء وقد تناول الطعام على مائدة سموه رجال المعية ، على حين لبى الأمير فؤاد باشا دعوة اسماعيل

أبى دبوس فى ذهبيته تحقيقاً لرغبة الخديو ، وقد أمر سموه مظلوم باشا وعبد الحليم باشا بابلاغ ارتياحه للذين أقاموا الزينات .



خليفه بك محمود



بدراوى باشا عاشور

ومما وقع من النوادر فى هذه الليلة ؛ أن أبا دبوس جاء بفرقة موسيقية من البلدة ، وهى فرقة قروية عادية فاستمرت تعزف بشدة حتى وقت متأخر ، فضاق روليه بك ذرعا بهذه الضجة ولم يستطع النوم ، فقام غاضباً وأخذ يصب اللعنات على أبى دبوس وموسيقى أبى دبوس ! وعند ماقابلنا الخديو فى صباح يوم ٢٢ سألنا : كيف قضينا هذه الليلة . فقص عليه القصة وسموه يضحك لما لاقيناه من مضايقة الموسيقى .



احمد افندى على محمود

وفى هذا اليوم ، تفضل سموه بدعوة احمد افندى على محمود وخليفه بك محمود واسماعيل بك أبا دبوس ليتناولوا طعام الغداء على مائدته . وبارحنا أدفينا فوصلنا إلى سراى الرمل فى الساعة السادسة والربع مساء . وفى ٢٣ منه وصل سموه إلى سراى رأس التين حيث حظى بمقابلته الزائرون من الأجانب والوطنيين كالعادة .

طواف الخديو أثناء الفيضان . نظراً لزيادة النيل فى هذا الوقت ، وتفاقم الفيضان فى بعض الجهات رأى الخديو أن يقوم برحلة نيلية يتبين بها مقدار هذا الخطر ويتعرف حالة الجسور والقناطر ، وما اتخذ لوقايتها ضد الفيضان ويزيد بذلك فى نشاط الموظفين المختصين وحرصهم على أداء واجباتهم .

وقد بدأ سموه هذه الرحلة فى يوم ٢٤ سبتمبر ومعه كبار رجال المعية وتيجران باشا ناظر الخارجية ، وركبنا القطار الخاص من الرمل إلى رشيد . وكان سموه قد أصدر أوامره ألا تقام له احتفالات ، وألا تكون هناك مقابلات من الموظفين والعمد ، بل ينصرف كل إلى عمله حتى لا تتعطل المصالح العامة . ثم ركب سموه اليخت الخديوى « قاصد خير » فشق به النيل ؛ ورغم الأوامر السابقة ، فقد كان الأهالى يتسابقون على الشاطئين لرؤيته وتحيته ، ولذلك اقتضت ارادته ألا يعين الجهات التى سينزل بها حتى لا يعلم أحد بوقت حضوره . وظل اليخت فى سيره حتى وصل إلى سمنود فى صبيحة يوم ٢٨ منه ، وعند غروب الشمس رسا قريباً من بلدة ميت عامر . وفى الصباح تحرك اليخت قاصداً دمياط .

وكانت ترد على سموه التلغرافات من مختلف البلاد عن حال الفيضان ، وما يقع من أخطاره فيأمر بتلافيها سريعاً . ومما بلغ مسامعه ، أن قطعاً حصل عند أسيوط أغرق بعض الحقول والمنازل فأرسل سموه برقية إلى مديرها يأمره بمساعدة الذين غرقت منازلهم وايجاد المأوى اللازم لهم ولعائلتهم .

وعاد سموه الى الاسكندرية من هذه الرحلة فى الثالث من اكتوبر . وكتبت الصحف بهذه المناسبة الفصول الضافية عن سموه وحبه لرعيته ، ووطنيته العاملة ، وعنايته بشتى الأمور صغيرها وكبيرها .

حرص الخديو على كرامة المصريين : ومما حدث أثناء هذه الرحلة ، أن سموه علم أن المهندس الانجليزى مستر « برى » أساء معاملة بربرى بك أحد موظفى الأشغال الى حد أن اعتدى عليه بالضرب ، فاهتم بالمسألة اهتماماً كبيراً ، وأمر باجراء تحقيق دقيق لكى يوضع بذلك حد لسلطة الموظفين الأجانب التى استفحل أمرها . وعهد بالتحقيق فى هذه المسألة إلى مستر فوستر فحققها وأفاد بأن برى لم يضرب الموظف كما أبلغ سموه ولكن هزه بيده فقط .

زيارته للمعاهد . المدارس . أراد الخديو أن يعرف شيئاً عن حالة التعليم فى مصر ، فسألنى عن معلوماتى فى هذا الموضوع وكان ثمة خلاف فى الرأى بينى وبين يعقوب أرتين باشا وكيل نظارة المعارف ، سببه أنه دارت بيننا محادثة عن التعليم فى مصر فقلت له : « إن تدريس المواد باللغة الانجليزية بالمدارس الابتدائية ، طريقة عقيمة ؛ لأن التلميذ الصغير الذى يبتدىء فى تعليم اللغة ذاتها ، عزيز عليه أن يفهم بها الدروس أيضا ، وهو إن حفظ الدروس فسيحفظها بدون تعقل . ورد علىّ الباشا بأن رأيى هذا خطأ . ثم سألنى ألا تبعثون بأبنائكم إلى أوروبا للاستزادة من اللغة وإتمام الدراسة بها ؟ قلت نعم . قال : إنى أريد من اتباع طريقة التدريس باللغة الانجليزية ، أن أوفر عليكم مؤونة سفر أبنائكم وأجعلهم أقوياء فى اللغة دون أن يتجشموا مغادرة القطر المصرى . فأدليت اليه بنظريتى السابقة ، وهى أن التدريس باللغة الانجليزية لايحقق الغرض المنشود » . فلما أحطت الخديو علماً بهذه المحادثة وبرهنت لسموه على أن اتباع هذه الطريقة أمر صعب ومضيع لثمرة التعليم ، اقتنع بنظريتى وقرر أن يزور المدارس ليختبر الحالة بنفسه . ففى يوم ٧ نوفمبر بدأ بزيارة مدرسة الفنون والصنائع ، ومدرسة عباس ، ثم مدرسة القربية ومدرسة المبتديان فى يوم ١٠ منه . وقدم أمين بك سامى ناظر مدرسة المبتديان ، إلى سموه محفظة موشحة بالأطلس ومحلاة بالذهب تحتوى على تاريخ إنشاء هذه المدرسة وكل ما يتعلق بها .



أمين سامى بك

ثم زار سموه يوم ١٣ منه المدرسة التوفيقية بقصر النزهة ، وطاف بحجرات التدريس أثناء القاء الدروس . وزار بعد ذلك مدارس دار العلوم والمهندسخانة والمدرسة الخديوية بسراى مصطفى فاضل باشا بشارع درب الجماميز . وزار دار الكتب بتلك السراى ، وفى يوم ٢٤ منه زار مدرسة الطب وشاهد قاعات التدريس ، ثم غرفة العمليات الجراحية . وكان مما رآه شابا يمسك بيده لوحة قد اشتملت على ثلاث صور فوتوغرافية

تمثل شخصاً مصاباً بداء الفيل ، عند اشتداد المرض ، وأثناء سير المعالجة ، وبعد الشفاء . فلفت سموه هذا المنظر ، وكان ناظر المدرسة بجانبه فأخبره أن هذا الشاب هو صاحب الصورة ، وقد عالجه الدكتور محمد الدرى بك الجراح الشهير حتى تم شفاؤه ، ولهذا رغب سموه فى الاطلاع على مجموعة أعماله الجراحية .



محمد الدرى بك

وفى يوم ٢٨ منـــه زار سموه مدرسة الحقوق ، وكان فى استقباله ناظر المدرسة المسيو « تستو » ووكيلها عمر بك لطفى ، ومر بقاعات التدريس وسمع مرافعة من أحد الطلبة باللغة الفرنسية وأخرى باللغة العربية . وألقى الطالب مصطفى كامل قصيدة استقبال رحب فيها بسموه .

وفى أول ديسمبر زار مدرسة الزراعة بالجيزة ، وشاهد الأعمال الزراعية والآلات التى استحضرتها المدرسة من أوربا ، وألقى بعض الطلبة الخطب والقصائد .

وفى الخامس منه زار المدرسة السنية للبنات بالسيوفية ، وقد اطلع أولا على المتحف ، وفيه مصنوعات التلميذات ، وهناك ألقت فتاة خطبة باللغة الفرنسية ، ثم وقّعت تلميذة ثانية قطعة على البيانو . وبعدئذ زار قاعات التدريس فلما وصل الى فرقة الخرساوات ، كتبت إحداهن على السبورة جملة ترحيب ، ثم تفقد سموه محال النسيج وأدوات الصناعة وعنابر النوم فأظهر ارتياحه لما رآه .

وكان من أثر هذه الزيارات اقتناع الخديو بوجوب أداء المواد باللغة العربية .

انشاء الجمعية الخيرية الاسلامية . فى أول سبتمبر ، اجتمع فى دار المحافظة برياسة ابراهيم رشدى باشا المحافظ ، لفيف من الوجهاء وكبار الموظفين ، للبحث فى تأليف لجنة مؤقتة باسم « لجنة إعانة فقراء المسلمين الوطنيين » تحيى ليلة خيرية فى مسرح حديقة الأزبكية ، يعرض فيها مشعوذ إفرنجى اسمه « كازانوف » بعض ألعابه السيماوية ، على أن يخصص دخلها لإعانة فقراء المسلمين الوطنيين . وكانت الدعوة بناء على رغبة صادرة من الجناب الخديوى . فتلقاها المدعوون بقبول وحماسة ، وأبدوا رغبتهم فى ألا يقتصر الأمر على إحياء تلك الليلة بمسرح الأزبكية ، بل تقام الزينة بالحديقة وتنظم بها

حفلات غناء وموسيقى وألعاب نارية وألعاب بهلوانية ، ليزداد بذلك دخل الحفلة ، كما تمنوا ألا تكون هيئتهم مؤقتة بل دائمة وقد رفع الرئيس ذلك الى الخديو ، فأجيبت الرغبة الأولى الخاصة بتوسيع نطاق الاحتفال ، أما الرغبة الثانية الخاصة بجعل اللجنة دائمة فقد طلب الى الأعضاء أن يرجئوا النظر فيها الى ما بعد انتهاء الاحتفال ومعرفة مبلغ الايراد ، ثم يجتمعون بعد ذلك ليتموا الأمر .

وفى ٢٤ منه اجتمعت الجمعية العمومية وعرضت عليها أعمال اللجنة الادارية وعرض عليها مشروع قانون يجعلها دائمة باسم « جمعية خيرية مصرية إسلامية » تحت رعاية الحضرة الفخيمة الخديوية ، فوافقت على الفكرة وألفت لجنة لبحث مشروع القانون وتمحيصه ، وكان من أعضائها سعد زغلول بك والشيخ محمد عبده وحسن عاصم بك وقاسم أمين بك وإدريس بك راغب ومصطفى بك المليجى وعلى بك فخرى .



قاسم أمين بك



ادريس راغب بك

وفى ٢٠ نوفمبر اجتمعت ثانية ، وأقرت مشروع اللائحة الأساسية ؛ وهى تقوم على أساسين : الأول مساعدة الأسر الفقيرة المستورة التى لا قدرة لها على الكسب ، والثانى تعليم أبناء هذه الطائفة بأنشاء مدرسة لهم .

ولما أن عرضت اللائحة على مجلس النظار ، وافق عليها وأقرها . وصدر الأمر العالى باعتمادها فى يوم ٥ ديسمبر .

وقد انضممت الى اللجنة تلبية لاقتراح إدريس بك راغب .

بدء الفتور بين عباس وكرومر [١] . لما تولى روليه منصبه فى المعية ، أشار عليه عباس أن يتخذنى صديقاً ورفيقاً له وأن يسترشد بآرائى ، نظراً لحداثة معرفته بأحوال البلاد ، وعند ما رأى إخلاصى له ، عرفنى بما دار بينه وبين عباس أثناء رجوعهما من فينا لمصر من الوعد بتعيينه فى معيته ووعده لسموه بالتفانى فى خدمته ومساعدته على إخراج الانجليز من مصر . فنصحته بألا يبوح بذلك ولا بما يسمعه من الخديو أو من حاشيته لأحد فى الخارج . ولما رأى احتفاء المصريين بعباس ومظاهراتهم الدالة على الاخلاص والولاء ، خيل اليه أن الوصول إلى الغاية المنشودة أمر هيّنٌ ؛ فكان من أشد رجال الحاشية دفعاً لعباس للمطالبة بحقوقه الشرعية كلما سنحت لذلك فرصة . وقد زين له فكرة إخراج العساكر الانجليزية من القلعة ، بحجة وجود جامع محمد على وديوانه الأثرى فى هذه النقطة ، كما أيده فى ملاحظته على الضباط الانجليز فى الجيش المصرى من عدم قيامهم بأداء التعظيمات لسموه عند مروره بموكبه أثناء الطريق ، وكذلك ملاحظته على مستر پرى مفتش الرى .

وكان روليه قد تعرف بمسيو إيفانوف قنصل الروسيا بالقاهرة واختلط به فتظاهر هذا بالاخلاص له ، فكان روليه يفشى له بعض أسرار السراى مفتخراً بأن عباسا يصغى لكل ما يبديه من الآراء ويعمل بها ، غير عالم بوصول حديثه الى بعض الانجليز من أصحاب إيفانوف . وهؤلاء ينقلونه الى كرومر . وكان أغلب الموظفين الانجليز متذمرين من ملاحظات عباس عليهم ، لأنهم لم يألفوها من غير العميد . ولما رجع كرومر من إجازته الصيفية علم بمسألة پرى ، وكذلك علم كرومر بارسال الأوامر رأساً من المعية الى المديريات ، بخصوص الفيضان وغيره .

كل ذلك لم يرق فى عين العميد ، وخشى أن تضيع السلطة من يده وينتهى الأمر بأن يقبض عباس على ناصية الحكم ، ولكنه رغم ذلك لم يجرؤ على توجيه أى انتقاد للخديو ، لأنه يعمل فى دائرة حقوقه الشرعية فتربص لمناوأته عند أول خطأ يقع فيه .

محادثة روليه مع كرومر : وفى ذات مرة استأذن روليه من عباس فى الذهاب لزيارة كرومر ومحادثته فى أمور مصر ، والوقوف على آرائه ، مؤملا أن يصل بذلك الى إقناعه بتعديل خطته السياسية . فلما التقيا فى ٩ ديسمبر دار بينهما الحديث الآتى [٢] :

---

(١) منح السير افلن بارنج لقب Pair فى ٢٤ مايو سنة ١٨٩٢ وهذا اللقب يخول لصاحبه لقب لورد وسمى لورد كرومر من ذلك التاريخ .

(٢) وقد بعثنا الى جريدة الديبا بهذا الحديث فنشرت ملخصه فى عددها الصادر يوم ١٤ يناير سنة ١٨٩٣ .

ر — لقد استأذنت بالدخول لتقديم احترامى . ك — (بلهجة جافة) كيف حالكم ؟
ر — إنى بخير والحمد لله . وأنتم ؟ ك — أنا منحرف الصحة فان عندى سعالا شديداً إذ أصابنى البرد منذ وصولى . أما سمو الخديو فالظاهر أن صحته جيدة ، ويلوح لى أنه يسمن ، فاللازم أن يتبع فى الطعام والشراب نظاماً مخصوصاً . . .

وجرت المحادثة هنيهة على هذا المنوال الفاتر إلى أن قال : لما وصلت إلى هنا عرتنى دهشة مرّة ؛ إذ شهدت وعرفت ماهنالك من التغيير الذى طرأ على أفكار الخديو وأعماله ، أما أنت فيتهمونك بأنك شديد العداء للانجليز . ر — أما فيما يخصنى فتهمة بسيطة لا تكفى لاعتبارى من أعداء الانجليز ، وحيث إن المجال مجال صراحة ، فانى أقول إنى لست انجليزياً ولا فرنسياً ، فأنا لا أتبع سياسة المقاومة والمعاكسة ، بل إنى مقتصر على خدمة الخديو باخلاص فى دائرة اختصاصى . ك — إنى لا أقبل أن يتعرض القصر للشئون السياسية ، وأعلم أن ما سجل للمغفور له الخديو السابق من الفضل الكبير ، ولا سيما فى آخر حكمه وبفضل نصائحى له ، يرجع إلى اعتماده على النظار فى إدارة دفة الحكم . وقد رأى من الحكمة أن يخالف خطة الاستئثار التى جرى عليها والده ، وهى الخطة التى أفضت إلى حالة مصر الحاضرة ، فاذا أراد عباس أن يتبع هذه الخطة يكرهه الناس ، بدليل أنهم يشكون الآن من سلوكه الاستبدادى ، أوربيين كانوا أم وطنيين . فالاستياء عام شامل . ولست أدرى لماذا لا يقولون لهذا الشاب : « أنت مخطىء يا مولاى » ، فالاخلاص فى الخدمة ليس أن يكال له المديح جزافاً ويقال له دائماً إن الحق فى جانبه . ر — قلتم إنه ليس للقصر أن يتعرض للشئون السياسية ، وكأنى بكم تريدون أن يقال للخديو : « أنت مخطىء أو مصيب فى عملك هذا » . ك — هذا صحيح ، ولكن لو أشير عليه بالاعتماد على نظاره ، ولا يعمل عملا إلا بواسطتهم ، فان هذه النصيحة تكون خدمة له يجب أن يبين له أنه لا يستطيع الاحاطة بكل شىء ، ويجب على الخصوص أن يقال له ألا يتعرض للمسائل الشخصية التافهة ، وألا يعنى إلا بالمسائل الرئيسية ؛ كأن مثلا يسأل عن الحالة المالية فى البلاد ، ويدرك جيداً أنه ما دامت مصر عاجزة عن تقديم الضمانات التى لا غنى عنها ، لا تستطيع أن تستغنى عن مساعدتنا . فلماذا لا يقال له كل ذلك ؟ ر — قد يكون الحق فى جانبكم ، ولكن اسمحوا لى أن أقول لكم إن مهمة إعطاء هذه المعلومات للخديو منوطة بالنظارة أولا ولكن الواقع هو غير هذا . وإلا فكيف حدث أن الخديو عرف من المستر بالمر ، وليس من رئيس النظار الاشاعات التى ذاعت عنى

وعن اثنين من زملائى(*) ولماذا لا يقوم الناظر المختص بموافاة الخديو بمعلوماته ، أى بالمعلومات التى ترون فخامتكم ضرورة إحاطته بها ؟ ك — هذا حق ، إذاً فما الفائدة من تعيين أفراد من الانجليز حيث يستطيع المصريون أن يؤدوا مهمتهم ! . ينبغى ألا نتيه فى بيداء العموميات فاذكر لى وقائع معينة . إن الادارة الوحيدة التى لم يتعرض لها الانجليز هى الأوقاف ، لأنى رفضت التدخل فى شئونها مع أن ألوفاً من الوطنيين طلبوا منى ذلك . فانظر كيف تصرف الأمور فيها ، وأين الرجال الأكفاء القادرون على إصلاحها ؟ كثيرون من الوطنيين جاءوا يشكون لى من أعمالها . ولا يخفى عليك ما ينشأ عن ذلك من التأثير السيء ثم لماذا يبغض الخديو أرتين باشا هل لأن بعض الوطنيين الذين يكرهون كل ما هو مسيحى يشيعون عنه أنه من أنصار الانجليز مع أن هذا غير حقيق . ر — إن أرتين هو الذى طلب إقالة مونتان ، فأقاله الخديو ، مع أنى كنت توسطت فى أمره لديه ولو أنى لم أكن أعرفه ، ومن هنا يتضح لكم أن الخديو يجرى فى أعماله على رأى نظاره . أما فيما يتعلق بالمسيو فيليبوتو فان ناظر المعارف نفسه شعر بلزومه لقلم الرسم ، ورأى أنه خير من يصلح لهذه المهمة . فطلب الخديو تعيينه لها . وإذا كنتم تعتقدون بأن الخديو ينقاد فى أعماله إلى ميله الشخصى ، فأؤكد لكم — وأنا من أشد الناس معرفة لأخلاقه — أنه مشبع بروح الاخلاص والنزاهة ، حر الضمير فلا يكذب قط ، ولا همّ له إلا أن يحسن ما يعمله . وفضلا عن ذلك فهو شاب يشعر بالحاجة إلى النشاط ، ويرى ألا مندوحة له عن الاهتمام بالأشغال . وهذا يعد من الحسنات وليس من السيئات وقد اعتاد أن يسال عن كل شيء ، وإذا عرض له أمر مشكوك فيه يحيله إلى الناظر المختص . والقصر لا يتعرض للسياسة لأن الخديو أول من ينهى عن ذلك . ك — ولكن مع كل ذلك هنالك أشياء كثيرة يعالجها رجال القصر مباشرة : منها أن المديرين يقدمون إلى الخديو تقارير تنشرها السراى فى الجريدة الرسمية . فأنا أكرر لكم القول أن هذا لا يعد عملا محموداً ويحدث تأثيراً سيئاً فى نفوس الوطنيين . واعلم أنه يكفى أن أبدى إشارة ليسرع إلىّ جمهور من الساخطين . ولكنهم يعودون خائبين لأنى أصرح لهم بأنه ليس من شأنى النظر فيما يشكون منه . وكذلك لماذا يعتقد الخديو دائماً بأنى لا أحترمه الاحترام اللائق بمقامه ؟ ولماذا يعمل على اضطهاد الضباط انجليزاً كانوا أم وطنيين لأسباب تافهة ؟ أؤكد لك أن هذه المعاملة سيئة العاقبة . وأن الخديو أصبح غير محبوب عند

(*) يريد هنا صاحب هذه المذكرات وكومانوس بك .

الضباط الوطنيين ، وأصبحوا فى حالة تكرههم على الالتجاء إلى الانجليز لحمايتهم ! إنى أكون سعيداً بأن أرى الخديو يتعرض للشئون العسكرية ، اقتداء بوالده ، ولكن فى الكليات وليس فى الأمور التافهة التى لا يمكن إلا أن تؤدى إلى الاستياء . ر — إذا تدخل الخديو فى شئون كثيرة فلأن الناس يلتجئون إليه ، وأنا أؤكد لكم ، كما تعرفون جيداً ، أنه لو رأى واحد من المصريين أن فى إمكانه الوصول إلى الخديو لما تردد فى الالتجاء إليه دون الانجليز . وهذا خلق المصريين فلا يستطاع تغييره بسهولة . أما الوطنيون الذين يأتونكم لبث شكواهم أتظنون أنهم لا يأتونكم للشكوى من الانجليز أنفسهم ومن النظار ؟! ك — أجل أعرف أن الوطنيين متقلبون فى آرائهم . ر — إذاً لا تهتموا بذلك أكثر مما يستحق . وأذكر أنكم قلتم لى ذات يوم إنه ليس فى هذه البلاد رأى عام . وقلتم لى أيضاً إنه ينبغى للخديو أن يجتمع كثيراً بالمعممين ، ويكثر من الاهتمام بالشئون العامة ، ويكون أباً حقيقياً لرعيته . فذلك يدل على أن كثيرين من الرجال هنا لا يزالون أطفالا ، أو غير مخلصين ؛ فيقولون لكم عكس ما يقولونه للخديو تماماً . أما ما تعزونه للخديو من الكبرياء فلا أثر له ، فليس أكثر منه لطفاً ورقة . ك — هذا صحيح ر — لم يحدث مرة أنه جرح عواطف أحد ، لا بالكلام أو بالفعل ويهمه أن يكون محترم الجانب ، واسمحوا لى بأن أقول لكم إجمالا إنكم غير مصيبين فيما يتعلق بالأسباب والبواعث التى تعتقدون بأن الخديو يعمل تحت تأثيرها . فهو مخلص للعهود التى قطعها . وقد حباه الله نظراً ثاقباً يزداد على الأيام ، ولا يخفى أن موقفه غير سهل ، ولكى يأمن الخطأ يجب أن تجرى الأمور فى مجرى حسن لا اعوجاج فيه . وهنا انقطع الحديث واستأذنت فى الخروج .

حقد كرومر على عباس : وبعد أسبوع من هذا الحديث ، نشرت التيمس تلغرافاً لمراسلها فى القاهرة جاء فيه : « يوجد هنا تكدر فى الخواطر بسبب النظام الذى وضع للمقابلات الخديوية (*) ، والذى يظهر أن الغرض منه منع زيارة من لم يكن محبوباً عند موظفى السراى . ويوجد هنا أيضاً عدم ارتياح فى نفوس موظفى بعض الدوائر الأوربية ، بسبب تدخل المعية السنية فى إدارة الحكومة ، وإصدار الأوامر بدون استشارة الرؤساء ، وهى خطة لم تكن معهودة فى عهد الخديو السابق .

ولقد تعجل الخديو عباس فى فصل بعض موظفى والده واستعاض عنهم برجال

(*) ورد ذكر هذا النظام فى ص (٣٢) بعنوان « نظام الرتب والنياشين والمقابلات »

قليلى الخبرة ، يميلون إلى أشياء لا يميل إليها الشعب . وهو لحداثته يتأثر ولا شك بأفكار من حوله ممن لا تتفق أعمالهم مع مصلحة مصر ، وربما كان الخديو غير عالم أن عاقبة سيرهم غير محمودة . على أنه جدير بأن نحسن الظن فيه ، ونعتقد بنبالة قصده ، فهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ولم يتوفر لديه بعد من التجربة واستقلال الرأى ما يكفى لقمع الدسائس التى تدبر عادة حول حكام الشرق . »

وتناولت جريدة المؤيد هذا التلغراف فقالت : « إن النظام الذى وضع للمقابلات واستوجب نقد مراسل التيمس . هو تحديد زمن الزيارات ، وهذا أمر ليس من المعقول إهماله . فادعاء تكدر الخواطر منه هو محض اختلاق . »

ورد على اتهام رجال السراى بما مضمونه : « إن هؤلاء الموظفين ، لا يأتون عملا إلا بعد موافقة الخديو عليه . وأنه قد اشتهر فى هذا العهد ، أن رجال المعية لا يجسر أحدهم على الحديث فى حضرة الخديو إلا فيما يختص بوظيفته . أما ما يختص بمسألة فصل الموظفين ، فقد أبقى سموه من موظفى والده نخبة صالحة . وكان فى جميع هذه التصرفات مستقل الرأى . »

وقد كتبت جريدة « الأجبشيان جازيت » الانجليزية تفند مزاعم التيمس أيضاً فقالت : « إن تلغراف التيمس صار موضوع اهتمام كثير من الصحفيين ومحل نظر فى الدوائر العالية . »

« يتكلم مكاتب التيمس بألفاظ خرج بها عن حد الأدب ؛ ونحن نجهل ما هو الباعث على ذلك . ولكن للحكم على ذلك بتجاربنا فيما يتعلق بالسراى الخديوية التى هى أكثر من تجربة المكاتب ، نقول إنه لم يقع تحت أنظارنا إلا أن الخديو عامل على رضاء شعبه ومحبته ، ومتمتع بهما كما كان والده ، ولا نريد أن ننتقد شيئاً على الخديو السابق ، حين نقول إنه لطيبته التى لا حد لها قد تراخى فى أمر المقابلات . فاذا كان الخديو الحالى قد أوجد نظاماً محكما لمنع هذا التراخى ، فذلك أمر طبيعى ، ولا نرى مبرراً للصحف أن تنتقد نظاماً خاصاً بصاحب السراى يطبقه على نفسه وفى بيته ، وما يحتويه الحديث من تهكم بحداثة سموه فى غير موضعه ؛ لأن الخديو على حداثته يقوم بأعباء المهمة الكبرى الملقاة على عاتقه خير قيام . ونحن لا نخفى إعجابنا بالفتوة النشيطة التى تستطيع أن تنهض بالأعباء وما أتعس الأرض التى يعهد بنظارتها للشيوخ فقط ! »

سنة ١٨٩٣

اقالة النظارة الفهمية واعتراض الانجليز حل المشكل . نظارة رياض باشا . تأييد الشعب لموقف الخديو . صدى الأزمة فى تركيا وانجلترا وفرنسا . زيادة قوة الاحتلال . حديث الخديو عن سياسته . أحاديث بعض كبراء المصريين . حديث لكرومر . رسالة مزارع مأجور للتيمس . نزاع بين النظار والموظفين الانجليز . محمد ماهر باشا فى وكالة نظارة الحربية . افتتاح الخط الحديدى بين أسيوط وجرجا . افتتاح الخديو لكوبرى طلخا وسفره لمصيف . حالة التعليم فى مصر . زيارة الخديو للسلطانه . استقبال الخليفة له وحفلة الهرائة بيشانه الامتياز المرصع . حفلات ومآدب وزيارات . اختفاء اسماعيل بحفيده . لامبا السلطانه للخديو . لقاء عباس بالسيد جمال الدين الأفغانى . حفلة الوداع والعود الى مصر . شئون مختلفة ملاحظة الخديو على سلوك الضباط الانجليز . افتتاح الخط الحديدى بين الاسماعيلية وبور سعيد .

اقالة النظارة الفهمية واعتراض الانجليز . كان الخديو يعلم عن مصطفى فهمى باشا استسلامه للسياسة الانجليزية ، وكان يسوءه أن يكون رئيس نظاره أداة فى يد الانجليز ، فانتهز فرصة إصابته فى أواخر ديسمبر سنة ١٨٩٢ بمرض خطر فى الرئتين وتحدث مع نخرى باشا وتيجران باشا ومظلوم باشا ودومرتينو باشا ومحمود شكرى باشا ورولييه بك فرادى ومجتمعين ، فاستقر الرأى على تغيير النظارة الفهمية وترشيح تيجران باشا رئيساً للنظارة الجديدة . وأبلغ اللورد كرومر بهذا الترشيح فلم يقره لأن

تيجران باشا مسيحى ويجب أن يكون رئيس النظار مسلماً . فاستخلص الخديو من ذلك أنه يستطيع اختيار رئيس نظاره من المسلمين حراً دون استشارة العميد الانجليزى ، ورأى أنه يستطيع بذلك أن يسن سنة جديدة غير سنة والده الذى كانت تكتنفه ظروف أخرى فى علاقاته مع الانجليز ، وخضوعه لهم لأنهم عاونوه فى توطيد عرشه . أما هو فلم يكن مديناً لهم بشىء وكان جلوسه على عرش أبيه تطبيقاً لفرمان الوراثة .

وعلى ذلك أرسل الخديو محمود شكرى باشا إلى مصطفى فهمى باشا ليطلب منه الاستقالة نظراً لاعتلال صحته . فأجابه بأن الأوفق لسموه أن يستشير اللورد كرومر قبل أن يقرر أمراً نهائياً . فرد الخديو بأن أرسل إليه فى ١٥ يناير كتاباً باقالته ؛ وفيه أن جنابه يعطف على دولته وأنه مراعاة لحالته الصحية ، اقتضت الارادة السامية إراحته من أعباء النظارة مع الشكر على سابق خدماته . وفى الوقت نفسه أرسل الخديو سكرتيره العام مسيو روليه إلى اللورد كرومر يبلغه بأنه أقال فهمى باشا وعين مكانه حسين فخرى باشا ومعه مظلوم باشا وبطرس غالى باشا وتيجران باشا ومحمد زكى باشا ويوسف شهدى باشا . فهز اللورد رأسه وأجاب بأنه سيتوجه لمقابلة الخديو .



مصطفى فهمى باشا



حسين فخرى باشا

معارضة الانجليز: وقد كبر ذلك على الانجليز الذين كانوا مستأثرين بجميع السلطة تقريباً قبل عهد عباس ، ورأوا أنهم إذا تركوا الخديو الشاب فى طريقه فقد ينتهى ذلك بضياع نفوذهم. ولذا ما كاد اللورد كرومر يعلم بالخبر حتى أبرق إلى وزير الخارجية يبلغه الخبر ، وبأن النظارة الجديدة شكلت دون رأيه . ثم جاء إلى السراى فى اليوم التالى وأبدى لسموه اعتراضاته على الخطة التى جرى عليها فى التغيير ، فأجابه الخديو بأنه يصعب عليه العدول عن قراره ، ولكنه وعد اللورد بناء على طلبه بأن تعيين النظارة الجديدة لن ينشر فى الجريدة الرسمية إلا بعد أن يمر الوقت الكافى لمفاوضته مع اللورد روزبرى وزير الخارجية . ولقد بر الخديو بوعده ولكنه سمح للنظار الجدد بأن يذهبوا لنظاراتهم ويباشروا أعمالهم . وقد أمر اللورد كرومر الموظفين الانجليز بألا يعترفوا بالنظار حتى يسمح لهم بذلك. فكان لهذا الأمر وقع سيء لدى الخديو وأنصاره .

وفى صباح يوم ١٧ يناير ، عرض اللورد كرومر على الخديو صورة برقية وردت إليه من اللورد روزبرى وفيها يقول : « إن الحكومة الانجليزية تنتظر أن يؤخذ رأيها فى المسائل الخطيرة مثل مسألة تغيير النظار ، وأنه فى الوقت الحاضر لا تبدو أية ضرورة للتغيير ، لذلك لا تستطيع الحكومة الانجليزية أن توافق على تعيين حسين فخرى باشا . » وتزيد البرقية على ذلك ، أنه يجب على اللورد أن يعرف الخديو بأنه إذا كان يرفض أخذ رأيه فان العاقبة تكون وخيمة عليه ، وأنه يجب على اللورد عندئذ أن يراجع حكومة جلالة الملكة لتلقى تعليماتها . فرد الخديو بأنه يرى تنازله عن العرش أهون عليه من إرجاع مصطفى فهمى باشا . ثم قال كرومر للخديو : إنه ليس من الانصاف أن يلح عليه بالجواب حالا . وأنه سيعود فى اليوم التالى للوقوف على رأيه . وترك له صورة البرقية .

وبعد ذلك تشرف بمقابلة الخديو رياض باشا ونوبار باشا كل على انفراد ، ثم قابل سموه قناصل الدول الجنرالية .

حل المشكل . وفى عصر ذلك اليوم ذهب بطرس غالى باشا وتيجران باشا إلى اللورد كرومر محاولين الوصول إلى التفاهم تمهيداً لزيارة اللورد للخديو فى اليوم التالى ، فحصل الاتفاق على ما يأتى : ألا يعود مصطفى فهمى باشا إلى منصبه كطلب الخديو وأن يستقيل حسين فخرى باشا حالا كطلب كرومر ، وأن يعين رياض باشا رئيساً للنظار وأن الخديو يقدم للورد كرومر بلاغاً رسمياً — وضع صيغته اللورد نفسه —

وبمناسبة حملات الصحف الانجليزية على الخديو وإقالة النظارة الفهمية نشرت بعض الصحف الأجنبية صوراً رمزية ، كاريكاتورية ، نورد منها مثالين :—



جون بول يحاول أن يلعب بعباس ولكنه يقول :
إن هذه اللعبة ليست مسلية دائما
« نقلا عن الشاريفارى الباريسية فى ٥ فبراير سنة ١٨٩٣ »



جون بول يؤدب عباساً والسلطان يرفع يديه إلى السماء مستغيثاً
والملكة تنظر إلى جون بول مصفقة وضاحكة
« نقلا عن مجلة هولندية فى ٢٢ يناير سنة ١٨٩٣ »

يقول فيه إنه يرغب رغبة شديدة فى أن يوجه عنايته لايجاد أصـــدق العلاقات الودية مع انجلترا . وأنه يسير بكل رضاء بموجب نصيحة الحكومة الانجليزية فى كل المسائل الهامة فى المستقبل .

وفى يوم ١٨ منه زار اللورد الخديو لأخذ الرد ، فكان حسب الاتفاق السابق ، وهكذا انتهت الأزمة بطريق التراضى والتساهل بين الجانبين .



بطرس غالى باشا

وكان هـذا الحل مرضيا لفرنسا نظراً لابعاد مصطفى فهمى باشا الذى كان يعمل ضد نفوذها ، ومرضيا لكرومر لابعاد نخرى باشا الذى كان يظن أنه مؤيد لنفوذ فرنسا ومرضيا أيضا لعباس حيث نفـذ رغبته فى ابعاد مصطفى فهمى باشا .

وعقب هذه الحادثة طلب كرومر إلى الخديو رفت روليه نظراً لاعتقاده أن له يداً فى تحريض سموه ، فلم يجب الى طلبـه ، ولكن تم الاتفاق على أن يمنح روليه إجازة يعود بعدها الى منصبه ولا يتدخل مطلقاً فى الشئون السياسية .

نظارة رياض باشا . وقد تشرف رياض بعـد ذلك بمقابلة الخديو ، فأخبره سموه بموافقة اللورد كرومر على الحل المتفق عليه . وكان نخرى باشا قد قدم استقالته .

واجتمع الخديو بعد خروج رياض باشا برؤساء المعية وتداولوا فى صيغة الأمر الذى يرسل لرياض ، فاتفقوا على النص الآتى : « بناء على ما اتصفتم به من الغيرة والاخلاص ، قد عهدنا اليـكم بتشكيل هيئة النظارة . وكونوا واثقين بأنه يمكنكم فى كافة الأحوال أن تعتمدوا على تعضيدنا ومساعدتنا لكم . » وأرسل اليه الأمر وشكلت النظارة فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٣ .

تذمر كرومر من رياض باشا : وما لبث اللورد كرومر أن تذمر من اجراءات رئيس النظار الجديد ؛ لأنه منع السير جون سكوت وغيره من الموظفين الانجليز من حضور جلسات مجلس النظار ، وغير ذلك من الاجراءات .

تأييد الشعب لموقف الخديو . وبالرغم من أن المشكل قد انتهى ، فان الخديو قد تأثر بهذه الصدمة تأثرا عميقا لاسيما وأن الأمر قد انتهى على غير ما كان يود ؛ إذ تقرر ما يشبه أن يكون مبدأ فى قبول مشورة الانجليز فى المسائل الخطيرة ، أو على الأقل وجوب استشارتهم . وانما كان يخفف وقع هذا الأمر على نفس الخديو أن الشعب برهن تماماً على تأييده لسموه ، وعلى يقظة الروح الوطنى فيه واستعداده لمناصرة أميره فى الدفاع عن حقوق الوطن . فما كاد يشرق صباح يوم ١٨ يناير ، حتى أقبلت الوفود على السراى من جميع الطبقات يتقدمها البرنسات ورجال الأديان وأعضاء مجلس شورى القوانين ووفود المديريات ، وألقيت الخطب الدالة على اعجاب الشعب جميعه بشجاعة أميره وتأييده التام لموقفه الحازم . ثم قدم إلى السراى عدد كبير من رجال المحاكم الأهلية ، فتشرفوا بمقابلة الخديو لشكره على موقفه المشرف . فرد عليهم سموه بأنه انما يدافع عن الحقوق الشرعية للبلاد لا غيرة لشخصه . وعندئذ تعالى الهتاف والدعاء بحياته . وظلت الوفود تتقاطر على السراى وتموج بهم ساحتها حتى عصر ذلك اليوم ووردت على الخديو مئات البرقيات من مختلف أنحاء القطر بالتهنئة والتأييد .

مظاهرة وطنية : وبدأ الروح الوطنى يسرى فى الشباب بقوة . وكان من أثر ذلك أن هاجم فريق من الشبان على رأسهم مصطفى كامل الطالب بالحقوق ادارة جريدة المقطم لموقفها العدائى من الروح الوطنى الذى يبثه الخديو .

الخديو فى الأوبرا : فى يوم ٢١ يناير ، توجه الخديو لمشاهدة تمثيل رواية « عائدة » بالأوبرا . وعندما وصل إلى اللوج الخاص ، صدحت الموسيقى بالسلام الخديوى ، وهتفت الأصوات بالدعاء . فقام الناس اجلالا لمقدمه وصفقوا تعظيما ، فاجابتهم الموسيقى بالسلام الخديوى وتكرر ذلك التصفيق والسلام مثنى وثلاث ورباع ، وكلما عزفت الموسيقى زاد هتافهم وتصفيقهم طلباً لاعادة السلام . ولم تزل الحال كذلك حتى أشار سموه لهم بالجلوس بعد أن جلس وعن يساره رياض باشا .

ونذكر بهذه المناسبة أن الحكومة اتخذت بعض الاحتياطات خوفا من حدوث القلاقل ، ونبه على الجنود الانجليزية أن تكون على قدم الاستعداد ، وأرسل بعض مكاتبى الصحف إلى صحفهم بوجود هياج فى مصر أثارته سياسة الخديو العدائية .

صدى الأزمة فى تركيا وانجلترا وفرنسا . وقد كان لهذه الأزمة ، صداها العظيم فى تركيا وانجلترا وفرنسا وحملت الصحف الانجليزية حملة شعواء على الخديو

صداها فى تركيا : وقد علمنا فى السراى من الغازى مختار باشا ، أن الباب العالى أبلغ رستم باشا ، سفير الدولية العلية فى لندن ، تعليمات واضحة عما حدث فى مصر من اللورد كرومر ضد سلطة الخديو ، وطلب منه سؤال اللورد روزبرى رسمياً عن أعمال هذا الوكيل فى مصر ، والتصريح له بأن التعرض لذات الخديو تعرض لذات جلالة السلطان المعظم ، وأن جلالته يعتبر التأثير على عباس تأثيراً على شخصه الكريم . فأجابه اللورد روزبرى أن اللورد كرومر لم يقصد بعمله أن يعتدى على الحقوق الخديوية ، فأنه يعتبر تعيين رياض باشا فى مسند النظارة حلا نهائياً . وقد أبلغ السفير هذا الجواب للباب العالى .

حملة الصحف الانجليزية على الخديو : وقامت الصحف الانجليزية بحملة ضده بسبب هذا الحادث . وكان اللورد كرومر كلما حدث حادث مهم ، يقوم بأخطار وزير الخارجية وفى الوقت نفسه يبلغه الى مكاتبى التيمس والديلى نيوز فتنشرانه قبل أى مصدر آخر . وقد قالت التيمس : « إن عباساً صغير السن وتنقصه أشياء كثيرة يلزمه تعليمها ، وقد أساء اختيار الطريق الذى يوصله الى الاستقلال الذى يرغب فيه ، فقد غاب عنه أن الانجليز هم وحدهم الذين يستطيعون تأييد عرشه ، والوقت يسمح له الآن بالخروج من هذا المأزق دون أن يمسه أذى لا يمكنه تحمله طويلا » .

وقالت السان جيمس جازت : إن الخديو الجديد يظهر الرغبة فى حكم مصر فعلا باسمه ، وتعتبره كطفل خرج من المدرسة ، ولولا دفع الدسائس الفرنسية له لترك هذا السفه ، ثم توعدت شخصه من طرف خفى .

وقالت الديلى تلغراف إن عباساً شاب تركى احتك قليلا بالمدنية التى اكتسبها من دراسته فى فينا . واتفقت الصحف الانجليزية على معاملة هذا الطفل بالكرباج كما يعامل ابناء العامة !!

وقالت البال مال جازيت : إن انجلترا قد نظمت مصر ولا تسمح بالعبث فى ادارتها من جراء اتباع عباس آراء المتملقين ، وخطة انكلترا واضحة فى تلغرافات جرانفل سنة ١٨٨٤ .

أما جريدة الأيكو ، فأنها تظن أن الذى دفع سموه الى هذا العمل هى فرنسا وروسيا وتركيا . فما على انجلترا إلا قبول هذه الحالة بأخلاص ، دليلا على حسن نيتها ، وتخير الخديو بأنه ما دام يعتقد أن لا حاجة لمساعدتها ، فما عليه إلا أن يعمل بشرط

أن لا يدخل دولة أجنبية فى عمله . وهذه هى الخطة الواجبة وتعتبر انتصاراً لانجلترا .

وجاء فى مقالة للمورننج پوست : « إن معاكسة انجلترا للخديو فى انتخاب من يريد من النظار . ليست تراها الحكومة الأنجليزية إلا إذا كان اختيار مثل حسين فخرى باشا رئيساً لمجلس النظار . يؤدى الى أن يتخذ آلة فى أيدى الذين يسعون جهدهم فى هدم النفوذ البريطانى بمصر » .

وقالت جريدة الجلوب : « ليس للخديو عذر فى إقالة نظاره السابقين ، لأن أعمالهم تشهد لهم باستقامتهم وحسن ادارتهم فى جميع المصالح ، وتمتعهم بثقة المصريين والنزلاء ، ما عدا الفرنسويين والروسيين . ثم انهم ليسوا ممن فسدت ضمائرهم وذممهم بالرشوة ، وبناء على ذلك فطموح عباس باشا إلى التخلص منهم ، ليس إلا لكونهم اعترفوا بما لرجال الانجليز من الحق فى الاشارة على الحكومة المصرية ، بما يجب عليها أن تتوخاه فى أعمالها المهمة . وربما قام بمخيلته أن مصر حصلت على التقدم المرغوب ، والنجاح الذى يخوله حق الحكم فيها كأمير مستقل ، وعندئذ يفتح عليها أبواب جهنم الظلم والاعتساف ، كما حاول ذلك جده الأسبق اسماعيل باشا ، الذى كان يطمح إلى الاستقلال بتحريض الأجانب الذين تنظر دولهم إلى سيادة النفوذ البريطانى فى مصر بعين الحسد والحقد » .

وقالت جريدة استاندارد : « إنها لا تستطيع أن تفهم كيف سوغ الخديو لنفسه فى لحظة واحدة ، أن يظهر ما أظهره من الجهد للتخلص من ضغط النفوذ الانجليزى .

وكتبت جريدة الاجبسيان جازيت التى تصدر فى مصر مقالا طويلا حشته بالطعن على المصريين ووصفتهم بأنهم لا يقمعون إلا بالشدة والعصا . وأنهم قوم ناكرون لجميل انجلترا عليهم . ثم عرضت للشادة الآخيرة فقالت : « إن الخديو مدفوع من مشيرين له قد ضلوا سواء السبيل ، ولو أحسنوا معه صنعا لما أثاروا هذا المشكل . وأن الخديو إذا كان يريد أن يكون موضع احترام رجال انجلترا ، فيجب ألا يفعل ما يمس كرامة نائب جلالة الملكة فى الديار المصرية ، كما أراد ذلك بالحادثة الأخيرة ، لأنه إذا كان له الحق فى إقالة ناظر لا يرتاح اليه ، فليس له الحق فى إقامة غيره وعلى الخصوص إذا كان مثل فخرى باشا عدواً للاصلاحات الانجليزية » .

وقالت التيمس بعد انتهاء الحادث : « ان من العدل الاعتراف بفضل الجناب الخديو لاسراعه بالاقرار بخطئه ، وقد برهن باعتذاراته الصريحة على قوة ارادة ومضاء

عزيمة وشهامة ، وهى خصال حميدة لم يعرف بها إلا اليوم وسوف تنفعه فى مستقبل حكمه . وكان من البديهى أنه لو طلب الى اللورد كرومر أن يتغاضى عن المعارضة فى سقوط النظارة وعن الالحاح فى ارجاع رئيس النظار ، لأجابه الى هذا الطلب رغبة منه فى ألا يخجله على شرط أن يتمسك اللورد كرومر بالسلطة والقوة اللتين خولتهما له وزارة تعرف كيف تقدر كفاءته » .

وتكلمت عن رياض باشا بما ملخصه : أنه وان يكن استقال فى سنة ١٨٩١ بناء على معارضته لمشروع الاصلاح القضائى الذى اقترحه مستر سكوت ، ولكن لم يبد منه ما يفيد العداء للانجليز . وأن المنتظر منه أن يقدر خدمات انجلترا لمصر ويسمع مشورتهم فى الاصلاح .

وكتبت جريدة سان جيمس جازيت : « إن احتلالنا لمصر قد كلل بالنجاح فى السنين الست الأخيرة ، وذلك لأن المغفور له الخديو توفيق باشا كان خاضعاً تمام الخضوع لنفوذ اللورد كرومر (بارنج فى ذاك الوقت) ولمستشاريه الانجليز ، وعدم حدوث أى قلق فى هذه الأثناء ، كان ناشئا عن اعتقاده بأن الأولى به هو قبول نصائح اللورد بلا معارضة . والذى ظهر لنا اليوم أن الخديو عباس باشا لا يرغب فى اقتفاء أثر أبيه ، أملا منه فى التخلص من النفوذ الانجليزى ، وهو معذور فى ذلك لأنه لم يقم فى عهده رجل مثل عرابى » .



محمد طاهر بك

ولقد دهشنا في السراى لجرأة هذه الجريدة وسفاهتها . ولم يفت جريدة المؤيد أن ترد عليها رداً شديد اللهجة .

ونظراً لخطورة هذا الحادث ، فقد عنينا بما كتبته الصحف عنه ولاسيما الانجليزية ، وكلفت محمد طاهر بك — المترجم الانجليزى القدير — بجمع ما كتب لعرضه على أنظار الخديو حسب رغبته .

بين فرنسا وانجلترا : طلب النائب مسيو دولونكل فى مجلس النواب الفرنسى من وزير الخارجية ، بعض معلومات عن مصر ؛ فأجاب بأنه كلف السفير الفرنسى فى لندره بأن يطلب إيضاحات من اللورد روزبرى ، وأن يعرفه بخطأ انجلترا ، إذا ظنت أن الرأى العام فى فرنسا والحكومة ينسيان مسألة مصر ، ويغضان الطرف عنها أو عن موقفها . فاذا كان الخديو الشاب أخطأ فلا يصح أن يقع الأذى على مصر من ذلك . وأشار إلى أنه يشك فى أن الأخطاء التى حصلت فى الحوادث الأخيرة يعزى أهمها إلى عباس ، وأُرسلت مذكرة إلى وادنجتون سفير فرنسا فى لندره ، سلمها إلى اللورد روزبرى ، يحتج فيها على التعدى على حرية عباس بالانذار الذى قدمه كرومر لسموه . وفى الكتاب الأزرق تلغراف من اللورد روزبرى إلى اللورد دوفرين السفير الانجليزى بباريس ملخصه أن وادنجتون سأله عن أسباب تغيير النظارة ، فرد عليه بأنه لا يمكنه أن يعطيه معلومات أكثر مما نشرته الجرائد ، ما عدا احتجاجه على تعيين رئيس النظارة الجديدة ، فأجابه وادنجتون بأن عملكم هذا يظهر منه أنكم تطلبون حق تعيين رئيس النظار ، وهذا يفهم منه أن مصر تحت الحماية . فرد عليه روزبرى بأن هذه ليست الطريق التى يرغب استعمالها فى هذه المسألة ، غير أنه يطلب حق إعطاء رأى الحكومة الانجليزية النافذ فى تعيين رئيس النظار ، كما جاء بتلغراف جرانفل بتاريخ ٤ يناير سنة ١٨٨٢ . وما دامت الراية الانجليزية تخفق على مصر والجنود الانجليزية تحتلها ، لا نوافق على أن ادارتها التى ابتدأناها تنقلب رأساً على عقب ، من جراء أهواء الخديو . وأن الموقف



اللورد جرانفل (١)

(١) وضعت صورة السر جرانفل باشا السردار بالجزء الأول (ص١٢٦) خطأ باسم سميه وزير الخارجية الموجودة صورته هنا .

طبعا خطر ، ولى أمل فى أن عباساً يرجع إلى ادراك الحالة بروية أكثر حتى لا نضطر الى أن نتخذ تدابير أخرى . فقال وادنجتون : « ان الخديو اندفع فى عمله لما علم بأن كرومر قد أكد لفهمى باشا بأنه سيؤيده حتى ضد عباس الذى هو سيده » فأجابه روزبرى بأنه لا يعلم شيئاً عن ذلك ، وربما كانت هذه مبالغة من بعض رجال الحاشية .

أقوال الجرائد الفرنسية : حملت الصحف الفرنسية على موقف انجلترا فى مسألة تغيير النظارة الفهمية ، فنشرت الديبا والطان والجورنال والفيجارو والجلوا وغيرها من أمهات الصحف الفرنسية ، فصولا تبدى سخطها فيها على الخطط الانجليزية فى مصر نذكر منها ما جاء فى جريدة الميموريال ديبلوماتيك بعنوان « الأزمة فى مصر » : « إن من شأن الحوادث الأخيرة التى كانت مصر مسرحا لها ، أن تخفض من صلف الدولة البريطانية وكبريائها ، وتكسر من زهوها وعجبها ، لأنها تدل دلالة صريحة ، على ثبات جأش الخديو ، واخلاص رعاياه الأمناء له . وقد برهن للملأ بابداء هذه العواطف الجليلة على صدق وطنيته ، ورغبته فى نبذ ما تحاول الدولة المحتلة أن تشمله به من الرعاية الثقيلة ، الأمر الذى أفضى بهذه الدولة إلى التغيظ والحقد » .

وقالت جريدة الايكو دوريان ان عباساً يعمل فى دائرة حقوقه الشرعية ولا يلام على ذلك .

رأى بعض الفرنسيين فى الحالة : دارت بينى وبين بعض أصدقائى فى فرنسا رسائل خصوصية ، كان مدارها حالة مصر ورأى الفرنسيين فيها .

من ذلك رسالة وردت لى فى ٢٤ يناير من مسيو فرّان زميلى السابق فى مدرسة العلوم السياسية جاء فيها : « يهمنى أن أقف على رأيك فيما يتعلق بحالة مصر التى يلوح لى أنها مضطربة ، فأنا لا أعرف عنها إلا ما تنقله الينا الصحف الانجليزية أو الفرنسية ، وهو ما لا يروى الغليل فيما أظن . أما الصحف الانجليزية فالغضب يتجلى فى لهجتها على أتمه ، ولا سيما الديلى نيوز والديلى تلغراف والتيمس ، وفى اعتبارها أن الخديو طفل لا يدرى ما يفعل ، وأنه يخلق المشكلات لنفسه لأنه لا يدرك الحالة الخ . وفى اعتقادى أن الخديو عباس مع أنه لا يزال شابا ، يعرف ماذا يعمل مستنداً إلى آراء مشيريه السديدة ، وربما كنت أدرى منى بالحالة ، ولذلك أرجو أن توافينى برأيك .

والذى أراه هو أنه لابد للخديو أن يتذرع فى أعماله بالفطنة والحذر وشدة

المراس والشجاعة ، ومن الضرورى أن لا تقع اضطرابات وقلاقل فى مصر ، لئلا تتوسل انجلترا بذلك إلى إطالة احتلالها . ويجب أن تشعر أوروبا بأن مصر — وعلى رأسها الخديو — غير راضية عن الحالة الحاضرة ، ولكن من غير أن تتخذ القلاقل سبيلا لابداء شعورها .

وما يقال بالاجمال عن الخديو إن لديه القوة الكافية — لأنه ما دامت مصر هادئة ساكنة وما دام هو نفسه ملتزماً لحدود سلطته الشرعية — فلا فرنسا ولا روسيا تسلم لانجلترا بخلعه عن كرسيه ، وهذا من الأمور المتفق عليها بين هاتين الدولتين .

وأنت تعلم انى أعرف المسيو دوفيل وزير الخارجية الحالى ، فهو صديق حميم لأحد اصدقائى الذى قد أكون ذكرته لكم يوماً ما ، وهو « اودريتيه » ، وقد اجتمعنا عنده ، فهو ضعيف بليد ولكنه قد يكون صلبا شديد المراس لو عرضت له مسألة خطيرة هامة ، ومن المؤكد ان الخديو الحالى عباس محبوب فى فرنسا ، فاذا جاء اليوم إلى باريس فقد يستقبل بحفاوة كبيرة » .

فرددت عليه برسالة جاء فيها : « أما فيما يتعلق بالسياسة ، فأول ما أقوله لك هو ان الشعب المصرى مدين كثيراً لأمتكم بما أسدته اليه من المعروف فى دفاعها المجيد عن قضيته . نعم ان حكومتكم أظهرت شيئاً من الفتور ، ولكن الصحافة الفرنسية — وفى مقدمتها جريدة الديبا — أسدت الينا خدمة جليلة .

واذا شئت أن تقف على نتائج أزمتنا الأخيرة فاليك بيانها :

١ — لقد أدرك الانجليز الآن أن الواقف أمامهم فى مصر ليس طفلا كما كانوا يزعمون ، بل هو رجل ذو إرادة من حديد يفضل التخلى عن عرشه على التخلى عن حقوقه .

٢ — انهم بأعمالهم الفظة التى تضرب بها الأمثال ، أيقظوا الرأى العام بعد أن كان فى درجة من الخمول أدت بهم الى أن ينكروا وجوده .

٣ — انهم بتجاوزهم كل حد فى مطالبتهم ، زادوا المصريين كرهاً للاحتلال الانجليزى .

٤ — لقد بلغ من غطرستهم أن الخديو أصبح محبوباً الى درجة عظيمة .

٥ — لم يعد فى امكانهم أن يخدعوا أوروبا ، بزعمهم أننا نخضع للنير الانجليزى مختارين راضين به ومرتاحين اليه .

لقد كانت الأزمة النظارية موضع التأييد للأمير من جميع أفراد الشعب ؛ وقد زاد هذا التأييد قوة رحلته الى الوجه القبلى ، فقد لقى عباس فى هذه الرحلة ما لا مزيد عليه من الحفاوة والترحيب ، وبلغ من تحمس الشعب ، أنه أصبح فى حالة من الذهول لم يعد يدرى معها كيف يعبر عن شكره وامتنانه لمن دافع عن قضيته دفاعاً تجلت فيه الشجاعة وصدق الوطنية بأجلى المظاهر . وقد أقيمت أقواس النصر فى كل مكان ، وشملت الزينات كل بقعة وتلألأت الأنوار الباهرة فى كل طريق مرّ فيه موكب سموه . وقد حدث فى أثناء هذه الرحلة ، أنه لما زار سمو الخديو مدارس الحكومة وكان مصحوباً ببعض كبار الانجليز ، أملى أستاذ من أساتذتها على أحد التلاميذ هذه الجملة بالافرنسية: (أيها الشعب المصرى ، إن الواجب المفروض عليك هو أن تضحى بنفسك لأجل وطنك وأميرك) ولا غرو فبمثل هذا المبدأ نسترجع ما فقدناه على رغم الانجليز . أليس كذلك ؟ علينا أن نعمل فى هذا السبيل بسكينة متذرعين بالفطنة والحذر والحكمة ، جرياً على الخطة التى انتهجناها فى المدة الأخيرة ، والانجليز ينظرون الينا خائفين . فاستقلال مصر يتوقف علينا أكثر مما يتوقف على سوانا . إن الله أقام لنا أميراً رابط الجأش صادق الوطنية ، فما علينا إلا أن نحذو حذوه وننسج على منواله ، وإنه لمن بواعث الفخر لى ، أن أكون قد قمت بالواجب المفروض علىّ فى الظروف الحرجة التى كانت تحيط بنا » .

وفى ١٦ فبراير جاءتنى رسالة من المسيو بوكار ، أحد وكلاء رئيس مجلس إدارة شركة قناة السويس ، وقد جاء بها : ان المسيو ابيل بيرتون رئيس تحرير جريدة استافيت الفرنسوية ، يقبل أن ينشر فى جريدته ما تبعثون به اليه من الرسائل عن شئون مصر .

اعلم جيداً ، ان الحالة فى فرنسا تتلخص فيما يأتى :

١ — نحن آسفون على موقف الحياد الذى وقفناه وأدى الى وقوعكم بيد انجلترا ، ومع اننا نريد أن نصلح الخطأ فالى الآن لم يستقر الرأى على بذل المساعى الجدية فى هذا السبيل .

٢ — ليست الحكومة هنا هى التى تدير الدفة ، بل الناخبون هم الذين يملون على الحكومة ما يجب أن تفعله .

٣ — الرأى العام لم يكن معكم فى عهد الخديو السابق ، لأنه لم يعمل شيئاً لمصلحة فرنسا ، وخضع لسلطان الانجليز كل الخضوع .

٤ — ان جلوس الخديو الجديد قوبل أولا بتردد .

٥ — لقد تنبه الرأى العام لابسعى المأجورين كما اعتقدتم تصديقاً لمزاعمهم ، بل بفضل المجهودات التى بذلها بعض افراد نزهاء رغبة منهم فى تشجيع الأميرفى أول مرحلة من مراحل حكمه ، مدفوعين الى ذلك بما سمعوا عن حسن خلقه وطيب سريرته .

إن مابيننا من صلات المودة ، قد أوجد لكم أعواناً صادقين مجردين عن الهوى ، وهؤلاء الأعوان أقدموا على العمل بأسلوب خاص نبه الأفكار الى مصلحة فرنسا فى مصر .

٦ — ينبغى لكم ان تذيعوا هذه البيانات على الجمهور ، ولكن بكل تأن وفى ظروف وأحوال مخصوصة ، ومتى أصبح الجمهور فى جانبكم يمكنكم أن تعتمدوا على المساعدة الفعلية من جانب الحكومة .

٧ — أما قبل ذلك فلتكن المظاهرات معتدلة ، واجتنبوا الوقوع فى مشكلات مع المحتلين ، ولا تثقوا إلا بالأصدقاء الحقيقيين المتصفين بالغيرة والفطنة .

زيادة قوة الاحتلال . كتبت جريدة الديلى كرونيكل : انها كانت تؤمل قرب ساعة الجلاء عن مصر ، وان سنة ١٨٩٣ لن تنقضى إلا ويكون قد بارح مصر معظم الجنود الانجليزية . ولكن العمل القاسى الذى أتى به الخديو أجّل اكثر مما يعجل سفر الفرق الثلاث البيادة والفرقة الخيالة القليلة العدد وباقى الجنود الذين لم يكن بقاؤهم بمصر إلا ضرباً من ضروب الاحتياط والحذر .

وعلى ذكر قول هذه الجريدة عن الجيش الانجليزى ، نذكر أن حكومة انجلترا أعلنت بعد الأزمة انها تنوى زيادة عدد الجيش المحتل ثم زادته فعلا ، وذلك تعزيزاً لموقف كرومر !

وقد أرسل المستر جلادستون منشوراً الى الدول يعلمها بأن زيادة قوة جيش الاحتلال لايقصد منها الى تغيير فى خطة انجلترا نحو مصر ولا فى وعودها بالجلاء .

فردت فرنسا ، بأن ماجاء فى المنشور ليس كافياً لأيضاح أسباب زيادة هذه القوة . فأجاب وزير خارجية انجلترا ، بان ذلك يرجع الى أن انجلترا سحبت فى السنوات

الأخيرة قسما من جيش الاحتلال ، غير أنها وجدت أن الباقى ليس كافياً لحماية الأجانب ، أو لصد ثورة محتمل وقوعها ضد الرعايا الانجليز .

ونشرت جريدة الطان ، بأن الجنود الانجليزية التى حضرت لمصر أبلغت قوة الاحتلال ستة آلاف ، وهذه الزيادة لا محل لها ، ولكنها ترضية لشخص كرومر ، لأن البلاد هادئة وليس ثمة تعصب دينى ، والموظفون الانجليز فى الأرياف آمنون مطمئنون ، والصلات الودية بين كرومر وعباس عادت إلى ما كانت عليه قبل الحادثة الأخيرة .

حديث الخديو عن سياسته . فى ٢ مارس ، تشرف صحفى انجليزى كان بمصر بالمثول بين يدى الخديو ، ومكثا يتحدثان مدة ، وأرسل حديثه إلى جريدة وستمنستر جازيت وهذا نصه : « بدأنا الحديث ببساطة فى مواضع عمومية متفرقة ، وكان جنابه العالى يتكلم بالانجليزية بالتأنى مع الضبط والصراحة فى عباراته بقليل جداً من الغلط فى النطق ، فتحادثنا زهاء عشر دقائق ، ثم تخلصنا إلى الكلام عن انجلترا من غير أن نشعر بذلك ، فسألت : هل ذهبتم سموكم إلى بلاد الانجليز ؟ فقال : نعم ولكن كنت حينذاك صغيراً . فقلت : هل هذه البلاد قد أثرت تأثيراً رديئاً فى ذهن سموكم ، كما نشرت ذلك إحدى الصحف الانجليزية ؟ فهز رأسه وأجاب : لعمرى إنها لم تؤثر فى ذهنى شيئا إلا كما تؤثر فى ذهن طفل صغير السن . نعم إنى رأيت ببلاد الانجليز أشياء كثيرة لكنها مرت أمامى مرّ الخيال . وقد ابتدأت باختبار الأمور فى مصر ، منذ سنة واحدة ، وفى طريق مصاعب عديدة . ولكننى أحب الوقوف على كل الأشياء والاصغاء إلى الجميع ، وإنى أقدر للانجليز ما أجروه فى القطر من الاعمال . ولا صحة لما أشيع عنى من التشيع والغرض . فقلت : إذا كان الأمر كذلك فسموكم ولا شك تلتمسون العذر لبعض الانجليز الذين اضطروا ، بحكم الواجب المفروض عليهم ، أن يعارضوا فى رغائب سموكم . فأجاب ضاحكا : نعم نعم ولكنى لا أظن مع ذلك أننا عوملنا بكمال الانصاف والعدل . فقلت : أتتفضلون علىّ بأن تخبرونى لأى وجه تظنون سموكم أن انجلترا لم تعاملكم بكمال الانصاف والعدل ؟ فانه ما من انجليزى إلا وهو يريد إجراء العدالة باسم انجلترا . ففكر سموه هنيهة وعلت وجهه مظاهر الجد وقال : حسن ها أنا ذا أجيبك عن سؤالك . ان لكل مسألة وجهين كما تقولون . أليس ذلك من الأقوال السائرة عندكم ؟ ولكن يلوح لى أن فى مسألتنا هذه لا يوجد إلا وجه واحد ، فعند وقوع

حادثة هنا ، يرسل اللورد كرومر خبرها إلى اللورد روزبرى على لسان البرق ، قائلا له ان الحالة كذا وكذا فى مصر ، فينقل اللورد روزبرى ذلك الى المستر جلادستون وسائر الوزراء . فيقررون أن من الضرورى على انجلترا أن تفعل كذا وكذا فيفعلونه حالا — ثم سكت سموه برهة وعاد إلى حديثه فقال : — ثم يعود اللورد روزبرى ويقول لهم أيها السادة ان الحالة كذا وكذا فى مصر ، وقد فعلنا كذا وكذا ، فيقولون أصبت أصبت . ثم يصير تبليغ ذلك الى الصحف والأمة الانجليزية ، فيستحسنونه جميعا ويقولون انه عين الصواب . فلا يخفى عليك اننا لا نرضى بذلك لأننا نظن انهم أخذوا المسألة من وجه واحد ، وقد قلنا ان لكل مسألة وجهين . ثم أسند ظهره ضاحكا وعاد الى حديثه فقال : اعلم انى لا أعنى بذلك ان اللورد كرومر يروى الأشياء على غير حقيقتها ، بل انى أعتقد ان جنابه يسمع الأمور من الناس كما نسمع نحن أيضاً ، وقد يكون هؤلاء الناس غير صادقين فى بعض الأحيان فيما يقولونه . ثم انه ربما أخطأ ، لأن اللورد كرومر يحتمل ان يخطىء أيضاً كما أخطىء أنا . فقلت : يستحيل علىّ أن أنكر على سموكم ان ذلك ليس من الانصاف . ولكن ألم يبلغ اللورد روزبرى ولا الوزارة الانجليزية ولا مجلس النواب ولا الانجليز شىء من ذلك حتى الآن سواء أكان من قبيل الايضاح أم الدفاع عن الوجهة التى اتخذتموها سموكم ؟ فهز رأسه وقال : كيف يمكن حصول ذلك وليس لنا من ينوب عنا فى الكلام على الاطلاق ؟ فقلت : أليس لديكم فى لندره قنصل مصرى أو وكيل يكذب رسميا ما يقال عنكم غير صحيح أو يخبر الجرائد بالوجه الثانى من المسألة ؟ فقال سموه : ليس عندنا إلا قنصل الدولة العلية . وابتسم . ثم أخذ يمتدح اللورد كرومر ويثنى عليه بكلام ظهر لى انه صادر عن إخلاص ورقة . فقال : نحن المصريين مدينون للورد كرومر بكثير من الأشياء ، وقد رأيتَ رعيتى وربما عرفت ما هم متصفون به من الدعة والسكون ، ونحن شاعرون بما فعله اللورد كرومر هو والرجال الذين معه لخير البلاد ماديا ، ولا تظن انى أخاصم اللورد كرومر أو أقاومه . ولكنه يقول انه يرغب فى تدريب المصريين لأن يستقلوا فى امورهم فى أقل ما يمكن من الزمن ، فخذا هذا القول ، ولكن كيف يهيئون لذلك الاستقلال وهم غير قادرين أن يتكلموا ولا ان يفتحوا أفواههم ؟ ولعمرى انى عند ما اقرأ ذلك الكراس الذى طبعوه لمجلس نوابكم ، والذى يباع الآن فى البلاد شرقا وغرباً بأقل من قرش صاغ ، واقرأ فى صحفكم ما ينشر بها عما فعلته فى الحوادث

الماضية ، أقول فى نفسى أأنا فعلت ذلك الشر كله ؟ مع ثقتى بانى فعلت نقيضه ! فيخيل الىّ ان الامر يتعلق بشخص آخر . ثم استلقىَ ضاحكا .

وقال بعد برهة : ولكن كيف تنتهى هذه المسألة ؟ وانما لنا كمال الثقة فى الانجليز ونحن نعلم انهم سيردون مصر الينا حينما يرون انهم يستطيعون ذلك دون خطر ، وان كانوا يرون أمد الخطر أطول قليلا مما نرى نحن فلا بأس . على أننا نود لو كنا نخاطب الانجليز أنفسهم فى انجلترا فيكون ذلك أوفق لنا وأدعى لسرورنا ورضائنا ، ونود لو عرفوا عواطفنا وأميالنا ، وهذا هو الوجه الثانى من المسألة . ثم سألنى سموه فجأة : أتظن ان الانجليز يتركون مصر ؟ فقلت : أتسألوننى سموكم عن أفكارى الشخصية التى لا تحسب شيئاً والتى لا تستحق الذكر ؟ قلت هذا وشعرت بما أنا فيه من حرج الموقف إذ رأيت تغييراً عجيباً فى وجهه . فقال سموه : سألتك عما إذا كنت تظن ان الانجليز يتركون مصر . فأجبت : أما إذا سألتم عن رأيى ، فانى لا أظن انهم يتركون مصر . فلما سمع جنابه هذا منى أبرقت عيناه وعلا وجهه الاحمرار وكرر قوله : ان ذلك غير ممكن فان انجلترا قد وعدت بالجلاء عن مصر ، وشرفها مقيد بهذا الوعد . لا بد أن يكون ذلك . ثم نظر الىّ وقال : انك سمعت هذا الوعد وتكرر فى خطبة الملكة وفى خطبة مجلس النواب . ألم تقرأ ذلك ؟ فقلت : بلى . قال : ولكنك لا تصدقه وتقول إنه غير صحيح . أما أنا فلم أجب سموه بشىء عن ذلك ، بل أطرقت رأسى مليا ، وأما جنابه العالى فبقى يردد قوله : ان ذلك غير ممكن فالوعد وعد ، وانجلترا وعدت بترك مصر وهى مقيدة بوعدها . ثم عدت فتفرست فيه ولم أعلم ما الذى كان يفكر فيه وقتئذ وما الذى كان سموه يريد أن يقوله ، ولكن لعمر الحق اننى دهشت وسررت بكل ما رأيته وسمعته . ثم نظر الىّ سموه ، وقال وهو يزيد رقة وظرفاً : واننى أشكرك لأنك صرحت بما تعتقده تماماً ، وقد أصبت فى ذلك واننى احترم هذه الخلة ، ولكننى أؤمل ان تكون مخطئاً فيما تظن . وابتسم ضاحكا . ثم عدنا بعد ذلك الى الكلام فى الموضوعات العامة نحو عشر دقائق . وقد دام هذا الحديث أكثر من ساعة ، ثم وقف سموه وسرنا معاً الى الباب ، فمد يده الىّ وقال وهو يمسك بيدى : اننى أشكرك على مجيئك من حلوان الى هنا لترانى وتتحدث الىّ . فلم يمكننى ان أقول إلا كلمة : استغفرالله . ومضيت فى سبيلى » .

أقوال الديلى كرونكل : وعلقت الصحف الانجليزية على هذا الحديث ، فقالت الديلى كرونكل : « ان الخديو يستطيع أن يعتقد بأن أغلبية الشعب الانجليزى يريد

وتصمم على تنفيذ وعود بريطانيا بخصوص الجلاء عن مصر . بل نحن نعلم اكثر من ذلك . وهو انه قبل الحادث الأخير كان الرجال المسئولون يبحثون فى هل آن الوقت لتحديد موعد الجلاء ام لا ، فاذا تأخر هذا الموعد اليوم . فانما يعود اللوم على عباس نفسه ومستشاريه السوء »

أحاديث لبعض كبراء المصريين . وتحادث مكاتب النيويورك هرالد مع الرجال الممتازين فى مصر لِيُعَرِّفَ الشعب الأمريكى بسير الحالة بعد تغيير النظارة . واليك ملخص هذه الأحاديث :

تصريحات نخرى باشا : قال للمكاتب : « اننى لو بقيت رئيساً لمجلس النظار ، لما أدخلت فى برنامجى اخراج الانجليز حالا من مصر عسكريين او ملكيين ، لأنهم اندمجوا فى المصالح المصرية لدرجة انهم لو خرجوا منها لوقعنا فى حيرة لعدم وجود من يخلفهم فيها إلا بعد مدة طويلة ، ولو كان الاحتلال فرنسياً أو إيطالياً لكانت النتيجة دفع البلاد الى حالة سيئة » .

تصريحات تيجران باشا : أكد له أن الهدوء كان عاما فى داخلية البلاد عندما أرسلت انجلترا الجنود لتعزيز حاميتها فى مصر ، ولو أننا لا نعارض فى الاحتلال الملكى . غير أننى — ككل مصرى — أنتظر الوقت الذى لا تكون فيه مصر محتاجة لمساعدة القوة العسكرية الانجليزية . وأما بخصوص السودان ، فانى أقول بضرورة استرجاعه وألا يكون فى يد غير مصرية ، لأن منابع النيل الذى هو حياتنا موجودة به .

تصريحات رياض باشا : قال للمكاتب : ان حالة مصر ليست طبيعية . وتساءل عما إذا كانت البلاد محتاجة الآن لاحتلال أجنبى . ولما سأله المكاتب عن رأيه فى حل المشكلة ، اعتذر قائلا أنه لا يرغب المناقشة فى هذه المسألة .

تصريحات السيد محمد توفيق البكرى : قابل المكاتب السيد فصرح له : بأن مبدأه مصر للمصريين ، وهو ضد أى احتلال فرنسى أو إيطالى أو تركى ، كما أنه ضد الاحتلال الانجليزى ، وأنه يعتقد أن البلاد قادرة على حكم نفسها . وقال المكاتب إن البكرى متفق مع باقى من تكلم معهم بخصوص السودان ، أعنى ضرورة استرجاعه . وقد حكى لى أن أحد أصحابه من المشايخ أراد التوجه للسودان للاتفاق مع

المهدى على خضوعه لمصر ، ولكن كرومر لم يرغب أن يسمع كلاما فى هذا الموضوع .

تصريحات احمد مظلوم باشا : قال الباشا : إن حقيقة تغيير نظارة فهمى باشا أنه لما وصل مرضه إلى درجة الخطر ، وتوقعت وفاته ، فاتح كرومر الخديو فى التفكير فى تعيين خلف له ، فرشح سموه تيجران ، لكن كرومر لم يستحسنه لأنه مسيحى ، وأبلغه انه لايعارض فى تعيين أى شخص غير مسيحى ، وبناء على ذلك أرسل عباس لفهمى باشا محمودا شكرى ليطلب منه الاستقالة فرفض ...

وأما السبب الحقيقى لتكدر كرومر فليس لأنه ضد نخرى شخصيا ، بل لأن الخديو لم يبلغه انتخابه قبل صدور الأمر بتعيينه .

تصريحات بطرس باشا : قال الباشا : ان تقدم مصر المادى الحالى ، يرجع بعضه إلى الادارة الحسنة التى خلفت عهد الهوس والتبذير زمن اسماعيل ، وقد قامت خصوبة أرض مصر بالباقى . وإن الفلاحين لا يشتغلون بالسياسة بل بمصالحهم الزراعية ، وهم ممنونون من حالتهم . ولما سأله المكاتب عما اذا كان هذا التقدم يرجع إلى مهارة الموظفين الانجليز وذكائهم واقتصادهم ، أو أنهم ماليون ذوو أغراض ؟ لم يجبه على الجزء الأخير مباشرة وقال له : افرض انك استغنيت عن عشرة من الموظفين واستبدلتهم بواحد ، فان هـذا اقتصاد فى عدد الأشخاص ولكن اذا دفعت لهـذا الشخص مرتب العشرة فأين الاقتصاد فى المال ؟ أما من خصوص ادارة المالية ، فانها ربحت كثيراً من النظام ، غير أن المصاريف تؤخذ اجماليا ولا يعرف ما يصرف لكل قلم كما كان المستعمل قبلا . وقال : أما بخصوص زيادة ثلاثة آلاف على قوة جيش الاحتلال ، فالمأمول أن لا تستمر هذه الزيادة مع وجود الهدوء والسكينة حتى لا تلتزم مصر بنفقاتها . وأما عن الجلاء فقال : إنه لا يشك فى حسن نية انجلترا ، وأن الجلاء يتم إذا اتخذت التدابير له ، وأعتقد أن مصر قادرة على أن تدير شئونها بنفسها ، وهذا يرجع إذاً لاخلاص انجلترا وتمسكها بوعدها . وقد لاحظ الباشا زيادة على ذلك ، أن التعاون بين الانجليز والمصريين يكون سهلا ومنتجا إذا كان الانجليز يعاملوننا بزيادة الاعتبار ويشركوننا فى العمل زيادة عما هو الآن فى إحياء بلادنا . ولما سأله المكاتب عن تهديد المهددين لمصر عند الجلاء تبسم بطرس باشا وقال : إن مصر ما كانت فى احتياج لفتح السودان الى مساعدة أجنبية . وختم حديثه بقوله إنه لا يوجد إلا حل واحد للقضية المصرية ، ولكن أشك فى قبوله وهو ترك مصر لنفسها .

محادثته مع الغازى احمد مختار باشا : قال الغازى : ان وجودى فى مصر هو احتجاج حىّ ضد الاحتلال الانجليزى .

محادثته مع الشيخ على يوسف والدكتور فارس نمر : تقابل معهما ووجد من حديثهما أنهما متحدان فى طلب إعطاء الدستور لمصر .

حديث لكرومر . ونشرت جريدة وستمنستر جازيت ، حديثاً لمكاتبها مع اللورد كرومر عن حادثة النظارة الفهمية ، ومما جاء به : « إن اللورد كان يعتقد قرب حدوث ثورة فى البلاد المصرية وقت الأزمة النظارية ، وأنه لو شبت نارها لابتدأت فى الأقاليم حيث يسود التعصب الدينى ، وأنه يجب الانتباه والحذر عند ظهور أقل بادرة لذلك . إن المغفور له توفيق باشا كان عالماً بضرورة التساهل معنا ، فامتد النفوذ الانجليزى إلى جميع الأعمال . ولكن لما جاء الخديو الجديد سار على خطة قريبة من خطة جده اسماعيل ؛ وذلك أنه لم يقع فى عهده ثورة كالتى حدثت ضد والده ، فهو يريد أن يكون الأمر كله بيده ، وقد أخطأت الجرائد الانجليزية حين قالت : انه عدو للاصلاحات ميال للفوضى ، فهو فى الحقيقة ، يرغب فى تمام الاستقلال بادارة الشئون المصرية » .

رسالة مزارع مأجور فى التيمس . أشرنا قبلا إلى مسلك الخديو مع المحتلين ، ومواقفه التى جمعت حوله القلوب ، وأيقظت فى نفوس المصريين روح الوطنية . وقد أحسّ الانجليز بهذه الروح ورأوا التفاف المصريين حول خديويهم . وفى خلال هذا الاجماع الشامل على تأييد الأمير ، نهض مزارع يدعى « سليمان هزّاع » وأرسل الى التيمس مقالة يتحدث فيها عن الشئون المصرية ، ويذكر إصلاحات الانجليز وينتقد خطة الخديو وحكومته . وكان المتبادر إلى ذهننا — نحن رجال السراى — أن مثل هذا المزارع لايمكن أن يتحدث فى الشئون السياسية بمثل هذه اللهجة ، وليس له من معلوماته ولا مؤهلاته مايهيء له ذلك ، فلا بد وأن يكون مدفوعا لذلك من أنصار الاستعمار فى مصر . وعلى العموم فقد كان لهذه المقالة عند نشرها بالتيمس وتعريبها بجريدة المقطم ، رنة كبيرة لوقوع هذا الشذوذ وسط الاجماع .

أرسلت المقالة الى التيمس بتاريخ ٢٦ يوليو بعنوان « رأى مصرى فى مصر » وقد نشرتها التيمس فى أغسطس وعربتها المقطم بعد أن جاءت التلغرافات ببعض فقراتها فى

يوم ٢٧ سبتمبر وهى : « لايخفى أن الانجليز أطالوا احتلالهم القطر المصرى إجابة لطلب ساكن الجنان الخديو السابق ، وذلك حتى تتأيد سلطته فى مصر كما كانت قبلا بعد أن ثار جميع رعاياه عليه مقتفين أثر زعماء الثورة . أما الأسباب التى بعثت على الثورة ؛ فهى ظلم الحكام السابقين وعسفهم . وقد كان الخديو صديق انجلترا الصادق ، فأدخلوا الاصلاح فى كثير من إدارات الحكومة ومصالحها ، بمضافرته ومعاونته ، ودام هذا الاصلاح مدة عشر سنوات ، فسر به المصريون جميعاً وانشرحت له صدورهم ، وهم لذلك كانوا يحبون المغفور له الخديو السابق حباً عظيما ويسألون الله دوام هذا الاصلاح بلا انقطاع . ولما توفى الخديو السابق الى رحمة مولاه ، وخلفه سمو نجله الخديو عباس الثانى ، بادرت جلالة الملكة فأرسلت برقية الى حضرة صاحبة العصمة والدولة والدة الحضرة الخديوية ، تؤكد لها أنها لاتألوا جهداً — هى وحكومتها وأمتها — فى تأييد سلطة الجناب الخديوى ، فكان لكلام جلالتها وقع عظيم فى نفوس المصريين ، وهم يتمنون توثيق عرى الصداقة والولاء بينهم وبين الانجليز . ثم ماكان من سقوط نظارة مصطفى فهمى باشا ، وذلك بدسائس الأتراك ومشاركة رجال المعية لهم . وقد دل مسلك مصطفى فهمى باشا وقتئذ على أنه خادم أمين لمولاه . أما سمو الخديو فمعذور فى فصله عن منصبه بعد الذى نقل عنه . ومن ثم أخذت سموم الدسائس تدب فى مصر والناقمون لها هم رجال الحكومة وأخصهم المديرون ووكلاؤهم ورؤساء الادارات ومهندسو الرى ورجال المحاكم وغيرهم . وقد بالغت الحكومة الانجليزية فى الصبر والاحتمال ، وكان فى وسعها أن تمنع ذلك بواسطة جناب وكيلها المحترم اللورد كرومر . وبتنا نحن المصريين الحقيقيين نخشى عاقبة هذه الأراجيف والدسائس المنتشرة الآن فى أنحاء البلاد ، لأنه وإن كان سمو الخديو المعظم لاينتبه الى السياسة التى يجب اتباعها فان تركيا وانجلترا متفقتان على المسائل التى لهما مصالح فيها ، وتغفلان حقوق الجناب الخديوى عند الحاجة ، وهى الحقوق التى تعهدت انجلترا بحفظها وتأييدها . أما الأخطار التى يخشى علينا منها الآن فيمكن اتقاؤها بالوسائل الآتية :

١ — يجب أن تمنع انجلترا رجوع دولتلو مختار باشا من الاستانة ، لأنه وأنصاره فى ذلك موظفو الحكومة وأعيان الأتراك المقيمين فى مصر ، يحسدون المصريين بعد أن رأوا ماصاروا اليه من التقدم والنجاح ؛ وذلك لأنهم يحتقرونهم ويعدونهم كالبهائم التى خلقها الله لمنفعتهم ، ولا يطيقون أن يروهم أنداداً . والعلماء والمشايخ يقولون للناس دائما « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم »

٢ — يجب على الموظفين الانجليز فى الحكومة المصرية ، أن يجتذبوا صداقة الجناب الخديوى ، ويتفقوا معه على اختيار الرجال الذين يفهمون حقيقة الأحوال الحاضرة حق فهمها .

٣ — ينبغى انتخاب النظار من الوطنيين الذين يعرفون فوائد الاصلاحات التى أوجدها الانجليز .

٤ — يجب استئصال جرثومة المتملقين الذين يدعون أنهم أصدقاء الانجليز ، وهم النافثون سم الدسائس والعداوة .

٥ — يجب على الانجليز أن يعاشروا الوطنيين أكثر مما يعاشرونهم الآن ؛ فيحسنوا معرفتهم ولا يعودوا يصدقون الأراجيف التى تبلغهم عن حقد الوطنيين عليهم وبغضهم لهم ، بل يمنعوا إذاعة تلك الأراجيف .

٦ — ينبغى لانجلترا أن تصرح بأن ما شاع عن نقل اللورد كرومر غير صحيح ، فيقتنع المصريون بأنها لا تغفل الاهتمام بجميع المسائل المتعلقة بمصر ، واذا أصدر موظف انجليزى قراراً وجب أن يبين لأصحاب الشأن فيه أن هذا القرار صادر منه رأساً ، وذلك لأن بعض مستخدمى الحكومة الوطنيين يخدعون اخوانهم بدعوى أن القرارات تصدر منهم بأمر رئيس الادارة الانجليزى .

هذا ولا يخفى أن الأهالى قلما يهتمون بالمسائل السياسية ، بل يتركونها لحكومتهم ، ويعلمون أنهم قاصرون عن تولى شئونهم بأنفسهم . ولذلك يعترفون بافتقارهم إلى مدرب يرشدهم إلى طريق الاصلاح كما قال جناب اللورد كرومر فى تقريره « ومن العار على انجلترا — أعظم دول أوروبا تمدينا — أن تنجلى عن مصر قبل أن تتم الاصلاح الذى شرعت فيه » . ثم ختم مقاله بما يلى : « وهذه آراء وطنىّ قد امتلأ فؤاده بالحب لبلاده وأميره ، فأرجو أن تدرجوها بين أعمدة جريدتكم تحت اسمى ومسئوليتى » .

تعليق التيمس : علقت التيمس على هذا المقال فقالت : « إن الذى بعث الينا بهذه الرسالة من الفلاحين المصريين ومن عائلة معروفة فى بنها بمديرية القليوبية ، وقد كتبت باللغة العربية فرددناها إلى مصر حيث ترجمت إلى الانجليزية ، وسألنا عن صاحبها ثم بادرنا بنشرها . . » ثم قالت : « وقلما يتفق للأوربيين ان يطلعوا على آراء الشرقيين ، لأن شرائع بلادهم وقوانين حكوماتهم تحول دون ذلك . على ان الرسالة التى وردت

إلينا قد خطها يراع رجل من عامة المصريين وسلالة الفلاحين ولذلك كانت أقواله مما يجب الاهتمام بها . والغريب من أمر حضرة سليمان هزاع ، إقدامه على نشر تلك الآراء السديدة فى جريدة أوروبية بامضائه . ولاريب أن ذلك دليل على أن الفلاحين أنفسهم قد صاروا يعرفون ما لهم من المطالب والحقوق » . ثم مضت تذكر حالة مصر قبل الاحتلال ، وأنها كانت فوضى ، وظلماً ، وقسوة ، وتعدد نواحى الاصلاح التى طرقها الانجليز حتى وصلت مصر إلى ما وصلت اليه .

وبعد ذلك نشرت التيمس ، وبعض الصحف الانجليزية الأخرى مقالات عديدة فى هذا الموضوع ؛ وكلها ترمى الى وجهة معينة ، هما تأييد الخطط الانجليزية فى مصر ، وانتقاد مسلك الخديو ورجال الحكومة .

هزاع مجرم هارب : وقد ردت المؤيد فى عددها الصادر فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٩٣ على ذلك بمقال جاء به : —

« ألا يذكر هؤلاء المدلسون أن سليمان هزاع قد قضت عليه شرائع البلاد عدة مرات مقابل جملة جرائم وجنايات ارتكبها : منها أنه زور حجة شرعية قلد فيها ختم قاضى المديرية وامضاءات الشهود وختم المدير وامضاءات الكتبة وحكم عليه فى سنة ١٨٨٠ ميلادية من مجلس الأحكام بالسجن فى ليمان الاسكندرية لمدة أربع سنوات وقد بقى به يلاقى جزاء ما جنته يداه حتى كانت الثورة العرابية ففر من السجن مع من فروا . ومنها أنه رهن أطياناً مملوكة للغير لأحد البنوك وأخذ المبلغ وفر هارباً مدة من البلد كان يحلق فيها لحيته حتى لا تعثر عليه صدفة الأعين وقد أتى به متهماً أمام المحكمة بهذه التهمة كما أتى به متهماً أمام المحكمة مرة أخرى بتهمة سرقة مصوغات من بيت إحدى المومسات » الى غير ذلك من جرائمه الشنيعة التى عدتها له جريدة المؤيد مما لا يشرف جريدة ما أن تذكر اسمه إلا فى عداد المجرمين .

نزاع بين النظار والموظفين الانجليز . ولم يمض وقت طويل على نشر هذا المقال والضجة التى ثارت حوله ، حتى كان هناك ما يشبه أن يكون أزمة فى النظارة بسبب الخلاف بينها وبين الموظفين الانجليز على مسألتين صغيرتين ؛ هما قلم الرقيق الذى يريد النظار القائد ويريد الانجليز بقاءه . وتعيين مفتش انجليزى فى مصلحة الصحة لا ترى النظارة ضرورة لتعيينه .

هاتان المسألتان الصغيرتان ، كادتا تحدثان أزمة لولا أن الخديو تدخل فى الأمر . فأشار على نظاره ، بعد المباحثات معهم ومع رجال المعية ، بقبول المسألة الأولى . واقتنع اللورد كرومر بترك المسألة الثانية ، وبذلك انتهى النزاع .



محمد ماهر باشا

محمد ماهر باشا فى وظائف

نظارة الحربية . وما كادت الحالة تستقر بعد ذلك ، حتى وقع نزاع آخر بين كتشنر باشا السردار ومحمد ماهر باشا . الذى كان الخديو قد عينه وكيلا للحربية (١) ، لما آنس من صدق وطنيته . ويرجع هذا النزاع ، الى أن السردار تعود منذ عهد الخديو السابق ، أن تكون السلطة كلها فى يده ، بحيث كان ناظر الحربية وبالتالى وكيلها لا يعرفان شيئاً من التفاصيل ، فلما جاء ماهر باشا ، لم يقبل هذه الخطة وأراد أن يكون لمنصبه قيمته العملية . فبدأ النزاع بين الوكيل والسردار ورفع الأمر لرياض باشا وكذلك جاء ماهر باشا للسراى وأبلغ الخديو بالموضوع . وقد حل هذا النزاع مؤقتاً بمسعى الخديو ولكنه بقى فى الحقيقة وكانت له آثاره بعد ذلك .

وقد استطاع ماهر باشا أن يحصل على بيان بمرتبات الضباط والصف ضباط الانجليز فى الجيش المصرى ، للموازنة بينها وبين مرتبات زملائهم من المصريين . وذلك من الأمور التى كان السردار يأبى اطلاعه عليها ، وكانت تقدمها فى الميزانية بشكل عام دون تفصيل . وكنت مع سمو الخديو أثناء عرض هذا البيان عليه ، وبعد نظره سلمه لى وها هى ذى صورته :

---

(١) عين ماهر باشا وكيلا للحربية فى ٢٥ سبتمبر وكان قبلا محافظا للثغر .

كشف ببيان مرتبات الضباط والصف ضباط الانجليز فى الجيش المصرى

ولا يدخل فى هذا البيان المال المخصص لعلف الخيل ونفقات السفر والسكن والملابس

المرتبات السنوية المعينة للضباط الانجليز بحسب رتبهم ووظائفهم

جنيه مصرى			
٢٠٠٠	مرتب السردار	رتبته	فريق
١٣٠٠	« المساعد العام أو القائد الثاني . .	«	لوا.
١٢٠٠	« السور فوايه جنرال	«	لوا.
١٠٠٠	« قائد جيش الحدود	«	لوا.
١٠٠٠	« « حامية فوكار	«	أميرالاى
٩٠٠	« « فرق السوارى	«	«
٨٠٠	« « الحامية فى مصر	«	«
٨٠٠	« وكيل قائد جيش الحدود . . .	«	«
٧٠٠	« القائمقام (ليوتنان كولونيل) . .	«	«
٨٢٠	« مدير الشرطة	«	«
٨٢٠	« مدير التموين	«	«
٦٠٠	« ضابط برتبة بكباشى يحل محل قائد	«	ماجور
٥٤٠	« « برتبة قومندان ماجور أو قائد ثان	«	«
٤٤٠	« « « بكباشى أو قائد ثالث .	«	«
٣٠٠	« مفتش الموسيقات العسكرية . .	«	«

وأما مرتبات صف الضباط الانجليز فتتراوح بحسب رتبهم بين ٣٦٧ و ٣١٢ و ١٩٨ و ١٨٦ و ١٨٠ و ١٦٨ و ١٤٤ جنيهاً

المجموع جنيه مصرى	جنيه مصرى	
		المال المخصص لموسيقى فرقة البيادة الأولى
	٣٧٩	المرتب السنوى
٤٦٤	٨٥	المرتب الاضافي
		المال المخصص للموسيقى الثانية فى فرقة البيادة
	٢٥٠	المرتب السنوى
٢٩١	٤١	المرتب الاضافي
		المال المخصص لموسيقى حامية سواكن
	١٦٧	المرتب السنوى
١٨١	١٤	المرتب الاضافى

المجموع جنيه مصرى		جنيه مصرى
	المال المخصص لمعسكر أسوان	
	المرتب السنوى	٢١٩
٣١٦	المرتب الاضافى	٩٧
	المال المخصص لمعسكر سواكن	
	المرتب السنوى	٢٥١
٣٢٦	المرتب الاضافى	٧٥
	المال المخصص للقيادة العامة لجيش السوارى	
	المرتب السنوى	١٧٩٩
٢٢٣٢	المرتب الاضافى مع نفقات مختلفة	٤٣٣
	المال المخصص لأورطة من أورط السوارى بقيادة ضابط انجليزى	
	المرتب السنوى	١٤٤٧
١٥٨٨	المرتب الاضافى	١٤١
	المال المخصص لأورطة من أورط السوارى بقيادة ضابط مصرى	
	المرتب السنوى	١١٨٧
١٣٢٨	المرتب الاضافى	١٤١
	المال المخصص لقيادة المدفعية العامة	
	المرتب السنوى	٢١٤٢
٢٣٣٠	المرتب الاضافى	١٨٨
	المال المخصص لمدفعية السوارى	
	المرتب السنوى	١٦٠٣
١٧٥٥	المرتب الاضافى	١٥٢
	المال المخصص للطوبجية	
	المرتب السنوى	١٥٢٨
١٦٥٢	المرتب الاضافي	١٢٤
	المال المخصص للقيادة العامة فى مدفعية الحامية	
	المرتب السنوى	٦٣٠
٦٥٣	المرتب الاضافي	٢٣
	المال المخصص لأورطة من أورط المدفعية فى فرقة الحامية	
	المرتب السنوى	٢٥٦٣
٢٧٦٧	المرتب الاضافى	٢٠٤

المجموع جنيه مصرى	جنيه مصرى	
		المال المخصص لقيادة فرقة الهجانة العامة
	٨٧٤	المرتب السنوى
١٠٩٥	٢٢١	المرتب الاضافي
		المال المخصص لفصيلة من فصائل فرقة الهجانة
	٤٧٨	المرتب السنوى
٤٩٩	٢١	المرتب الاضافي

كشف ببيان مرتبات الضباط الانجليز فى الجيش المصرى

مع مصروفات الأورط على اختلاف أنواعها

المجموع جنيه مصرى	جنيه مصرى	
	٥٢٥٢	المال المخصص لأورطة في فرق البيادة تحت قيادة ضابط انجليزى
	٢٠٤	المال الاضافى
٦٢٦٤	٨٠٨	المخصص لضابطين من ضباط البدل برتبة ماجور
	٤٤٠٣	المال المخصص لأورطة في فرقة البيادة تحت قيادة ضابط مصرى
٤٦٠٧	٢٠٤	المال الاضافى
	١٠١٧٧	المال المخصص لأورطة سودانية في فرقة البيادة تحت قيادة ضابط انجليزى
١٠٣٨٥	٢٠٨	المال الاضافي
٥٠٤٠		المال المخصص لـ ١٤٠٠ امرأة سودانية تابعات للأورط السودانية الخمس
		المال المخصص لقيادة الأورطة المنوط بها أمر المخازن
	٢٠٢٥	المرتب السنوى المعين لقيادة الأورطة
٢١٨٠	١٥٥	المرتب الاضافى
		المال المخصص للأورطة المنوط بها أمر المخازن
	٣٠٤٨	المرتب السنوى
٣٠٦٤	١٦	المرتب الاضافى
		المال المخصص لحامية سواكن (فصيلة)
	٤٢٨	المرتب السنوى
٥٥٢	١٢٤	المرتب الاضافى
		المال المخصص لفرقة موسيقى السوارى
	١٨٧	المرتب السنوى
٢١٩	٣٢	المرتب الاضافى

القوات العسكرية فى القطر المصرى

٥ أورط من السنوارى
١ بطارية واحدة من بطاريات السوارى
٢ بطاريتان من بطاريات البغال
١ أورطة واحدة من أورط الحاميات مؤلفة من ٣ بلوكات
٢ أورطتان من فرق الهجانة كل واحدة منهما مؤلفة من بلوكين
٤ أورط من البيادة يقودها ضباط انجليز
٤ أورط من البيادة يقودها ضباط مصريون
٥ أورط سودانية بقيادة ضباط من الانجليز
١ أورطة واحدة لأجل المخازن
١ بلوك واحد لحفظ النظام في سجون سواكن
٥ جوقات موسيقى منها موسيقى واحدة للسوارى واثنتان سودانيتان
٢ فرقتان من فرق الحاميات الأولى فى اسوان والأخرى في سواكن

افتتاح الخط الحديدى بين أسيوط وجرجا . فى يوم ٤ فبراير تحرك الركاب العالى من سراى القبة على القطار المخصوص إلى محطة القاهرة ، فحيته فرقة من العساكر المصرية وأخرى من العساكر الانجليزية ، وأطلقت المدافع واحتشد المودعون فى محطة العاصمة من مختلف الطبقات .

وكان بمعية الخديو البرنس فؤاد باشا السرياور ورؤساء الدواوين الخديوية الثلاثة وأكابر موظفى المعية والنظار وفريق من رجال الحرس . ونذكر أنه لما وصل القطار إلى محطة كفرعمار هدأ سيره قليلا ، وحدث عندئذ أن تقدم أحد الفلاحين وألقى فى الصالون الخديوى « قِثَّاءة » كبيرة معلق بهـا رقعة باسمه ورجاء قبولها كهدية . فأحدث قذفها فى الصالون من النافذة دهشة عنـد نزولها ، ولمـا عرفت حقيقتها ضحك سمو الخـديو وأمر بقبولها !

وكانت كل المحطات من مصر إلى أسيوط كلها تلبس حلل الزينة ، وفى كل منها تجرى مراسيم التحية ، ويهرع المستقبلون لتحية سموه فوصلنا إلى أسيوط فى الساعة الخامسة والنصف مساء . وبعد الاستقبال ركب سموه اليخت الخديوى « فيروز » وبه تناولنا طعام العشاء ومعنا مدير أسيوط . ثم أجريت التشريفات وقُدِّمَتْ لجنابه لجنة الشباب تذكاراً من مصنوعات أسيوط . وفى المساء نزلنا مع سموه لمشاهدة الزينات البديعة فى

الشوارع . وكان على يساره المدير وخلفه رياض باشا وفؤاد باشا ثم النظار ورجال المعية . وكان من أبدعها الزينات التى عملت فى ذهبيات المدير وعثمان بك غزالى وحسن افندى حلمى يونس ، وكذلك الزينات التى أعدها عثمان بك غزالى على شاطى الحمراء . وهناك أطلقت الألعاب النارية . وكذلك زرنا ديوان المديرية والجامع اليوسفى ، ومررنا بمنزل الخواجه الياس بشاى ، وقد أعد به زينة فاخرة ومنزل الخواجه ويصا ودار على بك خشبة سر تجار المدينة وقد ذبحت أمامه الذبائح على عادة أهالى الأرياف فى مثل هـــذه الأحوال ، ثم منزل جورجى بك خياط وأخوته ، وقد ذبحت أمامه الذبائح أيضاً .



جورجى خياط بك

وشاهدنا الزينات التى أقامها محمد عثمان الهلالى ومحمد افندى خشبة وعبد الرحمن بك النميس عمدة أسيوط وثابت بك وحسين افندى فهمى المحامى وعبد الله بك وهبى ومحمد افندى أبو شادى وأخنوخ افندى فانوس .

وكانت الجموع الكثيرة من الأهالى تجرى وراء عربة الخديو ، ومنهم شخص (١) يصيح بأعلى صوته : « صلِّ على النبى . والهم عنك ينجلى »

وفى يوم ٥ منه ، ركبنا القطار فسار فى طريقه حتى وصلنا طهطا وهناك قابل الخديو على بك رفاعه وكيل المعارف سابقاً . وكان القطار يقف فى كل محطة قليلا إعلاناً بافتتاحها رسمياً حتى وصل سوهاج . وفى محطة العسيرات كان مدير جرجا فى الانتظار ، فنزل سمو الخديو وسار بموكب حافل إلى منزل اسماعيل بك أبو رحاب ، وبعد زيارته عدنا للقطار . فواصل سيره إلى محطة جرجا وعند وصولنا صدحت

(١) وقد علمت أخيراً من احمد خشبة باشا أن هذا الرجل لا يزال الى اليوم على قيد الحياة

الموسيقى بالسلام الخديوى . ثم مضينا خلف سموه إلى سرادق بجوار المحطة أعد لنزوله وبه أجريت التشريفات .

ثم ركب سموه اليخت « فيض ربانى » وركبنا نحن الوابورات الخديوية عائدين إلى سوهاج ، فوجدنا الزينات قد زيدت وأبدع تنسيقها . وهناك جرت المقابلات العامة .

وقضينا هذه الليلة بها . وفى صبيحة يوم ٦ فبراير أقلعت الوابورات الخديوية نحو الشمال . ونحن نشاهد الأهالى على الشاطئين يلوحون باشارات السلام ، ويسابق الفرسان منهم الوابورات . ولما وصل اليخت إلى مركز أبى تيج كان على المرسى كبراء وأعيان المركز يتقدمهم محمود بك سليمان ، وقد أعد على الشاطىء زينة فاخرة وأقام قوس نصر تخفق فوقه الأعلام .

وفى المساء ركبنا مع الخديو إلى ضريح الفرغل ، فزار المسجد والضريح وعند عودته زار منزل محمود بك سليمان وتناول القهوة فى قاعة أعدت للاستقبال ، وألقى صاحب المنزل بين يدى سموه خطبة عبر فيها عن الولاء والاخلاص للذات الخديوية ، وختمها بالدعاء . فشكره سموه وعدنا إلى الوابورات حيث قضينا الليلة هناك .



محمود بك سليمان



حسين بك واصف (١)

(١) عين فيما بعد محافظا للقنال وأنعم عليه برتبة الميرميران

وفى صباح ٧ منه استأنفنا المسير الى أسيوط فالروضة وبها بتنا ليلة وأقلعنا منها إلى المنيا . وبعد الاستقبال المعتاد ركب سموه فى مركبة وزار فابريقة الدائرة السنية لعصير القصب ومكث بها نحو الساعة يتفقد أقسامها ، ثم زار المدرسة الأميرية وامتحن بنفسه جملة من تلاميذها ، ثم عدنا لليخت فتناولنا طعام العشاء . وكان مدير المنيا حسين بك واصف ضمن المدعوين . وبعدها زرنا ضريح الأستاذ الفولى ، وشاهدنا الزينات البديعة التى تسطع بها المدينة ، وفى مقدمتها زينات على بك شعراوى . وقد ذبحت الذبائح عند مرور سموه على المنزل ، وأطلقت السهام النارية فى الهواء . ثم شرف سموه السرادق الفخم الذى أعد للاستقبال ، وأقيم أمامه قوس نصر عظيم جلست فى أعلاه جوقة موسيقية ، وكان قد أعد بداخل السرادق مقصف فخم فافتتحه سموه ، وبعد قليل عاد سموه لليخت وبقينا نحن نستمع إلى صوت المطربين الشهيرين عبده الحامولى والشيخ يوسف المنيلاوى .

وفى صباح يوم ٩ منه ، أقلعت الوابورات حتى وصلت إلى بنى سويف بعد الظهر فنزلنا إلى سرادق الاستقبال . وبعد الانتهاء من الرسوم المعتادة ، ركب الخديو عربة وعلى يساره مصطفى بك وهبى المدير وخلفه عربات تقل رجال المعية ، فشاهدنا الزينات المختلفة وزرنا ضريح الأستاذ العجمى ثم عدنا .

وفى صبيحة يوم ١٠ منه ، يممنا شطر القاهرة فوصلناها عند الساعة العاشرة وكان استقبال الخديو بها فخماً مبهجاً .

افتتاح الخديو لكوبرى طلخا وسفره لمصيفه . صدر لنا الأمر بالاستعداد للسفر لنكون فى معية الجناب العالى فى مصيفه بالاسكندرية ، فانتظرنا بمحطة القبة صباح يوم ٢٩ أبريل ولما شرف دعانا للركوب معه ، فركبنا القطار المخصوص إلى محطة القاهرة حيث كان الوداع الرسمى المعتاد ، وقد سار القطار حتى وصلنا المنصورة ، فنزلنا إلى السرادق الذى أقيم بجوار المحطة للاستقبال ، وأجريت التشريفات ، وقدمت الجالية اليونانية باقة من الزهور لسموه فتقبلها شاكراً . وزار بعد ذلك سرادق ابراهيم داود واسكندر مقصود وتناول فيه شيئاً من الحلوى . ثم قصدنا مقصفاً أعدته مصلحة السكك الحديدية كذلك ، فتناولنا فيه شيئاً . وسار الخديو بموكبه بعد ذلك فشاهدنا الزينات وكان أهمها ما أقامه محمد بك نافع وشريف بك ومحمد بك هلال والسيد بك الأتربى وعلى بك القريعى . وكان الشيخ يوسف المنيلاوى يغنى فى أحد السرادقات

وجوقة الفناجيلى تعزف فى سرادق آخر . ومما لفت نظرنا جوسق « كشك » على شكل برج إيفل . كل ذلك عدا أقواس النصر الكثيرة . ثم عدنا للقطار فسار بنا ماراً على الكوبرى الجديد ، وكان مزيناً بأبهج الزينات فكان ذلك إعلاناً بافتتاحه .

واستمر القطار حتى وصل الى سمنود ومنها الى المحلة الكبرى ، وفيها مر القطار تحت قوس النصر الذى أقيم فى أول الزينات التى امتدت على مسافة كبيرة ، وفى وسط الزينات التى كانت بمحطة المحلة الكبرى أقيم معرض صغير للمنسوجات فأبدى سموه إعجابه وتشجيعه .

وكان الاستقبال فى محطات طنطا وكفر الزيات وإتياى البارود ودمنهور حافلا والزينات فى أبدع تنظيم .

الوصول إلى الاسكندرية : ولمـــا وصلنا إلى الاسكندرية كانت محطتها تموج بالمستقبلين يتقدمهم البرنسان عمر بك وسعيد بك طوسون ، فسار الموكب إلى سراى رأس التين بين جماهير حاشدة وزينات بديعة .

حالة التعليم فى مصر . كلفنى سمو الخديو بعمل تقرير عن حالة التعليم فى مصر على اختلاف أنواعه ، كما كلف اسماعيل سرهنك بك ناظر المدرسة الحربية بكتابة تقرير عن حالة المدرسة الحربية .

فاجتمعت بصديقى حسين رشدى بك المفتش بالمعارف ، وتباحثنا فى الموضوع ووضعت التقرير الذى كلفت به .

وأنجز التقريران وقدما لسموه فى يوم ١٠ مايو وكان تقريرى هو الآتى :

« التعليم فى المدارس ينقسم على وجه العموم إلى أربعة أقسام هى : تعليم ابتدائى ، تعليم ثانوى ، تعليم خصوصى ، وتعليم عال . ومدة التعليم فى الابتدائى أربع سنوات ؛ والتعليم فى السنة الأولى باللغة العربية أما فى باقى السنوات فان دروس الجغرافيا والأشياء تدرس بلغة أجنبية . وهذا بخلاف حصة خصوصية لهذه اللغة نفسها .

ومدة التعليم الثانوى خمس سنين ، والعلوم الجارى تدريسها فى هـذه المدة هى : الرياضة (حساب وهندسـة وجبر) وتدرس باللغة العربية ، أما الطبيعـة والكيمياء والتاريخ الطبيعى والجغرافيا والقسموغرافيا والتاريخ فتدرس باللغة الأجنبية ، ثم اللغتان الفرنسية والانجليزية والرسم والخطان العربى والافرنجى .

والتعليم الخاص مثل الموجود بمدرسة دار العلوم ومدرسة الصنائع ببولاق ومدرسة الزراعة .

والتعليم العالى بمدارس المهندسخانة والطب والحقوق . والقسمين العاليين ؛ أحدهما بالمدرسة الخديوية ويقال له قسم عال انجليزى ، والآخر بالمدرسة التوفيقية ويقال له قسم عال فرنساوى . ومدة الدراسة فى كل من القسمين المذكورين سنتان فقط ، ويعطى للطالب بهما أربعة جنيهات شهرياً ، ويكفل له التوظف بمدارس الحكومة بمرتب شهرى قدره ثمانية جنيهات عند تخرجه . ولا يزيد التعليم فى هذين القسمين عن التعليم الثانوى فى شىء سوى إعادة بعض الدروس وإضافة البيداجوجيا (فن التدريس والتربية) ، والطالب الذى يتم دراسته فى أحد هذين القسمين يمنح شهادة تدريس للمدارس الابتدائية .

أما مدرسو التعليم الثانوى الجارى تدريسه باللغة الأجنبية ، فيدعون من الخارج بمعرفة نظارة المعارف .

ومدارس التعليم الثانوى تأخذ حاجتها من التلامذة الذين يكونون قد أتموا التعليم الابتدائى وحصلوا على شهادته .

والمدارس العليا . هى المهندسخانة والطب والحقوق ومدة التعليم فيها بحسب قوانينها المسنونة لها ، وجميعها خارجية بمصروفات قدرها خمسة عشر جنيها سنويا ، وتقبل عشرة فى المائة من مجموع الطلبة بها خارجية مجانا ، ويكونون من الفقراء وتعطى لكل منهم إعانة شهرية من جنيه إلى جنيهين .

ومدة الدراسة بمدرسة المهندسخانة أربع سنين ؛ وتنقسم الدراسة فى السنة الثالثة والرابعة إلى قسم معمارى وقسم للرى .

وتتغذى المدارس العالية والقسمان العاليان الانجليزى والفرنسى من الذين أتموا الدراسة الثانوية وحصلوا على شهادة البكالوريا .

أما مدرسة الحقوق فجار تغذيتها سنويا بكل سهولة بتلامذة يدفعون المصاريف بكل ارتياح ، وذلك بسبب سهولة توظفهم بالمحاكم بعد إتمام الدراسة والحصول على الشهادة النهائية بمرتبات مرضية ، وبسبب سرعة ترقيتهم فيها . وبعكس ذلك مدرسة المهندسخانة فان تغذيتها بالتلامذة يكاد يكون معدوما ، حيث إنه لم يدخلها فى الثلاث السنين الأخيرة سوى خمسة تلاميذ بكل مشقة . وذلك لأسباب منها :

أولا — صعوبة موادها وما يتكبده المهندس من المشاق العملية المتعلقة بشئون وظيفته ، التى لا شك أنها أصعب من الأشتغال بمهنة الطبيب والقانونى .

ثانياً — عدم تشجيع التلامذة الذين يتمون الدراسة ويحصلون على شهادة نهائية من نظارة الأشغال فى التوظف ، إذ أن الذى يتخرج فى المدرسة ويتوجه إلى نظارة الأشغال يبقى فيها مدة طويلة تحت التمرين بماهية شهرية ٤٠٠ قرشاً ، تضاف على مصاريف النظارة ، ثم إذا ما ساعدته المقادير ارتقى فيها إلى وظيفة تلميذ مهندس بماهية شهرية ٤٠٠ قرشاً ، خارجاً عن كادر الموظفين ، وبعد مكثه فى تلك الوظيفة مدة أخرى طويلة أيضاً ، يرقى إلى مهندس مساعد من الدرجة الرابعة ، بمرتب شهرى قدره ٥٠٠ قرش . ويمكث بهذا المرتب مدة ، وبعد عدة سنوات يحصل على جنيه علاوة ، بحيث لا يصل إلى نهاية الدرجة الرابعة المذكورة ومربوطها ٨٠٠ قرش إلا بعد مضى سبع أو ثمان سنين تقريباً على خروجه من المدرسة .

ثالثاً — أنه إذا قورنت هذه المعاملة بتلك التى يعامل بها تلامذة القسمين العاليين المذكورين قبلا يرى فرق كبير .

ومن أسباب صعوبة تغذية مدرسة المهندسخانة قلة عدد التلاميذ الذين يحصلون على شهادة البكالوريا لصعوبة امتحانها ، ولأن تدريس أغلب موادها باللغة الأجنبية ، وهذه عقبة شديدة فى تفهم العلوم . وبناء على هذه الأسباب صارت المدرسة لا تشتمل فى السنوات الحالية إلا على ١٨ تلميذاً فقط موزعين كالآتى :

٢ بالسنة الأولى و ٣ بالسنة الثانية وواحد بالسنة الثالثة مهندس رىّ و٢ بالسنة الثالثة معماريان و ٥ بالسنة الرابعة بقسم الرىّ و٥ بالسنة الرابعة بقسم المعمار وسيتخرج منهم عشرة ويبقى بها ثمانية يضاف إليهم اثنان يلحقان بها فى السنة الدراسية المقبلة ، فيكون مجموع طلابها عشرة لا غير ، مع أن القطر المصرى بلد زراعى يحتاج إلى أضعاف هذا العدد من المهندسين . وإذا استمرت هذه الحالة السيئة فان الحكومة ستضطر لتوظيف المهندسين الأجانب .

أما مدرسة الطب فحالتها تماثل حالة مدرسة المهندسخانة ، حيث لم يدخلها فى السنتين الماضيتين أحد من التلامذة بحيث أغلقت الآن السنتان الأوليان منها ، مع أن وظيفة الطبيب ضرورية جداً فى كل البلاد .

وأحسن حل لمعالجة هذه المشكلة هو :

أولا — جعل التعليم باللغة العربية حتى يسهل على التلاميذ معرفة العلوم ونجاحهم فيها ، وبذلك يكثر عدد طلبة البكالوريا ويسهل تغذية المدارس العليا

ثانياً — معاملة المتخرجين فى مدرستى الطب والهندسة كغيرهم من طلبة المدارس العالية كالقسمين العاليين ومدرسة الحقوق ، سواء فى تسهيل توظفهم أو فى مرتباتهم ،

ويظهر أن اقتراحى الخاص بأن تكون اللغة العربية هى لغة التعليم ، مضافا إلى الحديث الذى دار بينى وبين سمو الخديو فى العام الماضى خاصاً بهذا الموضوع ، قد وجه نظره العالى إلى العمل بهذا النظام بعد أن اقتنع بصلاحيته . ولذلك فقد تحادث جنابه مع رياض باشا فى هذا الشأن ، وأشار عليه بتقرير هذا المبدأ . ففى يوم ١٦ مايو جمع رياض باشا نظار مدارس دار العلوم والتوفيقية والتجهيزية والمبتديان فى لجنة حضرها يعقوب أرتين باشا ، وبعد المناقشة فى الموضوع تقرر أن تكون اللغة العربية هى لغة التعليم .



اسماعيل سرهنك بك

أما تقرير سرهنك بك ناظر المدرسة الحربية فجاء فيه : « ان حالة المدرسة الحربية غير مرضية من كل الوجوه ، سواء كان بالنسبة للعلوم أم التعليمات العسكرية أم الآداب . وهذا الأمر يؤثر تأثيراً شديداً على المستقبل إذا بقيت الحالة كما هى عليه . وقد يتعذر بعد سنوات قليلة وجود ضباط نافعين للجيش ؛ فان علوم هذه المدرسة كلها ابتدائية بسيطة جدا لا تساعد الضابط على أداء أعماله العسكرية .

ولا أقول ذلك عن التعليمات فقط ، بل على العلوم كلها ، لأن المهندس الرياضى مثلا لا يطلب منه أن يكون عسكرياً بخلاف الضابط ، فانه ملزم بأن يكون مهندسا رياضيا ، والاحتجاج بأن السبب فى ترقية التلاميذ قبل الأوان ، انما هو الاحتياج لضباط هو قول باطل من وجهين : الأول أن بروجرام المدرسة المختص بالدراسة

لا يسمح إلا بهذه العلوم الابتدائية البسيطة ، حتى أن أغلب التلاميذ يعيدونها بعد إتمام تدريسها . والثانى أنه يوجد فى الضباط المستودعين من يمكنهم أن يؤدوا واجباتهم إذا سدوا المحلات الخالية ولو مؤقتا ، حتى يوجد من التلامذة من صار أهلا ومستعداً لأن يكون ضابطا قديرا .

وحالة قبول التلامذة بالمدرسة غير مناسبة ؛ لأنها تتناول حاجتها من مدارس منحطة الدرجة حتى تجاوزت الحد ؛ فصار فى الرتب نصيب للعساكر السودانية . وللسردار الحق فى أن يضع فى المدرسة عشرة تلاميذ مجانا ، ويسمون تلامذة السردار مع أن ناظر الحربية لا حق له فى واحد من عشرة .

ومن ينظر لحالة الضباط الذين تخرجوا من المدرسة فى السنين الأخيرة ، ويقارنهم بالذين قبلهم ، يحكم دون شك أن المدرسة بحالتها هذه لا تتقدم .

ولأجل الحصول على بعض تلامذة من درجة عليا توجد طريقتان :

الأولى أن يصير ترغيب التلامذة الحائزين على البكالوريا للدخول فى المدرسة مجانا ، ولا مانع من أن تعطى لهم إعانة شهرية بصفة مرتب ، كما هو الحاصل فى المدارس الملكية العليا .

الثانية أن التلاميذ الذين يمتحنون سنويا للحصول على البكالوريا ، هم فى العادة نحو الثلاثمائة التلميذ ، منهم نحو الأربعين يحصلون عليها ويوجد مثلهم على الأقل فى العدد وفى الاجتهاد ممن لم تساعدهم المقادير على نوالها لسبب من الأسباب ، وهؤلاء يمكن معرفتهم من كشوف الامتحانات ومعرفة أخلاقهم واجتهادهم من ضباطهم ومدرسيهم ، وهم بالطبع عندما يروا أنفسهم قد سقطوا فى الامتحان ، يفضلون الدخول فى المدرسة الحربية متى طلبوا إليها ، وهذه فرصة مناسبة لنظارة المعارف وللمدرسة وللتلامذة أنفسهم .

وباتباع هاتين الطريقتين يمكن الحصول على تلامذة لائقين .

زيارة الخديو للسلطانه . لما اعتزم عباس القيام بأداء الشكر لعبد الحميد ، لتعيينه خديو مصر ، أراد أن يستعلم عن رجال السراى الشاهانية والوكلاء (الوزراء) وميولهم المختلفة نحو الدول الأجنبية ، حتى إذا حصلت محادثات بينه وبينهم يكون على حذر فى أحاديثه . وقد حصل على هذه المعلومات من أحد معتمدى الدول العظمى فى مصر ، وكانت تربطه به صلات ودية .

ولما أبدى رغبته فى هذه الزيارة للغازى احمد مختار باشا ، وجد منه اغتباطاً كثيراً بها ، وكذلك لما علم السلطان أظهر ميله لذلك وترحيبه بالزيارة . وبعد ذلك قر رأى سموه على أن تكون هذه الرحلة فى أوائل يوليو ، وعقد مع رجال المعية عدة اجتماعات لوضع برنامج لها .

فى أثناء وجودنا بسراى رأس التين ، دارت مباحثات فى أوائل يونيو فى الترتيبات اللازمة ؛ ومن بين ما تقرر فى هذا اليوم ، انتخاب ثابت باشا — الذى كان قد استقال من رياسة الديوان الخديوى كما ذكرنا من قبل — للسفر فى معية الجناب العالى . فصدر الأمر له يوم ١٨ يونيو بأن يستعد للسفر .

وفى ٢٢ منه اجتمع مجلس النظار برياسة الخديو وقرر كل ما يختص بهذه الرحلة ؛ ومن ذلك أن يكون رياض باشا فى مدة غياب الخديو قائمقاماً عن سموه . وهى أول مرة اتخذت فيها هذه السنّة .

وفى يوم ٣ يوليو ، وجه الخديو إليه الأمر الآتى : « قد عزمنا بحول الله تعالى ومشيئته على زيارة الاستانة العلية والتشرف بمشاهدة أنوار مولانا الخليفة الأعظم ، للتشكر وأداء واجباتنا لسدته العلية الملوكية . ولما كانت ثقتنا بدولتكم مؤكدة ، وخدماتكم النافعة للعباد والبلاد مشكورة ومتعددة ، أقمنا دولتكم نائباً عنا وقائماً مقامنا مدة غيابنا ، لتنظروا فى أشغال حكومتنا بما يعود بالفائدة على الجميع ، كما هى خطتنا المعلومة لديكم . وأصدرنا أمرنا هذا إيذاناً بذلك لتعلموه وتجروا مقتضاه ، وتخطروا به حضرات نظار حكومتنا ومأمورى المصالح ، ليقدموا لدولتكم الأمور والمسائل التى كان من العادة عرضها علينا ، وتعطوا عنها الأوامر المقتضية من طرف دولتكم بما هو معهود فيكم من الروية وكمال الدراية ، ونسأل الله جل وعلا أن يقرن أعمالنا بالنجاح ، ويمدنا من فضله بالفوز والفلاح آمين » .

وقد وضع هذا النص بالاتفاق بين الخديو وكبار رجال حاشيته ورياض باشا .

ولما علم المصريون بتقرير هذه الرحلة ، عزم كثير منهم على السفر للاستانة ليكون هناك فى استقبال الخديو عند وصوله ، وليشاهدوا الاحتفالات التى تقام بهذه المناسبة . وأعدت مصلحة وابورات البوستة الخديوية باخرتين من بواخرها فوق المقرر نظراً لازدياد عدد المسافرين للاستانة .

ويجمل بى أن أذكر أن سفر المصريين إلى الاستانة كان نادراً جداً ؛ لأن المراقبة

كانت شديدة عليهم ، والجاسوسية منتشرة حولهم ، وذلك لأن الحكومة التركية كانت تخشى اختلاط المصريين بالأتراك ، حتى لا يتسرب إلى أفكارهم أن فى مصر حريات غير موجودة بتركيا ، وأن الموظفين المصريين يتناولون مرتباتهم بانتظام بخلاف إخوانهم الأتراك ، فانهم كانوا يأخذونها بعد مضى جملة أشهر من استحقاق دفعها . ولما كانت الحكومة تريد صرف مرتب شهر تعلن عنه فى الجرائد ، وكان المحتاجون من الموظفين لنقود ضرورية يبيعون مرتباتهم بتخفيض كبير للصيارفة ، وكان لهؤلاء تدخل كبير بوزارة المالية ، فيتفقون مع الرؤساء على قسمة هذا الفرق .

وقد وقفت على هذه الأمور عند وجودى بالأستانة فى هذه الزيارة .

وفى يوم ٣ يوليو وردت برقية من الصدارة العظمى لسمو الخديو بأن جلالة السلطان أمر بتعيين الفريق ابراهيم باشا من أعضاء قومسيون التفتيش العسكرى ، ليكون بمعية سموه أثناء سفره ، وأن الباشا بارح الأستانة على اليخت السلطانى « عز الدين » إلى الاسكندرية . وقد أجريت تشريفات الوداع فى يوم ٥ منه ، فتزاحم على السراى كثير من المودعين من مختلف الطبقات .



محمد شوقى باشا

السفر : وفى صبيحة اليوم التالى انتظر الخديو وصول المندوب الشاهانى ست ساعات ولما تأخر نزل سموه إلى الباخرة « الفيوم » من بواخر البوستة الخديوية . ونزلت الحاشية المكونة من محمد ثابت باشا وتيجران باشا وعبد الحليم عاصم باشا ومحمود شكرى باشا ومحمود فهمى باشا ومحمد شوقى باشا ناظر الخاصة الخديوية ودومرتينو باشا والبرنس سعيد طوسون بك وكومانوس بك ومحمد عبانى بك ورولييه بك وبروستر بك وأحمد شفيق بك وغيرهم إلى الباخرة « الشرقية » ثم صدر الأمر بالسفر ، وكانت زوارق كثيرة فى عرض البحر تقل المودعين من الأهالى والأجانب ، ملوحين بالأعلام هاتفين بالدعاء .

وبعد خروجنا من البوغاز قابلنا اليخت العثمانى « عز الدين » الذى عزفت موسيقاه السلام الخديوى ، ثم استمر فى سيره إلى الاسكندرية ، وبعد قليل رأينا عن بعد وابور « القاهرة » المقل لمختار باشا الذى كان قد تخابر مع الشركة الخديوية لاستئجاره نظراً

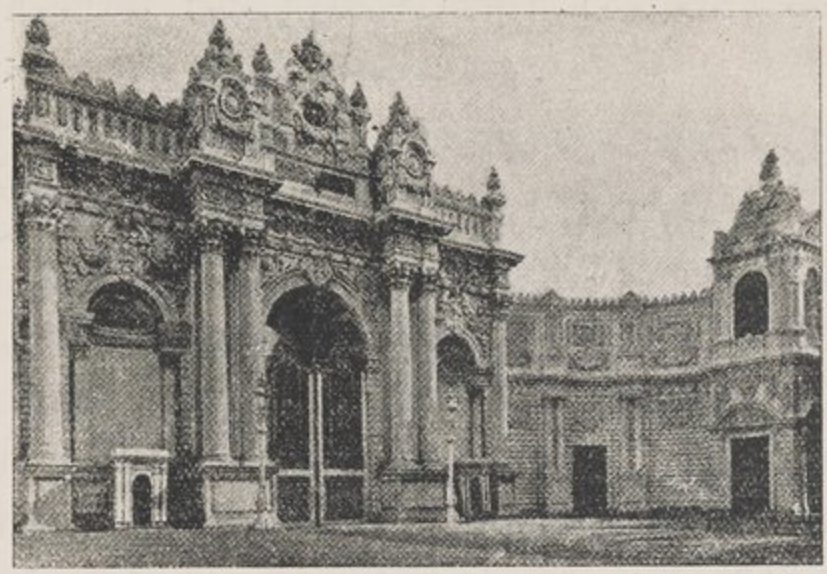
لتأخر المندوب ؛ فأشر" له بأننا سننتظره مع المعتمد الشاهانى فى جزيرة نيكاريا باليونان .

ولما وصلنا جزيرة صاقس ، وقفت البواخر . وأرسلت من هناك البرقيات للقاهرة والأستانة . وبعد الاجراءات الصحية استأنفنا السير .

فى الدردنيل وجناق قلعة : فى الساعة السابعة من صباح يوم ٧ يوليو وصلنا الدردنيل بين قلعتى « كوم قلعة » فى ساحل الأناضول وقلعة « سد البحار » فى تركية أوروبا ، وشاهدنا على الجانبين عدة طواب أخرى كانت تحيي اليخت الخديوى عند المرور حتى اقتربنا من « جناق قلعة » فشاهدنا عن بعد بريق الآلات الموسيقية التى اصطفت رجالها على الشاطىء للسلام ، حتى إذا اقتربنا منها وجدنا كثيراً من الزوارق ملأى بالنظارة والمستقبلين ، فأحاطت بالوابور الخديوى وسارت معه حتى الشاطىء ، فعزفت الموسيقى الخديوية بالسلام السلطانى . وكانت القنصليات جميعها فى جناق قلعة قد رفعت أعلامها تحية للخديو . وبعد إجراء الرسوم الصحية حضر اثنان من ياوران السلطان للسلام ؛ وهما اللواء وهبى باشا والقائمقام كنعان بك ، ثم جاء محمود عزيز بك الممثل الخديوى بالأستانة (قبو كتخدا) ثم حضر الغازى مختار باشا من وابور القاهرة . وعند الظهر حضر قومندان القلعة للتحية .

الوصول إلى سراى ضوله بغجة : ثم واصلنا السير فمررنا بمدينة غاليبولى ، ثم جزيرة مرمرة ودخلنا بحر مرمرة . وفى صباح ١٠ يوليو أشرفنا على الاستانة ، ومررنا بجزائر الأمراء فحضر زورق عليه الياور البحرى الميرالاى عثمان بك ، ليسير أمام الوابور الخديوى حتى يصل إلى رصيف سراى « ضوله بغجه » ، وكانت زوارق كثيرة تقل المستقبلين من بينها زورق البرنس ابراهيم باشا والبرنس محمود حمدى باشا عما الجناب الخديوى وفى زورق آخر البرنس محمد على شقيق الخديو — وكان قد سافر للاستانة قبلنا بأسبوع — والبرنس عثمان فاضل باشا ، فسلم الخديو عليهم جميعا . وعند وصولنا إلى رصيف السراى ، وجدنا الحرس والبحارة فأدت التحية الرسمية وعزفت الموسيقى بالسلام الشاهانى وهتفت بحياة السلطان ، وكان الخديو فى أثناء عزف السلام السلطانى رافعاً يده تعظيما . وبعد ذلك رسا الوابور أمام السراى ، وأجريت الرسوم الصحية وعندئذ صعد إلى الوابور كل من كانوا بالزوارق للتحية ثم حضر المشير رائف باشا مدير الجمارك وشاكر باشا الفريق من أركان حرب السلطان موفدين من

قبل جلالته لتحية عباس وبعدهما الغازى احمد مختار باشا وكمال الدين بك نجل البرنس حسين كامل باشا .



باب سراى ضوله بغجه

الخديو اسماعيل : وعلى الأثر شاهدنا الخديو الأسبق اسماعيل باشا قادماً على زورق يرافقه راتب باشا السردار السابق ، وقد بدا عليه الكبر وضعف بصره ، وكانت تبدو عليه اللهفة لرؤية حفيده يتجلى ذلك فى أسارير وجهه ونظرات عينيه وخطواته المسرعة رغم ضعفه ، حتى لقد أوشك على السقوط حينما كان يخطو من السلم إلى « الكويرته » ، وكنت قريباً منه مع بعض رجال الحاشية فبادرنا إلى معاونته .

وأسرع الخديو لاستقباله ، فلما تقابلا بدت على وجه اسماعيل عواطف شجن وتأثر هى مزيج من الشوق والسرور ومن الأسى والعزاء .

استقبال الخليفة له وحفلة العشاء بمثابة الاصطباح المرصع . ثم استقل الخديو زورقاً إلى الرصيف ومعه من تقدم من الكبراء . وعند نزوله حيته فرقة من البيادة بالتحية العسكرية ، ثم ركب سموه عربة كبيرة ذات أربعة مقاعد وعلى يساره رائف باشا وأمامه شاكر باشا وخلفها الحرس السلطانى ، ثم يتبعها جملة عربات تقل رجال الحاشية . وسار الموكب حتى سراى يلدز ، وكنا نشاهد الجموع الحاشدة على جانبى الطريق متطلعة إلى رؤية الأمير الشاب . والنقط العسكرية تحييه كلما مر باحداها . وكان المصريون قد احتشدوا أمام سراى يلدز لاستقبال خديويهم مع المستقبلين . فدخلنا السراى

ووصلنا إلى السلاملك. وكان هناك فى استقبال الخديو جواد باشا الصدر الأعظم والغازى عثمان باشا. وبعد الاستراحة قليلا تقابل سموه مع جلالة السلطان مقابلة دامت نحو الساعة. ثم خرج متهللا يبدو عليه السرور والغبطة. وكنا نحن رجال الحاشية فى انتظار السماح لنا بالمقابلة، فتقدمنا الغازى مختار باشا وقدمنا لجلالته، ولما وقفنا بين يديه صفاً أعرب لنا عن ارتياحه لزيارة سمو الخديو، وكذلك للخدمات التى أدتها الحاشية لولى نعمتها، ثم أذن لنا بخروجنا.

وبعد ذلك دعى سمو الخديو ورجال حاشيته إلى الغداء. وكان سموه فى صدر المائدة وعن يمينه مختار باشا وعن يساره رائف باشا وأمامه جواد باشا الصدر الأعظم وعن يمينه عثمان باشا الغازى وعن يساره درويش باشا. وبعد تناول الطعام قابل سموه مرة ثانية السلطان، وخرج أكثر ابتساماً وانشراحاً.

فى سراى دفتر دار بورنو: ثم غادر الموكب يلدز إلى سراى « دفتر دار بورنو » على البسفور فى حى أورطة كُوىْ، التى أعدت وهيئت بالأثاث الفاخر لزفاف زكية سلطان إحدى كريمات الخليفة، وخصصت لاقامة الخديو، وهناك وجدنا البرنس حليم باشا وأنجاله والبرنس حسام الدين باشا وعثمان فاضل باشا وأفراد عائلته فسلموا على الخديو.

وبعد أن استراح سموه حضر تراجمة السفارات بالنيابة عن سفرائهم، فتشرفوا بالمقابلة كما هى العادة الرسمية من حضورهم قبل سفرائهم، وفى يوم آخر رد سموه الزيارة للسفراء الذين حضروا بعد ذلك. وجاء جواد باشا الصدر الأعظم فأبلغ الجناب العالى سرور السلطان من زيارته وارتياحه العظيم لوجوده بالاستانة.

وقد قص علينا الخديو ما لاقاه فى المقابلتين من رعاية جلالة السلطان وترحيبه وحنوه الأبوى؛ ومن ذلك أن جلالته لم يقبل منه تقبيل العتبات(*) السلطانية كما هى العادة، بل احتضنه احتضان الوالد لابنه، وأنه سيهدى إليه « نيشان الامتياز المرصع » غداً، ويسلمه له بيده، كما قال له: « أنت عندى بمنزلة عضو عزيز من أعضاء أسرتى فاعتبر نفسك فى هذا المكان. » وقال له أيضاً: « إن باب يلدز مفتوح لك كلما أردت مقابلتى من غير وسيط » فأعرب سموه عن عميق إخلاصه وعرفانه لذلك العطف السلطانى.

وبعد أن حضر الوكلاء للزيارة تناولنا طعام العشاء، وكان معنا وهبى باشا المهمندار.

(*) لثم العتبات عبارة عن تقبيل طرف الثوب.

وزودت المائدة بأصناف المشروبات الروحية ، ولكن لم يتناول أحد منها شيئا . وفى هذه الأثناء كانت الموسيقى السلطانية ، وهى مكونة من كمنجة وعود وصفارة وطار وآلات وتريّة أخرى ، توقع ألحاناً شجية . وكان يتابع التوقيع بالغناء شبان أحداث يرتدون الملابس العسكرية ، وأغلبهم حائزون لمداليات حتى الصغار منهم .

تهديد روليه لأحد الخدم : وكانت غرف السراى قد وزعت على كبار الحاشية ، وكان زميلى فى غرفتى روليه بك . وفى أثناء الليل أصابه مغص شديد ، فأراد الذهاب إلى المرحاض ، ولما حاول فتح باب الحجرة وجده مغلقا ، فعالج فتحه فلم يتمكن ، فصار يضرب الباب بيديه ويدق عليه بعصاه الغليظة وهو بقميص النوم فقط ، عارى الرأس والصدر ، فحضر الخادم المختص « محمد بك » وفتح باب الغرفة بالمفتاح !! ، فرأى روليه بك عابس الوجه وفى حالة عصبية يلوح له بالعصا ، فخشى أن يعتدى عليه وفر من أمامه . وفى الصباح قابلت عباسا ورويت له ما حصل . قلت — مازحاً — إن الخادم لا بد وأنه أرسل اليوم تقريراً بأن بين رجال الحاشية وحشاً !! فضحك الخديو كثيراً .

وبهذه المناسبة ، نذكر أنه كانت من مميزات الخدم المعينين لخدمة رجال المعية الخديوية أنهم يلقبون « بيك » ، ويعرفون القراءة والكتابة ، ويحملون إلى المابين أسماء كل الزائرين نقلا عن دفتر الزيارات خلسة بعد دخولنا للنوم .

العشاء على المائدة السلطانية والانعام على الخديو بنيشان الامتياز المرصع : وفى مساء ١١ منه ذهب الخديو إلى سراى يلدز ، حيث كان مدعوا للعشاء ومعه من الحاشية الباشوات والبرنس سعيد طوسون بك وكومانوس بك ومحمد عبانى بك .

وبعد عودتهم علمنا أن الصدر الأعظم كان فى استقبال سموه مع درويش باشا ومنير باشا رئيس التشريفات ، وبمجرد الوصول قابل سموه جلالة السلطان مقابلة خاصة . ثم دعى تيجران باشا وثابت باشا فى بهو كان به كثيرون من مشيرى الدولة ، وبعد برهة دخل الجناب الشاهانى . وخاطبهما بأنه سيهدى الخديو نيشان الامتياز المرصع ، وأنه طلبهما ليكونا من الذين يشهدون هذا الالتفات السلطانى . وبعد ذلك دخل سمو الخديو يصحبه منير باشا والحاج على بك رئيس الأمناء « الباش مابينجى(*) » ، وكان يحمل النيشان فى صينية من الذهب ، فتناوله جلالته وقلده للخديو قائلا : « ها هو

(*) المابين : هى التشريفات السلطانية .

نيشان الامتياز الذى وعدتك به ، وإنى أقلدك إياه بيدى فانك حزت ثقتى الزائدة نظراً لحسن إدارتك . »

ويقال إن هذا النيشان أنفق على صنعه أربعة آلاف جنيه عثمانى .

وبعد ذلك ذهب المدعوون لتناول الطعام ، وكان عددهم اثنين وثلاثين مدعوا من الحاشية وكبار رجال الدولة العلية . ودخل السلطان يرافقه الخديو ، وقد أجلسه على يمينه حيث قد اعتذر عن الحضور جواد باشا الصدر الأعظم ، وذلك لأن رتبة الخديو كرتبة الصدر الأعظم ، ولكنه مقدم عليه ، ولهذا اعتذر عن حضور المأدبة ليجلس الخديو عن يمين السلطان زيادة فى الرعاية ، وكان عن يسار جلالته الغازى مختار باشا .

وقد قصّ علينا الخديو ما دار بينه وبين السلطان . وأن جلالته لم يتحدث معه بشأن الأزمات التى وقعت بينه وبين المحتلين فى مصر . مما لابد أن يكون قد بلغ مسامعه عن طريق مختار باشا ولكن دار الحديث حول الاحتياطات الصحية التى اتخذتها الحكومة المصرية بخصوص الكوليرا ، وارتياح السلطان لها . وطلب أن تشترك مصر فى المعرض الصناعى الزراعى الذى سيفتح فى استامبول وإرسال مندوب خاص لهذا الغرض . ومما لاحظه سموه أن السلطان يأكل على المائدة من أطباق خاصة ، يقدمها السفرجى الخاص الحائز لرتبة الباشوية والنيشان المجيدى الأول ، وكل أعوانه يقال لهم « بيك » .

وبعد العشاء خرج الجميع ثم دعى الخديو ثانية لمقابلة السلطان . ودار الحديث بينهما بصفة عائلية فرغب جلالته فى أن يزور الخديو الاسطبل السلطانى ، حتى إذا أعجبه شىء من الخيول يأمر بارساله لمصر ، وكذلك يزور معامل الأقمشة السلطانية فى هَرَكَة فيكتب لناظر الخاصة عن كل ما يعجبه . وزيادة فى الحفاوة بسموه استدعى السلطان أولاده الثلاثة ، وقدمهم إليه وأمر أحدهم ، وهو فى نحو الثامنة من عمره ، بأن يوقع على البيانو قطعة موسيقية ، ثم أمره بالغناء التركى ففعل . ولاحظ أن السلطان مولع بفن الموسيقى وله به إلمام كبير . وعلى العموم فقد كان الخديو مسروراً لما لقيه من الرعاية والحفاوة .

تهانى البرنسات والمصريين : وفى يوم ١٢ يوليو ، حضر جدّه اسماعيل ومعه نجلاه حسين وابراهيم . كما حضر كثير من المصريين لتهنئة الجناب العالى بما ناله من التعطفات الشاهانية .

مقابلات وماّدب وزيارات .

زيارة الخديو لجده ورد الزيارات للأمراء : فى صباح ١١ يوليه ، اعتزم الخديو زيارة جده فى سراى «ميركون» فاستصحب معه فى الزورق البرنس سعيد بك طوسون وثابت باشا وعبد الحليم عاصم باشا ومحمد العبانى بك وحسين محرم بك ووهبى باشا وكنعان بك واحمد شفيق بك . وعلى رصيف السراى ذبحت الذبائح عند نزول سموه . واستقبله هناك البرنسات ومحمد راتب باشا ومحمد بك الجركشى وكيل دائرة اسماعيل وغيرهم ، وفى أسفل السلم كان اسماعيل باشا ينتظر حفيده فى اشتياق ولهفة ثم دخلا إلى الحرم فقضيا نحو الساعة ثم خرجا ، فرافق الخديو الى أسفل السلم وعاد . أما البرنسات فاستمروا حتى نزلنا فى الزورق عائدين . ثم ذهبنا إلى « بيك » لرد الزيارة للبرنس حليم باشا . وعدنا لسراى « دفتر دار بورنو » أما بقية رجال الحاشـــية فقد ذهبوا بعدنا لزيارة اسماعيل .

زيارة سموه للصدر الأعظم : وفى يوم ١٢ منه ، توجه الخديو لزيارة الصدر الأعظم فى الباب العالى ، فاستقل عربة تشريفات سلطانية يقودها أربعة من كرائم الخيل . وقد رد له الصدر هذه الزيارة وقد حضر الوكلاء (الوزراء) لزيارة الخديو ورد لهم سموه هذه الزيارة .

مشاهدة حفلة السلاملك والاستعراض العسكرى : فى يوم ١٤ يوليو ، تناول سموه الغداء . ثم ركب إلى سراى يلدز حيث دعى لمشاهدة الاستعراض العسكرى مع السلطان فى الكشك المشرف على محل اصطفاف العساكر من أتراك وعرب وأكراد وألبانيين . أما نحن رجال المعية فكنا قد ركبنا عربات وذهبنا لنشاهد الاستعراض . وكان ازدحام المتفرجين شديداً وبينهم كثير من المصريين .

وعند الظهر مرت عربة السلطان مكشوفة وعلى الجانبين صفان من مشيرى الدولة ، ويتبعها كثير من الضباط العظام والياوران ، وكانت الموسيقى تصدح بالسلام الشاهانى ، والسياس بملابسهم الرسمية ، تزينها مداليات ونياشين مختلفة . وعند نزول السلطان أذّن المؤذن فى الجامع الحميدى بجوار يلدز وأقيمت صلاة الجمعة . والمعروف — كما علمت — أن السلطان يدخل من باب خصوصى يؤدى إلى مقصورته فى أعلى المسجد بحيث لا يبصره أحد . وكان المسجد قبل دخوله مزدحماً بالمصلين فلما حضر غص بالضباط

العظام . وبعد الصلاة ركب جلالته إلى الكشك الخاص الذى يشاهد منه الاستعراض . وكان الخديو فى انتظاره به ، وعندئذ بدأ الاستعراض . وكان هناك محل آخر للمشاهدين يدخلونه بتذاكر ، فحصلت مع روليه بك على تذكرتين للدخول . وأذكر بهذه المناسبة أنه عند ماسمعت البورى يعلن خروج السلطان من يلدز لصلاة الجمعة ، ولكون بصرى قصيراً كنت قد استحضرت معى منظاراً مقرباً ، فأخرجته ووضعته على عينى ، وما كدت أفعل حتى سمعت من الخلف من يناديني باللغة الفرنسية : « ما ذا تعمل ؟ » قلت له : « إننى أستعين على الرؤية بهذا المنظار » قال لى : « لا تفعل لأنه من المحظور أن يحمل أحد شيئاً عند مرور السلطان ! » ثم سألنى عن جنسيتى ، فأخبرته بأننى مصرى فتعارفنا فكان المسيو مكسيموف(*) الترجمان الأول بسفارة الروسيا وعرفته بزميلى روليه بك فدعانا إلى العشاء فى النادى الشرقى فى بيوغلى .

أما الخديو فانه بعد انتهاء الاستعراض ، استأذن فودعه الصدر الأعظم إلى باب الكشك . ثم حضر رئيس الاسطبلات وركب مع سموه إلى الاسطبل بالكاغدخانة لزيارته . وقد انتقى سموه جوادين إجابة لأوامر السلطان ، ثم عاد إلى مقره .

إنعامات السلطان على حاشية الخديو : فى ١٥ يوليو حضر الغازى مختار باشا وسلم الخديو ، بناء على أمر السلطان ، النيشان العثمانى المرصع مع براءة باسم رياض باشا ، والنيشان المجيدى المرصع لتيجران باشا وثابت باشا ، والنيشان العثمانى من الدرجة الأولى لمحمود بك عزيز القبو كَتخُدا ، والمدالية الذهبية والفضية من درجة الامتياز للأمير سعيد طوسون بك ومحمد شوقى باشا ودومرتينو باشا ومحمود فهمى باشا ومحمود شكرى باشا وعبد الحليم عاصم باشا وحسين فهمى بك وعلى عبادى بك من البحرية ومحمد توفيق بك الياور ، والمدالية الفضية لعبانى بك وكومانوس بك وعلى سليم قبطان « الشرقية » وحسين رمزى بك ويوسف ضيا بك وحسين محرم بك والشيخ محمد راشد وروليه بك وبروستر بك واحمد شفيق بك . وقد سلمنا سموه بيده هذه النياشين والمداليات أمام مختار باشا فدعونا للسلطان وللخديو .

مأدبة « جاردن پارتى » للمصريين : وظهر يوم ١٨ يوليو ، أعدت مأدبة فاخرة بحديقة يلدز دعى إليها جميع المصريين الذين وفدوا إلى دار السعادة بمناسبة زيارة سموه . وكان السلطان أنعم على ثمانية وعشرين منهم بمداليات الامتياز الذهبية وعلى خمسين

(*) وقد عين فيما بعد قنصلا عاما فى مصر للروسيا .

بالمدالية المذكورة من الفضة ، وكان عددهم يربو على المائة نذكر منهم الباشوات : أمين توفيق وعلى آصف ومحمد صادق ، والبيكوات اسماعيل صبرى وأمين فكرى واسماعيل ماهر واسماعيل سامى واسماعيل برعى واسماعيل غنيمه واسماعيل توفيق زاده واحمد زيور واحمد الحسينى واحمد توفيق راغب واحمد تيمور زاده واحمد ذو الفقار واحمد محسن زاده واحمد حسيب واحمد حمدى وابراهيم رشيد وحسن مدكور وحسين عابدين وحفنى ناصف وحسين القره جللى وحسين شاهين وحسن حلمى ورجب نصرت وسيد الفقى وعبد الله فائق وعزيز ثابت وعباس الدره‌مللى زاده وقاسم أمين ومحمود سالم ومحمد محب ومحمود محمد رستم ومحمد فهمى ويوسف طلعت والشيخ على يوسف واحمد راتب افندى واحمد لطفى السيد افندى وسعد زغلول افندى وغيرهم عدا رجال حاشية الخديو .

ولما وصل المدعوون إلى بابها كان فى استقبالهم كثير من خدم المابين . وكانت العربات السلطانية معدة لركوبهم ؛ فساروا بين خمائل الأزهار وظلال الأشجار ، حتى وصلوا إلى المحل المعد لهم ، وقد صفت الكراسى لجلوسهم . وكان فى استقبالهم من رجال السراى رائف باشا والبرنس ابراهيم باشا عم الخديو وشاكر باشا ووهبى باشا واحمد عزت العابد بك أحد أعضاء شورى الدولة وابراهيم بك راسخ ، وعلى جانب من مجالسهم قد مدت مائدتان عظيمتان جمعتا من أفخر ألوان الطعام وألذ أنواع الحلوى والفاكهة .

فحضر الغازى مختار باشا ودرويش باشا بالنيابة عن الحضرة السلطانية وتناول كل منهما شيئاً مما على المائدتين إيذانا للحضور بتناول ما يلذ لهم منها ، وعادا إلى داخل السراى . ثم حضر صاحبا السماحة والفضيلة السيد احمد أسعد افندى . والسيد جمال الدين الأفغانى فبلغا جميع الحاضرين امتنان الحضرة الشاهانية من حضورهم ، وفرحها الزائد برؤيتهم ذاتياً فى سرايها العامرة ، وأن مولانا الخليفة الأعظم يحب أن يعرّف كل إنسان من المصريين ما يختلج بخاطره الشريف فى هذه اللحظة من عواطف الارتياح والسرور بحضورهم فى دار الخلافة العظمى ونظره لهم .

وبعد الفراغ من الطعام حضر من قبل الجناب العالى الشاهانى مرة ثانية صاحب الدولة الغازى مختار باشا ودرويش باشا ، لتبليغ جميع الموجودين فى الحفلة من المصريين سلام جلالة مولانا الخليفة لكل فرد ، وإظهار عظيم امتنانه وانشراحه وسروره

وارتياحه من رؤيته لهم . فقابلنا هذه التعطفات السامية بالشكر العظيم والابتهال إلى الله تعالى أن يحفظ ذاته الشريفة . ثم جاء اثنان من كبار رجال التشريفات وطافا على جميع المدعوين بباقات الزهور المشتملة على أجمل الرياحين والأعطار من حديقة يلدز — كما اقتضت الارادة الشاهانية — وكان مع كل باقة ورقة مطبوع فيها جميع أصناف الأطعمة التى أعدت على المائدتين .

وكان كل من احمد عزت العابد بك وجمال الدين الأفغانى والسيد احمد أسعد افندى ، يختلطون بنا ويتسامرون معنا مظهرين سرورهم من وجودنا فى يلدز .

واستمرت الحفلة زهاء الساعتين ، كانت الموسيقى تصدح فى خلالها كما كان جلالة الخليفة يشرف علينا من الكشك المطل على هذه الجهة وفى معيته الخديو — وكان قد سبقنا إلى يلدز — وخواص رجال المابين .

وبعد الانتهاء أذن لنا بالانصراف ، فودعنا عند الباب الخارجى للسراى احمد عزت العابد بك وأدهم راسخ بك .

والحق أننا كنا عند خروجنا فى غاية الانشراح من هذا الاحتفال الباهر .

العشاء فى يلدز ومشاهدة التمثيل فى المسرح الخصوصى : وفى يوم ٢٥ منه ، تناول الخديو ورجال حاشيته طعام العشاء فى يلدز . وقد لاحظنا — كما لاحظ الخديو من قبل — أن السلطان يأكل من أطعمة خاصة ، وكان خلفه السر تشريفاتى واثنان من الياوران وقوفاً لتلقى أوامره ، وقد نبه علينا بألا نلتفت إلى السلطان أثناء الطعام .

ولاحظنا أيضاً أنه كلما حادث السلطان الخديو كان سموه يقوم فيؤدى التحية العسكرية ويرد على جلالته ! ! وبعد انتهاء الطعام دعينا لمشاهدة التمثيل بمسرح السراى .

ونذكر بهذه المناسبة أنه لما كان الخديو مع السلطان فى المقصورة الخصوصية ، قدم جلالته لسموه لفافة من التبغ ، بيد أن الخديو امتنع — تأدباً واحتراماً — فقال السلطان : « الطاعة فوق الأدب » فتناولها سموه ودخنها .

مشاهدات الخديو فى الاستانة : فى يوم ١٥ يوليو ، زار سمو الخديو مع بعض رجال الحاشية سراى بكلر بك على الشاطىء الاسيوى للبسفور ، وهى سراى فخمة وبها نقوش عربية رائعة ، ومبنية من الرخام الأبيض ، وفى داخلها فى الدور الأول قاعة كبيرة مزينة بأعمدة من الرخام وفى وسطها بركة من الرخام كذلك .

وفى يوم ١٦ منه زرنا سراى بَيْنقوس ، وهى من آثار محمد على باشا . وفى ١٧ منه زرنا الكاغدخانة وبها قصر جميل ، ثم شاهدنا البوليجون المعد لتجربة البنادق التى تصنع فى المصانع العثمانية أو تشترى من الخارج ، ثم أوغل الخديو قليلا فى الغابة المشهورة هناك بحسن مناظرها ، وهى واقعة فى واد جميل يخترقه نهر يسمى نهر الكاغدخانة ، يأخذ من منبع يسمى « ماء على بك » ويصب فى القرن الذهبى . وعلى ضفتى هذا النهر أعظم نزهة ، وأحسن أيامها فى وقت الربيع . لأن جمال هذه الضفاف التى تكسوها الطبيعة حللا خضراء سندسية ، يزداد وينمو إلى أن يتكامل فى ذلك الموسم . ويتنزه الأهالى فى يومى الأحد والجمعة فى قوارب على النهر ، كما توجد جملة مقاه على ضفتيه .

وفى يوم ١٨ منه زار سراى كوكسو ، وهى جميلة ولكنها أقل فخامة من سراى بكلر بك ، وتقع بجوار قرية أناضولى حصار . ثم جامع أيا صوفيا وهو غاية فى الفخامة والروعة ، به أربع مآذن بينهن قبة كبيرة علوها من الداخل ٦٥ متراً ، وفناء الجامع من الداخل فسيح جدا ، وجدرانه مزينة بالفسيفساء الجميلة . وفى هذا الجامع مدافن لبعض السلاطين وهو من أقدم المساجد ؛ أصله كنيسة شيدها الرومان .

وفى يوم ٢٠ منه توجه سموه لمشاهدة « بَنْدلر » فى غابة بلغراد ، حيث محل تقسيم المياه من واديين أقيم لكل منهما سد بلغ ارتفاعه ستين متراً فى عرض خمسة أمتار من الرخام المرمر الأبيض ، وفى الأسفل من السدّين تنساب المياه العذبة من أنابيب تصب فى جداول تجرى إلى المدينة ، فيستقى منها أهالى بيوغلى وقاسم باشا وغَلَطه وبشكطاش وهم يزيدون على الستمائة ألف نسمة .

وفى يوم ٢٢ يوليو زار مسجد أبى أيوب الأنصارى . وكانت العادة قديماً أن يقلد السلطان الجديد سيف عمر بن الخطاب به بدل التتويج . وفى ساحة هذا المسجد يرى كثير من الحمام المستأنس ، وله أوقاف لغذائه .

وفى ٢٣ منه زرنا جامع نور عثمانية ، وهو مبنى من الرخام على طراز بديع ، ويقع أمام باب السوق الكبير (بيوك جارشو) وبعدها زرنا جامع بايزيد وهو مسجد جميل جدا ، وفيه كثير من الأعمدة الثمينة من أحجار مختلفة . وهناك وجدنا بعض المدرسين يجلسون على حشايا صغيرة داخل قالب من الخشب ذى حاجزين . وفى هذا المسجد لوحة بالخط الثلث الجميل مكتوب فيها : « سبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم — كتبه محمود بن عبد المجيد خان » ، وهذه اللوحة من خط السلطان محمود . وبحديقته مقبرة

السلطان بايزيد الثانى . ثم زرنا جامع سليمانية ، وهو يجمع بين الفخامة والرونق وجمال المنظر ، وله أربع مآذن . وقد قيل لنا إنه أمتن مسجد بعد أيا صوفيا . ثم زرنا السوق الكبيرة « بيوك جارشو » ، وفيها كثير من تجارة الأقمشة والجواهر وغير ذلك من التحف الأثرية . وبناؤها حجرى هو غريب فى بابه ، ويشتمل على جملة ممرات ضيقة لا تدخلها الشمس نظراً لأن سقفها عبارة عن قباب صغيرة .

وفى يوم ٢٤ منه ركب سموه وتوجهنا لزيارة بيوك أطه وزار مدير البلدية فقدم للخديو أعضاء أسرته .

هدية من العاشوراء : وفى نفس اليوم حضرت جملة أوان من سراى يلدز مملوءة « عاشوراء » هدية من السلطان للخديو .

احتفاء الخديو اسماعيل بحفيده . فى مساء ٢٠ يوليو توجه سمو الخديو مع حاشيته إلى سراى ميركون ، وكان فى الاستقبال على المرسى أصحاب الدولة أعضاء العائلة الخديوية يتقدمهم البرنس حسين باشا كامل ، ويصحبهم راتب باشا ، أما اسماعيل فكان فى استقبال حفيده داخل باب السراى ، حيث حاول الجناب الخديوى تقبيل يده احتراماً لمقام الأبوة . فأبى عليه ذلك إجلالا لمقامه فى ضيافته . وبعد أن تبادلا التحية ركبا عربة خصوصية ، وركب من معه عربات أخرى ، وقد سرنا فى طرق حديقة السراى الفسيحة الأرجاء للتنزه والرياضة . وبعد نحو ساعة عدنا إلى السلاملك وصعدنا إلى قاعة الاستقبال وهى على أكمل ما يكون من حسن الرونق وفخامة المظهر . هذا وما كادت الشمس تشرف على المغيب حتى سطعت فى جو الحديقة نجوم الزينة الزاهرة ، وقد رصفت جدرانها وتوجت ربواتها بالأنوار وتدلت من خلل الأشجار كأنوار الأزهار قبل الأثمار ، ولفت الأنظار دائرة نورية تمثل شكل نيشان الامتياز المرصع بكل ما اشتمل عليه من الألوان مع النياشين فى تركيب مثال الأحجار الكريمة ، ويشف من خلالها النور فتكون الصورة طبق الأصل من كل وجه . وناهيك بما كان من جمال الأهلة والنجوم ذوات الأذناب والطغراء والأقواس والدوائر والمثلثات وكلها مما يبهر الأبصار .

ولما دخلنا غرفة المائدة بهرتنا فخامة الأوانى الصينية والذهبية التى يندر وجودها عند الملوك ، وقد صنعت باسم الخديو الأسبق منذ أعوام بعيدة فى فلورنسا على الرسم الذى وضعه ماريت باشا ، وفيه أدق النقوش التى توجد على الهياكل المصرية بألوانها البديعة .

وزاد بهاء المأدبة ، أنها جمعت أعضاء أسرة اسماعيل . وكانت الموسيقى السلطانية تصدح بأنغامها الشجية . وبعد الفراغ من الطعام جلس الخديو وجده فى بهو السلاملك وجلسنا نحن بالأمكنة المعدة لنا . وفى هذا الوقت حضر من سراى دفتردار بورنو باقى رجال المعية فقدمهم الخديو إلى جده ، فقبلوا يده ، وكان يقابلهم بحسن التلطف والرعاية .

وبعد ذلك يمم الخديو وجده ونحن نتبعهما ، سرادقا أمام مسرح أعد لتمثيل رواية تركية من نوع « الكوميديا » ، فجلس سموه وعن يمينه جده وعن يساره البرنس حسين كامل باشا ، وجلست وبجوارى روليبه بك وكنت أترجم له كل ما يقال على المسرح فيعجب به .

وبقى الخديو إلى نهاية الفصل الثانى ، ثم بارح السراى يصحبه حضرات البرنسات إلى المرسى ، ورجعنا إلى سراى دفتر دار بورنو .

دعوة عباس لأسرة اسماعيل : وفى يوم ٢٣ منه ، توجهنا مع الخديو إلى الوابور « الفيوم » لاستقبال أعضاء عائلة جده اسماعيل باشا ؛ رجالا ونساءاً . وقد تناولوا طعام العشاء . وفى أثناء ذلك حضر مختار باشا وأبلغ سموه تصريح السلطان له بالسفر يوم ٢٧ يوليو . وبعدها عاد كلٌّ إلى مقره .



السلطان عبد الحميد خان



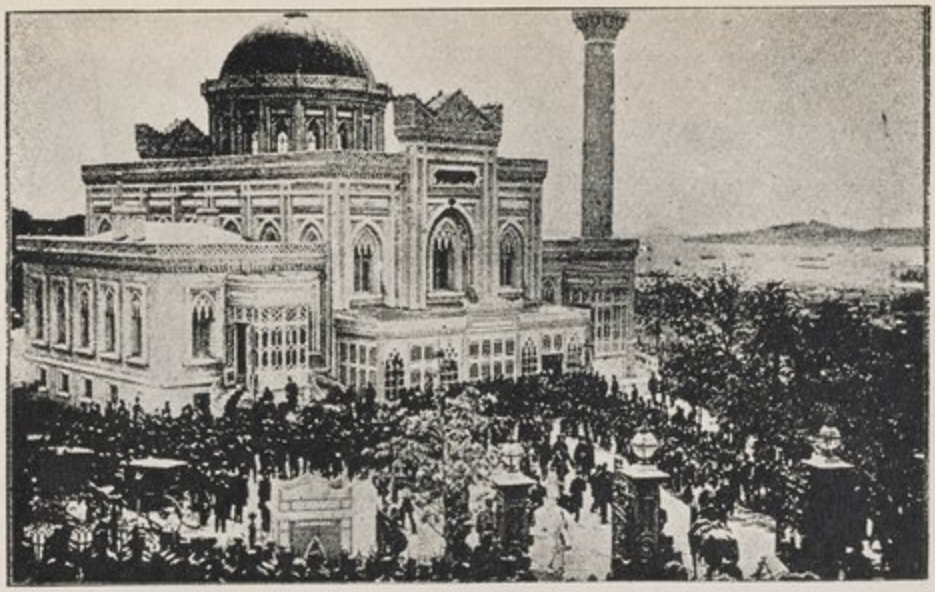
الغازى احمد مختار باشا



جامع بايزيد



جامع سليمانية



جامع الحميدية



مسجد أبي أيوب الأنصارى



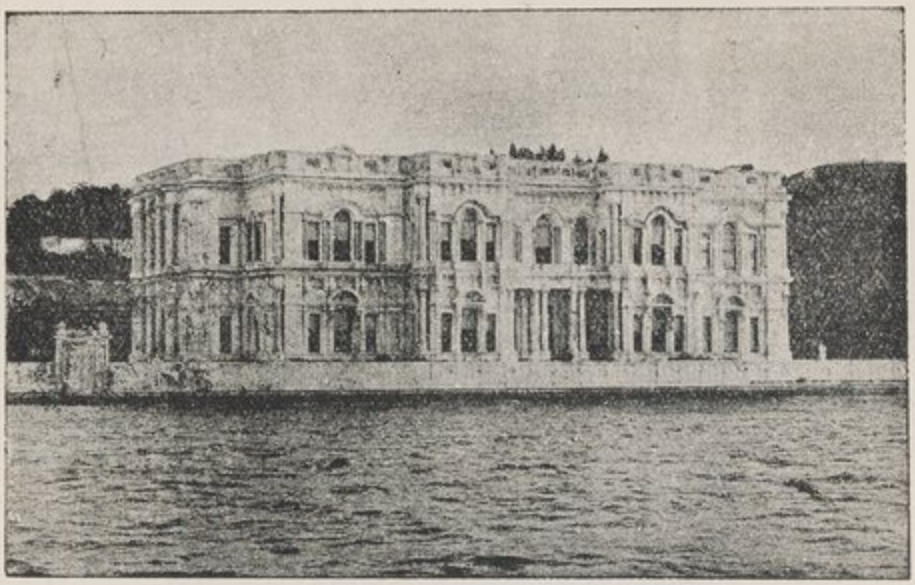
جامع أياصوفيا



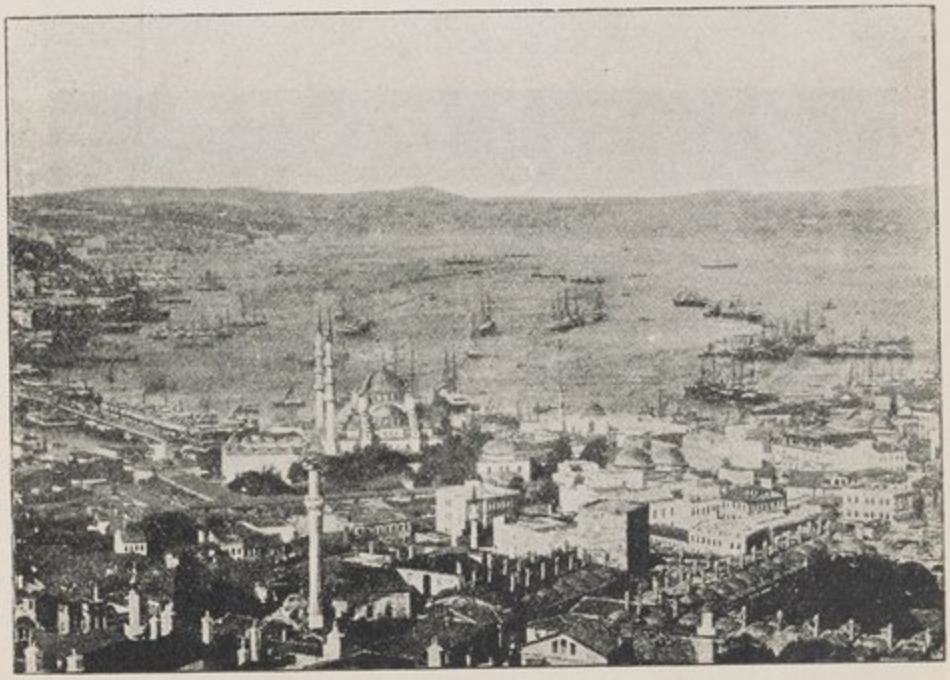
جامع نور عثمانية



غرفة الطعام فى يلدز



سراى بكلر بك



البسفور



الـكاغدخانة



كوبرى غلطة



مطافئ الحريق الأهلية



منظر السوق الكبير من الداخل



منظر السوق من الخارج



راتب باشا

هدايا السلطان للخديو. وفى يوم ٢٥ منه ، حضرت الى السراى عربات محملة بكميات وافرة من أجمل المصنوعات الحريرية المشغولة فى الفابريقة السلطانية (هركه) ، وفى ٢٦ منه جىء لسموه بعدة لوحات من أبدع الرسومات الزيتية من عمل تلامذة مدرسة الصناعة السلطانية ، وهى تحتوى على صور سلاطين آل عثمان .

وفى نفس اليوم توجهت الموسيقى الخديوية الى سراى يلدز ، بناء على طلب السلطان ، وصدحت أمام جلالته فسر منها ، ومنح أفرادها ثلاثمائة جنيه عثمانى .

لقاء عباس بالسيد جمال الدين الأفغانى . كان الخديو شديد الرغبة فى مقابلة السيد جمال الدين الأفغانى ، لما كان يسمع عنه فى مصر ، فأرسل إليه مصطفى افندى الحصرى المصرى لتحديد موعد لمقابلته ، فأفهمه السيد جمال الدين أن هذه المقابلة لن تكون إلا بعد إذن السلطان ، فاستأذنه الخديو غير مرة دون جدوى .

وذات يوم بينما كان الخديو ممتطياً جواده متنزها فى الكاغدخانة ، قابل السيد وعرفه بنفسه ، ومكثا نحو ساعة يتجاذبان أطراف الحديث . فوصل الخبر الى السلطان فأحضر لديه جمال الدين وقال له : « أتريد أن تجعلها عباسية ؟! » — أى يسند الخلافة الى عباس — فردّ عليه جمال الدين قائلا بأن الخلافة ليست خاتماً فى أصبعه يضعه فى أى مكان يريد . وقد أبلغنا هذا الحديث مصطفى افندى الحصرى . وبعد ذلك لم يحاول الخديو مقابلة جمال الدين مرة أخرى .

حفلة الوداع والعود الى مصر . فى يوم ٢٧ يوليو ، تناول الخديو طعام العشاء مع السلطان . فأجلسه عن يمينه والغازى مختار باشا عن يساره . وبعد الانتهاء من الطعام ، اختلى الخليفة بضيفه فى الصالون مدة . وبعد ذلك هم الخديو بلثم يد السلطان فأبى

وأقبل عليه وأخذ وجهه بين يديه كأنه يهم بتقبيله ، وصحبه حتى باب الصالون ثم التفت الى ثابت باشا ورجال الحاشية ، وكانوا وقوفاً فى الانتظار ، وقال لهم : « قد رأيتم أنتم وزملاؤكم مقدار عنايتى وانعطافى نحو الجناب العالى الذى أجعله فى منزلة ابنى ، وإننى لراض تمام الرضاء عن منهجه القويم الحكيم فى إدارة شئون البلاد ، فأكلفكم أنتم أيضاً عند عودتكم الى الديار المصرية ، بابلاغ نظار وموظفى الحكومة وأعيان البلاد وأهلها أنهم إنما يكونون أهلا لثقتى ورضائى ، بحسن ولائهم وإطاعتهم وصدق خدمتهم للجناب الخديوى » .

وبعد ذلك أوصله الصدر الأعظم إلى العربة ، والمهمندار إلى وابور الفيوم . وأمر الخليفة أن يكون فى معيته شاكر باشا ووهبى باشا حتى جناق قلعة .

أما نحن فقد ذهبنا الى وابور « الشرقية » ، وكان اسماعيل باشا وأنجاله قد سبقوا الى وابور « الفيوم » فى انتظار عودة الخديو لوداعه . وقد تحادثت مع اسماعيل ومال بنا الحديث الى كتاب الرق فى الاسلام — الذى كنت أهديته إليه — فقال لى إنه يوافق على ما جاء بالكتاب حتى النهاية ، ولكن الكتاب لا يلائم أفكار أهل الاستانة من حيث نتائجه .

وبعد أن انتهت مراسم الوداع ، آذنت الباخرة الخديوية بالمسير قبيل غروب الشمس . وكان المنظر رائعاً على الشاطىء الاسيوى ، إذ كانت الأشعة الضئيلة المنعكسة من الشاطىء كأنها زينات ومصابيح بيضاء « أور »(*) على سفح الجبل المدرج .

وفى صباح ٢٨ يوليو كنا أمام « جناق قلعة » فأدت التحية العسكرية ، واستأنفنا السير ، وكان البحر قد أصبح هائجاً والجو ملبداً بالغيوم . وفى يوم ٣٠ يوليو لاح لنا فنار الاسكندرية ، وبعد مدة وجيزة حضر الوابور « نور البحر » مزيناً بالأعلام وبه رياض باشا والنظار والبرنس فؤاد باشا ، فصعدوا الى الوابور وتبادلوا وسموه التحية .

وعقب ذلك تواردت الزوارق من كل صوب وحفت بالوابور كأنها ترفرف حواليه ، وهكذا وصلنا إلى الميناء ، بعد أداء التحيات العسكرية من الطوابى ومن الجند المصطفة على الرصيف ، ومنها إلى سراى رأس التين ، حيث وفدت ألوف المهنئين .

وفى ٣١ منه أجريت التشريفات بالملابس الرسمية والنياشين .

(*) أور المصابيح التى تضاء بغاز الاستصباح .

مآدب خديوية : فى يوم ١٩ أغسطس أقام الخديو مأدبة للنظار وكبار رجال المعية وأعضاء المجلس البلدى بسراى رأس التين . وزينت ساحة السراى بأفخم الزينات . وغنى فى هذه الليلة عبده الحامولى .

وفى ٢١ منه أقام الخديو مأدبة أخرى لأعضاء لجنة الاحتفال بقدومه ، الذين نابوا عن أهالى الثغر .

أقوال الصحف الانجليزية عن الزيارة : وقد تتبعت الصحف الانجليزية زيارة الخديو للسلطان وعلقت عليها؛ فقالت : « إن الاستقبال كان بسيطا ! وليس كما كان ينتظره عباس !! وكان عبد الحميد يناديه بكلمة ولدى ، حتى يشعره بأنه فى نظر جلالته طفل صغير يقدم له بيد حلوى وبالأخرى عصا . فكلما كان يظهر من وجه عباس أنه يريد الكلام فى مسألة هامة تشغل باله ، قاطعه السلطان بأخبار الطقس ومقارنة مناظر النيل بمناظر البسفور واكتشافات حمدى بك الأثرية فى تركيا الخ . »

شئون مختلفة .

شعار خاص للمحامين أمام الاستئناف : رأى احمد بليغ باشا رئيس محكمة الاستئناف ، أن يرتدى المحامون أمام هذه المحكمة ، رداءا خاصا يكون شعاراً لهم ، فكتب باقتراحه إلى نظارة الحقانية فوافقت عليه ، واتفق أن يكون البنش « الروب » هو الشعار الرسمى ، واحتفل بذلك فى قاعة الجمعية العمومية للمحكمة ووزع على كل محام « بنشه » . وفى يوم ٢٥ فبراير قدم بليغ باشا المحامين إلى الخديو بهذا الزى فاستقبلهم واحداً واحداً .

المجيدى المرصع لرياض باشا : لما علم السلطان من الغازى احمد مختار باشا بوطنية رياض باشا وتقلده رياسة مجلس النظار ، أنعم عليه بالنيشان المجيدى المرصع . وقد قدمه الغازى للخديو فى يوم ٣ أبريل كيما يقلده سموه بيده لرياض باشا .

عودة الخديو للقاهرة : وفى يوم ٢ نوفمبر عاد الخديو من مصيفه إلى القاهرة ، وكان الاستقبال حافلا فى كل الجهات عامة وفى القاهرة خاصة .

ملاحظة الخديو على سلوك الضباط الانجليز . وجهت رياسة الياوران الى السردار بتاريخ ٢٢ نوفمبر المذكرة الآتية :

« الجناب العالى الأفخم بعد خروجه من تياترو الأوبرا ليلة أمس، قاصداً تشريف سراى القبة العامرة ، فعند ما وصل الركاب المنيف أمام سبيل والدة المرحوم محمد على باشا الصغير تجاه مسجد أولاد عنان ، تصادف مرور دوكار بالقرب من العربة المقلة للذات الخديوية فيه اثنان من ضباط الجيش المصرى بالملابس العسكرية المخصصة للكلوب . ولما لم يقوما بالتعظيمات اللائقة لسموه حسبما تفرضه عليهما القوانين العسكرية بل إنهما أخذا فى طريقهما بدون اكتراث ، ففى الحال صدر أمره إلى ضباط الحرس بتوقيف الدوكار وسؤال هذين الضابطين عن اسميهما ، فهما عرفا عن نفسهما بغير اعتناء ، وتبين أن أحدهما البكباشى هنتر والثانى البكباشى بليمر .

فان قيل بالتماس العذر لهما لاحتمال عدم معرفتهما بالذات الخديوية ، فبما أن الركاب العالى كان بالحالة الرسمية أى بوجود الحرس الخديوى أمام وخلف عربة ولى النعم ، والمعلوم للعموم أن هذه الهيئة خاصة بالحضرة الخديوية دون سواها ، فلا هناك وجه للاعتذار والانكار .

ثم بعد ذلك لما وصل الركاب السامى إلى أوائل العباسية أمام منزل حضرة على بك شاهين ، مرت عربة أجرة بها ضابط من الجيش المصرى أيضا ، ولكن كان وجوده فيها بحالة عجيبة ؛ إذ كانت رجلاه بجانب العربجى ورأسه بداخلها ، ومع مرور عربة الجناب الفخيم بالقرب منه ، ففضلا عن أنه لم يبد أى حركة تعظيمية ، فانه عندما سأله ضابط الحرس عن اسمه فزع عليه بعصا كانت فى يده ، وتبين أنه فى آخر درجة من السكر ، وبكل صعوبة تبين أنه البكباشى جادج . فهذا الضابط وان كان يلتمس له العذر بالنسبة لحالة السكر الشديد الذى كان أضاع منه الشعور وأفقده الواجبات القانونية والآداب المفروضة عليه ، ولكن من جهة أخرى ترون سعادتكم أن ضابطا كهذا ، هو قدوة لمن دونه من الضباط ، لا يجب عليه أن يسلم نفسه لعوامل السكر الشديد حالة كونه بالكسوة العسكرية .

ولما كان الذى وقع من الثلاثة ضباط المذكورين هو أمر مغاير للمدنية ، ومخالف للقوانين العسكرية ، قد صدر لنا النطق العالى بتبليغ سعادتكم تلك المخالفات لتنظروا فيها » .

افتتاح الخط الحديدى بين الاسماعيلية وبورسعيد . فى صباح الثانى من ديسمبر ، سافر الخديو من القاهرة لافتتاح الخط الحديدى بين الاسماعيلية وبورسعيد . ولما وصلنا إلى محطة الاسماعيلية وانتهت مراسم الاستقبال ، سرنا إلى محطة الخط الجديد

بين صفين من الزينات وأقواس النصر العظيمة ، والسرادقات الرحبة المزخرفة . وهناك استقبل الخديو مسيو جيشار وكيل مجلس الادارة بشركة قناة السويس وزميلاه بوكار والسير جون ستوك وبعض الأعضاء ، وتقدم منهم مسيو جيشار ، فألقى بين يدى سموه خطبة باللغة الفرنسية يهنىء فيها عباسا ويذكر مساعدة الخديو اسماعيل فى افتتاح القناة ، وختمها بشكر الخديو على عنايته بتلك الجهات ، فرد عليه سموه بأنه مسرور لرؤية القناة البحرية ، التى أنشأها جده العظيم ، وبفتح الخط الحديدى الجديد وجاء فى نهاية خطبته : « وإن مصر لتفتخر بكونها الحارسة الطبيعية لهذه القناة التى هى موضع إعجاب الجميع » . ثم خطب السير جون ستوك ، مهنئاً عباسا أيضا بالنيابة عن حكومته فشكره سموه .



الخديو فى محطة الاسماعيلية

وبعد ذلك أجريت التشريفات العامة . ثم مدت الموائد . وبعد الاستراحة ركبنا القطار إلى بورسعيد ، فسار على جانبى الشريط الحديدى عدد كبير من فرسان العرب يتسابقون حتى أوغل القطار فى الصحراء الموحشه ، فكنا لا نرى غير أفراد من رجال خفر السواحل بين الحين والحين ، حتى وصلنا إلى القنطرة فنزل سموه ونحن معه لمشاهدة كراكة كانت تعمل هناك لتطهير قاع القناة . ثم عدنا للقطار فواصل سيره حتى بورسعيد ، وهناك استقبل الخديو بما يليق بمقامه وتعلق الشعب به ، ثم ركب العربة الخاصة ونحن خلفه الى الميناء ، حيث كانت ترسو السفينة « برنس عباس » التى أعدت لتشريف سموه وفيها جرت المقابلات . وكانت زوارق المستقبلين تحدق بها من كل جانب .



زينة الوطنيين ببورسعيد



زينة حى الافرنج ببورسعيد



زينة اليونانيين ببور سعيد

وبعد المقابلات — بينما كان الخديو جالساً على السلم الموصل إلى محل الربان ومعه بعض الحاشية ومسيو سنتيردوبوف مدير الجريدة الرسمية الفرنسية يتجاذبون الحديث — إذ سقط هذا الأخير فجأة مغشيا عليه لاصابته بالسكتة المخية والفالج وشل الجزء الأيسر من جسمه . فأمر سموه بنقله بغاية السرعة إلى المستشفى والعناية به ، ولكنه لم يلبث أن توفى يوم ١١ ديسمبر .

وفى المساء بعد تناول العشاء ، ركب سموه عربة وخلفه عربات رجال المعية لمشاهدة الزينات التى أقامتها المدينة احتفاء به ، ثم عاد للسفينة وهناك أطلقت الألعاب النارية من السفن التى أعدتها شركة القناة لذلك . وكان على الشاطىء جمهور كبير من الوطنيين والأجانب يحملون الأعلام والمصابيح هاتفين باسم الخديو ، وظلوا كذلك حتى الساعة الحادية عشرة مساء .

وفى صباح يوم ٣ ديسمبر أقلعت الباخرة « برنس عباس » فى طريق القنال إلى الاسماعيلية فالسويس ، ومنها عدنا إلى القاهرة فوصلناها فى الخامس من ديسمبر .

سنة ١٨٩٤

رحلة الخديو الى الحدود . ملاحظات على الجيش تثير أزمة خطيرة . موقف السردار . وعبد انجلترا وطلب الترضية . اذعان الخديو . تقرير سرى عن الحادث . حديث بين كرومر ونيجراله . صدى الحادث فى الدوائر الخارجية . بعض رسائل وأحاديث تتعلق به . استقالة النظارة . مسألة الحجز على مخصصات العائلة الخديوية . سفر الخديو للاسكندرية . المعرض الصناعى الوطنى . رحلة الخديو الثانية للاستانة وسياحته بأوروبا . سحب بين السلطان والخديو . زيارات ونزه وأحاديث . مسألة زواج الخديو مع اقبال هانم . سفر الخديو الى أوروبا وطوافه ببعض عواصمها . أزمة سياسية جديدة . ناظر انجليزى للمدرسة الخديوية . العود الى مصر . قضية الاتجار بالرقيق . زواج المؤلف وشئون أخرى . اقبال هانم .

رحلة الخديو الى الحدود . افتتح هذا العام بتقرير الرحلة الخديوية إلى الحدود ليتفقد الخديو أحوال الجيش وليقف بنفسه على أحوال بلاد الوجه القبلى أثناء مروره وتقرر أن تبدأ هذه الرحلة فى يوم ٩ يناير ووقع اختيار الجناب العالى على بعض رجال الحاشية ليكونوا فى معيته منهم البرنس فؤاد باشا السرياور وعبد الحليم عاصم باشا الياور الأول والبرنس سعيد بك طوسون الياور والدكتور كومانوس باشا طبيب سموه الخاص ورولييه بك واحمد شفيق بك وغيرهم ، وكذلك محمد ماهر باشا وكيل الحربية ؛ بيد أنه كان غير مرغوب فيه من الانجليز لما سبق أن ذكرناه من وقوع الخلاف بينه وبين السردار على اختصاصه كوكيل لنظارة الحربية واعتقاد الانجليز أن ماهر باشا يريد الاطلاع على بعض الأسرار الدقيقة كأعمال قلم الاستعلامات أو المصاريف السرية

وغيرها مما يحرص الانجليز على كتمانه، وأن الخديو يؤيده فى سلوك هذه الخطة ولكن محمود شكرى باشا حينما علم برغبة الخديو فى استصحاب ماهر باشا لفت نظر سموه إلى موقف الانجليز من ماهر باشا فأصر سموه على رغبته قائلا : « أنه لا علاقة بين استصحابى له وبين المشادة التى بينه وبين السردار » ولما ذهب محمود شكرى باشا إلى رياض باشا لابلاغه رغبة سموه ، أبدى نفس الملاحظة ، ولكنه لما علم باصرار الخديو على رأيه لم يسعه إلا أن قال : « أنا لا يمكننى أن أمنع سموه من استصحاب أى ناظر أو وكيل معه وإذا رأى ضرورة لوجودى معه فلا أتأخر » .

وفى اليوم السابق للرحلة جاء رياض باشا لزيارة الخديو فى قصر القبة ؛ وبعد خروجه من لدنه التقى فى « السلاملك » بمحمود شكرى باشا ومظلوم باشا وماهر باشا — وكنت معهم — فتقدم لماهر باشا وقال له بمسمع منا : « ان الأعمال الادارية لا تشابه المسائل الحربية لأن الأخيرة خطرة جدا فأرجوك يا ماهر باشا ألا تتحكك بها فانها هى النار ولا يلزمنا أن نلعب بالنار » .

وقد عرفنا أن رياض باشا أبدى ملاحظته السابقة للخديو فوجد من سموه اصرارا مؤكدا على تنفيذ رغبته وقال جنابه العالى : « لقد قلت لماهر باشا ألا يتصدى لشىء إلا إذا سألته عنه » .

السفر : وفى اليوم التالى تحرك القطار بنا بين دعوات المودعين ونغمات الموسيقى فوصلنا سوهاج قبل الساعة السادسة ، فاذا جموع متراصة من المستقبلين تهتف لسموه عاليا حتى تحرك القطار إلى جرجا ، فاذا هى تموج بالجموع المحتفلة ، ومنها سار الركب الخديوى إلى اليخت « فيض ربانى » وكان فى الانتظار بالنيل وبعد الاستراحة قام بنا إلى قنا بين الهتاف والدعاء والزينات الفاخرة والأعلام الخفاقة على الشاطئين ؛ والفرسان تسابقنا إلى مسافات طويلة . وعند مرورنا بالأقصر ونجع حمادى شاهدنا على الشاطىء كثيراً من ألعاب الفروسية تقوم بها الأعراب وأمير البلاد يحييهم بمنديله على بعد .

فى قنا : وفى قنا كان الاستقبال بديعا . ثم تشرف بالمقابلة حسين بك واصف المدير وقدم أعيان المديرية وكبار الموظفين . وفى المساء ركب الخديو فى موكبه وطاف بأنحاء المدينة وزار ضريح السيد عبد الرحيم القنائى ؛ وتفضل بزيارة منزل المدير ، ثم قصد إلى الكشك الذى أقيم بسراى المديرية للاحتفال وفيه تناولنا طعام العشاء . ثم شاهدنا الألعاب النارية التى أقيمت فى ميدان المديرية وعاد الموكب إلى اليخت .

فى أرمنت : فى الصباح استأنفنا السفر إلى أرمنت وعند وصولنا اليها ، لقينا من استعداد الشعب للقاء أميره ما تعودنا أن نجده فى كل بلد مر بها . وقد زار سموه فابريقة السكر وتفقد أعمال العصير وعمل السكر . ثم بارحناها إلى اسنا ومنها إلى مديرية الحدود .

فى ادفو : وفى مديرية الحدود وجدنا السردار فى انتظار الجناب العالى فوقف اليخت واستصحبه الخديو معه ، ثم استمر السير إلى إدفو وهناك زرنا هيكلها وكان يرافقنا فى الزيارة المسيو دى مورجان مدير الآثار . ثم عدنا إلى اليخت فأجريت التشريفات العامة ؛ وقدم كتشنر باشا للخديو لويد باشا قومندان الحدود وحسن بك رضوان وكيل المديرية وسائر الضباط بادفو . وقد لاحظنا انه غرست أمام كل منزل فى هذه المدينة شجرة جميز ، تذكاراً لزيارة الجناب العالى .

الاستعراض فى أسوان : وفى الصباح تحرك اليخت من إدفو إلى أسوان ، وبعد رسوم الاستقبال بارح الخديو وحاشيته اليخت ، وسار برفقة السردار بين صفين من كبار الضباط والموظفين والأهالى حتى مقر الفرقة العاشرة السودانية ، فتفقد نظامها وأثنى على ضباطها وامتدح حركاتها ؛ وبعدها زار المستشفى والقشلاق وأعرب لكتشنر عن سروره بما شاهده من النظافة وحسن النظام .

وفى المساء مدت خمس موائد للعشاء ، جلس على الأولى سمو الخديو وكتشنر باشا وماهر باشا ولويد باشا وزهرى باشا وحسن رضوان بك ، ورأس الموائد الأربع الأخرى البرنس فؤاد باشا والبرنس سعيد طوسون بك وعبد الحليم عاصم باشا ومحمد بك توفيق الياور وكان المدعوون الضباط من رتبة اليوزباشية فصاعدا وضباط أركان حرب السردار ، وأركان حرب قيادة الحدود ، وضباط الأورطة العاشرة وضباط البوليس .

وبعد انتهاء الطعام ركب سموه لمشاهدة زينات المدينة ، ثم عاد إلى اليخت وأمضينا ليلتنا فيه .

وفى اليوم التالى مدت سبع موائد للعشاء رأس الأولى سمو الخديو وجلس معه قاضى افندى وماهر باشا وبشير بك شيخ عرب البشاريين ومصطفى بك منصور سرتجار المدينة ومصطفى بك شاكر مأمور أسوان ؛ وكانت الموائد الأخرى تحت رياسة الأميرين واليارين والشيخ محمد راشد مفتى المعية وحسين محرم بك قومندان الحرس .

وأمضينا هذه الليلة أيضا فى أسوان .

فى الكلابشة : وفى يوم ١٥ منه سار اليخت حتى قرية الكلابشة وكان كتشنر باشا قد سبقنا اليها فزار الخديو الهيكل بها ثم عاد لليخت ، وهناك تناولنا العشاء وكان السردار ضمن المدعوين للمائدة الخديوية .

الاستعراض فى كورسكو : وفى صباح ١٦ منه بارحنا الكلابشة بعد أن تفضل سموه بمبلغ من المال هبة لسكانها الفقراء ، ورسا اليخت أمام قرية السبوع فأمضينا ليلتنا بها ، ثم سرنا إلى كورسكو ، فى واد جميل المنظر بين جبلين يشرفان على النيل ؛ وهناك وجدنا السردار على رأس المستقبلين ، فسار بين يدى الخديو إلى مقر الفرقة السادسة المصرية وكانت بقيادة بليغ بك ؛ وبعد استعراضها أبدى سموه ارتياحه وشكر ضباط الفرقة على حسن نظامها . وبعد الاستعراض زار مسجد البلدة وديوان الحكومة والمستشفى العسكرى ثم مدت موائد الطعام ودعى اليها السردار والضباط .

ملاحظات على الجيش تثير أزمة خطيرة . وفى صبيحة يوم ١٨ منه بارحنا كورسكو إلى أبى سنبل فزرنا هيكلها وقضينا الليل فى مرساها ؛ ثم تحرك اليخت فى اليوم التالى قاصداً وادى حلفا فاستقبلنا بها السردار وكبار الضباط والموظفين والأعيان . وبعد الاستراحة سار الركب إلى ميدان الاستعراض فشاهدنا حركات الجنود وهى ؛ ثلاث أورط سوارى وأورطة هجانة مصرية وأخرى سودانية وبطارية مدافع جبلية وبطارية استحكامات وأورطتان بيادة مصرية وأخريان بيادة سودانية . وبعد الاستعراض قال سموه لقومندان السوارى ومنهم البكباشى ديجلر : « اننى مسرور جداً مما شاهدته من حركات جنودكم » وقال لكل من قومندانى البطاريتين : « السلاح نظيف والمرور منتظم » وعند مرور الأورطتين الثانية والحادية عشرة التفت إلى ماهر باشا — وكان بجواره — وقال له : « انهذه الجنود فى حالة تدعو إلى الخجل » . وقال لقومندان الأورطة الثانية الانجليزى : « إننى آسف لأن سير هذه الأورطة ليس حسنا كسير الأورط الأخرى ولكنى أؤمل أن تحسن جنودك حالتها أكثر من ذلك » وأبدى سموه مثل هذه الملاحظة على الأورطة الحادية عشرة وصرح بذلك لكتشنر باشا وقال : « إننى أمدح كل ضابط يقوم بواجباته وألوم كل ضابط يقصر فيما عليه نحو فرقته » .

موقف السردار . وعلى أثر ذلك اعتقد السردار أنه يجب عليه تقديم استقالته وصرح بذلك للخديو فقال له سموه : « إننى لا أقصد توجيه انتقادات شخصية اليك ، ولكنى فعلت ذلك مدفوعا بحبى لجيشى الذى أنا رئيسه وأحب تقدمه ولهذا لا أفهم

لماذا تتحدث عن الاستقالة وتريد أن تعطى لأمر خصوصى معنى سياسيا ؟ » . وعند ذلك عدل كتشنر عن الاستقالة ، ولكنه أرسل ضابطا إلى كرومر ليشرح له تفاصيل الحادث ، هذا فضلا عن برقية أرسلها اليه بشأنه .

وأمر الخديو من جانبه بارسال برقية رقمية إلى رياض باشا بالمسألة .

وفى هذه الليلة أقام الخديو مأدبة للجيش ولكنه لم يغادر اليخت بحجة أنه يشكو صداعا شديدا من تأثير حرارة الشمس .



القائمقام ابراهيم فتحى بك

الاستعراض فى سَرَسْ : وفى يوم ٢٠ منه ركبنا القطار إلى سَرَسْ — آخر الحدود المصرية — فسار يشق طريقا قاحلة مكسوة بالصخور السوداء حتى وصل إلى البلدة وبعد الاستقبال ، استعرض الخديو الجنود بها وهى تحت قيادة ابراهيم بك فتحى فأبدى سروره بنظامها . وشكره لضباطها كما أنه أعجب بالاستحكامات المقامة على الحدود بين مصر والسودان ؛ وأبدى اغتباطه لكتشنر باشا . ثم عدنا إلى وادى حلفا بالقطار فبلغناها بعد الظهر بقليل وأمضينا ليلتنا هناك .

مشكلة خطيرة : وفى ٢١ منه بارحنا وادى حلفا إلى ناحية السيالة فرسا اليخت أمامها حتى الصباح . وفى ٢٢ منه بارحناها إلى الشلال وكان هناك بانتظارنا كتشنر باشا ولويد باشا وضباط أركان حرب الجيش وعدد كبير من المستقبلين ؛ ثم عاودنا السير إلى أسوان وكان السردار قد سبقنا اليها للاستقبال . ولما تشرف بمقابلة الخديو أخبره « أن الضباط الانجليز بالأورطتين الثانية والحادية عشرة ممتعضون وفى عزمهم الاستقالة فهلا تسمح لى سموكم أن أبلغهم بالنيابة رضاء جنابكم العالى ؟ » فقال له سموه : « أكرر لك أن لا شىء فى نفسى من ناحيتهم . ولكن إذا أصروا على رغبتهم هذه فأخبرنى برقياً حتى أفكر فيما يجب عمله . وليس عندى ما أضيفه على ما قلته لأننى فعلت

ذلك فى حدودى المشروعة ، فقال كتشنر باشا : « يا مولاى ، نحن لا نعلم ما هى حدودكم ومع ذلك فسأعمل على تهدئة الخواطر » ثم استأذن فى التخلف فأذن له .

وبهذه المناسبة نورد صورة رمزية نشرت فى جريدة الشاريفارى الباريسية عند إقالة نظارة مصطفى فهمى باشا ومغزاها أن الخديو يريد أن يثبت للعالم أنه صاحب التصرف فى بلده .



جون بول بزيه العسكرى واقف وأمامه عباس يقول له البلد بلدى وسأعمل ليعرف العالم بذلك

أما نحن فبارحنا أسوان إلى القاهرة ونحن فى شغل شاغل من جراء ما حدث . ولكنا كنا نعتبر أن المسألة قد انتهت عند هذا الحد نظراً لوعد كتشنر باشا .

وقد أصدر سمو الخديو الأوامر إلى مديرى قنا وجرجا وأسيوط والمنيا لاتخاذ ما يجب أثناء العود .

وفى يوم ٢٣ منه وصلنا كوم امبو فزرنا هيكلها يرافقنا مدير الآثار . واستأنفنا السير فى صباح ٢٤ منه فوصلنا اسنا ، وشاهدنا هيكلها وأجريت المقابلات العامة . ثم غادرناها إلى الأقصر فوصلناها بعد الظهر ، وقد زرنا هيكل الكرنك وكان مضاء بمصابيح تكسبه فى هذه الوحشة منظرا رائعا . وعدنا إلى اليخت وأمضينا به الليلة .

وعبر انجلترا وطلب الترضية . وفى يوم ٢٥ يناير بارحنا الأقصر إلى قنا ومنها إلى جرجا . وهناك وجدنا فى الاستقبال رياض باشا رئيس النظار وبطرس غالى باشا ناظر المالية ومحمود شكرى باشا رئيس الديوان التركى . وقد حضروا خصيصاً لمقابلة الخديو لأن كرومر قابل رئيس النظار ، وهدد بخلع سموه ، إذا لم يسحب انتقاداته ؛ واحتج بأن مختار باشا سبق له زيارة الحدود فأثنى على الجيش المصرى وضباطه ، وهو أخبر بطبيعة الحال بنظام الجيوش ؛ كما أخبره اللورد بأنه وردت برقية من اللورد روزبرى وزير الخارجية يقول فيها : « إذا رفضت مصر إجابة المطالب ؛ اضطررنا إلى اتخاذ الوسائل الفعالة لوضع الجيش المصرى تحت قيادة جيش الاحتلال » .

ولقد دهش الخديو لتطور المسألة على هذا النحو وخروجها عن وضعها البسيط إلى مثل هذا الوضع السياسى الواسع . وبعد التشاور تقرر أن يرسل رياض باشا برقية إلى ناظر الخارجية لابلاغها للورد كرومر حسما للمشكل وهذه صورتها : « إن الجناب الخديوى المعظم قد اندهش وشق عليه ما عساه يكون قد قيل بشأن رحلة جنابه العالى إلى الحدود . وقد حفظ لنفسه الحق فى تقرير حقيقة الواقع فيما بعد ولكن لما كان جنابه العالى يهمه ألا يكون هناك ريب فى تعلقه بجيشه فلذلك يسره أن يكرر صدور الأمر للسردار للاعراب عن حسن رضائه عن جيوشه وعظيم الامتنان الذى شمله حين تفقدهم » .

ازعاج الخديو . وقد ركبنا القطار جميعاً إلى الفيوم ؛ وهناك أبرق لنا تيجران باشا أن كرومر لا يرى فى برقية رياض باشا الترضية التى يريدها ؛ وأنه لا بد من اعتذار الخديو نفسه مع عزل ماهر باشا .



المركيز دى رفرسو

عندئذ رأى الخديو أن الغرض من ذلك هو إحراجه والضغط عليه ؛ فأراد المعارضة ، ولكن رياض باشا أفهمه خطورة الحالة خصوصاً بعد تهديدات كرومر وروزبرى ، وذكر له أن قنصل فرنسا الجنرال ، المركيز دى رفرسو ، لا يريد التدخل ، واكتفى بأنه رجا اللورد بأن لا يغالى فى طلباته ، وأنه يجب التسليم بطلبات كرومر .

واضطر الخديو ازاء هذا الخطر إلى القبول ؛ فبعث فى ٢٦ يناير إلى السردار البرقية الآتية : « قبل أن أترك الوجه القبلى وأعود إلى مصر ؛ أريد أن أكرر ما أظهرته من العناية وحسن الالتفات للجيش عند زيارتى للحدود ، وأؤيد حسن رضائى الذى أبديته لكم من جهة حسن حالة الجيش ونظامه ؛ وأننى لمسرور من أن أهنىء الضباط الذين يرأسونه مصريين كانوا أو انجليزا ؛ وأننى لمرتاح أيضاً بأن أقدر الخدمات التى أداها الضباط الانجليز لجيشنا حق قدرها

وأملنا أيها السردار أن تعلنوا أمرنا هذا للضباط والعساكر ، ولكن كرومر تشبث بنشر هذه البرقية باللغة العربية فى الجريدة الرسمية بعد نشرها بالنص الفرنسى فأجيب إلى هذا الطلب (١)

انتهاء المشكل : وبذلك انتهى المشكل ؛ وعاد الخديو إلى القاهرة . وكنا نحن رجال الحاشية نتوجس شراً من تطور المسألة على هذا النحو ، وكان الدائر بيننا — بعد انتهاء الحادث — أن رياض باشا أخطأ فى تصوير الحالة للخديو وحمله على الاعتذار وهو فى الفيوم قبل الوصول إلى العاصمة . وقد أشيع أن رياض باشا طلب من الخديو فصلى ورولييه بك وكومانوس باشا وبروستر بك ، لأننا نتحدث ضد النظارة ؛ وقيل أيضا أن وجودى مع سموه فى هذه الرحلة كان مضرا وكان الأولى أن يرافقه أحد كبار المعية كما ان وجود ماهر باشا كان سببا مباشرا فى اضطراب الأمور .

وكتبت جريدة البروجريه بهذه المناسبة عنا نحن الأربعة بأننا نشتغل بتدبير الدسائس ، وأن رياض باشا طلب من الخديو ابعادنا . ولكن الجازيت كذبتها ودحضت أقوالها . وكذلك كذبتها جريدة الفار وقالت : « إن بين الاخلاص فى الخدمة والدسيسة بونا عظيما وبعدا شديدا ، وأن سمو الخديو لا يتأثر بمشورة أحد ولا يعمل برأى غير رأيه » .

وقد كان من جراء الحادث أن عزل دومرتينو باشا رئيس الديوان الافرنجى(٢).

وتعتبر هذه الحادثة صدمة ثانية بعد التى تلقاها عباس فى حادث إقالة النظارة الفهمية .

ذكرنا من قبل أننا حين تناول الطعام مع الخديو كان يجرى الحديث فى أمور شتى ، وكان كل منا يصرح برأيه فيما يدور عنه الحديث وكذلك يبدى الخديو رأيه فيه .

وقد قال سموه قبل رحلة الحدود إنه إذا وجد ملاحظات على الجيش فانه لا يتأخر عن إبدائها .

فلما حدثت مسألة الحدود وأبدى الخديو ملاحظاته على الجنود تساءلنا نحن رجال الحاشية عما إذا كان هناك من أذاع نية الخديو ، فاتجهت الريب إلى حسين بك محرم — وكانت له صلة بكتشنر — فى أنه هو الذى أبلغ نيات الخديو إلى كتشنر سرا . وقد اطلعنا

(١) كانت الغاية المنشودة هى أن يستغل كتشنر ومستشاروه هذه الحادثة ليحولوا دون سيطرة الخديو ويتخلصوا من مراقبة ماهر باشا ومناظرته .

(٢) وقد رضى الخديو عنه فيما بعد وعين فى يوليو سنة ١٨٩٦ ناظراً للخاصة الخديوية .

على ما يؤيد مثل هذا الريب فى كتاب « تاريخ حياة كتشنر » حيث ورد به : « ولقد شاءت المقادير أن تقع فى أيدى أركان حرب السردار صورة من البرنامج السرى الخاص برحلة الخديو وقد ظهر منه أن الخديو كان عازما على ابداء بعض الملاحظات الشائنة على نظام الجيش ولكن الانجليز ظنوا فى أول الأمر أن هذه الصورة ملفقة غير حقيقية » .

تقرير سرى عن الحادث . ولما رأى الخديو النتيجة التى وصلت اليها هذه المسألة والتى لم يكن يتوقعها ، وأحس أن الرأى العام فى انجلترا قد تسمم بما تنشره هذه الصحف ، وأن الحكومة الانجليزية مقتنعة بمافعله كرومر ، أحبّ أن يبين وجهة نظره وأن ينفى عن نفسه ما ينسب اليه وما لم يقصده ، فأمر بكتابة تقرير سرى عن الحادث وارساله إلى وزارة خارجية انجلترا مباشرة . وهذه ترجمة دقيقة لذلك التقرير : « لما زار سمو الخديو منطقة الصعيد رأى أن من الواجب المفروض عليه بصفة كونه قائد الجيش الأعلى أن يتفقد حالة الجند المرابطة على الحدود مقتصرا فى تأدية هذا الواجب على دائرة اختصاصه ، عملا بالخطة التى جرى عليها بمصر فى مثل هذا الظرف مدة العامين الأخيرين ، دون أن يثير عمله هذا أقل اعتراض . ولذلك فان سمو الخديو عرته دهشة مؤلمة عندما عرف أن عمله هذا الذى أوحى به اليه حب الخير والرغبة فى تقدم الجيش ، أدى إلى حادث يبعث على الأسف ، وأصبح موضعا للنقد الشديد . ومما أزعج سموه ازعاجا مؤلما أن حكومة جلالة الملكة رأت من واجبها أن تعرب عن استنكارها عمل الخديو قبل أن تسمع حجته ، وهو ما يناقض روح الانصاف الذى اعتادت أن تستوحيه فى ما تقدم عليه من الأعمال .

« ومع أن الأمر كذلك فان سمو الخديو أحب أن يبرهن على أن الاتفاق بينه وبين حكومة جلالة الملكة هو فى اعتباره أكبر ضامن لسعادة مصر ، فلم يتردد قط فى إجابة هذه الحكومة إلى مطالبها واتخاذ الطرق اللازمة لاعادة الشقة المتبادلة إلى مجراها المعتاد . وسموه يأمل أن مبادرته إلى تبديد أقل سحابة من سوء التفاهم ، حتى ولو أدى ذلك إلى مس عزة نفسه ، انما هى دليل كاف لحكومة جلالة الملكة على أن الاتفاق مع بريطانيا العظمى هو فى نظر مصر وأميرها قنية ثمينة يبذل الخديو كل جهد فى المحافظة عليها .

« ولادراك هذه الغاية رأى سموه أن يسمح لنفسه ببسط الأمور التى أدت إلى

الحادث من غير أن يرجع فيها باللوم على أحد أو يشك فى حسن نية أحد تاركا إياها إلى تقدير حكومة جلالة الملكة النزيه .

إن الخديو استعرض فى أثناء رحلته الحاميات العسكرية فى أسوان وكورسكو ووادى حلفا وسرس . ويستدل من التقارير التى نشرت عن هذا الاستعراض فى الجريدة الرسمية على أن سمو الخديو أثنى ثناء طيبا على ما شهد فى حاميات أسوان وكورسكو وسرس . وكذلك موقع وادى حلفا فقد أثنى على حاميته ثناء إجماليا ، غير أنه استدرك وصرح لقائدى الأورطتين الثانية والحادية عشرة من فرقة البيادة بأنه رأى من خمول رجال هاتين الأورطتين ما لا يتفق مع البسالة المأثورة عن الجندى الذى تملأ صدره روح الجندية الصحيحة ، وذلك ما أحزنه ، وأنه يجب أن تحرزا لدى عودتهما إلى مصر تقدما محسوسا .

وعند الفراغ من الاستعراض قال سموه لكتشنر باشا وهما على انفراد ومن غير أن يشهد حديثه أحد ، : « إنى كمصرى لا يسعنى إلا أن أرى أنه من العار على مواطنى الفلاحين أن يكونوا دون السودانيين كما شهدنا عند استعراض الأورطة الثانية السودانية » . وعلى أثر ذلك بادر السردار إلى تقديم استقالته إلى الخديو وفى الحال أجابه سموه بقوله : « أنا لا أرمى بقولى هذا إلى غرض شخصى ، ويلوح لى أنه بعد الذى وجهته من المديح إلى الجيش بالاجمال لا يحق لك أن تخلق مشكلة باستقالتك من القيادة ، وأرغب اليك أن تسترد هذه الاستقالة . » وإذ سمع كتشنر هذا الكلام الخالى من كل مواربة استرد استقالته فى الحال مبرهنا بذلك على أنه اقتنع بأن كلام سموه لا يمس لا شرف الجيش ولا شرف ضباطه . وعاد سموه فصرح للمغفور له البكباشى ديجلر على مسمع جميع قادة وحدات الجيش قائلا : « إنه لمن بواعث اغتباطى أن أصرح بأن هذا الاستعراض دل على أن النظام تجلى على أتمه سواء كان فى صفوف جنودكم ، أم فى صفوف خيولكم ، أم فى أثناء المناورات المحكمة التى قمتم بها ، وأرجو أن تحرزوا النصيب الذى أنتم أهل له من الترقية مكافأة على المجهودات التى بذلتموها . »

وقال سموه لشاهين بك قائد الأورطة الثالثة من البيادة ما يأتى : « لقد شهدت بسرور ما بلغت اليه أورطتكم من التقدم الكبير منذ ما استعرضتها فى الاسكندرية ، وأرجو أن تبلغ قريبا أقصى مرحلة فى النجاح »

وعندما أريد استعراض حامية سرس تعرض كتشنر باشا لذلك بحجة أنه لم يكن لديها متسع من الوقت للاستعداد وربما وقع منها خطأ يترك فى النفوس أثراً غير حميد . فأجابه الخديو بقوله : « لا بأس ، دعها تمر أمامنا لئلا يتطرق اليأس إلى قلوب الجنود . » وقد أبدى سموه مثل هذه الملاحظة عندما أريد استعراض أربعة من رجال المدفعية كانوا يمثلون ، بقيادة ضابط صغير ، مدفعية الحامية فأمر أن يمروا أمام سموه .

وفى ٢٢ يناير عندما استأذن كتشنر باشا الخديو وهو فى أسوان فى الانصراف ، أعرب لسموه عن استياء ضباط حامية وادى حلفا وخوفه أن يقدم الضباط الانجليز استقالتهم . فأجابه الخديو بقوله : « أكرر لك ما قلته سابقا وهو أنى لم أقصد قط شخصية ما ، وليس لى ثأر أو شبه ثأر عند أحد من هؤلاء الضباط ، وانى أرى أنى لم أجاوز فيما بدا منى حدود اختصاصى » . فقال كتشنر باشا : « ولكننا يا مولاى لا نعرف ما هى حدودك وسأفرغ كل جهدى فى تهدئة خواطر الضباط ومنعهم من تقديم استقالتهم » . فاستأنف الخديو كلامه قائلا : « إذا أصر هؤلاء الضباط على تنفيذ فكرتهم التى يؤسف لها خلافا لرغبتى فأنبئنى تلغرافياً فى الحال لأتمكن من إصدار التعليمات اللازمة » . وعلى ذلك استأذن كتشنر باشا فى الانصراف بعد أن صرح لسموه بأنه سيبذل كل ما فى وسعه لتسكين الخواطر ، وإفهام الضباط أن الخديو لم يعد يسمح بالعودة إلى هذا الموضوع ، وأنه لن يحوله من صبغته البسيطة إلى صبغة سياسية .

تلك هى تفصيلات المسألة على حقيقتها البادية للعيان ؛ وسمو الخديو لا يزال حتى الآن جاهلا الأسباب التى أدت إلى الحادث وجعلت له خطورته الحاضرة .

إن الخديو أثنى على جميع وحدات الجيش التى استعرضها ما عدا أورطتين اثنتين (*) ، وقد أعرب عن سروره مما شهده من نظافة الثكنات وحالة الحصون الباعثة على مزيد الارتياح ، ودل بذلك على اعترافه بتقدم الجيش المصرى تقدما يرجع الفضل فيه إلى المجهودات التى بذلها مدربوه وضباطه من الانجليز الذين يعملون منذ إحدى عشرة سنة على إصلاحه .

(*) وقد علمنا من أحد ضباط الأورطة الثانية أن بعض « طوابيرها » لم يكن مستكملا نظامه وقت الاستعراض ، وأن الضباط الانجليز تكدروا من ملاحظات الخديو مع أنهم قبل حضوره إلى حلفا كانوا قد أظهروا ابتهاجهم بتشريف سموه حتى أنهم اشتركوا في نفقات الزينات التى أقيمت في وادى حلفا لذلك .

وعلمنا منه أيضاً أن السردار عند نزول الأورطة الثانية لمصر أمر بزيادة التمرينات العسكرية بها ، وكان يظهر عدم استحسانه بقوله : « بطال . بطال »

إن سمو الخديو لم يقصد من وراء انتقاده الا إظهار أخطاء معينة ووقتية لفتت نظره ، ولم يقصد غير ذلك ؛ وهو أول من يأسف إذ أمكن أن يؤول كلامه تأويلا عاما هو أبعد كثيراً مما قد يخطر بباله . »

حديث كرومر ونيجران . ولقد أعرب اللورد كرومر فى حديث بينه وبين تيجران باشا عن ارتياحه الى الأمر العالى الذى أعلن فيه الخديو امتنانه من حسن نظام الجيش ، ولكنه لم يعرب عن مثل هذا الارتياح فيما يتعلق بماهر باشا ولا يستطيع أن يبدى رأيا فى هذا الموضوع قبل مخاطبة لندره ، وعليه لن يسدل الستار على هذا الحادث الا بعد وصول رد وزارة الخارجية . وقد صرح بأن تسوية هذه المسألة جاءت مطابقة لمطالب اللورد روزبرى ، وأنه لما كان الجناب العالى قد تكرم بالموافقة على نقل ماهر باشا فقد تعين على الديوان الخديوى أن يبحث له عن وظيفة أخرى .

وقد لمح اللورد أولا الى وظيفة مدير ، فأجابه تيجران بأن هذه الوظيفة لا تليق بكرامة رجل كان يشغل وظيفة من أسمى وظائف الحكومة ، وأخيراً اقترح اللورد تعيينه محافظاً لعموم القنال فأسندت اليه فى ١٠ فبراير .

صدى الحادث فى الدوائر الخارجية .

تعليقات الصحف : وعلقت جريدة الأهرام على الحادث ، فنددت بموقف النظارة من الخديو ، ورمتها بمساعدة الانجليز على تنفيذ مطالبهم ، وتعريض نفوذ سموه لاعتدائهم ، وختمت تعليقها بقولها : « إن الضباط والعساكر المصريين سينتهى بهم الأمر إلى أن لا يعرفوا رئيسا عسكريا سوى كتشنر باشا ، ولا رئيسا سياسيا سوى اللورد كرومر » . وكان هذا هو الذى يدور على ألسنة الكثيرين .

وقد أخذت الصحف الانجليزية تعلق على هذا الحادث مظهرة أن الخديو هو الذى اعتدى على كرامة الضباط الانجليز وأهانهم إهانة لا يمكن احتمالها ، وأن اللورد كرومر بموقفه الذى سبق ذكره لم يرد على هذه الاهانة الا بأبسط الصور .. الى غير ذلك .

موقف سفير فرنسا : وكان الخديو ، قد أمر عقب الحادث بارسال تلغراف لتعريف المركيز دى رفرسو سفير فرنسا بالموضوع وطلب مساعدته حسب وعده لسموه بذلك عند الحاجة .

وبعد العود الى مصر ذهب الدكتور كومانوس الى المركيز وسأله عن سبب سكوته فى حادثة الحدود وإحجامه عن بذل معاونته ، فأجاب بأن الخديو تداخل فى مسألة ادارية وعسكرية دون ترو فلا يمكنه مساعدته فيها . أما اذا كان الخلاف فى مسألة سياسية فان حكومته لا تتوانى عن المساعدة بأى حال .

صدى الحادث فى فينا : ولقد كان لهذا الحادث صداه فى أوروبا ، ومن ذلك رسالة من روليه بك بفينا إلى الخديو بتاريخ ١٩ فبراير نصها : « ألتمس من سموكم أن تعذرونى على سكوتى فقد اضطرنى اليه انصرافى الى استطلاع مختلف الآراء لأتمكن من بسطها .

لقد اهتم أهل فينا اهتماما شديدا بشئون مصر بالنظر الى ما لسموكم فى النمسا من المنزلة العزيزة ، التى ترجع الى عهد إقامتكم فى عاصمة البلاد . ولكن فى الوقت الذى يبدى فيه الشعب المجرد من كل غاية هذا العطف المشهود ، مصرحا بأن الحق فى جانب سموكم ، ومستصوبا تمنياتكم الشرعية ، نرى الدوائر الرسمية تستنكر خطة سموكم والذين حرضوكم على سلوك الطريق الذى دخلتم جنابكم فيه . ففى وزارة الخارجية قوبلت بفتور لا مزيد عليه ، لأن هيدلر — قنصل جنرال النمسا بمصر — يتهمنى فى تقاريره بما اتهمت به فى مصر ، وهو أنى حرضت سموكم على ما يسمونه « قلب الحكومة المصرية » . وكانوا قد أيقنوا أنى أريد اغتنام فرصة وجودى فى فينا لاجراء حملة فى الصحف ولذلك نصح لى غير واحد من الناس أن أغادر فينا . أما الكونت كلنوكى — وزير الخارجية — فقد كان أكثر فطنة من سواه ، وأوعز الىّ ألا أخرج من العاصمة ثقة منه بأنى لن أقدم على عمل يدعو الى ارتباك الحكومة النمسوية . وفى الوقت نفسه أطلعنى بواسطة صديق أمين له ، وهو مستشاره فى الوزارة ، على وصف للوقائع التى جرت فى القاهرة أثناء الأزمة الأخيرة ، وهو ما كان باعثا على اقلاق الخواطر فى وزارة الخارجية الى أقصى حد ، وما بعث الدوائر الرسمية الى النظر اليه بأشد الاستنكار .

والواقع أن المقامات العالية أوجست خيفة من العواقب فأشفقت أن ترتبك الأمور فى الشرق ، ويعقبها عقد مؤتمر دولى يؤدى الى الحيلولة دون تحقيق المشروع الذى تنشده النمسا من صميم قلبها ، وهو مشروع إعادة النقد النمسوى الى مستواه الطبيعى المعتاد . ولم يخفوا علىّ هذا الأمر وهو أن فينا تؤيد انجلترا تأييداً مطلقا ، حتى أنها

لا تتردد قط فى شد أزرها لو قضت عليها الضرورة بمعاملة الخديو بأقصى شدة . واذا كانوا يعتقدون بأن سموكم عقدتم اتفاقا مع فرنسا وروسيا . وأنكم تريدون التوسل بذلك لطرد الانجليز من البلاد ، فقد أعربوا لى بصراحة عن رأيهم فى ذلك ، وهو أن الخديو على خطأ ؛ لأن انجلترا من جهة تستطيع أن تعتمد على المحالفة الثلاثية ، ومن جهة أخرى لا ينتظر من فرنسا ، وهى ضعيفة فى الداخل منهوكة القوى ومنعزلة فى أوروبا ، أن ترغب أو تستطيع مساعدة مصر بنوع من الأنواع . وفى جملة ما قالوه لى إن فرنسا لا همّ لها الا أن تخلق مشاكل لانجلترا ، ولكنها متى آن أوان العمل تتخلى عن الخديو وتتركه وشأنه . أما تركيا فضعيفة جدا ، وكذلك السلطان فهو جبان فلا يتجرأ على مناصبة حكومة لندره العداء ، وهو يعلم مناعة مركزها فى مصر . فليس اذاً من سبيل أمام الخديو الا أن يكون على اتفاق تام مع انجلترا وممثلها فى مصر الى أن قال الكونت كلنوكى : «واعلم أنك تسدى إلى الخديو خدمة جليلة لو بينت له ضرورة الاتفاق مع انجلترا ، وأوضحت له مخاطر الطريق الذى اختاره لنفسه ، فانجلترا تفضل أن تخلعه عن العرش على أن تفشل فى مهمتها بمصر ، وجميع الذين يدعون أنهم أصدقاؤه يتخلون عنه وقت الخطر » .

وقد بينت لهؤلاء الذين أفضوا إلىّ بهذا الحديث أن سموكم لم تفكروا قط فيما يعزونه اليكم من هذا القبيل ، وأنكم فى الأزمة الأخيرة المختصة باقالة مصطفى فهمى باشا اضطررتم إلى ما أقدمتم عليه بحكم الظروف ، ولا سيما ما كان من مرضه ، وبرهنت لهم على أن الخديو لم يكن ينظر فى كل عمل من أعماله إلا إلى خير الشعب ، ولم يخطر له قط أن يطرد الانجليز لا بالقوة ولا بالدسائس السياسية ، بل جل ما فى الأمر أنه كان يريد أن يعمل بما يفرضه عليه الواجب فى حدود ما اتفق الجميع على أنه من حقوقه التى لا نزاع فيها ؛ وحاولت أن أبرهن للقوم على أن ما يعزى إلى سموكم من روح العداء إنما نشأ عن خطأ فى الحكم من جانب اللورد كرومر ، وقد ارتكبه بلا شك عن حسن نية مغترا بالظواهر متأثراً بوشايات أفراد من مصلحتهم أن يؤدى الأمر إلى الخلاف . وقد أعاد كلامى إلى النفوس شيئاً من الطمأنينة . ثم قابلت سفير فرنسا فأيد ما بسطته لسموكم فيما تقدم عن أفكار الحكومة النمسوية وخطة دول التحالف الثلاثى على العموم ، ومما قاله لى إن حكومة الاستانة تخشى شر انجلترا ، وأن رستم باشا سفير تركيا فى لندن لم يجرأ على أن يقدم مذكرة الاحتجاج التى تلقاها من حكومته . والخلاصة أنى قد رأيت هنا أن انجلترا تشعر بأنها أصبحت الآن قوية جدا بفضل التأييد الذى تلقاه من دول

هـذا التحالف ، التى تبذل أقصى جهد لتجعل فرنسا وروسيا فى موقف لا تستطيعان أن تحرزا فيـه أقل فوز ، وأن فرنسـا لا تريد ولا تستطيع الآن أن تكره انجلترا على تأدية الحساب .

وفوق ذلك فان الخطة الجريئة التى سرتم سموكم عليها فتحت عيون أوروبا نحو مصر ، وبرهنت للشعب المصرى على أن الخديو يريد له الخير . فمن الحكمة اذن اجتناب كل ما يمكن أن يتخذه الانجليز حجة للاستياء الجـدى المحسوس . ولـكن هنـاك نقطة أسمح لنفسى بأن ألفت نظر سموكم اليهـا وهى ضرورة تتبع ما يجرى فى أوروبا بكل عناية ، لأن مصر فى مقـدمة البلدان المعرضة دائماً للتأثر بمجرى السياسة الأوروبية » .

وفى يوم ٢٠ فبراير وردت إلىّ الرسالة التالية منه أيضاً : « حللت فينا منذ خمسة عشر يوما زرت فى أثنائها أصدقائى ومعارفى ، وإنى آخذ فى استطلاع الآراء عن المسألة المصرية . ويسوءنى أن أنبئك بأن الدوائر الرسمية فى فينا لا تؤيد مطالب مصر الفتية ومطامعها ، هذا إذا لم أقل إنها تعارضها وتستنكرها ؛ فالقوم ناقمون علينا لـكوننا أقلقنا خواطر الانجليز ، وهم ناقمون علىّ شخصيا لـكونى أحدثت أزمة ربمـا كانت أدت الى ما لا تحمد عقباه . وقد سعيت لاعادة الحقيقـة الى نصابهـا مبينا للقوم أننا كنا فى كل ما يتعلق بالمسألة أقل خطأ من سوانا . أما الآن فأرى أن جميع أصدقائى ومعارفى مهتمون بأحوال مصر وبموقف الخديو الذى ترك هنا أجمـل الذكريات . وأنا آخذ فى توجيه الأنظار إلى مصر وأميرها وشعبها . وكن واثقاً بأنه لو كان فى أوروبا عشرون شخصاً مثلى يشتغلون فى نشر الدعاية الحسنة النافعة لجنت مصر من هـذه الدعاية فائدة كبيرة . فالجمهور الأوربى لا يعرف لسوء الحظ من شئون مصر إلا ما يذاع من التقارير التى يتعمد أصحابها بحكم المصلحة الشخصية تصوير مصر بلداً همجياً ! فمن الضرورى إذاً أن يكون لمصر فى أهم عواصم أوروبا صحف مخصوصة تنشر فى أوقات معينـة مقالات مفصلة توضح حالة مصر ومصالحها ، وتبين موقفها وموقف سكانها ؛ وهذا من الأمور الميسورة كما تبين لى من المقترحات التى عرضت علىّ هنا » .

وفى ٣ مارس رددت عليه بما يأتى : « إننى رغم صمتى المفروض لا أزال شديد الاهتمام بكل ما يتعلق بك سواء كنت حاضراً أم غائباً ولـكى تكون على بينة من الأمور التى حدثت فى أثنـاء غيابك أرى أن أبسط لك الحالة فيما يأتى : أول ما يهمنى سرده لك من الحوادث رحلة الجناب العالى إلى الصعيـــد . ومع أن الصحف نشرت

أنباء هذه الرحلة ، ولا بد وأنك طالعتها فيها ، فهناك من التفاصيل ما لم تقف عليها بلاريب .» وقد شرحتها كما وردت بخطابى لمسيو فران الوارد بصفحة ٦٩ . « أخبرك أن المركيز دى رفرسو دعانى الى تناول العشاء على مائدته وأن الكونت دلاسالا باشا كان جالساً بجانبى . وقد دار الحديث أولا على أمور تافهة ثم عرضنا لذكرك وإليك بيان ما قيل :



الكونت دلاسالا باشا

الكونت — فى عهد المغفور له الخديو السابق لم يكن يعتنى بالطعام أما الآن فلدى عباس باشا طاه بارع . أنا — هذا صحيح ولكنى أذكر أنه مر وقت كان يوجد فيه بالقصر طاه فرنسى من أمهر الطهاة . الكونت — ولكن بعد أن خلعونى كما خلعوا الآن رولييه بك . أنا — أيمكن أن يكون رولييه خلع ؟ الكونت — بلا شك . أنا — أعتقد أن رولييه لم يخلع وإنما رخص له أن يتغيب فى إجازة عادية . الكونت — يقولون ذلك ، ولكنى علمت من مصدر يوثق بصحة معلوماته أنه لن يعود الى مصر . أنا — إذن أنت أخبرتنى بالأمر . ومع ذلك اسمح لى بأن أقول لك من يعش ير . فاذا كان لك ياعزيزى رولييه أعداء بين الأجانب فليس هذا شأنك عندنا ، فانك قد ظفرت بمحبة المصريين جميعاً وجميع الذين أسعدهم الحظ بأن يعرفوك يسألوننى دائماً عنك ويعربون لى عما يخالجهم من الرغبة الصادقة فى رجوعك قريباً إلى مصر واستئنافك لعملك »

صدى الحادث فى باريس : وفى يوم ٤ مارس وصلت إلىّ الرسالة الآتية من صديقى بوكار : « عندما وصلت إلى باريس من مصر قابلت كثيرين واتسع لى المجال لبسط أفكارى فيما يتعلق بمصر والمصريين ، واهتممت على الخصوص بانصاف سمو الخديو وبسط مميزاته على حقيقتها ليقدره القوم بعد أن يقفوا على ما وهب من اللطف وروح الانصاف وشهامة النفس . وفى وسعى أن أقول لك إن كلامى وقع وقعاً حسناً فى النفوس بالنظر إلى شيخوختى ومقامى . ولا أخفى عليك أنى فى كل مكان دافعت فيه

عن قضية مصر . رأيت ترددا من القوم فى الأخذ بنظريتى ؛ ولكنى آنست منهم شيئاً من العطف على هذه القضية مقروناً ببعض الاهتمام .

وممن حادثتهم فى شأن قضيتكم رئيس مجلس الوزراء ، وأؤكد لك أن محادثتى معه أسفرت عن نتيجة حسنة ، فعليكم بالصبر ولا تيأسوا . والخلاصة أن كل المستطاع من المساعى لدى ولاة الأمور قد بذل فعلا . وأما شركة القنال فلا فائدة ترجى منها لأن المسئولين من رجالها لا يريدون تكدير المديرين والمندوبين الانجليز . بقى أن يوجه نداء إلى الرأى العام وهو ما يتفق الآن مع الموقف الحالى ، لأنه يجىء مؤيداً للمساعى السابقة . وقد سبق أن أرسلت لك بطريقة سرية منذ خمسة عشر يوما مقالة شديدة اللهجة هى فاتحة الحملة الصحفية المطلوب تنظيمها ، فأرغب أن تعرفنى عن رأيك ورأى سمو الخديو وعما إذا كان سموه استحسن وصفى له فيها » .

وفى ٦ منه وردت لى منه رسالة أخرى جاء بها ما يلى : « . . . ومع أنى منحرف الصحة وفى حاجة إلى الراحة والسكينة فاننى أتتبع باهتمام مجرى الأمور فى مصر وأحدث نفسى قائلا إن من واجب أصدقائكم المخلصين أن يشيروا عليكم بالصبر إلى أن تجد مصر لها فى أوروبا العون اللازم الذى تتطلبه قضيتكم العادلة ؛ وأن مهمة هؤلاء الأصدقاء هى أن لا يوغروا صدوركم بل أن يصرحوا أمام الجميع وفى كل مكان بأن من المفروض على فرنسا أن تدافع عنكم وأن ذلك فى مصلحتها » .

وفى ٢٧ مارس كتب لى « . . . أرسل اليك مع خطابى هذا رسالة شكر مقدمة منى إلى سمو الخديو وقد شفعته بنسخة من مؤلفى « هوروس (*) Horus » الذى كتبت إليك سابقاً فى شأنه ، وهو مصدر بمقدمة تحت عنوان « جلاء — استقلال — حياد » . وقد أشركت فى الحملة الصحفية التى شرعت فيها وبرزت طلائع نجاحها للعيان اثنين من أصدقائى الغيورين الذين ألفوا الكتمان ، وهما من أصحاب المكانة ، وفى استطاعتى الاعتماد عليهما فى إدراك الغرض المنشود . ونحن ننوى ألا نعتمد فى عملنا على الصحف التجارية التى لا تنشر شيئاً إلا لقاء أجر معين كما هو شأنها فى أمر الاعلانات . وآثرنا الاتفاق مع الصحف المستقلة ذات النزعات الحزبية وهى الصحف التى يعتمد عليها عادة فى إيقاظ الرأى العام فى هذه البلاد » .

(*) وضع مسيو بوكار رسالة للدفاع عن القضية المصرية والخديو باسم مستعار « هوروس » وطبعها على نفقته لتوزيعها فى فرنسا ومصر .

فرددت عليه يوم ١٦ أبريل بالآتى : « لقد قدمت رسالتك ومؤلفك إلى مولاى وشاقه ما تبديه من الغيرة الصادقة فى دفاعك عنه وعن قضية مصر فى مؤلفك هذا ، الذى تجلت فيه أصالة الرأى ومتانة الخلق بأجلى مظاهرها ، وقد عهد إلى صديقنا رولييه بك فى الاعراب لك عن شكره . وإنه لمن بواعث غبطتى أن تكون أحرزت ثقة سموه التامة ، فهو يرى أنه من المتعذر أن يوجد رجل من أمثالك يستطيع أن يكون أكثر إدراكا منك لمصالح أمة من الأمم ، وأكثر كفاءة لبسط هذه المصالح على حقيقتها ؛ فاسمح لى إذن أيها الصديق العزيز أن أتقدم اليك الآن بكتابى هذا لأعرب لك باسمى واسم مواطنىَّ عن أصدق عواطف الشكر والامتنان ، فانك بأساليبك المحكمة قد أحييت فينا ذلك الأمل الذى طالما عللنا النفس به ، وهو أن يدرك الفرنسيون يوماً مصلحتهم ، فيدافعون عن قضيتنا التى هى فى الواقع قضيتهم بالذات ؛ وقد أشارت الجريدة الفرنسية التى أرسلتها لى إلى هذا الأمر فى الفصل الجميل الذى عقدته تقريظاً لرسالتكم بامضاء هوروس .

أنا لم أقتصر على مطالعة مؤلفك وحمل أصدقائى على مطالعته ، بل لقد حملتُ الصحف العربية والفرنسية على الاهتمام به مثل الفارد لكسندرى والأهرام والمؤيد وغيرها . وقد قرظته غير واحدة منها أحسن تقريظ . والجميع يطلبونه منى ، والنسخ القليلة التى أرسلتها إلى تتداولها الأيدى فى العاصمة ؛ ومن ذلك تعلم أن مؤلفك كان له عندنا الوقع الذى هو جدير به » .

وفى يوم ٢٨ أبريل جاءنى منه بخصوص مؤلفه ما يلى : « لقد ملأ ذكر هوروس أعمدة الصحف هنا ونسخ كتابه تعرض للبيع ظاهراً ؛ والواقع أنها توزع مجاناً بكميات كبيرة .

ونشرت جريدة « ميموريال ديبلوماتيك » الأصل الفرنسى بنصه الكامل ؛ وقد كان له شأنه وأثره فى النفوس نظراً الى صراحته وسلاسة عبارته . والواقع أنه أيقظ عواطف فرنسا نحو مصر ، وعرَّف سمو الخديو تعريفاً جلياً مبيناً عالى أخلاقه وجلال قدره . وكان فى إمكان هوروس أن يجعل لصوته فى باريس دوياً أشد وأفعل ، ولكن إقناع ولاة الأمور هنا أنفع للقضية من إحراجهم وإثارة خواطرهم . والخلاصة أنه يلوح لى أن الغرض المنشود قد حقق والأمور تجرى على أهون سبيل .

والآن دعنى أحدثك عن المسيو كوجوردان المعتمد السياسى الفرنسوى الجديد

فى مصر . على أنى لا أريد أن أبسط لك سيرته فى الماضى ولا ما ينتظر أن يكون عليه فى مصر ، فأنا لم أعرفه الا منذ ٤٨ ساعة . ولكنى عرفت أن القوم يزودونه بالمعلومات بطرق مختلفة ، وهو لا يدرى من ينبغى أن يصدق أو يأخذ بأقواله . وقد تسنى لى أن أقدم نفسى اليه على يد أحد الوزراء فتعارفنا وتحادثنا معاً مدة ساعتين ، فبينت له حقيقة الحالة فى مصر مجتهداً فى استمالته إلى مشاطرتى رأيى واعتقادى فيما يتعلق بأخلاق الخديو العالية . وقد أصغى إلىّ باهتمام وأعرب لى عن مزيد شكره مما جعلنى أعتقد بأنى قد أحسنت صنعاً ، وأتى عملى بالفائدة المرغوبة » .

وفى يوم ٣ مايو جاءنى منه أيضاً بخصوص كتابه السابق ما يلى : « إن ما لقيته حملتنا من النجاح جاوز حد المأمول ؛ وهذا ما يدل على ثبوت حقكم وعدالة قضيتكم ، ويبرهن على صفات أميركم العالية .

لقد كنت أول من قال هذا وجاهر به ؛ وها باتينو وشارم جبرييل يقولان قولى وينسجان على منوالى بأسلوبهما الرائع ولغتهما العالية ؛ الأول فى جريدة الديبا ، والثانى فى مجلة العالَمَيْن . وقد تحدثت معهما من غير أن أقول لهما من هو هوروس فاذا هما على رأيه فى كل ما كتب .

وقد قابلت مرة أخرى المسيو كوجوردان وكنت مرتاحاً إلى حديثه معى ؛ ويلوح لى أنكم إذا أحسنتم استقباله فانه ينحاز بسهولة إلى جانبكم ، ويكون عوناً لكم على إثبات صحة قضيتكم وعدالتها وحكمة أميركم ، مبيناً للوزارة أن فرنسا يجب عليها ألا تهمل قضية مصر » .

صداه فى ألمانيا : كذلك كان للحادث وقعه فى ألمانيا كما سيجىء فى زيارة سفيرها للخديو بالاستانة (ص١٤٥) .

استقالة النظارة . ذكرت فيما مضى موقف النظارة من الخديو فى أزمة الحدود وما كان يدور على الألسنة من أن هذا الموقف لم يكن مرضيا . وقد أوجد ذلك فى نفس سموه أثراً سيئاً من جهة النظارة ، ولا سيما بعد أن تأكد له أن الموقف لم يكن من الخطورة كما صوره له رياض باشا ، وأنه كان فى الامكان الخروج من المأزق بشرف لو أن النظارة كانت إلى جانبه . وكان لهذا الأثر نتيجته ؛ فان النظار شعروا بعدم ارتياح عباس اليهم ، فقدم رئيسهم استقالته فى يوم ٤ أبريل موقعاً عليها من بطرس غالى باشا وتيجران باشا ؛ وبنوا هذه الاستقالة على كونهم آنسوا من جنابه العالى عدم

الارتياح وأنهم لا يستطيعون أن يعملوا عملا إلا إذا كانوا حائزين لتمام رضائه وكامل ثقته .

وقد كان ذكر هذه الأسباب الصريحة مدعاة لتردد الخديو قليلا فى قبول هذه الاستقالة ؛ وبعد المداولة مع كبار رجال المعية تقرر قبولها واستدعى سموه نوبار باشا وكلفه بتشكيل النظارة فشكلها فى ١٦ أبريل .

مسألة الحجز على مخصصات العائلة الخديوية . بينما كنا ذات يوم على مائدة الخديو قال محمود فهمى باشا : « إن إحدى الأميرات رفعت شكواها عن سوء حالتها بسبب حجز الدائنين على جميع مخصصاتها . » فرأى البعض أن اللوم يقع عليها لسوء تصرفها ؛ ورأى البعض الآخر أن فى الأمر ما يستدعى العبرة والشفقة ؛ وأخيراً كان رأى الأغلبية تحديد جزء من المخصصات يحجز عليه فقط أو يتنازل عنه لأداء دين ؛ وعلى ذلك صدر الأمر الآتى فى ١٦ أبريل لرئيس النظار : « قد أنهى الينا أن بعض أعضاء عائلتنا متضررون مما يتكبدونه من الضيق الشديد فى المعاش بسبب ما يتوقع من الحجوزات على كامل مرتباتهم المعينة لهم من مخصصات العائلة ، ولما كانت هذه المرتبات هى كما تعلمون دولتكم تحت تصرفنا قابلة للتخفيض بل والقطع بأمرنا ، وكان صرفها اليهم إنما هو إعانة لهم لسد احتياجاتهم الضرورية فهى إذا لم تخرج عن كونها من قبيل المبالغ المقررة للنفقة .

إنما لما كان منع الحجز كلياً على المرتبات المشار اليها فيه إجحاف بحقوق الدائنين فقد اقتضت إرادتنا أنه فى حالة ما يتنازل أحد من أعضاء عائلتنا عن مخصصاته أو يتوقع حجز عليها فهذا التنازل أو الحجز لا ينفذ إلا على قيمة الثلث فيها أما الثلثان فيصرفان إلى صاحب المخصص .

بناء على ما ذكر أصدرنا أمرنا هذا لدولتكم لأجراء إيجابه » .

سفر الخديو الاسكندرية . فى يوم ٢٠ أبريل ركبنا القطار الخاص مع سموه من محطة كوبرى القبة إلى محطة القاهرة ، وكان الاستقبال بالمحطة كالعادة . وبعد إجراء مراسيم التوديع سار القطار ومعنا النظار إلى الاسكندرية فشاهدنا على طول الطريق زينات تتألق ، وجموعا تتدافع ؛ وسمعنا هتافات عالية بحياة الخديو . ثم كان الاستقبال الجامع فى محطة الاسكندرية من مختلف الطبقات فركبنا إلى سراى رأس التين .

المعرض الصناعى الوطنى . كان يوم ٢٢ أبريل موعد الاحتفال الرسمى بافتتاح المعرض الوطنى الصناعى المصرى ؛ فنى الموعد المحدد غصت الطرقات بالجماهير وهرع الزوار الى سراى المعرض ، وكانت تمثل هيكلا يدخل اليه من باب أثرى ذى منظر فخم ؛ وحوله نقوش فى منتهى الرواء وعلى مقربة منه ساريات ذاهبات فى السماء تتهادى عليها الأعلام ؛ وأمامه كوكبة من الفرسان وثلة من المشاة المصرية تتقدمها موسيقاها والعلم . وفى الساعة العاشرة وصل الخديو ومعه البرنس فؤاد باشا ؛ وتقدم ابراهيم نجيب باشا محافظ الثغر والدكتور هيكلس بك رئيس لجنة المعرض لاستقبال سموه على سلم السراى ، وكذلك النظار ومختار باشا والقناصل ؛ فاجتاز سموه حديقة المعرض وأم السرادق ومعه رجال المعية والنظار والقناصل . ثم تقدم المحافظ وخطب شاكراً الخديو على حضوره . ثم قام بعده الدكتور هيكلس بك وبعد أن أتم خطابه قال : « ليعش خديوينا عباس الثانى لتعش مصر » ثلاثا فرددها الحاضرون وقوفا . وبعد ذلك ألقى الخديو الخطاب الآتى : « أشكركم على ما أعربتم عنه وعلى ما بذلتموه من المساعى التى تكللت بالفوز والنجاح فى إعداد هذا المعرض ، الذى هو مرآة تمثل لنا أعمال الوطن وهمة أبنائه . وإنه ليسرنى الآن تحقيق هذه البغية التى طالما كنت أتمناها ألا وهى أن أرى مصر تؤيد مركزها بين الأمم المتمدنة باظهارها للعالم شدة تعلقها بالارتقاء فى سلم التقدم بواسطة عرض محاصيل زراعتها وصناعتها وتجارتها فى هذا المعرض ؛ وإن الوطن المعترف بالفضل لجميع الذين يعاونونه فى هذه الخطة الشريفة ، ناطق بالثناء على جميع من يهتمون لخيره ؛ ولذلك أرجوكم أيها السادة أن تعربوا لمعاونيكم ومساعديكم عن حسن رضائى عما أظهروه من الهمة والغيرة والنشاط فى إتمام هذا العمل ؛ عمل السلم والتقدم .

« ثم إننى أهنىء مدينة الاسكندرية على تمكنها من ولوج هذا الباب العميم النفع ، الذى سيقتفى أثرها فيه إن شاء الله قريباً بقية أخواتها من مدن الديار المصرية ؛ وأعلن رسمياً افتتاح هذا المعرض الأول الوطنى المصرى » . وبعد ذلك هتفت الجماهير بالدعاء لسموه ، وعزفت الموسيقى بالنشيد الخديوى ، ثم تفقد سموه أقسام المعرض فبدأ بقسم الحرف الوطنية ومنها قسم الآلات فالتجارة فالصناعة فقسم الصنائع الحرة ، وكان فيها شىء كثير من أعمال تلامذة مدرسة الصنائع الأميرية وتلامذة مدارس الثغر ؛ ثم قسم الفنون الجميلة ؛ فأبدى عظيم ارتياحه وسروره مما شاهده . وقررت

نظارة المعارف إرسال تلامذة من المدارس العالية والخصوصية لزيارة المعرض والاستفادة من مشاهدة أقسامه .

وقد انتهى المعرض فى يوم ٢٢ يونيو ، ونظراً لقيام الأعضاء بهذا العمل خير قيام أنعم الخديو على أعضاء اللجنتين العمومية والادارية بطائفة من الرتب والنياشين والمداليات .

رحلة الخديو الثانية للاستانة وسياحته بأوروبا . كانت الحفاوة التى لقيها الخديو فى العام الماضى من السلطان مشجعة له على التوجه للاستانة ثانية رغم نصائح الانجليز لسموه بعدم الذهاب بحجة أن السلطان غير راض عنه . والحقيقة أنهم كانوا يتوجسون منذ الزيارة الماضية من توثق الصلات بين الخديو والسلطان . ولكن سموه أصر على تنفيذ رغبته ولا سيما أن السلطان أهداه فى بدء هذا العام يالى (١) بيك على البسفور . وقد كان فى عزم الخديو أن يسافر أولا إلى لندن وباريس وفينا ثم الاستانة ؛ ولكن جلالة السلطان حينما أبلغ ذلك لم يرتح اليه لبواعث سياسية ورأى الاكتفاء بزيارة الاستانة رأساً ، فوافق سموه على ذلك .

السفر : وكان سموه ينوى مبارحة مصر يوم ٢٣ يونيو ولكنه اضطر إلى تعجيل السفر يوم ٢٢ منه ، لما علم بقرب وصول اسكندر (٢) ملك الصرب إلى الاستانة ، حتى لا يتفق وصولهما فى وقت واحد .

وقد صدرت الارادة السنية لنوبار باشا باقامته مقام الخديو أثناء زيارة سموه للاستانة وسياحته فى أوربا ترويحاً للنفس من متاعب السياسة كما تقرر أن يكون فى معية سموه الغازى احمد مختار باشا ومحمد عبانى باشا وعبدالحليم عاصم باشا والدكتور كومانوس باشا وتوفيق بك فهمى أحد اليساوران وعلى بك شاهين معاون التشريفات وحسين محرم بك رئيس الحرس ومعه بعض الحرس واحمد شفيق بك ، ثم الموسيقى الخصوصية تحت رياسة فالنس ، وبعض الموظفين بالمعية .

---

(١) اليالى هو البناء الموجود على البسفور مباشرة ، أما البناء الأعلى فيطلق عليه اسم كشك . وقد تنازل عنه الخديو لوالدته فيما بعد .

(٢) هو اسكندر أوبرونوفتش الذى قتل سنة ١٩٠٣ مع زوجته دراجا ماشين .



نوبار باشا

وفى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٢٢ يونيو نزل الخديو الى اليخت المحروسة من سراى رأس التين، وبعد إجراء الرسوم المعتادة سار اليخت فى طريقه .

جناق قلعة : ولما وصلنا جناق قلعة أجريت التحية الرسمية ، وبعد إنهاء المراسيم الصحية ، استأنفنا السير الى الاستانة فوصلناها فى ٢٥ منه . ونظراً لشدة التيار التجأ اليخت الى رصيف سراى ضولمة بغجة حتى يسهل النزول منه ؛ وكانت ثلاثة زوارق تحيط باليخت ، فى أحدها رئيس البوغاز الذى يقود اليخت وفى الثانى محمد باشا سر ياور الحضرة الشاهانية وشاكر باشا ، وفى الثالث الخديو الأسبق اسماعيل باشا . فصعدوا الى اليخت وسلموا على الخديو .

فى قصر يلدز : ثم نزل جنابه وركب عربة شاهانية الى يلدز ، ومكث مع السلطان نحو ساعة ونصف ، وتناول الغذاء هناك ثم عاد الى « يالى بيك » حيث نزلت الوالدة (*)

الانعام على دولة الوالدة وشقيقتى الخديو : وقد أنعم جلالة السلطان على والدة الخديو — بنيشان العثمانية وهو نيشان مرصع صيغ فى عهد السلطان عبد المجيد ولم

(*) بارحت الوالدة الاسكندرية فى يوم ٤ يونيو ترافقها البرنسيستان شقيقتا الخديو على الباخرة « برنس عباس » وودعن رسمياً وسافر فى معيتهن محمود شكرى باشا ، وأطلقت المدافع عند تحرك الباخرة كما ودعهن النظار فى الميناء .

ينعم به إلا على بعض أفراد الأسرة السلطانية من السيدات — وأنعم على شقيقتى سموه بالوشاح الأكبر من نيشان « شفقت » .

تبادل الزيارة بين رجال السلك السياسى والخديو : وفى يوم ٢٦ منه حضر لزيارة الخديو تراجمة السفارات ووكلاء الدول الأجنبية بالنيابة عن سفرائهم كما هو المتبع ، وقد رد لهم سموه الزيارة فى يوم ٢٨ منه .

وفى يوم ٢٧ منه حضر شاكر باشا وأخبر الخديو بأن جلالة السلطان أمر بارسال موسيقاء الخصوصية مع جوق كوميدى تركى للتسلية ، وقضينا الليلة فى سرور .

سحب بين الخديو والسلطان . وفى ٢٩ يونيو حضر شاكر باشا ودعا الخديو للحضور إلى يلدز بالكسوة الملكية « الاسلامبولية » ؛ ولما كان سموه قد نسى هذه الكسوة والنياشين فى مصر وأرسل فى طلبها برقياً ولم تحضر بعد ، فقد أخبر شاكر باشا بأنه ليس لديه الكسوة المطلوبة ولا يصح ذهابه بالردنجوت ؛ وعلى ذلك توجه بالكسوة العسكرية ؛ وكان ذلك سبباً فى أشياء قصها علينا سموه بعد عودته ؛ وخلاصتها أن السلطان قد غضب لحضور سموه بالكسوة العسكرية ؛ لأنه كان فى نيته أن يعرفه بملك الصرب فى تياترو السراى ، ولما علم بحضور الخديو بالكسوة العسكرية رأى أن يتوجه سموه بعد العشاء إلى كشك المراسيم الذى نزل به ملك الصرب فى نفس سراى يلدز لزيارته .

وقد زاد فى تعقيد الأمر خطأ رجال المابين فى فهم أوامر السلطان إذ دعوا الخديو للكشك ، فى وقت كان يتناول فيه الملك طعام العشاء فاضطر أن يقوم لمقابلة سموه ، مما جعل منير باشا السرتشريفاتى يهرب لمنزله فراراً من غضب السلطان واشتد الذعر بشاكر باشا والحاج على بك ، وكاد وهبى باشا المهمندار يهلك رعباً واضطر كومانوس باشا أن يعطيه مسكناً لينام

وفى الصباح حضر الغازى احمد مختار باشا فقص علينا بقية حديث غضب السلطان ، وبأنه صرح فى ثورة الغضب بأنه يعتبر عمل الخديو وترك نياشينه فى مصر دلالة على عدم اطاعة الأوامر واحتقاراً لمقام السلطنة ، وربما كان ذلك لانضوائه تحت النفوذ البريطانى . قال الغازى : « وقد عملت كل مافى وسعى لتسكين خاطر السلطان ، وحاولت إفهامه أن ترك النياشين كان سهواً ، وأن الخديو بعث فى طلبها ؛ فقال جلالته سأعلم الحقيقة يوم الأحد — أى يوم وصول وابور البوستة — فأدعو الخديو للعشاء فان

حضر بالنياشين تحقق لى أنه ليس ممالقاً للانجليز وأن ذلك حقيقة حدث سهواً وإلا فأتبين الحقيقة » .

وقد تكدر الخديو لهذه الظنون والوساوس التى لم تدخل فى تقديره . وكان هذا الجو المكهرب مدعاة لغضب السلطان على كثير من حاشيته ؛ فنسب التبعة فى مقابلة الخديو لملك الصرب فى وقت غير مناسب لوهبى باشا ؛ وكذلك غضب على حسنى بك — الياور المندوب مع وهبى باشا — لأنه ركب فى العربة الشاهانية مع الخديو ، مع أن سموه هو الذى دعاه ، وصدر له الأمر أن يركب من الآن فصاعداً جواداً ويركض خلف عربة سموه ؛ وغضب على ياور آخر اسمه مصطفى افندى لهذا السبب ؛ وعلمنا أن السلطان مكث إلى ما بعد منتصف الليل فى تحقيقات عاصفة حول هذا الموضوع .

وبعد الظهر حضر مختار باشا للمرة الثانية فأبلغ الخديو هدوء السلطان ورضاءه ، وأنه قدم لاستعطاف خاطره مما ساور السلطان أمس ، وأن جلالته لا يشك فى إخلاص سموه وصداقته ؛ فرد عليه بأن هذا الكلام لا يشفى الجرح القريب ، ومهما يكن من أثر هذا العطف السلطانى فى نفسه فانه لا يمحو الأثر الأول الذى لم يكن يخطر ببال سموه . . . والخلاصة فقد أفهم جنابه مختار باشا بأنه لم يحضر إلى الاستانة ليسمع ما يكدره ، وأنه فى هذه الحالة يفضل السفر على الاقامة .

وفى يوم ٣٠ منه حضر وهبى باشا وحسنى بك وتنزها مع الخديو فى الزورق البخارى إلى بيوك دره ؛ وقد قالا لسموه : « ها نحن لم نرسل لليمن موطن النفى مراعاة لخاطركم فجزاكم الله خيرا » لأنه لولا أن شفع الخديو فيهما لنفيا فى الحال ! ! وبذلك انتهى سوء التفاهم الذى كان قد كدر الأفق مدى يومين .

زيارات ونزه وأماريت

ملك الصرب يزور الخديو : وفى نفس ذلك اليوم رد ملك الصرب الزيارة للخديو فى « يالى بيك » ؛ وقدمنا سموه لزائره واحداً واحداً فكان يسأل كلا منا عما يختص بوظيفته ؛ وسألنى عن البلد الذى تلقيت فيه العلم والسنين التى أمضيتها فى الدراسة ؛ وبعد إجابتى على أسئلته قال لى : « ها هو ظاهر من لطفك أنك باريسى »

وكان الملك فتى فى نحو السابعة عشرة ويلوح عليه أنه واسع الثقافة والمعرفة .

وبعد انتهاء الزيارة أخبرنا الخديو بأن الملك قال له : « إن مصر والصرب كل منهما تقف أمام صعوبات شتى ؛ مصر بالنسبة للانجليز ، والصرب بالنسبة للأحوال الداخلية . » وسأل سموه عما إذا كانت مصر دستورية فأجابه : « تقريباً ؛ لأنه توجد نظارة مسئولة ومجلس شورى للنظر فى القوانين والتصديق عليها . » فسأل : « ألا توجد صعوبات من ناحية الشعب ؟ » فأجاب سموه : « كلا . كلنا نعمل معاً . »

وبعد الظهر أرسل الملك صورته تذكاراً لسموه .

سفير ألمانيا يزور الخديو : فى أول يوليو زار سفير ألمانيا عباسا ودارت بينهما محادثة عن مصر . فبسط له سموه بعض أعمال الانجليز والصعوبات التى يجدها أمامه ، فاستغرب السفير ذلك وقال لسموه : « إننى لم أكن أعلم شيئاً من هذا وإنى لا أصادق ولا أستحسن هذه الخطة » ثم استدرك فقال : « ولكنى أقول ذلك لا بصفتى سفير ألمانيا ، ولكن بصفتى البرنس رادولين شخصياً » . ثم رغب فى مشاهدة « المحروسة » فرافقه الخديو اليها ، فراقه شكلها ، ثم سأل سموه عن الكونت ليدن — قنصل جنرال ألمانيا فى مصر سابقاً — فامتدحه الخديو وأثنى على سيرته . وفى النهاية نصح البرنس للخديو أن يوطد العلائق بينه وبين السلطان فى كل مناسبة ؛ ثم انصرف .

خطاب الخديو لنوبار باشا : وفى يوم ٤ منه أمر الخديو بارسال الخطاب التالى الى نوبار باشا : « عزيزى الباشا — من بواعث اغتباطى أن البرقيات التى توافينى بها حيناً بعد حين مبشرة بسير الأعمال على ما يرام ، فأنا أشكرك وأشكر زملاءك على ذلك . على أن غيرتك الصادقة معلومة لدىّ فأسأل الله أن يظل الأمن فى مصر موطد الأركان ، وأن يظل العمل فى مصالح الحكومة سائراً بكل انتظام . نحن هنا نقضى أيامنا بما يبعث على الارتياح وصحتى والحمد لله على ما يرام بفضل جودة الهواء فى البسفور . إن جلالة السلطان كان فى المدة الأخيرة مشتغلا بزيارة ضيفه ملك الصرب ، ولذلك لم أتمكن من أن أتشرف بمقابلته سوى مرة واحدة يوم وصولى للاستانة على أنه أبدى لى من العطف ما يبعث على امتنانى ، فقد استقبلنى عند مدخل الصالون وكثيراً ما يعهد الى كبار رجال البلاط فى السؤال عنى وكل مساء تأتى جوقة الموسيقى السلطانية الى بيك لتشنيف آذاننا بأنغامها الشجية ، وكذلك جوقة التمثيل الخصوصى فانها تأتى لتسليتنا ؛ وأنا أرجو أنه بعد أن يغادر ملك الصرب الاستانة اليوم يتسنى لى أن أحظى بمقابلة

جلالة السلطان . وعند الزيارة الثانية أبدأ بالتكلم عن رحلتى الى أوربا ولم يلح لى حتى الآن أن هناك عقبات تحول دون حصولى على موافقته .

إن الزيارات التى تبادلتها مع السفراء تمت فى جو مشرب بروح المودة ، ولكن عند ما قابلت البرنس رادولين سألنى عن بعض تفصيلات فيما يتعلق بحالة مصر عموماً ، ولا سيما عن حوادث الشتاء الماضى ، فبسطت له الحالة على حقيقتها فعرته الدهشة ؛ والرجل لطيف المعشر وعلى جانب من الرقة ودماثة الأخلاق . وإننى أهدى اليك يا عزيزى الباشا والى زملائك أصدق عواطف مودتى . »

زيارات مختلفة : وفى ٤ منه توجه الخديو لزيارة جده فى ميركون نظراً لانحراف صحته . وفى ٥ منه توجه تصحبه معيته الى يلدز لتقديم التهانى بالعام الجديد للسلطان .

تهنئة الخديو بالعام الجديد : وفى نفس اليوم حضر جده مهنئاً بالعام الجديد ؛ وكذلك باقى أفراد العائلة . وجاءت برقيات من مصر بالتهنئة .

فى قصر يلدز ثانية : وفى مساء ذلك اليوم توجه الخديو إلى يلدز وفى معيته محمود شكرى باشا وعبد الحليم عاصم باشا والدكتور كومانوس باشا ومحمد عبانى باشا والياوران الشاهانيان ، واستصحب معه البرنس محمد على — الذى كان قد حضر للاستانة — وكان الجميع بالملابس الرسمية عدا البرنس . وبعد العودة علمنا أن مقابلة السلطان للخديو كانت فى غاية المودة ؛ وفى أثناء الحديث أرسل جلالته مع الحاج على بك إلى البرنس محمد على الوشاح العثمانى ثم عاد فأنعم عليه أيضاً برتبة الروملى بكلر بك ، فزاد سروره وعند خروج السلطان مع الخديو للعشاء وقف الوزراء ورجال المعية السلطانية والمعية الخديوية على هيئة نصف دائرة فى اتجاه باب الخروج ؛ وعند ما ظهرا تقدم البرنس ومثل أمام السلطان ودعا له ؛ ثم سلم الخليفة على الحاضرين وخص من بينهم حاشية الخديو باظهار عطفه عليهم .

وبعد العشاء اختليا مرة أخرى ، وكان مما قاله الخليفة لسموه : « إذا كنت غير مرتاح من أخيك فأنا أبقيه فى الاستانة وأعطيه وظيفة عندى . » وغرضه من ذلك أن يكون سموه مطمئناً لا يعنى بأمور عائلية مقلقة . فشكره وعرفه أنهما على وفاق تام . ثم زاد فى إظهار عطفه بأن كرر لسموه قوله بأن يلدز مفتوحة له فى كل وقت دون استئذان ، فكان لذلك أثر عظيم فى نفس سموه .

وعرج الخليفة فى الحديث على اكتشاف المسيو دومرجان فى جهة دهشور ، ولمح عن رغبته فى الحصول على صور فوتوغرافية لما اكتشف ، فأمرنى سموه بعد رجوعه أن أكتب لمصر بطلبها وبطلب بعض الآثار التى يكون منها قطعتان . أو التى تكون دار الآثار فى غنى عنها ، وقد تم ذلك .

وكان موجوداً مع السلطان نجله الصغير محمد برهان الدين الذى عرفه الخديو فى زيارته السابقة وسمع منه دوراً على البيانو ؛ ومع صغر سنه فانه ألف ، مارشا ، وأرسل نسخة منها فى الشتاء الماضى لسموه ؛ فلما رآه عباس شكر له هديته وأخبره أن الموسيق الخديوية عزفت قطعته .



احمد جودت باشا

بينى وبين أحمد عزت العابد بك : فى يوم ٥ يوليو زرت ومعى الشيخ على يوسف صاحب المؤيد احمد جودت باشا ناظر المعارف العمومية سابقاً والمؤرخ الشهير وكان عنده أحمد بك عزت العابد من أعضاء شورى الدولة ، والذى عرفنى بالباشا فسمعت منهما ثناءاً كثيراً على الخديو ؛ وحدثنى عزت بك عن عطف الرأى العام فى تركيا على عباس والمصريين ، وقص علىّ بعض وقائع تؤيد ذلك ؛ وانصرفنا بعد هذا مودعين منهما وداعا رقيقا .

اسماعيل يهدى حفيده سيف ابراهيم : فى ٦ منه رد الخديو الزيارة لجده ؛ فأهدى اليه سيف ابراهيم باشا . وهو سيف قصير عريض وغمده من جلد أخضر مطعم بالذهب ؛ ثم عاد سموه مسروراً بهذه الهدية التاريخية النفيسة .

مشاهدة التمثيل فى المسرح السلطانى : وفى نفس هذا اليوم دعى سموه الى يلدز على مائدة خاصة لم يحضرها الا بعض رجال المابين ؛ وكانت الوالدة أيضاً فى الحريم ؛ وبعد العشاء شاهد الجميع رواية فى التياترو السلطانى .

نزهات مختلفة : وفى ٧ منه تنزه الخديو بالعربة صباحا فى الجبل بضواحى بيك . وبعد العصر ركب جوادا للرياضة وكنت ووهبى باشا معه . ولما كانت سراى ولى العهد فى هذه الجهة ، فان وهبى باشا انحرف بنا عنها ، ولم يجرؤ على تعريف عباس عن هذه السراى ، حتى لا يقال عنه عند السلطان إنه يرشد خديو مصر الى الجهات التى لا يجب المرور منها نظراً لوجود ولى العهد فيها فتكون العاقبة وخيمة !

وفى اليوم التالى حضر اسماعيل وأنبأ حفيده بأن السلطان صرح له بالتوجه لأوروبا للاستشفاء ، وأنه مسرور جدا بهذا التصريح الذى صدر إكراماً للخديو ؛ وفى المساء أرسل السلطان لاعباً من لاعبى « خيال الظل » فكان مضحكا متقنا .

حديث لى مع سفير المانيا : فى يوم ١٠ منه أرسلنى الخديو إلى سفير المانيا لأدعوه وقرينته والدوق دو مكلنبورج ليخت المحروسة فقابلنى ببشر وترحاب ، وصرح لى بأنه من المعجبين بالخديو فى ذكائه وعزة نفسه ودماثة أخلاقه ؛ ثم أضاف : « حقيقة ان مركزه حرج ، ومع صغر سنه فانه يجرى الشئون بكل شهامة ، وقد سرنى حديث سموه معى وصارحته بأنى كنت أود أن أكرر زيارتى له لولا انهم فى الاستانة يتوجسون من كل حركة ، ويؤولونها تأويلات شتى . وقد حدث فى زيارتى الماضية أن كثر القال والقيل ، حتى سألنى بعض خاصة السلطان عما دار بينى وبين سموه من الأحاديث ، فأفهمته أنها عادية وطمأنته على إخلاص سموه للسلطان ، فارتاح خاطره ولهذا فانى أفضل إخطار يلدز بهذه الدعوة حتى لا يكون هناك مجال للشك » . ثم كلفنى أن أقدم للخديو جزيل شكره .

ولما كان عباس قد عزم على زيارة سويسرا فقد أخبرت السفير بذلك . فسر كل السرور . وكان الخديو يظن أن تصريح السلطان له بالذهاب إلى أية جهة إنما كان بواسطته لأن له منزلة ممتازة عند الخليفة ، وسموه يعرف ذلك لأنه قبل سفره فى المرة الأولى قد حصل على معلومات كثيرة عن المقربين لعبد الحميد سواء من معيته أم من السفراء الأجانب وعرف الشىء الكثير عن سير الأمور فى يلدز وغيرها .

الزلزال : وبينا أنا عائد الى سراى بيك ، شعرت على مقربة منها كأن تحت الزورق فوارات تضطرب ، وتعالت الأمواج وسمعت دوياً استمر نحو الدقيقة ، ورأيت اليالى يهتز وتخرج منه الأتربة . وقد ترك البحارة المجاذيف خوفاً من هذه الظاهرة التى عرفنا أنها زلزلة ؛ ولما دخلت القصر شعرت برجة أخرى خفيفة . أما

الحريم فخرجن جميعاً إلى الحديقة . وكان الخديو والحاشية على المائدة فتركوها وهرعوا اليها أيضاً مذعورين ؛ وتكسرت الأقداح والشمعدانات وزجاج النوافذ ، وتصدعت بعض الجدران ، وتشقق طلاء السقوف .

خطاب الخديو إلى نوبار باشا عن رحلته : فى ١١ يوليو أرسل الخديو الى رئيس النظار الخطاب التالى إيضاحا لبرقية أرسلت له فى ذلك اليوم بخصوص الزلزال ، فى يوم ١٢ وجاء الرد عنها بالتهنئة للخديو بسلامته : « إن الحفاوة التى شهدتها من جلالة مولانا السلطان تزيد شأنا يوما بعد يوم ؛ وقد سبق أن أنبأتك برقياً بما كان من الحفاوة المؤثرة التى قابلنى جلالته بها يوم ٥ الجارى فان جلالته أظهر لى من العطف ما ليس بعده زيادة لمستزيد ، وحدثنى طويلا قبل الوليمة وبعدها ، وجاء فى حديثه على ذكر السودان وأعرب لى عن رغبته فى الحصول على خريطة مفصلة لأقاليمه التابعة لمصر ، فأرجو يا عزيزى الباشا أن تبذل جهدك فى ارسال هذه الخريطة بأسرع ما يمكن .

ومما أثر فى نفسى على وجه خاص من حديث جلالته ما أبدى من الاهتمام فى أمر صحتى ، وقد بعث به هذا الاهتمام إلى أن يصرح لى من تلقاء نفسه بأن فى إمكانى السفر الى أى مكان يرجى أن أنتفع بالاقامة فيه صحياً ، وهذه العناية بأمرى من جانب مولانا السلطان أثرت فى نفسى تأثيراً جميلا جداً ، وعليه فقد عزمت على مغادرة الاستانة يوم الاثنين المقبل ، وحيث إن جدّى استأذن فى السفر لأجل الاستشفاء فمن المرجح أن يركب القطار الذى أستقله ، وسأسافر متنكراً ولذلك أرجو أن تجعلوا الرسائل والبرقيات التى توجهونها إلىّ باسم شفيق بك ، وسأطلعكم قريباً على الخطة التى أجرى عليها فى رحلتى . وفى اليوم التالى ليوم الوليمة الرسمية دعيت الى تناول الطعام على مائدة جلالة السلطان بصفة غير رسمية ثم شهدت فى مسرح القصر السلطانى مع جلالته تمثيل رواية « لوسى دى لامرمور Lucie de la Marmor » .

شعرنا ظهر أمس بزلازل أرضية شديدة بلغ من شدة الزلزلة الأولى منها أنها أحدثت خسائر كبيرة فى الأملاك والأرواح ، سواء كان على ضفاف البسفور أم فى المدينة نفسها ، ولا سيما فى السوق الكبيرة حيث كانت الخسارة بالغة . أما نحن فلم نصب والحمد لله بمكروه وخرجنا من هذه النكبة بخسارة مادية ضئيلة لا تذكر ، وكنت أول من شعر بالزلزلة فخرجت فى الحال مع رجال الحاشية من غرفة الطعام إلى جنينة اليالى ، ثم خطر لى أن أذهب إلى قصر يلدز لتفقد جلالة السلطان ، وكنت أول

زائر وصل إلى القصر على أثر النكبة فوقعت زيارتى هذه من نفس جلالته أحسن وقع ، وبعد ذلك زرت جدى فشكر لى زيارتى كثيراً .

ذلك ما رأيت أن أوافيك به من الانباء وهو كما ترى يدل على أن الأمور سائرة على ما يرام . . . »

ثقة الخديو : وبمناسبة هذه الرسالة أذكر أن الجناب العالى فى هذه الرحلة كان يبدى لى كثيراً من مظاهر الثقة والعطف ؛ ويفضى إلىّ بأسراره ، ويستشيرنى فى كثير من المهام ، ويكلفنى بكثير من الشئون . وكانت جميع الرسائل التى ترد للخديو تعرض علىّ وأرد عليها إما باسمى أو باسم سموه . وبعد إرسال هذه الرسالة لنوبار باشا صارت الرسائل ترد باسمى ، وأجيب عليها مباشرة أو بعد أخذ رأى جنابه العالى .

زيارة قنصل روسيا فى مصر للخديو : فى ١٢ منه زار الخديو وقال له إن سفير انجلترا فهم أن تصريح السلطان لسموه بالسفر تصريح عام ؛ فطلبنى الخديو وسألنى عن ذلك فذكرت سموه بالجملة التى كتبناها لنوبار باشا بخصوص ذلك وترجمتها : « إن جلالة السلطان ، مراعاة لصحتنا ، وافق على سفرنا إلى حيث نرغب » وأنه يفهم من هذه العبارة أن التصريح كان لأسباب صحية محضة لا لزيارة الملوك ، وقر الرأى على إرسال برقية أخرى لنوبار باشا أكثر صراحة فى بيان ذلك .

تأجيل دعوة سفير ألمانيا وأحاديث أخرى : وقد توجهت بناء على الأمر إلى سفير ألمانيا ، ورجوته إرجاء زيارته للمحروسة ، نظراً لوجود الخديو وشقيقتيه بها بسبب الزلزال ؛ وهناك عرفنى بالدوق دو مكلنبورج وتحادثنا سوياً ، ثم كلمنى السفير فى مسألة سفر الخديو وكونه بعث لنوبار باشا بتصريح السلطان لسموه أن يذهب كما يشاء ، وأنه إذا صح ذلك ولم يذهب سموه إلى انجلترا فسر الانجليز ذلك بأنه صادر عن رغبة الخديو الخاصة ؛ فأجبته : « بأن تصريح السلطان لسموه إنما كان لدواع صحية محضة ، وأن البرقية التى أرسلت لنوبار باشا فيها بيان ذلك . » فأفهمنى بأن سفير انجلترا هو الذى حدثه بأن التصريح عام مطلق .

ثم سألنى عن مصر وحوادثها الأخيرة ، فحدثته عنها ولا سيما حادثة الحدود ، وشرحت له ما يضمر الانجليز للخديو ، وهو الذى كان سبباً فى هذا الحادث وغيره . وسألنى عن كتشنر شخصياً فقلت له : « يكفى أن تعلموا أنه بعد تقديم استقالته وسحبها .

وعد الخديو بانتهاء المسألة عند هذا الحد ؛ ثم ما لبث بعد مفارقة الخديو له أن أخبر اللورد كرومر ، . ثم تحادثنا عن الشئون المالية وعمل الانجليز فى هذه الناحية ، فأشرت إلى أن بدء تنظيم المالية المصرية يرجع الى ما قبل عهد الاحتلال أى من سنة التصفية ، وأننا مع ذلك نشكر الانجليز على جهودهم . وتكلمنا فى الرى والأشغال العمومية فقلت : « إن مصر تحملت نفقات باهظة فى سبيل هذه الاصلاحات ، ومن العجيب أن انجلترا كلما أحست بنبوغ رجل من رجالها بمصر ، عجلت باسترجاعه الى بلادها مثل مونكريف ، وروس ، وملنر ؛ وعلى أى حال فان الأكفاء من الانجليز فى مصر قاموا بما عهد اليهم من المهام بكفاية ؛ ولكن منهم من لا يمتازون على المصريين بأية كفاءة خاصة » . ثم تحدثنا عن التعليم فصورت له الطرق التى اتخذها الانجليز لنظامه والتى لم تكن منتجة ؛ ثم سألنى السفير عما اذا كانت إشاعة تغيير اللورد كرومر صحيحة فقلت له : « إننا أيضاً سمعناها على أنها إشاعة » . ثم تكلمنا عن شخصية اللورد وكيف أراد معاملة الخديو كما كان يعامل والده ، وكيف رفض الخديو ذلك مما أدى الى النفور بينهما ، واعترفت له بأنه رجل عالم بالبلاد ورجالها وأهلها ، وإن تكن تصرفاته الخشنة الأخيرة قد أبعدت قلوب الشعب والأمير عن الانجليز .

سفير ألمانيا على اليخت المحروسة : وفى ١٤ منه حضر سفير ألمانيا وقرينته وابنته والدوق دو مكلنبورج ومستشار السفارة لزيارة « المحروسة » ، وتناولوا شيئاً من الحلوى . وجلس السفير بجانبى على انفراد وأخبرنى عن سرور السلطان بتصرف الخديو ولا سيما زيارته له يوم الزلزلة وقال : إنه ، بصفة شخصية ، أرسل تقارير لحكومته فى صالح مصر والخديو ، وأنه يعتبر سموه كصديق شخصى له ، فأجبته : « بأن من حظ خديوينا أن يكون له صديق مثلكم منزه عن الأغراض ، لأن مثل هذا الصديق قليل » . فقال لى : « إنى عرفت الخديو جيداً من حديثى معه ، وعرفت أنه من الذين تجب مساعدتهم ، ولكن معونتى أدبية محضة . وبصبغة غير رسمية » . فرددت عليه : « بأن فى ذلك الكفاية ، وأننا نكون سعداء حين نجد مساعدين كذلك ، وتمنيت أن تكون هذه الصلة أبدية » .

طلب التصريح بالسفر لأوروبا والخلاف على موعده : لما اعتلت صحة عباس ، وكان يشكو كثيراً من الصداع لما عاناه من المتاعب منذ تولى الحكم ، استشار الدكتور كومانوس باشا ، فنصح له بالسفر الى أوروبا لتغيير الهواء ، فعرض سموه رغبته

على نوبار باشا رئيس النظار وكرومر فوافقا عليها ؛ ولما سافر للاستانة ، وكان ينقصه إذن السلطان ، فاتح جلالته فوافق بعد أن عرض عليه أن يمضى مدة الاستشفاء فى ضيعة « جفلك » ابراهام باشا ببيقوس الواقع على البحر الأسود وبه كثير من الغابات . ولكن كومانوس أجاب بأن الخديو يلزمه ارتياد الجبال السويسرية الباردة ، لأنه من طبيعة دموية ، فرضى السلطان على شرط ألا يتدخل عباس فى المسائل السياسية ، وألا يتقابل مع الملوك والحكام فى الممالك الأوروبية ، وأن تكون السياحة غير رسمية .

وفى ٦ منه توجه محمود شكرى باشا الى المابين وأخبر السلطان بواسطة الحاج على بك بأن الخديو ينوى السفر يوم ١٦ يوليو الى اشتوتجارت بألمانيا بطريق السكة الحديدية ، فلم يستحسن السلطان أن يخترق الخديو بلغاريا ولكنه لم ير مانعاً من السفر بحراً الى تريستا ، ومنها إلى اشتوتجارت . وقد توجه محمود شكرى باشا مرة أخرى للمابين ليعرض على السلطان السفر بحراً الى سالونيك ومنها براً الى ألمانيا ؛ فلم يستحسن جلالته أيضاً أن يمر عباس ببلاد الصرب . فرجع الباشا ليخبر جلالته أن الخديو يوافق على هذه الملاحظة ولكنه يرغب أن يكون السفر بحراً الى البندقية بدلا من تريستا ، فلم ير السلطان بأساً من هذا البرنامج وبذلك انتهى المشكل .

وفى يوم ١٥ منه أرسل الخديو محمود عزيز بك افندى القبوكتخدا الى المابين لينبىء السلطان بعزمه على السفر فى ظهر غد ، فعاد الرسول يخبر بأن جلالته يكون مسروراً لو حضر الخديو لزيارته ، وأنه يدعوه لتناول الطعام وهناك يعرف موعد السفر وتفصيلات تتعلق به . فأرسل سموه محمود شكرى باشا لمعرفة هذه التفصيلات ، فقيل له إن الأفضل أن يكون السفر فى الغروب ، وأن السبب هو عدم استحسان السلطان أن تمر « المحروسة » فى جناق قلعة ليلا لوجود إرادة سنية تمنع مرور أية باخرة بعد الغروب ؛ فأجاب بأن الخديو أيضاً فكر فى هذا الأمر وأن فى نيته أن يمضى الليل فى غاليبولى وفى الصباح يمر من جناق قلعة . وفهم أنه لا مانع بعد هذا الايضاح من السفر غدا . ولكن حدث فى الساعة العاشرة صباحاً ، حينما استعد الخديو للذهاب إلى يلدز ، أن حضر وهبى باشا وقال : « إن إرادة السلطان تأخير المقابلة إلى الساعة الثالثة والنصف » . فأثر سموه تأثراً شديداً ، وفهم أن السلطان خشى أن يمر بجناق قلعة ليلا بالرغم من الوعد الذى أعطاه ، وعد ذلك إهانة له من جانب عبد الحميد إذ ينظر اليه نظرته إلى طفل لا يعرف قيمة وعوده . وزاد فى استياء عباس أنه عين وقت السفر فعلا ؛ ولهذا فقد أرسل للمابين محمود شكرى باشا لابلاغ السلطان أن الخديو هو من جانبه أخر سفره

يومين ، ولا مانع إذاً من حضوره ليلدز إجابة لدعوة العشاء هذه الليلة للوداع ، فجاء الرد بأنه ما دام الأمر كذلك فان جلالة السلطان يرى نفسه متوعكا ويفضل تأخير مأدبة الوداع إلى الغد مع الدعوة إلى حضور حفلة تمثيل بعد الطعام .

وبعد أن كان فى عزم الجناب العالى أن يسافر يوم ١٨ منه جاء نبأ من يلدز بتأجيل مأدبة اليوم إلى الغد لأن السلطان يرغب أن يقضى مع الخديو ساعتين على أن نسافر يوم ١٩ منه . وقد عرفنا أن السبب فى هذه التأجيلات ، أن حادثة الزلزال كان لها تأثير سيء على أعصاب جلالته فبقى حتى اليوم منحرف المزاج لا يقابل إلا نادراً .

وقد قال لى عباس : « إن السلطان قد طلب أن يمضى معى غدا ساعتين فاذا صدق حدثى سيكون ذلك بخصوص ما تعرفه من حالتنا مع الانجليز واجتهادهم فى فصل مصر عن تركيا ؛ ومن الطرق التى اتخذوها لذلك أنهم أعطوا علماً انجليزياً لفرقة سودانية حاربت بجانب الانجليز فى الحدود ، ومنها أنهم يعطون مداليات للضباط والعساكر المصريين الذين يظهرون شجاعة فى ساحة القتال تخول حاملها الحق فى أخذ راتب شهرى من الخزينة الانجليزية فاذا تسلم الضابط أو العسكرى فى نهاية الشهر فوق مرتبه شيئاً من الانجليز مال قلبه اليهم وتغيرت عواطفه نحو بلاده وأميره ولا يخفى ما فى ذلك من الضرر العظيم . »

حديثى مع جودت باشا : وفى ١٧ منه زرت جودت باشا فى منزله وكان هناك عزت بك العابد وتكلمنا عن مصر وكان من حديثه أنه لم يكن يعتقد أن يأتى خديو لمصر تكون له مثل تلك العواطف نحو تركيا ، وانه كان قد فقد كل أمل فى ذلك حتى جاء عباس فأحيا هذا الأمل وقواه وأنه يتمنى ازدياد الروابط الدينية والسياسية بين الدولة ومصر . فقلت : « إن ذلك لا يكون إلا إذا صادف اخلاص الخديو تشجيعاً من السلطان ، ومع الأسف اننا نرى نحن المصريين كيف يدافع سموه عن حقوقه المخولة بالفرمانات . فى حين انه لا يجد أية معونة من الباب العالى » وذكرت له حادثة الحدود وعدم تحرك الدولة العلية وأشرت أيضاً إلى موقف تركيا وجمودها أيام الثورة العرابية حيث كان إحجامها عن العمل سبباً لنكبة مصر بالاحتلال الانجليزى وضياع النفوذ التركى . وقد وافقنى جودت باشا على هذه الملاحظات . ثم أخذت على العثمانيين عدم الحضور إلى مصر والتجول فيها والاختلاط بالمصريين توثيقاً للروابط ، كما ذكرت من وسائل التقرب بين الأمتين التزاوج ووددت لو أن ذلك بين الأمم الاسلامية جميعها

ولاسيما المتجاورة منها كتونس والجزائر ومراكش وطرابلس ومصر وسوريا. ثم قلت أخيراً : « وما الذى يمنع الأتراك من استخدام المصريين فى وظائف الدولة كقضاة ومهندسين بدلا من استخدام الافرنج ، مع أن المصريين لا يقلون عن هؤلاء تعليما وكفاءة » ، وقد وجدت اقتناعا بنظرياتى من صاحب الدار وزميله . واستأذنت وعدت إلى السراى . وعلمت بعد ذلك أن جودت باشا نقل هذا الحديث إلى جلالة السلطان .

ديموقراطية عباس : وقد ركبت مع الخديو ومحمد على باشا عربة مكشوفة ، وكان معنا توفيق بك فهمى وحسين بك فوزى ، وذهبنا قريباً من بيوك دره . ثم نزلت لاستحضار عربة من المحطة تقلنا إلى بندلر للرياضة ؛ وعند رجوعى لم أجد العربة ولكنى وجدت من كلف باخبارى أن أتوجه إلى طريق بندلر ، وبينما أنا فى الطريق إذ وقفت أمامى عربة يجرها حصان هزيل وعليها ستائر . وقد دهشت حينما نادانى الخديو الذى كان راكباً فى هذه العربة المتواضعة حتى لم أكد أصدق نظرى ، وشعرت بالخجل إذ كانت العربة التى أركبها أنا أفخم كثيراً جداً من عربته ؛ وقد قال لى سموه عند ما رأى دهشتى إن سفير المانيا وقرينته قد قابلاه أيضاً وهو فى هذه العربة ولم يعرفاه الابعد التحية وانهما ابتسما حين عرفاه . وقد أعطى سموه لسائق العربة جنيهاً وقال له : « أتدرى من أنا ؟ » فلم يجب الرجل فقال : « أنا هو خديو مصر ! » فسر السائق جداً لهذا الشرف ولهذه الهبة ؛ ثم عدنا الى بيك .

عزم الخديو على تغيير القبوكتخدا : فى ١٧ يوليو حضر القبوكتخدا وأخبر سموه ببعض الأمور ثم خرج ، وعندئذ قال عباس مخاطباً وهبى باشا : « إن محمود بك رجل طيب الأخلاق ؛ ولكنه لا ينفعنا بشىء مع أنه يتقاضى مائة وخمسين جنيهاً شهرياً » . وما إن سمع وهبى باشا ذلك حتى انكب على ركبتى الخديو وقبلهما وقال : « أكون سعيد الدارين يا أفندينا لو كلفتمونى بالخدمة التى يؤديها محمود بك ! » . فانتهزت هذه الفرصة وقلت باللغة الفرنسية : « إن مركز مصر بالنسبة لتركيا تغير تماما عن ذى قبل ، وانه من الضرورى وجود ممثل ذكى قادر يقوم بأعمال الوكالة حسب التعليمات التى تلقى اليه ، ويخابر السراى والسفراء بسرعة . ولو كان هذا الرجل موجودا بالاستانة عند حادثة الحدود لطلب من الباب العالى أن يحتج على تصرف الانجليز ولسارت المسألة فى طريق آخر » ، فأبدى سموه اقتناعه بملاحظاتى ، وتحدث بعد ذلك مع كومانوس باشا وغيره ، واتجهت النية إلى تعيين محمود شكرى باشا فى هذا المنصب .

مسألة زواج الخديو باقبال هانم. فى ٥ يوليو ، بينما كان الخديو مدعوا بسراى يلدز — كما أسلفت — كان الحاج على بك يسأل محمود شكرى باشا عما إذا كان فى نية الخديو الزواج ، فأجابه بأنه لا يعلم شيئاً عن ذلك ، وكان هذا السؤال نفسه قد وجه من قبل لدولة الوالدة فى سراى السلطان وكان جوابها كجواب محمود شكرى باشا .

وبهذه المناسبة أذكر ما علمته عن مسألة زواج الخديو ؛ فقد كان فى عزم سموه منذ سنة أن يتزوج بابنة عمه المرحوم البرنس حسن باشا ، ولكنه عدل عن ذلك نظراً لبعض أمور عائلية وقعت داخل الحريم ؛ ثم فكر سموه فى بنات عثمان فاضل باشا ولكنه عدل عن ذلك أيضاً .

وقد بلغنى من عزت بك العابد أن السلطان قال : « لو علمت أن الخديو يرغب فى ابنتى لما بخلت بها عليه » . وكان الشائع أيضاً أن ابنة السلطان عبد العزيز مرشحة لهذا الزواج .

وسمعت من احمد جودت باشا حين زيارتى له ، تأييداً لمشروع المصاهرة بين الخديو والسلطان ، وجرى لى بعد ذلك حديث مع عباس بشأن الزواج فأخبرنى سموه بأن درويش باشا يسعى كثيراً فى مسألة كريمة السلطان وإن لم يفصح جلالته عن نيته فى ذلك ؛ وفهمت من حديث الخديو أنه يفضل ابنة السلطان عبد العزيز ؛ فامتدحت هذا الاختيار لأسباب ؛ منها أن مصاهرة السلطان القائم تغدو عبئاً ثقيلا ، وتكبد الخديو كثيراً من التبعات والنفقات ، هذا فضلا عن تفوق ابنة السلطان عبد العزيز فى الخلال والجمال كما علمت .

ثم قلت : « إن الزواج باحدى بنات السلاطين أرفع وأشرف — ولا سيما فى نظر المصريين — من الزواج باحدى بنات الأسرة الخديوية » . فأبدى سموه دلائل الاستحسان لهذا الحديث وقال إن فى نيته الرجوع من أوروبا إلى الاستانة فى شهر سبتمبر لهذا الغرض .

وكانت الوالدة حينما سافرت إلى الاستانة قد اعتزمت أن تلتمس من السلطان احدى الأميرات السلطانية لتكون زوجة لعباس ، ورغبت أن تكون هذه الزوجة هى ابنة السلطان عبد العزيز ؛ وقد قابل الخليفة هذه الرغبة أولا بالارتياح ولكنه فكر فى تزويج عباس باحدى كريماته ثم وعد بذلك . وفعلا كلفت الوالدة كومانوس باشا بشراء بعض الجوارى للعروس السلطانة لخدمتها ، فاختار الدكتور ست جوار ثمن الواحدة منهن أربعمائة جنيه .

وبعد بضعة أسابيع من ذلك أخبرنى كومانوس باشا بان الغازى احمد مختار باشا زاره فى بيك بحجة استشارته فى شأن صحته ، ولكنه بعد أن اختلى به أبلغه أن السلطان كان قد وعد الخديو بأن يزوجه من إحدى كريماته ، ولكنه وجد بعد التروى انه لايستطيع تحقيق هذا الوعد . غير أنه لما كان الخليفة لايخلق به أن يرجع عن وعده فعلى الخديو أن يترك الحديث فى هذا الشأن وألا يقول عنه شيئاً عند سفره وعندئذ تحل المسألة من نفسها .

وقد علمنا سبب هذا العدول ، وهو أن أبا الهدى الصيادى الزعيم العربى ، أفهم الخليفة خطر هذا الزواج لأنه إذا أنجبت كريمته ذكرا فلا يبعد ان يرشحه الانجليز للخلافة ، وبذلك تمحى الخلافة من تركيا ! !

ولما وقف الخديو على ذلك سر بعدول السلطان لأنه لم يكن راغباً فى هذا الزواج خصوصاً بعد أن تبين خطر الاقتران بكريمة السلطان لما عساه يتعرض اليه من نفوذها وسيطرتها . ولما تقدم عباس بطلب الاذن بالسفر لم يذكر للسلطان شيئاً ، فأدرك الخليفة نجاح الغازى فى مهمته وأمر باقامة مأدبة الوداع ولكن الوالدة لم تيأس وتابعت جهودها لاتمام زواج نجلها بسلطانة .

وإبان وجودنا فى افيان حضر محمد بك الجركشى وكيل دائرة اسماعيل باشا فى طريقه إلى الاستانة فسلمته ، بناء على الأمر ، رسالة إلى محمود شكرى باشا ليخبرنا برقياً عن رأى الوالدة فى الزوجة التى تختارها من إحدى ثلاث ؛ بنت السلطان الحالى ، أو بنت أخته ، أو ابنة السلطان عبد العزيز ، وأن يفهم المابين أنه إذا كان هناك شىء يختص بهذا الموضوع فان الخديو يعود للاستانة وإلا فسيعود رأساً للاسكندرية ، واتفقت مع محمد بك أنه متى تحقق أى البنات سيختارها السلطان للخديو ، فانه يرسل لى برقية يرمز فيها الى ابنة السلطان بالحصان الأحمر ، وابنة أخته بالحصان الأسود ، وابنة السلطان عبد العزيز بالحصان الأبيض .

وفى يوم ٤ سبتمبر جاءتنا رسالة من محمود شكرى باشا بأنه من رأيه التوجه مباشرة إلى مصر دون الرجوع للاستانة لأن هناك تراخياً فى مسألة الزواج ففهمنا أن الوالدة لم تنجح فى مساعيها ؛ فكلفنى الخديو بكتابة رسالة إلى محمود شكرى باشا لابلاغها للسلطان تتضمن أن سموه كان ينتظر بعد الحديث الذى دار عن هذه المسألة ان تصدر الارادة السنية فيها وأن عدم نهو ذلك موجب لأسفه . وسيأتى الكلام عن بقية الموضوع .

سفر الخديو الى أوروبا وطوافه ببعض عواصمها .

مأدبة الوداع : وفى يوم ١٨ يوليو توجه الخديو وبمعيته محمود شكرى باشا وعبد الحليم عاصم باشا إلى يلدز للعشاء ؛ وبعده مباشرة دعى سموه لمقابلة السلطان بدائرة الحرم . وقد علمنا بعد رجوعه أنه لاقى من السلطان كل إكرام وأبدى له ارتياحه وشكره لسؤاله عنه يوم الزلزال .

وقد تبرع سموه بعد ذلك بمبلغ مائتين وخمسين جنيهاً لمنكوبى الزلزال .

وفى يوم ١٩ منه ذهب الخديو ليودع السلطان وكان برفقته البرنس محمد على باشا ومحمود شكرى باشا وعبد الحليم عاصم باشا فقابله سموه منفردا . وقد سأله جلالته عما إذا كان ينوى المرور بالأستانة عند عوده ؛ فأجاب بأنه لايظن ذلك ما لم يرد السلطان ؛ فأظهر الخليفة رغبته فى أن يراه ثانياً عند العود . وكان الوداع محفوفاً بمظاهر المودة والعطف ، وقد أمر جلالته أن يرافق سموه إلى اليخت الفريق محمد على باشا الداماد السرياور الشاهانى للوداع ، وكذلك الفريق جلال باشا الياور .

ورجع الجناب العالى إلى اليخت فوجد أعضاء الأسرة الخديوية قد جاءوا لوداعه . وبعد نزول المودعين ، أمر سموه بالسفر فتحركت المحروسة وتركنا محمود شكرى باشا بالاستانة ليكون بمعية الوالدة وليخابرنا فى أوربا بخصوص مسألة الزواج واذا لم تنته يبعث لنا ببرقية حتى نسافر رأساً لمصر .

وفى يوم ٢٠ منه وصلنا الى جناق قلعة فحيينا بالتحية الرسمية .

فى إيطاليا : ووصلنا يوم ٢٤ يوليو إلى البندقية ، وأقمنا بها أربعة أيام بصفة غير رسمية . وكانت الموسيقى الخديوية تعزف فى ميدان سان ماركو فيحتشد حولها الأهالى من كل صوب . وفى مدة إقامتنا بها اشتدت الرطوبة إلى درجة عظيمة .

وفى ٢٨ منه غادرناها إلى ميلانو فأقمنا بها يوما واحدا .

فى سويسرا : برحنا ميلانو إلى لوسرن فى سويسرا . وكنا نبعث بعنواننا المتنقل إلى نوبار باشا ؛ وهناك جاءتنا منه فى ٣١ منه البرقية الآتية : « إننى سعيد لنبأ وصولكم بخير إلى لوسرن ؛ وقد أرسلت اليكم بعنوانكم فى هذه المدينة رسالة فأرجو أن تبلغونى هل يرى الخديو أنه من الملائم أن نفتح اكتتاباً هنا لمنكوبى الزلزال » .

فأمرنى عباس فكتبت له الرد التالى : « إن الجناب العالى يوافق على فتح الاكتتاب وقد تبرع بمبلغ مائتين وخمسين جنيهاً مصرياً » .

رفض الخديو الاحتفاء به : وفى ٣ أغسطس بلغ سموه أن جماعة من الماليين منهم فيفر صاحب الفندق الذى نقيم به وليبورى بك المهندس وتشودى وكيل بيت بلانتا بالاسكندرية ، عزموا على إقامة احتفال فى هذه الليلة تكريماً لسموه ؛ فأمر عباس رولييه بك — وكان قد لحق بنا — أن يشكر لهم عواطفهم ويفهمهم أن عباساً هنا متنكر ولا يود عمل شىء من الاحتفالات . ولكنا سمعنا بعد ذلك أصوات النيازك وشاهدنا إجراء ترتيبات الاحتفال وإنارة بحيرة لوسرن بالكهرباء المختلفة الألوان ، وإحضار موسيقى تصدح تحت الفندق . وغضب الخديو على رولييه لأنه لم يفهمهم بصفة قاطعة عدم رغبته فى ذلك . وكان الخواجه انطونيادس وبشاره بك تقلا حاضرين فاستسمحا خاطر سموه ، وبالرغم من انهمار المطر فانه نزل راجلا وتوجهنا إلى محل كوك لأخذ تذاكر السفر ؛ ثم تنزهنا فى البلد .

الخديو فى كولونيا : وفى الصباح سافرت مع البرنس محمد على باشا ورولييه بك إلى كولونيا . أما الخديو فوصلها فى ٦ أغسطس . وفى ٧ منه ركبنا عربة ومررنا بشوارعها ، ومما لفت نظرى أن معظم شرفات المنازل مزينة بالزهور . وزرنا محلا به تماثيل من الشمع يشبه متحف جريفن ومن بينها تمثال لعرابى .

عيد الجلوس السلطانى : وفى اليوم التالى كتبنا إلى نوبار باشا بأنه يحتفل بعيد الجلوس السلطانى فى مصر والاسكندرية ، وتقام مأدبة فى رأس التين ؛ وعرفته بأننا سنسافر إلى « لاهاى » يوم ٩ منه .

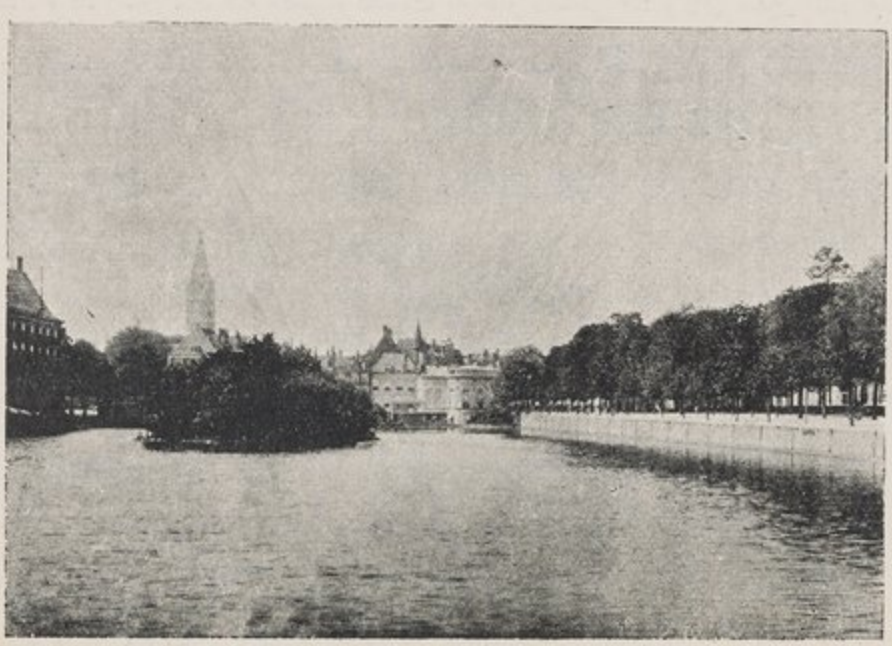
فى لاهاى : وقضينا فيها من يوم ١٠ الى يوم ١٣ أغسطس ، وتنزهنا فى غاباتها وميناها ؛ ومما لفت نظرى نظافة المدينة وجمال واجهات منازلها المبنية بالطوب الأحمر ورغم هطل الأمطار ، فقد اعتاد السكان غسلها بالخراطيم مما يدل على شدة عنايتهم بالنظافة ؛ وعلمت أن الخادمات عندهم يعرفن بالنظافة المتناهية والاتقان فى الخدمة .

الراقصة لوبى فولر : وفى إحدى مسارح لاهاى شاهدنا الراقصة لوبى فولر وهى أمريكية حسناء بوجه باسم وقد معتدل ترتدى لباساً رقيقاً يخال للرائى أنها عارية

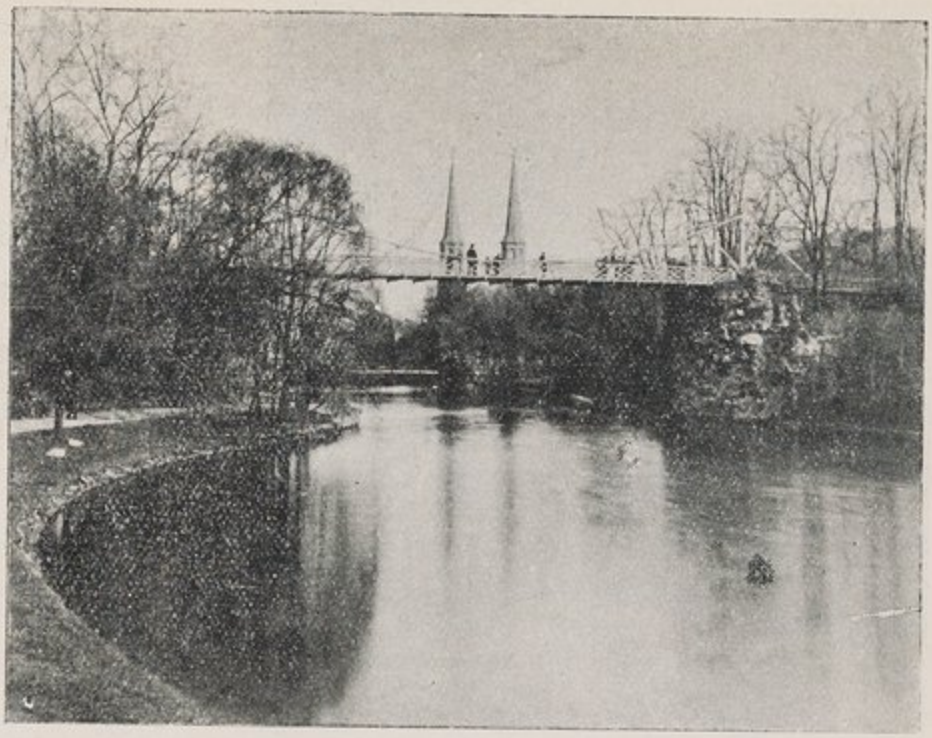
ورقصتها التى اخترعتها هى عبارة عن حركات خلابة تنثنى تارة يميناً وأخرى يساراً بخلاعة تسلب العقول وفى يديها وشاح من الحرير الثقيل تلوح به أثناء رقصها على جسمها وتتموج عليها أشعة ضوء تختلف ألوانه أثناء الرقص ويكون المسرح مظلماً. وأعجب الخديو بها جداً.



غابة مدينة لاهاى



بحيرة لوفيق لتربية الأسماك فى لاهاى



حديقة النباتات بأنفرس

فى أنفرس : ثم غادرنا لاهاى الى أنفرس لمشاهدة معرضها الذى كان مقاما إذ ذاك . وقد اشتركت فيه مصر ونظمت به حارة مصرية ؛ وكان سفير الدولة — قره تيودورى افندى — فى بروكسل قد علم بموعد حضور الخديو فهرع لاستقباله هو وقنصل تركيا (الانجليزى) فى انفرس . وكانت الدولة التركية قد اشتركت فى المعرض بعرض مصنوعاتها بصفة رسمية . ولما زرنا القسم التركى ، عرفنا أحد البائعين فلفت الينا الأنظار . فأسرعنا بمغادرة المكان .

وطاف الخديو بمفرده بأقسام مصر وتونس والجزائر ، ثم رجعنا للفندق . وفى عصر ذلك اليوم زرنا حديقة النباتات وفى مدخلها حوض به نافورة مكونة من طبقات ثلاث ، وقد زينت طبقاتها بالزهور بشكل بديع جذاب وبألوان مختلفة . وبعد عودتنا إلى الفندق ، حضر وكيل المحافظة وأخبر السفير التركى الذى كان معنا بأن الملك يرغب أن يزوره الخديو فأبرقنا لمحمود شكرى باشا بالاستانة لأخذ رأى المابين ، فجاءنا الرد بعدم قبول المقابلة . وقد فهمنا أن السلطان يخشى من أن يحتفى الملك بالخديو كأنه حاكم مستقل وهو ما لا يريده .

وفى اليوم التالى جاء السفير التركى وأخبرنا أنه قابل رجال السراى الملكية وانتهت المسألة ، فكتبنا لمحمود شكرى باشا بذلك .

تعرفى بسفير تركيا : ولما قابلت قره تيودورى افندى عرفته بنفسى وذكرته بالمكاتبات التى دارت بيننا بخصوص رسالة « الرق فى الاسلام » دون سابق معرفة وقتذاك فسر لمعرفتى .

المحافظة على قصر أنس الوجود : فى أثناء وجودنا بأنفرس وردت الينا من نوبار باشا رسالتان تختصان بصيانة قصر أنس الوجود الذى كادت تغرقه مياه خزان أسوان . وقد نهض بعض الانجليز من محبى الآثار يطالبون بحفظ هذا الأثر النفيس ، وفتح بعضهم اكتتاباً لذلك بعث به اللورد كرومر لنوبار باشا ، فرد عليه بالتالى : « ثقوا يا فخامة اللورد وليثق هؤلاء السادة — المكتتبون — أن حكومة الجناب العالى الخديوى دائبة العمل على التوفيق بين مصلحة البلاد ومستقبلها اللذين يستلزمان العناية التامة بخزن مياه النيل ، وبين صيانة تحف التاريخ التذكارية الكبرى والأبنية الأثرية التى هى من مفاخر مصر ومعالم ثروتها » .

فرددت على نوبار باشا بموافقة الخديو على العمل لصون هذا الأثر النفيس .

وكتب معتمدا ألمانيا وانجلترا رسمياً بهذا الخصوص إلى بطرس غالى باشا ناظر الخارجية .

فى بروكسل : وأقمنا بأنفرس حتى يوم ١٩ أغسطس ثم غادرناها إلى بروكسل وكنت أنا ورولييه بك وحسين فوزى بك بمعية الخديو . أما البرنس محمد على باشا وعبد الحليم عاصم باشا فسافرا إلى باريس ، وتخلف كومانوس باشا باذن الخديو . وقد طفنا متنكرين فى شوارع المدينة ودخلنا محلا به فتيات يخيل للناظر عن بعد أنهن جميلات لرشاقتهن ، ولكنه عند ما يدنو منهن تنكشف تلك الفتنة ويظهرن عاديات ؛ ويباح لمن شاء أن يتفرج على أجسامهن فى داخل المحل لقاء دفع قليل من النقود ؛ وأظهر الخديو عدم رضاه عما رأى ، وقال : « شىء كان لا بد لنا أن نراه ، وإن كان فى ذاته قبيحاً » .

وقد أقام لنا قرة تيودورى افندى مأبة غداء ؛ وتنزهنا بعدها فى غابة بروكسل الجميلة البديعة التنسيق ؛ وكذلك طفنا أثناء إقامتنا بشوارع المدينة ، وأهم ما استلفت نظرنا بناء المحكمة الفخم .

العود إلى سويسرا : وفى مساء ٢٠ منه بارحنا بروكسل إلى جنيف. فمررنا فى طريقنا على بال فى طريق جميل تتناثر فيه القصور القديمة فتكسبه روعة وجمالا . وعند وصولنا نزلنا بفندق كان سموه — أيام دراسته عند هكسيوس فى لانسى — يتناول فيه الطعام أحياناً مع جماعة من إخوانه فى الأعياد أو الآحاد ؛ فاشتبهت صاحبة الفندق فى الخديو ؛ إذ كانت تطيل النظر اليه ، فأسرعنا بمغادرة المكان.

فى إفيان الحمامات : وفى ٢٥ أغسطس سافرنا إلى إفيان الحمامات بفرنسا ؛ ولكننا أخطأنا ونزلنا فى تونون الحمامات ؛ ولم نعرف خطأنا إلا حينما ذهبنا للفندق وسألنا عما إذا كان قد وصلت اليهم برقية من فندق جنيف بحجز غرف لنا ، فأجبنا سلباً ؛ ولذلك اضطررنا إلى ركوب عربة أوصلتنا إلى إفيان . ولكنها كانت رياضة لطيفة ؛ وهناك وجدنا غرفنا محجوزة بأسمائنا المستعارة .

وكان بالفندق حفلة تمثيل ورقص فنزلنا إلى البهو ؛ ولكن لم نلبث أن اتجهت الينا الأنظار ، فتركنا البهو وصعدنا إلى الصالون المعد لنا لمشاهدة الألعاب النارية من الشرفة فاتجهت الينا أنظار كثيرة أخرى واحتشد الحضور تحت الشرفة . وكانوا ، ولا سيما الفتيات ، يصوبون المجهرات نحونا ؛ فلم نجد بداً من الالتجاء إلى الداخل .

وقد تأكد صاحب الفندق من وجود الخديو عنده ؛ وذلك لورود برقية له من جده اسماعيل باسم « خديو مصر » كان قد أرسلها إلى جنيف ، وحولت الينا فى إفيان ونطق الخادم باسم الخديو .

وقد حضرت فتاة جميلة تصحبها أخرى وأرسلت بطاقة للخديو باسم « مدموازيل ووكورث » ، وظهر من حديثها أن والدتها كانت قد حضرت إلى مصر فى سنة ١٨٩٢ وأنها أرسلت إلى الخديو خطابات مسجلة عن مسائل سياسية ؛ فأجابها عباس بأنه حقيقة وردت له خطابات من سيدات ، ولكنها فى شئون أخرى غير السياسة ! . . . وقد لاحظتُ أن الفتاة حينما التقى نظرها بنظر الخديو ارتجفت وتلعثمت ، وكذلك بدت على سموه حركة اضطراب !

فى بكس : وفى ٢٦ منه شاهدنا ينبوع مياه إفيان ثم سافرنا إلى سان موريس ومنها إلى « بكس » بالعربة ، والطريق بينهما جميل ، ولكننا لم نستطع التنزه لشدة الحرارة ؛ وبعد العصر تفرجنا على بعض الضواحى ، وأهم ماشاهدناه مصنع الملح وكيفية استخراجه ؛ ذلك أنه توجد أنابيب متصلة بالمعدن فى الجبل وتصب فى أحواض

بالمصنع تتدفق منها أيضاً أنابيب مياه عذبة فيسخن الملح الحجرى عند التقائه بالماء ويتبلور ، فيستخرج من الأحواض المتسعة الى أحواض اسطوانية تدور بالبخار لتجفيفه .

وفى يوم ٢٨ منه ركبت مع الخديو ومعنا حسين بك فوزى عربة الرياضة الى الكهف المسمى « مغارة الشياطين » ؛ وقد أعطوا كلا منا ، فى مدخله ، شالا يضعه على كتفيه اتقاء البرد داخل الكهف . وفى أثناء سيرنا كنا نحس دويا تحت أقدامنا أفهمنا الدليل أنه صوت شلال تمر مياهه تحت هذا الطريق الذى نسير فيه ، فوجفت لذلك قلوبنا ؛ ولما أتينا الى آخره وجدنا بحيرة ينصب فيها الماء من علو شاهق بهدير مخيف . وقد عدنا سريعا كرغبة الخديو الذى بدا عليه الاضطراب ، وقال إنه أحس بضيق صدر وانقباض وفى أثناء رجوعنا رأينا على اليمين شلال « بيسفاش » فأخذنا نذاكر لمشاهدته وسرنا فى الجبل حتى مررنا بجهة تتساقط أمامها مياه الشلال بشكل جميل .

وبعد انتهاء هذه الرياضة ، توجهنا لنتغدى فى مطعم يسمى « جورج دى ترين » وبعد الغداء زرنا المضيق الذى أمامه وهو عبارة عن جبلين متقاربين جداً يمر بهما فى السفح شلال له دوى عظيم ، وبهما اعوجاج كثير فحيناً ينفرجان وحيناً يقتربان حتى يكادا يلتصقان ، وأرفع قمة فيهما ارتفاعها ثلاثمائة متر ، وأعمق نقطة فى الشلال ثلاثة عشر مترا ، وفى النهاية يرن دوى الشلال عنيفاً ؛ وقد أطلق الدليل « طبنجة » فكان لها فى هذا المضيق دوى هائل حتى أن حسين بك فوزى — وكان قد بقى عند الحاجز الخشبى الموصل الى الداخل — أغمى عليه عند سماعه هذا الدوى المخيف .

فى أندرمات : وفى ٢٩ أغسطس سافرنا إلى « بريج » ومنها إلى أندرمات فى عربة ومررنا بطريقنا على « فيبج » والطريق جميلة جدا وهى متعرجة كالثعبان ، وبجانبها فرع من نهر الرون يزيد هذا المنظر الطبيعى روعة وجمالا .

وبعد الاستراحة واصلنا السير الى أندرمات . والطريق هنا تزداد جمالا وروعة ، ومن أهم مناظرها صخرة طبيعية على هيئة القبو مررنا تحتها ونحن لا نصدق أنها ستمسك نفسها حتى نمر ! ثم اقتربنا من « الجلاسييه دى رون » أى بحر الجليد وهو كوبرى يمر تحته نهر الرون باندفاع هائل إذ ينحدر فى هذه الهوة من صخور عالية حتى كون له حفرا عميقة تدور فيها المياه على هيئة دوّامات بسرعة مدهشة .

الخديو والخمر : وبعد تناول الغداء فى فندق الجلاسييه تركنا الخديو لنتناول القهوة فانتهز حسين فوزى بك فرصة غيابه وطلب كأسا من الكونياك ولم ألتفت لذلك

لاشتغالى بشأن آخر ؛ ولما جاءت قائمة الحساب وبها ثمن الكونياك غضب الخديو علينا جميعاً ؛ وبعد مناقشة انتهى الأمر بقيام حسين بك الى الاستانة فى الحال . وبهذه المناسبة أذكر أنه عند تولية عباس علم بأن بعض الموظفين يأتون أعمالا فى الخارج لا تتناسب ومراكزهم بالمعية ؛ ولما كان يوجد للسراى بوليس سرى أمر سموه ضابطه أن يراقب بواسطة أعوانه جميع موظفى المعية بعد خروجهم من العمل ، وكانت توضع عنهم تقارير وترفع لسموه ، فيأمر بمجازاة من كان يرتاد منهم الحانات ويحتسى الخمر ؛ وكذلك كانت ترسل اليه مثل هذه التقارير أثناء وجود سموه خارج القطر .

أزمة سياسية جديدة . عند وجود الخديو فى أنفرس ، أثناء سياحته بأوربا ، وردت لنا فى ١٦ أغسطس برقية من نوبار باشا ، بخصوص حديث قالت جريدة الجورنال الباريسية إن أحد حاشية الخديو فى سويسرا « روليه بك » أفضى به لمراسلها . قال فيها :

« إن المعتمد الانجليزى بالنيابة طلب تكذيب هذا الحديث نظراً لما سينتج عنه من التأثير السيىء عند نشره فى الجرائد الانجليزية . فاذا رأى سمو الخديو أن من الضرورى تكذيب هذا الحديث أو التصريح بأن المقابلة نفسها لم تحصل ففى الامكان نشر ذلك فى الجريدة الرسمية بمصر ، وحينئذ أرجو من سموه أن يأمر بافادتى تلغرافياً كيف يريد أن يكتب هذا التكذيب » . فرد عليه سموه بالبرقية الآتية : « لقد أدهشنى جداً ما جاء فى كتاب الحكومة الانجليزية عما يتعلق بمقال جريدة « الجورنال » التى يلوح لى أنها من الصحف المعروفة بصدق روايتها . إن الصحف الانجليزية تكتب عنى منذ ثلاثة أعوام بعبارة مهينة لى وأنا صامت ؛ والآن يطلب منى أن أدخل فى مناقشات مع أحد الصحفيين من أجل مسألة تافهة ؛ فأنا أقول لك يا عزيزى الباشا شخصياً إنه ما من واحد من رجال حاشيتى وجه اليه سؤال ما ، ولكن هل يليق بى أن أصرح بذلك على رؤوس الملأ ؟ أنا أترك ذلك لتقديرك ، وعلاوة على ذلك فلك أن تتصرف كيف تشاء . »

وفى يوم ٢٢ أغسطس وردت لى البرقية الآتية : « حالما تلقيت تلغراف سموه كتبت الى وكيل المعتمد الانجليزى ما خلاصته : بعد البحث رأيت إنصافاً لنفسى أن أصرح لكم بأن الكلام المنسوب الى أحد رجال حاشية الخديو مختلق ولا صحة له ، بدليل أن المقابلة نفسها التى تشير إليها جريدة « الجورنال » لم تحصل . فاشكر يا عزيزى البك بالنيابة عنى سمو الخديو على ما أولانى من ثقته الغالية » .

أما الحديث الذى نشرته جريدة الجورنال بلسان أحد محرريها فهذه خلاصته نقلا عما جاء فى جريدة الاجبشيان جازيت الصادرة فى ١٤ أغسطس : « قابل أحد محررى جريدة الجورنال الباريسية واحداً من رجال حاشية الخديو فى لوسرن ودار بينهما حديث نقتطف منه ما يأتى :

قال الرجل ، وهو يبتسم بعد أن ألقى نظرة عجلى على أسئلتى : لست أدرى هل فى إمكانى أن أجيب على هذه الأسئلة كلها ؟ لأنك لا تعرف مبلغ الحذر الشديد الذى يرى الخديو نفسه مضطراً أن يلزمه فى هذا الوقت حيث أقل كلمة منه يمكن أن تذهب انجلترا فى تأويلها المذهب الذى يلائم أهواءها ، فلا سبيل إذاً الى الشكوى مهما كان الأمر ولا مندوحة لنا من احتمال الحالة الحاضرة من غير أن ننطق بكلمة تذمر .

س — إذن أنتم تكرهون على الصبر الى ما شاء الله .

ج — كلا نحن غير صابرين ، فان الحالة التى صرنا إليها مضادة لجميع العهود المقطوعة ، وجميع ما تلقينا من الوعود الرسمية المسجلة التى لا سبيل لنا الى تنفيذها ؛ فمولانا السلطان ملتزم جانب الحذر ولا يرضى أن يفعل شيئاً ما لم ير نفسه مؤيداً من الوجهة الأدبية من جانب دولة تقضى عليها مصلحتها بوضع حد لجشع انجلترا . ولكن سيأتى ذلك اليوم ، وهو اليوم الذى تفرغ فيه فرنسا من معالجة شئونها الداخلية ومداواة عللها الحاضرة وتأمن على ما يوصلها الى تحقيق آمالها فيما يتعلق باسترجاع الأراضى التى سلبت منها ، فتدرك مصالحها الحقيقية مقدرة صداقتنا قدرها ، وتقدر ما فى الأسلوب الذى انتهجته فى سياستها الخارجية ولاسيما تجاه انجلترا من المضار العظيمة ، حيث قامت هذه السياسة حتى الآن على أساس العاطفة فى حين أن صديقتها العظيمة جعلت الأثرة والأنانية محور سياستها . . . . . » .

وعلقت الجازيت على ذلك بما يأتى : « من المحتمل أن يكون هذا الحديث مختلقاً ، وهو ما نرجو أن يكون لمصلحة الخديو نفسه . أما أن يقدم واحد من كبار موظفى المعية على التكلم عن دولة عظيمة وصديقة بمثل ما تكلم به عن انجلترا ، فهذا وحده يكفى لحمل ممثل جلالة ملكة انجلترا على طلب إقالة هذا الموظف ونفيه من مصر اذا كان أوروبياً . »

وفى ١٦ أغسطس نشرت فى محلياتها ما ترجمته : « اذا صح أن ما نشرته « الجورنال » بلسان أحد محرريها فيما يتعلق بالحديث الذى يؤكد أنه دار بينه وبين أحد موظفى المعية الخديوية من أنه صحيح وليس من بنات مخيلة هذا الكاتب ،

فلا ريب أن الموظف الذى أقدم على التكلم بهذه اللهجة الغريبة الخارجة عن حد الاعتدال ، كان فيما أتاه مخالفاً لأوامر الخديو . والدليل على ذلك ما تقوله الأنباء الأخيرة ؛ وهى أنه لما غادر الخديو مدينة البندقية تبعه جمهور من مكاتبى الجرائد فلم يقتصر على عدم السماح لهم بمقابلته والتحدث معه ، بل إنه أصدر أوامر شديدة الى رجال معيته ألا ينطقوا بكلمة واحدة فيما يتعلق بالشئون السياسية .

وعلى كل حال فان الحديث الذى نشرته جريدة الجورنال سيكون موضعاً للمناقشة فى مجلس العموم ؛ واذا ثبت أنه قائم على أساس صحيح ، فان الموظف الذى أفضى به يقال من منصبه ؛ ذلك أنه يجب على موظفى البلاط والحكومة أن يضعوا نصب عيونهم هذه الحقيقة ؛ وهى أن السياسة الخارجية خارجة عن نطاق أعمالهم ، وأن الاهتمام بها من اختصاص النظار القائمين بالأمر دون سواهم . »

ناظر انجليزى للمدرسة الخديوية . وفى أثناء إقامتنا بجنيف ورد لنا فى ٢١ أغسطس من نوبار باشا صورة من كتاب اللورد كمبرلى الى المعتمد البريطانى فى مصر وكذلك صورة من كتاب المعتمد البريطانى بالنيابة لنوبار باشا بخصوص طلب الانجليز تعيين ناظر انجليزى للمدرسة الخديوية فأرسلها نوبار باشا لنا لأخذ رأى الخديو فيها ، فرددنا عليه بأنه اذا كان النفوذ الانجليزى قد بلغ الى حد طلب مسائل بسيطة كهذه فان طلباتهم لن تقف عند حد ، وأن الخديو يأمل من نوبار باشا أن يحل المسألة بما هو معروف عنه من ميوله الوطنية . وكان رأى رولييه بك التساهل فى هذه المسألة ، بخلاف ما كنت أراه من وجوب الرفض ، ولكن على لسان نوبار باشا لا الخديو .

العود الى مصر . ثم سافرنا من أندرمات إلى جوشن ومنها إلى ميلانو فوصلناها فى ٤ سبتمبر ؛ ومنها أرسلنا برقية للاستانة وأخرى للقاهرة بأننا عزمنا على الرجوع من برنديزى رأساً للاسكندرية .

وفى ٥ منه غادرنا ميلانو إلى فلورنسا فشاهدنا كثيراً من مناظرها وآثارها القديمة ، وأهم ما لفت نظرنا كنيستها الكبرى وقد ابتاع سموه كثيراً من الصور الزيتية .

ومن فلورنسا ذهبنا إلى روما فقضينا بها يوماً ؛ ثم غادرناها الى نابولى يوم ٨ منه ، فقضينا بها يومين ؛ ومنها قمنا الى برنديزى فى ١٠ سبتمبر . وباحدى المحطات القريبة من برنديزى وجدنا كومانوس باشا وبروستر بك ووكيل شركة كوك فى انتظارنا ، فركبوا

معنا وعند وصولنا الى المحطة وجدنا جمهوراً كبيراً فى الانتظار وركبنا العربات إلى الميناء حيث كانت المحروسة فى انتظارنا مع اليخت صفا البحر — الذى سبق أن أوصى الخديو على صنعه بانجلترا — فنزل فيه سموه وكومانوس وبروستر وأنا قاصدين كورفو ، وقد أصبت والخديو بدوار البحر لشدة اهتزاز اليخت لصغره .

وفى ١١ منه نزلنا فى المحروسة وكان قد صدر لها الأمر بانتظارنا فى كورفو .



عباس على ظهر اليخت صفا البحر وعند قدميه كلبه بوسو

وفى ١٣ منه وصلنا الى الاسكندرية فاستقبلنا كالعادة ثم ذهبنا الى سراى رأس التين .

العود الى القاهرة : وقد بقينا فى الاسكندرية حتى يوم ٢٦ اكتوبر حيث سافرنا

الى العاصمة ، وكان الاستقبال فى كل المحطات أشد حماسة نظراً لتغيب الخديو مدى حين فى أوربا .

قضية الاتجار بالرقيق . فى يوم ١٣ أغسطس أتى أحد السماسرة بست جوار إلى على شريف باشا رئيس مجلس شورى القوانين ، فاشترى منهن ثلاثاً واشترى الثلاث الأخريات محمد الشواربى باشا ، والدكتور عبد الحميد الشافعى ، وحسين واصف باشا كل منهم واحدة ؛ وعلم رجال « قلم منع تجارة الرقيق » بذلك فقبضوا على التجار الذين أحضروا هذه الجوارى . كما قبضوا على المشترين ما عدا الشواربى باشا الذى غادر العاصمة إلى قليوب ؛ وأخيراً ادّعى على شريف باشا بأنه رعية دولة ايطاليا ، وحضر قنصل الدولة الجنرال وأفرج عنه مؤقتاً ؛ كما حصل الافراج عن حسين واصف باشا والدكتور عبد الحميد الشافعى بضمانة عثمان ماهر باشا فى ٢٨ منه .



محمد الشواربى باشا

وفى ٣١ منه أرسل لنا البرنس محمد على باشا برقية يقول فيها : « إن النيويورك هرالد قالت إن على شريف باشا وشواربى باشا وحسين واصف باشا سجنوا لاتهامهم بشراء رقيق » فكدنا لا نصدق هذا الخبر ، وبعثنا لنوبار باشا ببرقية نطلب التفصيلات سريعاً ؛ فجاء الرد بأن المسألة حقيقية . فغضب الخديو وكتب لنوبار باشا برقية شديدة فى هذا الشأن (*)

وفى نفس اليوم وردت لنا البرقية التالية من نوبار باشا : « التفصيلات اللازمة المتعلقة بمسألة الرقيق واردة فى تلغراف رقمى مرسل الى ميلان . إن على باشا شريف وشواربى باشا وحسين واصف باشا من المديرين السابقين قد اشتروا رقيقات ، وتمت الصفقة فى بيت على باشا شريف الواقع بقرب قصر النيل ، وقدم بلاغ فى حقهم ولدى

(*) حرصت على تفصيلات الموضوع لأهميته

التحقيق وجد الأمر صحيحاً . وعلى أثر ذلك ألقى القبض عليهم ، وادعى على باشا شريف أنه من رعايا دولة إيطاليا، وأيد القنصل الايطالى ادعاءه هذا فأطلق سبيله بعد أن أوقف ثلاث ساعات . أما الاثنان الآخران فقد أطلق سبيلهما وأوقفت الاجراءات ليومين أو ثلاثة أيام لدرس نقطة قانونية تتعلق بأمر الرقيق ثم تستأنف ويطبق عليهم القانون كما طبق على سواهم ، لأن الجميع فى نظر القانون سواء . وقد خاطب قنصل ايطاليا حكومته فى شأن رعوية على باشا شريف ولم يتلق جوابها بعـــد وسأعرفكم تلغرافيا عما يجد فى هذا الأمر . »

وبعد ذلك وصلتنا منه البرقية التالية : « لقد وقعت حادثة تبعث على الأسف الشديد وتفصيل الحادثة أن قلم الرقيق تلقى بلاغا مآله أن جماعة من الأرقاء السود المعروضين للبيع سيقت الى منزل لعلى باشا شريف ، فابتاع ثلاثا منهن ، وابتاع شواربى باشا واحدة ؛ فاتخذ قلم الرقيق الاجراءات اللازمة وأبلغنى شيفر بك — مدير قلم الرقيق — المسألة طالباً التعليمات ؛ وكنت أجهل الأمر فسألته موافاتى بالتفصيلات شافعاً ذلك بقولى له إنه مهما كان الأمر فواجب الحكومة يقضى عليها باحترام القانون وتنفيذه . أما قلم الرقيق فعملا بما هو متبع فى مثل هذه الحال اعتقل على باشا شريف وشرع فى البحث عن شواربى باشا — الذى غادر القاهرة — ليحيلهما الى مجلس حربى . ولما كان شيفر بك قد أنبأنى تلغرافياً أن روكاسيرا أفتى بأن هذه المعاملة لا تتفق مع قانون الرقيق فقد أمرت بجمع اللجنة القضائية لأخذ رأيها رسمياً فى الموضوع ، وشفعت هذا الأمر بقولى إنه يلوح لى والحالة هذه أن من الواجب إطلاق سبيل على باشا شريف الى أن تبدى اللجنة رأيها فى المسألة . وفى أثناء ذلك ادعى على باشا شريف بأنه تابع للقنصلية الايطالية بصفة كونه من رعايا دولة ايطاليا وتدخل القنصل فى الأمر طالباً إطلاق سبيل على باشا الى أن يتلقى تعليمات حكومته فى شأنه ؛ وبناء على ذلك أطلق سبيل على باشا ووقفت المسألة عند هذا الحد وسأعلمك تلغرافياً بما يجد . »

ثم وردت لنا منه البرقية الآتية : « وصل تلغرافكم الرقمى فتقوا أن تصرف على باشا شريف وشركائه لم يقتصر على إيقاعنا نحن جميعاً كهيئة حاكمة فى ارتباكات من كل نوع ، بل إنه آلم نفوسنا جداً كافة . حالما وصل تلغرافكم استصدرت أمراً بارجاء إحالة المسألة الى المجلس الحربى والمطاولة فى التحقيقات . أما التفصيلات فقد تناولها تلغرافى الأول المرسل الى ميلانو والثانى الى أندرمات وأما الاعتبارات المتعلقة بسير الدعوى فلا يستطاع بسطها بجملتها الا بالمراسلة . »

ومنه أيضاً : « عند ما تلقيت التلغراف المرسل إلىّ من أندرمات بعثت بتلغراف إلى القاهرة أشير فيه بالسير فى التحقيق ببطء فجاءنى الرد بأن الأوراق أحيلت إلى نظارة الحربية قبل وصول تلغرافى ، وأن المجلس الحربى سينعقد يوم الثلاثاء المقبل ، وحيث إن كل شىء تقرر بحسب القواعد المرعية فالمجلس سيجتمع غداً للشروع فى نظر الدعوى . »

وفى ٢ سبتمبر وردت لنا البرقية الآتية بأندرمات : « إن الفتوى والاجراءات القانونية التى اتخذت فى مسألة الرقيق مبنية على لائحة رياض باشا التى تساوى بين الشارى والبائع . أما روكاسيرا رئيس قلم القضايا فرأيه أن هذه المساواة لا وجود لها فى اعتبار الأمر العالى الصادر فى سنة ١٨٧٧ ، وأن هذه اللائحة لا تأثير لها على الأمر العالى ولا يمكن أن تتناوله بتعديل أو تغيير لأن الأمر العالى لا يعدل إلا بأمر عال نظيره ، وأنه ما دام الأمر كذلك فكل ما اتخذ من الاجراءات فى مسائل الرقيق منذ أربعة عشر سنة باطل ومخالف للقانون . هذا من جهة ومن جهة أخرى إن اللائحة فى اعتباره تعد تغييراً للأمر العالى فلا تغير شيئاً من روحه ولا من مرماه ؛ وعلى هذا المحور وسواه من الاعتبارات التى لا صلة لها به دارت مناقشات المجلس فى جلسة ٣٠ أغسطس فالمجلس عالج ، والحالة هذه ، المسألة ليس من الوجهة القانونية فقط ، بل من حيث نتائجها أيضاً ناظراً فيها نظرة إجمالية شاملة ، وسأبسط لك فى رسالة مخصوصة الاعتبارات التى استرشد المجلس بها فى عمله كما أنبأتك تلغرافياً قبل الآن .

أما الآن فحالما تلقيت تلغرافك أصدرت أمراً بالسير فى المسألة ببطء فهى إذاً واقفة الآن حيث كانت . »

وفى نفس اليوم وردت لنا منه البرقية الآتية : « أنا أخشى أن تؤدى حادثة على باشا شريف إلى ما لا تحمد عقباه لأن الرقيقات اللواتى جاء بهن النخاسون واشتراهن هو وشركاؤه ضبطن فى أحد بيوته وهذا ما يدعو إلى اتهامه باخفاء الرقيق والاشتراك فى الجريمة . وقد أفرغت جهدى فى تخليصه من هذه التهمة ، وما زلت أواصل السعى فى هذا السبيل لأنه لو ثبت الأمر عليه يقع تحت أحكام الأمر العالى ، وليس تحت أحكام اللائحة . وفى التلغراف الذى أرسلته اليك هذا الصباح أنبأتك بتفصيل المسألة التى سألتنى عنها فى تلغرافك . »

وفى يوم ٥ منه وصلتنا البرقية الآتية : « النخاسون اثنان : رجل مغربى والآخر من عرب البدو المتحضرين ، أما الجوارى فهن من واد الاى وأقمن مدة فى سيوه

حيث ابتاعهن النخاسون وأتوا بهن بطريق التهريب ، كالسلعة المهربة ، مغتنمين فرصة تغيب ضابط نقطة كرداسة فى السويس حيث ذهب لمراقبة الحجاج العائدين وقد أتى بهن الى منزل شريف باشا والدكتور شافعى وضبطن بارشاد رجال الخفية . »

وفى ٥ سبتمبر أرسلت الى نوبار باشا البرقية الآتية : « وصلتنا برقياتكم ونحن فى انتظار ردكم على البرقيات المرسلة اليكم من أندرمات . من المرجح أن نعود من برنديزى الى الاسكندرية رأساً . سنسافر هذا المساء الى فلورنسا . » وفى ٦ منه أرسلت اليه : « جاء فى جريدة التيمس بتاريخ ٣ الجارى أن الخديو طلب منك تلغرافياً منع المجلس الحربى من مواصلة عمله ، فالمرجو أن تطلب تكذيب هذا النبأ المختلق . » فجاءنى الرد فى ٦ منه أيضاً : « ليس مكاتب التيمس هو الذى وافى جريدته بالنبأ الذى ذكرته لى بل لا بد أن يكون صاحب النبأ شركة روتر أو شركة هافاس والمظنون أنها شركة روتر التى كذبت تلغرافها الأول ، أما التيمس فان مكاتبها أرسل اليوم تلغرافا يبسط فيه الواقعة على حقيقتها . »

وفى ٤ سبتمبر ابتدأت المحاكمة أمام المجلس العسكرى برياسة سعادة اللواء زهرى باشا وعضوية اللواء فضلى باشا والميرالاى اسماعيل بك سرهنك والميرالاى حسن بك رضوان والقائمقام ابراهيم بك راجى ومحمود بك توفيق ومحمد بك بكير ؛ وحضر القائمقام على بك حيدر والقائمقام يوسف بك خلوصى ، والمستر فريت بك نائب الأحكام العسكرية والقائمقام حسن بك حارس من قبل مصلحة الرقيق ومعه البكباشى محمد افندى ماهر ؛ والمتهمون هم محمد شعلوف وعبد الله سعد وحمدان مشكان ووهدان أبو زيد وعبد الرحمن نصار ومحمد رحيم البطران ومحمد باشا الشواربى وحسين باشا واصف والدكتور عبد الحميد الشافعى . أما على شريف باشا فلم يحضر نظراً لعدم وصول رد دولة ايطاليا بخصوص انتمائه اليها . وأخيراً صدر الحكم فى يوم ١٤ سبتمبر وهو يقضى بحبس المتهمين مدداً مختلفة بين السنة ونصف السنة والخمسة الأشهر . وقد حكم على الدكتور عبد الحميد الشافعى بالسجن مع الأشغال الشاقة خمسة أشهر ؛ وصادق على هذه الأحكام السردار . ولكنه لم يصادق على حكم المجلس ببراءة كل من محمد الشواربى باشا وحسين واصف باشا لعدم توفر أدلة براءتهما . أما بخصوص على شريف باشا فلم تثبت رعويته لدولة ايطاليا وكل مافى الأمر أنه منح رتبة من ملكها تبيح لحاملها أن يخاطب الملك « بابن عمى العزيز » وتقررت محاكمته ولكنه عوفى من المحاكمة أمام المجلس العسكرى نظراً لحالته الصحية كما قرر ذلك فى ٢٤ سبتمبر كل

من الدكتورين بنتن واسبنج المنتدبين للكشف عليه طبياً ، فصدر أمر الخديو فى ٢٨ منه بمعافاته ، واكتفى بأخذ الاقرار الآتى منه : « أقر أنى اشتريت ثلاث سودانيات للخدمة بدائرتنا وبقين بالدائرة لحد يوم تسليمهن للحكومة ، وأعترف بأنى مذنب فى فى هذا الفعل لعلمى أن هذا غير جائز ولكن حصل ذلك منى بنوع الاهمال ؛ والآن قد ندمت وتأسفت على حصول ذلك وعليه أطلب العفو والسماح من لدن أولى الأمر — الامضاء والختم . »

فصدر الأمر العالى بالعفو عنه اكتفاء باقراره هذا ، كما صدر الأمر باثبات تبرئة كل من محمد الشواربى باشا وحسين واصف باشا . وعلى هذا النحو انتهت المسألة .

وفى ٢٧ أكتوبر صدر الأمر بالعفو عن الدكتور عبد الحميد الشافعى .

زواج المؤلف وشئون أخرى . ذكرنا فى مبدأ عهد الخديو السابق توفيق باشا ما كان من أمر زواجى باشارته ثم وفاة زوجتى بعد ثلاث سنوات . وقد بقيت بعدها دون زواج حتى سنة ١٨٩٤ حيث تم زواجى الثانى . ولهذا الزواج قصة خلاصتها أنى كنت وصديق المرحوم ابراهيم بك ذو الفقار نتحادث أحياناً فى أمر الزواج ونفكر فى البحث عن أختين لائقتين ، فيتزوج كل منا بواحدة وذلك لنكون زميلين أيضاً فى الزواج . وقد ذكر لى ابراهيم أن هذه الأمنية تتحقق فى زواج أختين هما ابنتا راشد راقب باشا ، وهما يقيمان مع أمهما بالاستانة . ولكننا استبعدنا أن تهيء لنا الظروف ذلك نظراً لوجودهما بعيدين عن مصر ؛ وبقيت هذه الأمنية تتردد فى نفسينا ولا تتحقق ؛ وكانت أفكارى عن الزواج بعد رجوعى من أوربا قد تغيرت وأصبحت أتطلب فتاة من نوع خاص ، على أن أعرفها قبل زواجى بها إلى آخر هذه المبادىء التى تفتحت لها نفسى فى أوربا .

وقد جاء فى الجزء الأول من « مذكراتى فى نصف قرن » قصتى مع تلك الأسرة التى اختارتنى زوجا لفتاة منها دون علمى ، ثم عدلت عن فكرتها لمجرد أن والدتى — ولست أنا — رغبت فى رؤية الفتاة ! .

وبقى الحال كذلك حتى كانت رحلة الخديو للاستانة فى العام الماضى وأنا معه ، وكانت زيارته لقصر ميركون الذى يقيم فيه جده . وقد وصف لنا سموه بعد رجوعه ما رآه فى القصر ومن رآه ، فذكر فى حديثه فتاتين جميلتين هما ابنتا المرحوم راشد راقب باشا ، وهما مع أمهما ضمن حاشية اسماعيل فتذكرت ما كان من حديث صديق

ابراهيم بك ذو الفقار معى بشأن هاتين الفتاتين ، وظهرت علىّ الدهشة ؛ ولاحظ الخديو ذلك فسألنى عن السبب فقصصت على سموه حكايتنا وأمانينا الماضية ، وعود تلك الذكرى إلى نفسى عند ما أشار سموه الى الفتاتين ؛ فوعد جنابه بمساعدتى ونفذ وعده بأن تحادث مع محمد بك الجركشى فى الموضوع فأبلغ المسألة الى اسماعيل باشا ؛ وكانت أمهما تمانع فى زواجهما بمصر ، ولكن اسماعيل ما زال بها حتى قبلت .

وقد طلبت صورة الأختين فأرسلتا لى عقب العود بفضل مساعى عباس ؛ وحدث أن البرنس فؤاد باشا السرياور اختار لى إحداهما وهى الصغرى فرضيتها ؛ أما الثانية فأبت أمها أن تزوجها فى مصر واستبقتها معها .

وفى يوم ٨ يناير قرأت الفاتحة فى سراى الزعفران مع باش أغاى السراى وكانت البرنسيس جشم آفت هانم افندى — ثالثة زوجات اسماعيل — نائبة عن الزوجة .

وفى هذه الليلة أقمت حفلة راقصة شائقة ؛ وقد ذاع أمرها خصوصاً وأن شكل رقعة الدعوة اليها كانت بها صور رمزية ظريفة (*)؛ وتناولتها الصحف العربية والأفرنجية بالذكر والمديح .



sera chez lui la soirée de Lundi 8 Janvier 1894 néanmoins Mesdames les souris et Messieurs les rats peuvent y venir danser sans crainte.

On fera patte de velours.

رقعة الدعوة

(*) ش بالفتح (لفظة فرنسية معناها قط) فيق مكررة (صوت نفرته) ورباط القط بالهلال معناه اتصاله بالحاكم . والفار بالفرنسية (را) وفون إذا اتصلت برا تصبح رافون وهو اسم واضع الرسم .

ومعنى ما جاء برقعة الدعوة أن سيداتنا الفارات وساداتنا الفيران يمكنهم الحضور للرقص فى أمان لأن كفى القط من القطيفة !

وبعد الرجوع من زيارة الحدود وانتهاء ذيولها ، اهتممت بمسألة تقديم النيشان من الحلى والثياب ؛ وأرسلت هذه الأشياء فى سلتين وشبقتين وصندوق مكسو بالمخمل الأحمر بعد أن زينت السلتان والصندوق بالزهور بشكل جميل .

وفى ٥ مارس عقدت قرانى فى سراى البرنسيس جميلة هانم ؛ وكان حمدى باشا وكيل دائرة القصر العالى وكيلا عن الزوجة .

وفى ٦ منه زفت العروس فى عربة خديوية تجرها أربعة خيول وتلتها عربة بها والدتى حسب التقاليد ؛ وعدة عربات فخمة أخرى وقد بلغ عددها نحو عشرين بينها عربة لبنات الخديو الأسبق اسماعيل وبعض البرنسيسات ؛ وكان الموكب بقيادة ابراهيم بك رأفت من ضباط الحرس بأمر من الخديو .

ومر الموكب بشارع القصر العالى ، فميدان الفلكى ثم بقنصلية فرنسا الى شارع بولاق ، شارع فؤاد الأول حالا ، فميدان الأوبرا فشارع عابدين ومنه الى المنزل بشارع الشيخ عبد الله .

وقد تقدمت عند حضور الموكب الى عربة عروسى وأنزلتها منها — بعد تمنع كالعادة — وكان معها فى العربة وصيفة البرنسيس جميلة هانم .

وكانت العادة المتبعة فى ذلك العهد أن يأكل المدعوون على موائد مستديرة ولكنى تركت هذه العادة الى المقصف « البوفيه » ، مع إقامة حفلة رقص على النظام الغربى للمدعوين والمدعوات من الأفرنج ؛ وأبقيت للمدعوات من المصريات النظام القديم وعدلته بتناول الطعام دفعة واحدة على موائد « ألاتركه » .

وبعد الساعة التاسعة افتتح المرقص إلى منتصف الليل وعندها دعوت الموجودين إلى المقصف ، ثم انسحبت من بينهم وصعدت إلى الحريم حيث كانت عروسى . وبعد زواجى زيد مرتبى خمسة جنيهات فى الشهر فبلغ خمسة وأربعين جنيهاً .

منحى نيشانى الأكاديمى والمعارف بدرجة أوفيسيه : بتاريخ ٥ مارس وصلتنى رسالة من مسيو بوكار هذا نصها : « يسرنى أن أنبئك أيها الصديق العزيز بأن وزير المعارف وقع براءة نيشان الأكاديمى من درجة أوفيسيه الذى أهدى اليك وأرجو أن

أتمكن من إرساله اليك قريباً مع براءته . وأذكر أنى قبل أن أبرح مصر لاحظت أنك تفضل ، كواحد من رجال القلم والعلم ، أن تقلد نيشان المعارف . وقد جاءت هذه المنحة مطابقة لرغبتك وستحفظها تذكاراً لعهد التلمذة فى باريس وعربونا لعلاقتنا الودية ، وبعد هذه الرسالة بقليل وصلنى أمر الاهداء من وزير المعارف العمومية الفرنسية وهذا نصه :

« حضرة أحمد شفيق بك رئيس قلم الترجمة فى الديوان العالى الخديوى — بمصر .

أتشرف بأن أنبئك أنه بناء على القرار الصادر بتاريخ اليوم قد أهديت اليك نيشان الأكاديمى من رتبة أوفيسيه اعترافا منى بالخدم التى أديتها إلى وزارة المعارف العمومية وتفضل ياسيدى بقبول فائق اعتبارى » .

وزير المعارف والفنون الجميلة
اجزافييه شارم

وكان هذا الاهداء بناء على سعى المسيو بوكار الذى سعيت له عند سمو الخديو حتى أنعم عليه بالنيشان العثمانى الثانى نظير الخدمات التى كان يؤديها لمصر فى فرنسا .

وكذلك ورد لى خطاب آخر من وزارة المعارف باهدائى نيشان المعارف من رتبة أوفيسيه .

بينى وبين عباس : عندما رجعنا من رحلتنا فى أوربا إلى برنديزى وركبنا يخت المحروسة من كورفو فى طريقنا إلى الاسكندرية ، رأى الخديو فى اليخت جملة صناديق بها أثاثات وغيرها كنا اشتريناها أنا ورولييه بك ، فسأل عنها سموه وأخبر أنها لنا ؛ فغضب منا ومن كومانوس باشا — ولم نفهم لماذا غضب عليه — وقد فهمت أن غضبه علىّ وعلى رولييه بك كان سببه شحن هذه الصناديق دون إذنه . ولما كانت المسألة بسيطة فقد توقعنا زوال أثرها سريعاً ولكن الأمر لم يكن كذلك ، إذ أنه لما وصلنا الى الاسكندرية استأذنت سموه بالذهاب لرؤية أسرتى ، واستسمحته مرة أخرى فقال لى : « بشرط ألا تحشر فى كومانوس وفى رولييه » . وعندئذ أدركت أنى لم أكن مقصوداً بغضبه ، ولم يكن السبب هو شحن الصناديق بل هناك أسباب أخرى ؛ وتذكرت أن سموه فى أثناء السياحة كان يتحدث معى وجاء ذكر رولييه وكومانوس فقلت لسموه ما معناه : « إن لكل إنسان عيوباً ، وعيب هذين الرجلين ليس جسيما ، وكفى أنهما مخلصان » فقال لى فى حدة : « صادقين ايه ومخلصين ايه ؛ أنا زهقت خلاص وأدينى بقول لك شىء ولم أقله لحد أبداً ؛ اننى ربما أجيب دومرتينو ثانياً لأنه لا يخوننى مثل رولييه ! ! » .

فاعتقدت أنه استخرج من حديثى أننى أدافع عنهما وأعضدهما بدليل ما بلغنى بعد ذلك من بعض الحاشية وهو أن سموه قال عنى : « إنه كان عامل ياور لهم ! »

العمال المصريون بشركة قناة السويس : فى يوم ٢٧ سبتمبر وصلت إلىّ رسالة من مسيو بوكار ، أتبعها فى اليوم التالى برسالة للخديو باظهار اهتمامه بالعمال المصريين الذين يشتغلون فى شركة قنال السويس وغير ذلك من الشئون المصرية بعد إنعام الخديو عليه بالنيشان العثمانى من الدرجة الثانية كما سبق . وها هو نص الرسالتين : « لقد صرفنا فى القنال ١٥ يوماً فى تفقد حالته ثم جئنا بدعوة من حضرة رئيس مجلس إدارة الشركة إلى القاهرة لنقضى فيها وقتاً قصيراً ثم نعود إلى منطقة القنال لاستئناف عملنا ؛ وفى اعتبارى أن العمل فى القنال سائر على ما يرام بفضل ما يبذل الموظفون المسئولون من الهمة والنشاط ولكن من الممكن أن يراعى جانب التوفير فى نفقات الادارة . والسبيل إلى ذلك هو أن نلجأ إلى اليد المصرية العاملة فنفتح لها باب العمل على مصراعيه ، خلافا لما كان متبعاً فى الماضى ، ولا سيما أنه ثبت لنا أن مواطنيكم أهل لأن يتولوا بعد التمرين كثيراً من الأعمال التى كان يعهد بها حتى الآن خطأ الى الأجانب ، وأنا أرى أن للمصريين كل الحق فى الجانب الأكبر من الأجور ؛ ومن مصلحتنا أن ننظر فى هذه المسألة بعين الاعتبار ؛ وقد فكرت فى هذا الأمر منذ البداية وأنا آخذ الآن فى تنفيذه وجعل موظفى الشركة ينسجون على منوالى فيه .

إن كل ما أراه فى بلادكم يثير دهشتى . أما الجناب العالى الخديوى فأنا معجب به منذ ابتدأت أن أراه عاكفاً على العمل ، ويلوح لى أن العناية الالهية أرادت أن تخصكم فى هذا الوقت العصيب بزعيم حقيق ولذلك فأنا واثق بالمستقبل . »

أما رسالته الى سمو الخديو فهى : « أرجو أن تكونوا سموكم عدتم الى مملكتكم متمتعين بالصحة التامة ومرتاحين الى ما شاهدتموه فى رحلتكم فى معرض أنفرس من ولاء أعوانكم من المصريين الذين التقيتم بهم هناك ، واسمحوا لى يا مولاى بأن أعرب لسموكم عن أصدق وأجل شعائر الامتنان للعطف السامى الذى شملتمونا به هناك والمنحة الجديدة التى تفضلتم علىّ بها .

لقد وافيت شفيق بك ببعض معلومات تتعلق بما تم لمصلحة عمالنا المصريين طبقاً لرغائب سموكم . إن اعتصاب بورسعيد — الذى طال أجله — كانت نتيجته أن زملائى أصبحوا يشاطرونى رأيى فيما يختص بتفضيل العمال الوطنيين الذين ألفوا

السكينة ، على العمال المهيجين ، سواء كانوا من اليونانيين أو غيرهم . أما فيما يتعلق بهوروس فاسمحوا لى يا مولاى أن أكرر ما قلته سابقاً فيه وهو أن كل ما صرح به من الحقائق عن مصر وأميرها كان له شأنه الخطير فى فرنسا سواء أكان عند الجمهور أم عند ولاة الأمور ؛ فأنا موقن إذاً أنكم متى أتيتم إلى فرنسا فى العام المقبل تجدون الطريق ممهداً أحسن تمهيد بحيث يصبح وجودكم كافياً لاتمام الباقى ولكم أن تهيئوا أنفسكم منذ الآن فعسى أن يحقق الله أمنيتكم . »

تعيين مستشار للداخلية وتغيير نظام البوليس : قال نوبار باشا فى تقرير رفعه بتاريخ ٣ نوفمبر إنه وجه كل التفاته إلى سوء حالة الأمن فى البلاد وإلى البحث عن الطرق الموصلة لاصلاح تلك الحال ، وإن نظام البوليس الذى تشكل عقب الثورة يميل إلى السيطرة على الادارة الداخلية برمتها ، ونشأ عن ذلك تنازع فى الاختصاص غير محمود ؛ وكانت النتيجة الاضرار بالأمن العام ؛ وإن هذا مغاير لحفظ نظام الأمن إذ أن المديرين قد تعودوا أخذ المسئولية على عاتقهم ، وهذا لا يتيسر إلا إذا كانوا قابضين على سلطة حقيقية لهذا يرى إلغاء النظام الحالى للبوليس ، وإلغاء وظائف مفتشى البوليس فى المديريات ، فيصبح كل مدير مسئول عن الأمن فى مديريته ، ويحافظ عليه بمعاونة مشايخ البلاد ؛ ويستبدل بايجاد ثلاث وظائف معاونين بنظارة الداخلية يكلفون بالقيام بالتحقيقات أو المأموريات التى ينتدبهم اليها الناظر كما كان ذلك جاريا من قبل .

وأن يعين مستشار انجليزى فى نظارة الداخلية بصفة موظف مصرى لا يكون له أدنى اختصاص تنفيذى ، ولا يكون له علاقة إلا بالناظر ، واليه يرجع فيما يريد الوقوف عليه من الاستعلامات .

وبناء على ذلك صدر الأمر فى ٣ نوفمبر بالغاء نظام البوليس ، وألغيت وظيفة مفتش عموم البوليس ؛ وتعيين المستر ألدون جورست مستشاراً بنظارة الداخلية .

تعيين وكيل للازهر : اعتلت صحة الشيخ محمد الانبابى شيخ الجامع الأزهر فلم يتمكن من القيام بعمله فصدر الأمر فى أول ديسمبر بتعيين الشيخ حسونة النواوى وكيلا للجامع يباشر الأعمال فيه .

اقبال هانم أيضا . فى يوم ٨ ديسمبر ذاع بين رجال المعية نبأ يختص بظهور أعراض الحمل على فتاة من ربيبات البيت الخديوى هى إقبال هانم افندى ؛ وكانت

إحدى جاريات ثلاث خصصتهن الوالدة لخدمة الخديو أثناء إقامته بقصر القبة ؛ وكانت تمتاز برائع جمالها وساحر قوامها . فشغف بها الخديو وتوثقت بينهما العلاقات .

وكانت إقبال هانم تطمح إلى الزواج من الخديو وترقب فرصتها . فلما فشل مشروع زواج سموه من إحدى الأميرات السلطانية فرحت فرحا شديداً ؛ ولما عاد عباس إلى مصر كان رأيه قد استقر على الزواج بها خصوصاً بعد ظهور حملها ، ولم يلبث أن نفذ عزمه بعقد هذا الزواج كما سيجيء بعد ، وبذا حققت أمنية إقبال هانم وغدت زوجة لخديو مصر . أما الوالدة فقد تكدرت وأسفت شديد الأسف لفشل مشاريعها ولأنها لم تصبح حماة لسلطانة .

سنة ١٨٩٥

مرض الخديو اسماعيل ووفاته . الشيخ محمد عبده والخطوة الأولى لاصلاح الأزهر . مولودة للخديو وزواجه باقبال هانم . الاعتداء على بحارة انجليز ومحام بلجيكي وتشكيل المحكمة المخصوصة . ظهور مصطفى كامل فى ميدان السياسة . اللجنة السرية . حديث لمصطفى كامل مع الأمير الاى بارنج . حديث كرومر ونوبار مع مكاتب الجورنال الباريسى . سياسى فرنسى يدافع عن القضية المصرية . جهاد مصطفى كامل فى أوربا وتقديمه صورة رمزية للبرلمان الفرنسى . خطبة فى تولوز ومحادثاته بفينا . رسالاته الى . احتفال مصطفى كامل بعيد الجلوس السلطانى بباريس . حملة الجرائد الانجليزية على الطلبة المصريين بباريس . خطاب مصطفى كامل للورد سالسبورى وخطبته فى الجمعية الجغرافية . رحلة الخديو الثالثة للاستانة . تغيير نظارة نوبار . شئون مختلفة .

مرض الخديو اسماعيل ووفاته . فى أول يناير وردت البرقيات من الاستانة منبئة بأن صحة الخديو الأسبق قد ساءت وأن أطباءه يخشون عواقب هذا المرض نظراً لضعفه ، فكان لهذه الأنباء وقع سيء فى نفس الخديو ؛ إذ كان يحمل لجده عاطفة الحب البار فأرسل يستفسر ، ويطلب موافاته بأنباء جده تباعا ؛ وبعد يومين وردت أنباء تحمل على التفاؤل ، ولكن لم يمض يومان آخران حتى جاءت الأخبار منذرة بسوء الحال ؛ وكنا مع الخديو نشهد التمثيل بالأوبرا حين وافاه النبأ فكدرت صفو الليلة ، وخرج سموه على الأثر تبدو عليه أمارات الكدر .

وفى ٦ يناير استدعى أعمامه وتباحثوا فى الأمر ، ثم استقر الرأى بينهم على أن يسافر البرنسان ابراهيم باشا حلمى وفؤاد باشا السرياور للاستانة ليكونا بجانب والدهما مزودين من لدن الجناب العالى بالأمانى الطيبة والدعوات بالشفاء . وبعد سفرهما قدم إلى السراى البرنس حسين كامل باشا ، وتحادث مع الخديو بشأن العمل على رجوع اسماعيل باشا إلى مصر ، لأن هواءها يوافق صحته بعد أن قرر الأطباء ضرورة مغادرته للاستانة ؛ ولكن الخديو لم يبت مع عمه فى ذلك الأمر نظراً للظروف السياسية التى تحيط بعودة اسماعيل على أنه وعد أن يبذل وسعه لتحقيق هذه الأمنية .



ابراهيم حلمي باشا

وفى اليوم التالى تباحث الخديو مع النظار ، فكان رأيهم ألا تفتح هذه المسألة فلعلها تجر الى أزمات سياسية بالرغم من رغبته السامية فى رجوع جده .

وصية اسماعيل ونوع مرضه : ثم قدم من الاستانة الكونت « ما فيه دوبوليو » سكرتير اسماعيل وقدم إلى عباس أوراقا خصوصية من لدن جده ، عرفت أنها تختص بوصيته الأخيرة . وحدثنا هذا السكرتير أن الأطباء قرروا أن إسماعيل مصاب بمرض الاستسقاء ، وأن أملهم ضعيف فى الشفاء .

وفى ١١ يناير وردت البرقيات من البرنسين ابراهيم باشا حلمى وفؤاد باشا ومن أطباء والدهما ، بأنه ظهر من المباحث الطبية التى أجريت أخيراً أن اسماعيل مصاب فوق الاستسقاء بالالتهاب والسرطان المعويين ، وأنه لابد من انتقاله إلى بلد حار كمصر لتغيير الهواء ؛ وهم يرجون الخديو التصريح لجده المريض بأن يعود إلى الوطن .

ولقد بدا على وجه سموه شديد الكدر عند قراءة هذه البرقيات ، وتشاور فى الأمر مع رجال المعية مظهراً ميله الشديد للموافقة ؛ واستقر الرأى على دعوة مجلس

النظار ليبحث هـذه المسألة . ولـكن المجلس ما كاد ينعقد حتى أصر على قراره الأول ، لأن انجلترا تأبى مثل هذا التصريح فضلا عن أن السلطان لا يريده . ووقف الأمر عند هذا الحد ، حتى يوم ٢٠ منه إذ عاد البرنس فؤاد باشا ، فعاد الجدل يشتد حول المسألة ، وتوالت الاجتماعات بين الخديو وأفراد أسرته ، وبينه وبين رجال المعية ، ثم بينه وبين النظار ؛ ولـكن المسألة ظلت عند حدها الأول .

وفى جلسة ٢٣ يناير قرر مجلس النظار اعتبار هـذا القرار آخر بحث رسمى فى المسألة ، وأخذ اليأس يتسرب الى النفوس من أن المريض لن يشفى ولن يعود .

وبعـد انقضاء بضعة أسابيع عادت أنباء اسماعيل تقرع الأسماع منذرة بالخطر القريب ؛ فسافر محمد راتب باشا السردار الأسبق الى الاستانة

وبعد وصوله جاءت منه برقية بأنه ذهب الى المـابين ، وعرض على كبير الأمناء ملتمس اسماعيل باشا فى رجاء قبول أمنيته فى السفر الى مصر لتبديل الهواء تلبية لنصح الأطباء ، وأخبر عطوفته بمـا يعلمه من رضاء الجناب العـالى وجزعه العظيم على جده ؛ وأنه لما عرض الملتمس على السلطان وعد بالنظر فيه متى وردت للسدة السلطانية مكاتبة من الخديو بذلك .

وعليه أرسل اسماعيل باشـا برقية لحفيده يستعطفه فيها بأن يلتمس له الاذن من السلطان بالعودة الى مصر . وعلى أثر ذلك عاد الخديو للبحث مع النظار فى الأمر من جديد ، فأصروا على موقفهم السابق ولمحوا بأنهم يفضلون الاستقالة اذا لم يحترم رأيهم ؛ فعندئذ رد سموه على هذا الطلب مظهراً شديد أسفه على أنه لا يستطيع أن يجيب هذه الرغبة لأنه يعمل بالاشـتراك مع نظاره اتباعاً للخطة التى سنتها الخـديوية المصرية من عهد اسماعيل ؛ والنظار مصرون على رأيهم ؛ ولهذا يتعذر عليه أن يخاطب المابين مستقل الرأى فى مثل هذه المهمة .

بعث الخـديو بهذه البرقية ، وهو متألم لوقوف نظاره منه هـذا الموقف وكأنما أثرت هـذه الظروف فى صحة المريض فضلا عن تأثير المرض ، فما جاء يوم ٢٧ فبراير حتى وردت الأنباء منذرة بتفاقم الخطر ، وبأن اسماعيل أوصى بأن يدفن فى القاهرة .

وقـد خيم على السراى عند ورود هذا النبـأ جو من الحزن والصمت ولا سيما بعد أن أصبح مقرراً أن لا عود للخديو المعزول الى مقره وهو على قيد الحياة !!

وفاة اسماعيل : ولم يمض على هذا النبأ يومان حتى ورد البرق بنعيه فى صباح يوم ٢ مارس ، وأنه أوصى قبيل وفاته بجميع أمواله وأملاكه الى قريناته الثلاث ، واختار البرنس ابراهيم حلمى باشا ، ومحمد راتب باشا للوصاية عليهن .

فسرى النبأ فى القصر بسرعة ، وعلت جبين الخديو سحابة من الحزن ، وخفتت الأصوات فلا تسمع إلا همساً !

وعند الظهر تبودلت البرقيات بالعزاء بين الخديو وأعمامه فى الاستانة ، وبين هؤلاء والبرنسين حسين كامل باشا وأحمد فؤاد باشا فى مصر .

وتنفيذاً لوصية الفقيد ، صدرت الارادة الى مصلحة البوستة الخديوية أن تعد إحدى بواخرها لنقل الجثمان .

وسافر الخديو فى ٣ مارس الى الاسكندرية ، ونزل بقصر المنتزه انتظاراً لوصول الجثمان ، ولحق بسموه محمود شكرى باشا والبرنس حسين كامل باشا للمداولة فيما يجب عمله من الترتيبات .



البرنس محمود حمدى

وظللنا ننتظر أنباء تحرك الباخرة حتى يوم ٧ مارس ، حيث وردت برقية بقيامها وعليها جميع أفراد العائلة الخديوية ، ومحمد راتب باشا وقامت مع الباخرة بارجة حربية عثمانية .

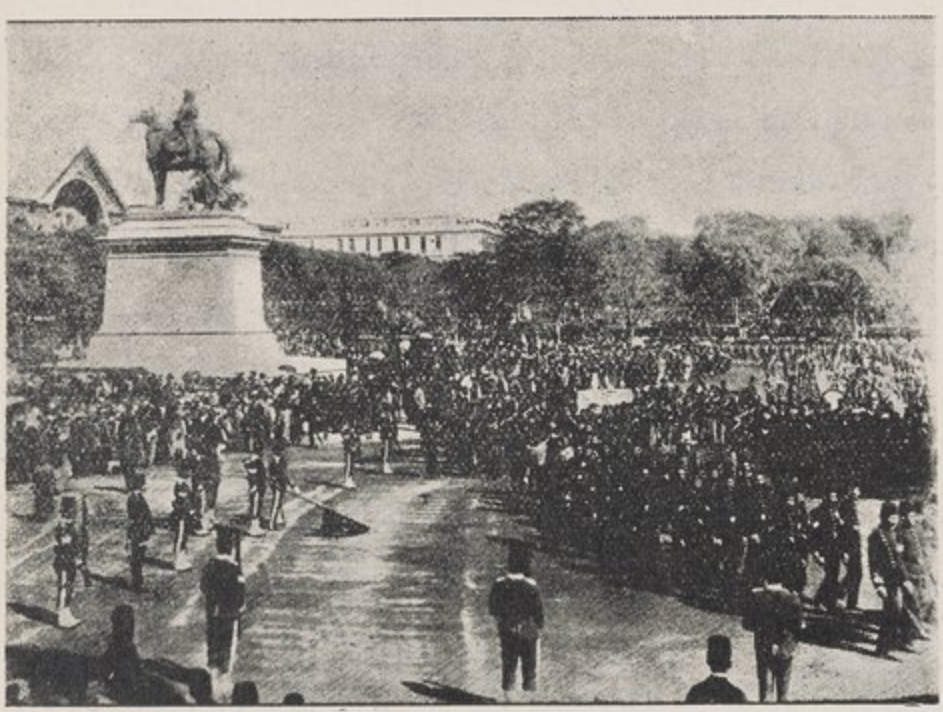
تشييع الجنازة : وفى ٩ مارس وصلت الباخرتان الى الثغر وبقيتا تحت الحجر الصحى مدة يومين ؛ ثم نقلت الجثة يوم ١١ منه الى سراى رأس التين استعداداً لنقلها على قطار خاص الى القاهرة .

وقد تحرك هذا القطار فى الساعة الخامسة مساء فوصل الى القاهرة ليلا وأودعت الجثة بالمحطة فى قاعة الاستراحة الخديوية . ووصل كذلك القطار المقل للخديو رأساً الى سراى القبة .

وفى الصباح أخذ المشيعون من جميع الطبقات يفدون بملابسهم الرسمية . وصدر الأمر للحرس السوارى بمرافقة الجثة من المحطة إلى المدفن مع كبار رجال المعية . وكان كثيرون من الوافدين يدخلون القاعة التى وضعت بها الجثة ، فيقرأون الفاتحة ويخرجون فى خشوع .

وقبيل الساعة التاسعة وصل إلى القاهرة القطار المقل للخديو وشقيقه البرنس محمد على باشا ؛ فذهبا تواً إلى القاعة التى بها النعش . وبعد خروجهما كان يبدو على وجهيهما التأثر الشديد .

ثم تحرك الموكب يتقدمه الجناب العالى ، وحف به من الجانبين الغازى احمد مختار باشا والبرنسات وكبار المعيـــة وخلفهم النظار والقناصل ، وأطلقت المدافع تحية للجثمان .



جنازة اسماعيل

وكان رجال الجيش على الجانبين منكسى بنادقهم .

وسار الموكب حتى وصل ميدان الأوبرا ؛ فتخلف الخديو ، وكذلك أحمد مختار باشا وقناصل الدول ؛ وظل الباقون سائرين حتى مسجد الرفاعى حيث صلى على الجثة ثم ووريت مقرها الأخير ووقف البرنسات يتقبلون العزاء من المشيعين .

وقد أطلق مائة مدفع فى الاسكندرية ، ومائة وواحد بمصر عند الدفن ، كما أضيئت المدينتان بمصابيح الغاز .

وغصت سراى القصر العالى — التى أعدت لاستقبال المعزين — وتوالت البرقيات من جميع أنحاء البلاد بالتعزية .

شكر المعزين وإعلان الحداد : وصدرت الارادة السنية إلى محافظ القاهرة أن يبلغ جميع الذين اشتركوا فى تنظيم الاحتفال ، والذين احتفلوا بتشييع الجنازة شكر سموه على ما تجشموا من عناء . وأعلن الحداد الرسمى أربعين يوما .

ثم توجه سموه إلى سراى القصر العالى ومعه عبد الحليم عاصم باشا ، فزار أعمامه وتبادل معهم عبارات العزاء عن فقيدهم .

تركة اسماعيل : وبعد انتهاء أيام الحداد اجتمع برياسة الخديو مجلس مخصوص من البرنسات أصحاب الشأن فى ميراث المغفور له اسماعيل باشا ؛ وحضر الاجتماع مفتى الديار المصرية وقاضى الاسكندرية . وبحث المجلس فيما قرره الفقيد قبل وفاته وهو أن سراى القصر العالى وقصر الزعفران وإن كانا باسمه ؛ إلا أنهما فى الحقيقة ملك زوجاته الثلاث شهرت هانم افندى وجنانير هانم افندى وجشم آفت هانم افندى ؛ وكان يملك كذلك حق التصرف فى تفتيش حلوان فوقفه أثناء مرضه عليهن .

وقد وافق أكثر الورثة فى هذه الجلسة على ما قرره الفقيد قبل وفاته . إلا البرنس فؤاد باشا والبرنسيس جميلة هانم افندى ، فانهما عارضا الوقفية والاقرار وقد علمنا من بعض من حضروا هذا المجلس أن البرنسات زوجات الفقيد لم يكن راغبات فى الوقفية ، لأن زوجهن الراحل ترك ديناً يزيد على المائتى ألف جنيه واشترط عليهن تسديده من ريع وقف حلوان وأملاكهن الخصوصية . وبعد ذلك زار محمد راتب باشا السراى وقابل الخديو ، وعرفنا أن هذه الزيارة تتعلق بالخلاف بين أفراد الأسرة على مسألة الميراث . وبعد أيام قلائل قدم البرنس فؤاد باشا السرياور استقالته من منصبه فقبلها الخديو وعين فى هذا المنصب عبد الحليم عاصم باشا (*) الياور الأول وخلفه أحمد زكى بك الياور .

(*) أنعم عليه فى يناير سنة ١٨٩٦ بالعثمانى الثالث وبرتبة الميرميران فى أبريل سنة ١٨٩٦ وبالمجيدى الثانى فى أول فبراير سنة ١٨٩٧ وبالعثمانى الثانى سنة ١٨٩٧ .

الشيخ محمد عبده والخطوة الأولى لاصلاح الأزهر. ترجع حركة الاصلاح الحديثة فى الأزهر إلى أواخر سنة ١٨٩٤ . وذلك أن الشيخ محمد عبده لما رأى من عباس جرأته وجهاده للأخذ بناصية الحكم والحد من تدخل الانجليز مال اليه وتقرب منه بواسطة محمد ماهر باشا . فاستقبله عباس بترحاب وعطف ومال اليه أيضاً لما آنسه فيه من صدق الوطنية وأصالة الرأى ؛ وتقابلا مراراً بصفة غير رسمية فى عابدين والقبة والمنتزه ، وتحدثا فيما يمكن عمله لخدمة الوطن وتحقيق أمانيه ، فاقترح الشيخ عليه أن هناك ثلاث نواح لا تزال بعيدة عن تدخل الانجليز ولا يعارضون الخديو فى العمل لاصلاحها لأنها دينية محضة ، وهى الأزهر ، والأوقاف ، والمحاكم الشرعية ؛ وأشار على سموه بأن يبدأ باصلاح الأزهر ، واتفقا على أن يقدم الشيخ إلى سموه مذكرة بما يراه من وجوه الاصلاح .

ولما قدم الشيخ هذه المذكرة قرأها محمود فهمى باشا على سموه بحضورى ومحمود شكرى باشا ؛ ووافقنا على ما جاء فيها بعد المناقشة وإجراء شىء من التعديل ثم أمر الخديو رئيس الديوان العربى بكتابة الأمر الآتى إلى نوبار باشا فى ٣ يناير : « من المعلوم أن الجامع الأزهر هو المدرسة العظمى لدراسة العلوم خصوصاً ما يتعلق منها بالديانة الحنيفية السمحة ، مع ماله من الأهمية والشهرة فى أقطار العالم الاسلامى وتوارد الطلبة اليه من سائر أرجائها لتلقى العلوم واكتساب الآداب ؛ ولما كان من أجل رغباتنا المحافظة على إعلاء شأنه وانتظام حاله وكون الوصول الى هذا المقصد الحميد يتيسر بواسطة تأليف لجنة مستديمة تسمى بمجلس إدارة الجامع الأزهر ، يعهد اليها النظر فى ترتيب قواعد التدريس ، وانتظام الأروقة ومرتباتها ، ودرجات العلماء ومقرراتهم ، وكيفية حيازة كساوى التشريف ، وبالجملة كل ما من شأنه التوصل الى ارتقاء الجامع ودوام نجاحه . فبناء على ذلك وما هو محقق لدينا فى حضرات الأفاضل الخمسة المبينة أسماؤهم بأمرنا هذا من العالمية وحسن الادارة قد اقتضت إرادتنا تشكيل هيئة المجلس المشار اليه منهم بصفة أعضاء تحت رياسة حضرة الشيخ حسونه النواوى وكيل مشيخة الجامع المشار اليه ، ويكون أول عمل للمجلس سن نظامات تتضمن الأوجه التى ذكرت آنفاً وبعد إتمامها كلها أو بعضها ، تقدم الى مجلس النظار لأجل تقريرها ، ورفعها الينا للتصديق عليها ؛ وأصدرنا أمرنا هذا لدولتكم للاحاطة وإعلانه الى المومأ اليهم للعمل بموجبه ، ومأمولنا أنه بعناية الحق تعالى يصير الوصول الى تحقيق أمانينا نحو سعادة حال الجامع المشار اليه .

الشيخ سليم البشرى شيخ السادة المالكية .
« عبد الرحمن الشربينى(*) من أكابر علماء السادة الشافعية .
« يوسف الحنبلى شيخ السادة الحنابلة .
« محمد عبده القاضى بالمحاكم الأهلية .
« عبد الكريم سلمان وكيل إدارة قلم الجرائد الرسمية .»

وقد اغتبط الشيخ محمد عبده بتأليف المجلس على هذا النحو ، لأن رئيسه لم يكن من العلماء الجامدين ، ولأن انتخاب الشيخ المرصفى والشيخ عبد الكريم سلمان كان بترشيح منه وعكف المجلس على درس الحالة العامة للأزهر ، ولا سيما مسألة الكساوى والمرتبات حتى أتم وضع النظام الخاص بالأولى واعتمد بقانون صدر فى ٣١ يناير؛ وهذا ملخصه : «تحدد عدد الكساوى العلمية بمائة منها خمس عشرة درجة أولى وخمس وثلاثون درجة ثانية وخمسون درجة ثالثة» . وبعد ذلك نظر فى مسألة المرتبات حتى أتم قانونها الذى اعتمد فى ٩ يونيو وهذا ملخصه : « تنقسم المرتبات إلى نوعين : مرتبات سنوية ومرتبات شهرية ؛ فالأولى تنقسم الى قسمين : (١) بدل الكساوى (٢) مثمن الغلال . فمرتب الكساوى يتراوح بين ١٢ جنيها وثلاثين جنيها . أما مثمن الغلال الجارى صرفه الآن للعلماء يبقى على حاله والمنحل منه يوزع على من يرى فيه الاستحقاق بواسطة مجلس الادارة .

وينقسم المدرسون فى الأزهر الى قسمين ، الأول المدرسون قبل صدور أمر الامتحان بتاريخ ٣ فبراير سنة ١٨٧٢ ، والثانى هم الذين أدوا الامتحان بعد ذلك التاريخ . أما القسم الأول فمرتباته ثلاثة جنيهات للدرجة الأولى ، وجنيهان للثانية ، وجنيه للثالثة ؛ والقسم الثانى مرتباته جنيه ونصف للأولى وجنيه للثانية وخمسة وسبعون قرشا للثالثة . » أما مرتب شيخ الجامع أو من يقوم مقامه فلا تسرى عليه أحكام الدرجات .

وفى هذا القانون نصوص وتفاصيل إدارية لتطبيق أسسه ، سواء أكانت تختص بالمدرسين أم أبنائهم أم الطلبة . ومجلس الادارة هو هو المختص بكل ذلك .

مولودة للخديو وزواجه باقبال هائم . ذكرت فى السنة الماضية ما كان من فشل المساعى باقتران عباس بسلطانة ؛ وفى ١٢ فبراير من هذا العام أعلنت بشرى أول

(*) وقد استقال وخلفه الشيخ حسن المرصفى من علماء السادة الشافعية فى ٣١ يناير

مولودة للخديو ، فأقبلنا نهنىء سموه وهو مغتبط بالبشرى . وفى صباح اليوم التالى أبلغ الخبر للدوائر الرسمية للقيام بما يجب فى مثل هذا الظرف . وقد أمر سموه بمثول ثلاثين قارئاً استمروا فى تلاوة القرآن الكريم مدى أسبوع ؛ وسميت هذه المولودة « أمينة » كاسم دولة الوالدة .

وفى ١٩ منه عقد سموه قرانه على أم وليدته إقبال هانم افندى ؛ وأجرى صيغة العقد قاضى مصر ، وكان محمود شكرى باشا وكيلا عن سموه ، بشهادة كل من محمود فهمى باشا رئيس الديوان العربى ، والشيخ محمد راشد وكان عبد الحليم عاصم باشا الياور الأول وكيلا عن الحرم الخديوى بشهادة حسين فهمى باشا والماس صبرى أغا باش أغاى خديوى .

وقد أقيمت حفلة بهذه المناسبة دعى اليها من أعضاء الأسرة محمد على باشا ، وحسين كامل باشا ، وأحمد فؤاد باشا ، وعباس حليم باشا ، وجميل طوسون باشا ومن غيرهم الغازى أحمد مختار باشا والنظار وكبار شيوخ الأزهر .

وبعد إجراء صيغة العقد شهد الخديو الحفلة فرفع له الجميع فروض التهنئة ؛ وفى المساء دعت الوالدة البرنسيسات لحفلة داخل السراى غنى فيها عبده الحامولى ، ووزعت الصدقات .

الاعتداء على بحارة انجليز ومحاكمة بلجيكى وتشكيل المحكمة المخصوصة .

فى يوم ٨ فبراير شوهد ثلاثة من البحارة الانجليز يضربون وطنياً فى جهة باب عمر باشا بالاسكندرية ضربا مبرحا ، فأقبل أحد الأعراب لانقاذه من أيديهم ، فهجموا عليه بحرابهم ، فضرب الأعرابى أحدهم بهراوته فشج رأسه ، ففروا من أمامه ، وما زال يطاردهم حتى اختفوا .

ويرجع أصل الحادث إلى أن هؤلاء البحارة كانوا يتنزهون فى عربة جهة عمود السوارى بالقرب من منازل المومسات ، فقابلهم أحد خدمة تلك المنازل وخاطبهم بما يخاطب أمثاله المارة ، فجرد أحدهم « شيشاً » كان معه ، وأراد طعنه ، ولكنه فر من أمامه ودخل بيت إحدى المومسات ، فنزل الانجليزى من العربة وطارده وقرع باب المنزل بشدة ، فذعرت صاحبته وطردت منه الشخص الهارب ، وعندئذ ابتدأت الملاكمة بين الاثنين ، وقد استنجد الانجليزى برفيقيه فبادرا إلى نصرته ، وانهال الثلاثة

ضربا على هذا الشخص حتى استغاث ، واجتمع حوله جماعة من المارة كما هى العادة فى مثل هـذه الأحوال ، وبادر أحدهم ، وهو أعرابى قوى البنية ، فاقترب من الضاربين ودفعهم عن المضروب. فانقلبت المعركة بينه وبينهم ، وكان قويا جريئا فجرحهم وهزمهم ولاذ بالفرار .

وصل الخبر فى الحال الى قنصل انجلترا فأبلغه للمحافظ فأرسل فى الحال هرفى باشا الحكمدار الى محل الواقعة ، وبالغ الحكمدار فى الاهتمام بالمسألة واستصحب معه قوة من البوليس، وقبض على نحو الستين شخصاً . ولم يكتف القنصل بهذا الاهتمام بل بعث بتقرير الى جناب قنصل جنرال الدولة فى العـاصمة صور فيه الحادث بصورة مزعجة جداً حتى قام اللورد كرومر وقعد وقال لبعض محدثيه : « إننى أشعر منذ شهرين بانبثاث روح التعصب الدينى فى الطبقة السافلة من المصريين وهذا يخشى منه» !! وطلب فى الحال السير سكوت المستشار القضائى ، وأظهر له أهمية الحادثة ، وأنه ربمـا عقد النيـة على تشكيل محكمة عسكرية مخصوصـة لمحاكمة المعتدين ، وأبلغ المستشار ذلك لناظر الحقانية فارتبك وأخذ يفكر فى كيفية تشكيل هذه المحكمة .

وأبلغت المسألة الى نظارة الخارجية فاهتمت بها ، وأبلغت الى نوبار باشا فأوصى بمزيد الاهتمام ، وشغلت نظارة الداخليـة ببحثها ولـكن محافظ الثغر استمر فى تحقيـق الحادث حتى انتهى ، ثم أرسـل الأوراق والمتهمين الى النيـابة العمومية ، وعين يوم لمحاكمتهم ؛ ولـكن حدث يوم المحاكمة أن حضر الى الثغر السير سكوت ومسيو لوجريل النائب العمومى لمراقبة الاجراءات القضائية ، وأوقفا المحاكمة وأمرا باستئناف التحقيق على يد رئيس النيابة ، فانتهى فى هذه المرة الى ما انتهى اليه التحقيق الأول .

هذه هى ظروف تلك المشاجرة البسيطة ، التى هول بشأنهـا الانجليز واعتبروها أثراً من آثار التعصب الدينى ، وأنذرت الاجبسيان جازيت الأوروبيين بشر عواقبها !

وفى ١٢ منـه عقدت جلسة المحاكمة برياسة مصطفى بك واصف ، وحضر الجلسة السير سكوت ومسيو لوجريل وأربعة من ضبـاط البحرية الانجليزية ، وأحد ضبـاط جيش الاحتلال ، وهرفى باشا ، ومسيو تريفس رئيس البوليس السرى ؛ ثم أصدرت حكمها على سبعة أشخاص لمدد تتراوح بين ثلاث سنين وستة أشهر؛ وكان بين المتهمين بعض الأحداث ؛ واستندت المحكمة فى تسويغ هـذه الشدة الى ظروف التجمهر ضد المجنى عليهم .

وقد استأنف المتهمون هذا الحكم ، ولكنه أيد بجلسة ١٨ فبراير .

حادث آخر : وفى ١٨ منه قابل ثلاثة من النوبيين السكارى محامياً بلجيكياً ، فدفعه أحدهم بيده ، فضربه المحامى بعصاه ، ولكن العصا وقعت من يده فالتقطها المضروب وضربه بها على قبعته ، فأخذ الجميع الى مركز البوليس ، وهناك قرر المحامى حقيقة الواقعة وبأن زميلى المعتدى قد أبديا استنكارهما وأسفهما لما وقع من زميلهما .

تشكيل محكمة مخصوصة : ولقد كتب اللورد كرومر يومئذ الى الحكومة المصرية ما خلاصته : « إن القانون الدولى يخول لجيش الاحتلال إقامة الأحكام العرفية على جميع الذين فى مصر من وطنيين وأجانب لمحاكمة المعتدين على جنودنا .

وإنى مع اعترافى بعدالة أحكام المحاكم الأهلية فى قضية البحارة ، أرى أن إقامة محكمة مخصوصة أفضل لنا وأضمن ، وأطلب تشكيلها من خمسة أعضاء ثلاثة انجليز ووطنيين اثنين برياسة السير سكوت » .

وعقب ذلك صدر قانون فى ٢٥ فبراير بتشكيل هذه المحكمة ، لتحكم فى الأحوال الخصوصية فيما يقع من الأهالى من الجنايات والجنح على عساكر أو ضباط جيش الاحتلال أو على بحرية المراكب الحربية الانجليزية الراسية فى إحدى الموانىء المصرية ، وتؤلف هذه المحكمة من ناظر الحقانية رئيسها والمستشار القضائى ، وقاض انجليزى من محكمة الاستئناف الأهلية يختاره ناظر الحقانية ، ومن يكون قائماً بأعمال المحاماة والقضاء فى جيش الاحتلال بالقاهرة أو الاسكندرية ، ومن يختاره ناظر الحقانية من رئيسى محكمتى مصر والاسكندرية الابتدائيتين » .

ولقد أحدث هذا القانون ضجة كبيرة فى الأوساط الوطنية ، وكتبت عنه الصحف . ومما نشر فى هذا الصدد مقال لمصطفى كامل بعنوان « صواعق الاحتلال » ندد فيه بهذه السياسة الجائرة .

حملات الصحف الانجليزية : وقد حملت الصحف الانجليزية بمناسبة هاتين الحادثتين على مصر فقال مكاتب الديلى تلغراف : « إن الأمن مفقود لعدم مقدرة البوليس ويخشى من ذلك تعدى الأهالى على الأجانب خصوصاً وأنه فى الأيام الأخيرة حصلت حوادث من هذا القبيل » ونسبت الصحف الانجليزية ذلك الى التعصب الدينى

وقالت الديبا الفرنسية : « إنه كلما حصلت مشادة بين الخديو الذى يعمل بموجب

حقوقه الشرعية وبين كرومر يوعز الأخير لمكاتبى الصحف الانجليزية كالتيمس وغيرها بما يثير حنقها ضد عباس وتدعى أيضاً بأن المشجع للأهالى ضد الانجليز هم الفرنسيون وصحفهم . .

ظهور مصطفى كامل فى ميدان السياسة . لما زار الخديو مدرسة الحقوق كما قدمنا ، ألقى الطالب مصطفى كامل بين يديه خطبة ترحيب تفيض وطنية وفصاحة فأعجب به الخديو ؛ وبعثت جامعة الشباب والحماسة الوطنية بينهما الى عطف متبادل . وكان ذلك مما يدعو الى الغبطة ، لأن الطالب الشاب كان يمثل الوطنية المصرية بأسمى معانيها . وكان الخديو يريد أن يحاط عرشه بسياج من الوطنية . ولما عزم مصطفى كامل على إتمام دراسته بأوربا سافر الى تولوز بتعضيد الخديو ، وعاد الى مصر فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٩٤ ؛ وكان يومئذ فى سن العشرين ، فقربه عباس إليه وساعده بالنفوذ والمال ، وتعاهدا سراً على أن يعملا لخلاص البلاد من الاحتلال فكانا يجتمعان بمسجد الشيخ التبرى بزمام سراى القبة . وقد عملا معاً أعواماً طويلة حتى فرقت بينهما الدسائس كما سنفصل خلال هذه المذكرات .

اللجنة السرية . ولما كان الخديو فى حاجة للاستعانة على الانجليز بالقوة الوطنية خصوصاً بعد حادثتى إقالة النظارة الفهمية والحدود فقد اتفق مع مصطفى كامل على تشكيل لجنة سرية ، من بعض الشبان الممتازين بالوطنية ممن تلقوا التعليم العالى فى مصر والخارج ؛ فكان ذلك ؛ وكنت من أعضاء هذه اللجنة أنا وزميلى رولييه بك واسماعيل الشيمى بك (١) ويوسف صديق بك (٢) ومحمود سالم بك القضاة بمحكمة المنصورة المختلطة ومسيو أرستيد جافيو نائب الجالية الفرنسية بمصر ، وقد كان على اتصال بممثل فرنسا المركيز دورفرسو الذى يعضد سياسة الخديو ضد الاحتلال لاسترداد النفوذ الفرنسى بمصر وكذلك مسيو آن مارى ومسيو جوردان بيترى المستشاران القضائيان ، ومسيو برنت العضو الفرنسى للسكك الحديدية .

وقررت هذه اللجنة القيام بالدفاع عن مصالح مصر ضد الغاصبين بالكتابة فى الصحف الفرنسية فى مصر وباريس بأسماء مستعارة وكذلك بالخطب التى كان يلقيها

---

(١) تعين فى ١١ يناير سنة ١٨٩٥

(٢) تعين فى ٢٩ فبراير سنة ١٨٩٦



مسيو ارستيد جافيو



محمود سالم بك

مصطفى كامل فى مصر وأوربا والتى كانت تثير إعجاب الساسة وتشجيعهم ؛ وكان فى مقدمة أنصاره والمعجبين به مدام جولييت آدام الكاتبة الفرنسية الشهيرة ؛ وكانت بينهما مراسلات تفيض حماسة وإخلاصا . وكان مصطفى كامل رسول الوطنية الحقة ؛ وكان يعمل بذكاء وحماسة وجرأة تثير إعجاب الجميع .



يوسف صديق بك



اسماعيل الشيمي بك

هذا ولما كنا فى حاجة للدفاع عن وجهة نظرنا فى أوربا على يد شركة هافاس ، فقد اتفقت السراى مع مسيو لوسيير وكيلها على أن يتخلى عن خدمتها مقابل مبلغ دفع اليه من الخديو بواسطة يوسف صديق بك ؛ وخلفه مسيو جورج فسيو (*) الذى انتخبه المعتمد الفرنسى المسيو كوجردان . وكان فسيو يعاوننا بارسال البرقيات التى تؤيد آراءنا . ثم أصدر بعد ذلك جريدة «دوكير» للدفاع عن القضية المصرية وكنا نكتب فيها فى أحيان كثيرة .



مسيو جورج فسيو

حديث لمصطفى كامل مع الأميرالاى بارنج . كنت دائم الاتصال بمصطفى كامل أثناء وجوده فى فرنسا للدعاية لمصر فكان يوقفنى على كل ما يعمل . فنى ٢٨ يناير وردت لى منه رسالة عن حديث دار بينه وبين الميرالاى بارنج شقيق اللورد كرومر ؛ وإليك أهم فقراتها ، قال : « جمعتنى والميرالاى بارنج صدفة من أحسن صدف الحياة استطلعت فيها رأيه بشأن المسألة المصرية وما ينويه لها الانجليز من النيات الحسان !! » فأرسل لك نص الحديث إظهاراً لرأى رجل من كبار رجال الانجليز فضلا عن أنه أقربهم إلى معتمد الدولة البريطانية فى مصر .

بادأنى حضرته بالكلام على خلاف عادة الانجليز فقال : هل أنت مصرى أو عثمانى ؟ فأجبته : مصرى عثمانى ! فقال ، وسمة العجب بادية عليه : وهل تجتمع الجنسيتان فى واحد ؟

فقلت : ليس فى الأمر جنسيتان بل فى الحقيقة جنسية واحدة ؛ لأن مصر بلد تابع للدولة العلية والتابع كما لا يخفى على جنابك لا يختلف عن المتبوع فى شىء من أحكامه .

فتبسم قليلا وقال : نعم إن مؤلفى الكتب الجغرافية وبعض الكتاب الذين لا تظلهم سماء السياسة الحاضرة يقولون إن للدولة العلية بعض السلطة على مصر ، ولكن

(*) وهو الآن صاحب جريدة (La Syrie) بيروت

الذين وقفوا على حاضر الأمور وماضيها لا يجهلون دخول مصر تحت حكم الانجليز دخولا لم يبق معه شك لعاقل من العقلاء .

فسخرت عندئذ من قوله هذا ، المبنى على حبه لجنسه وشغفه باتساع نطاق المستعمرات الانجليزية وقلت له : إن وزراءكم وكبار رجالكم قالوا المرة بعد المرة إن احتلالكم مصر ليس إلا احتلالا مؤقتاً ينتهى بعد إصلاح الحال وتأييد سلطة الأمير وعاهدونا وعاهدوا أوربا على ذلك ، مقدمين المواثيق الغلاظ والعهود الشداد ، بأن جنودكم ستنجلى عنا بسلام احتراماً للتاج الانجليزى وشرف البرلمان مما يؤيد حقوق الدولة العثمانية على مصر المؤيدة من قبل بالمعاهدات الدولية والفرمانات الشاهانية ؛ فكيف بك اليوم تقول عكس هذا القول وتجاهر بنقيض ما جاهر به عظماء رجالكم وكبار وزرائكم ؛ وماذا يكون شأنكم إذا افتضح الأمر وبان السر وعلم الناس أنكم كذبتم الكذب الصراح على أوربا ومصر بل ماذا يكون عاقبة أمركم إذا أجبرتم على الانجلاء خلافا لما تهيمون به من امتلاك وادينا العزيز ! . فضحك إذ ذاك ضحكا عاليا وقال : ما أسلم نياتكم معشر المصريين وأقربكم إلى الحالة الفطرية منكم إلى الحالة الحضرية ! أتظنون أن الانجليز وهم أحق الناس بكل نعمة وخير ، ينجلون عن مصر ويتركون لكم أو لغيركم خيرها الوفير ! أم تظنون أننا نؤخذ بأقوالنا وأفعالنا ناطقة بحقيقة نياتنا ؟ وماذا على رجالنا إذا كانوا حققوا لكم ولأوربا الاحتلال المؤقت والانجلاء القريب ومبدؤهم الكذب فى خدمة الأوطان واستعمال الخداع فى السياسة ؛ وما هى الا حرب سلمية أنفع من الحرب والطعان . وهل تصدقون بأن أوربا تنجدكم وتساعدكم ضدنا ؟ إنها آمال بعيدة وأوهام يحق لكم أن تتركوها وتعلموا أنكم فى حماية الانجليز وأن سيادة الترك أصبحت فى النسيان ودخلت منذ زمان فى خبر كان .

فثار منى الفكر عند سماع هذا القول وأجبته بأن لمصر أن تؤمل من أوربا نجاتها وخلاصها ، ولكم أن تتحققوا من بطلان آمالكم ، وضياع أمانيكم فلقد كشفت أفعالكم الناطقة بنياتكم ، الغطاء عن هذه المقاصد الخبيثة التى أضمرها جرانفل وسالسبورى وجلادستون ومن حاكاهم فى سياستهم ولم يعد سياسى من السياسيين يغتر بما تقولون بل تحقق الكل من أنكم لا تصدقون فى خدمة الأوطان ، ولذا استشعر القريب والبعيد بأن الاحتلال فى آخر ساعاته قضى عليه القرن العشرون ومدنيته بالموت الدائم ، فاطمئن خاطراً يا حضرة الميرالاى واعلم أن الانجلاء قريب عاجل .

فازداد ضحكه وقال : ومن لكم يا ترى من النصراء فى أوربا حتى قلتم بقرب الجلاء ؟ قلت : لنا أوربا بأسرها التى تناديها مصالحها العديدة بأن تنصرنا عليكم كيما تنصر تلك المصالح التى سعيتم من يوم احتللتم البلاد فى تقويض أركانها . فقال : اصرفوا عن أوربا أملكم فانا نرضيها بالأراضى الكثيرة والأملاك الواسعة — كأن انجلترا قد ملكت الأرض ومن عليها ! — ونضمن لها فى مصر مصالحها وديونها .

— لنتفق جدلا على ذلك ، ولكن هل نسيت أن فى حمايتكم لمصر ووضع يدكم عليها ضياعاً للموازنة الأوروبية التى تعمل كل دولة للمحافظة عليها . ومهما قدمتم من الهدايا لبعض الدول — على أنكم لستم المتصرفين فى كل أرض — فهل تحسبون أنها تقوم لديها مقام مصر طريق الشرق الأقصى وأعظم المستعمرات الأوربية ؟ أم نسيت أن من العار على أوربا أن تساعدكم على انتهاك حرمة المعاهدات وتتركم تستعبدون أمة اعترفت أوربا نفسها بكمال استعدادها ومحاكاتها لأعظم الممالك مدنية ونظاماً ؟ . ولم ساعدت فرنسا الولايات المتحدة وطردتكم منها ؟ أكانت مصالحها هناك أكبر من مصالحها هنا ؟ بل لماذا قامت أوربا مرة واحدة مساعدة لليونان على استقلالهم وانفصالهم تمام الانفصال عن الدولة العلية ؟ ولماذا حررت بلجيكا وإيطاليا وغيرهما وأقامت نفسها وصية على الأمم الضعيفة خاذلة للطامعين ناصرة لذوى الحقوق ؟ أظنك يا حضرة الميرالاى لا تقدر على إثبات أن المصريين ليسوا من النوع الانسانى وأنهم غير أهل لأن ينالوا من أوربا حريتهم واستقلالهم الادارى المثبوت فى المعاهدات — التى كنتم أول المصدقين عليها — المؤيدة بالفرمانات .

فقال — والغضب باد على وجهه — : إن أوربا فى شغل عنكم ، وفرنسا التى وجهتم آمالكم نحوها لها من سوء حالتها وكثرة مشاغلها فى مستعمراتها ما يجعلها على الدوام عاجزة عن أن تخدم مصر خدمتها للولايات المتحدة وتساعد العباس مساعدتها لو اشنجطون على أنى لو وافقتك وقلت إن أوربا ستنصركم وتجبرنا على الجلاء فذلك لا يكون إلا بعد أن يبيع فلاحكم أرضه وتسوء حاله وتملأ جيوبنا بالمال ، فضلا عن أننا ملكنا السودان وهو كما تعلم روح بلادكم . فقلت : وكيف تملكون السودان وهو لا يزال ملكا لنا ؟ فأجاب ضاحكا : إذا كان ملكا لكم فلم لم تستردوه ولم ضاعت واداى وكسلا ؟ فقلت : كان ذلك بدسائسكم ومعارضتكم لنا فى استرجاعه ، ولكن متى خرجتم يسهل علينا استرداد ملكنا . أجاب : إن ملككم مضت عليه المدة ولم يعد لكم بل أصبح متاعاً لمن

يستولى عليه ، وجزى الله نوبار باشا كل خير فلقد سهل فى الماضى سلخه وسهل لنا قريبا ملكه ملكا نهائياً .

فاستولت على دهشة عظمى وقلت له : إلى هذا الحد تطمعون فى نوبار باشا ؟ فأجاب وبأكثر ؛ لأن نوبار رجلنا ومحبنا وقد أطلق عليه السياسيون فى أوربا اسم « نوبارستون » دليلا على شدة إخلاصه لنا .

قلت : وما فائدته من خدمتكم قال إنه يؤمل استقلال أرمينيا على أيدينا ولا يخفاك مافى ذلك . . . فقلت — والدهشة فى ازدياد — : أما تخافون بقية نظارنا ؟ فأجاب مبتسماً : إن بقية النظار لا يهمهم إلا قبض مرتباتهم العظيمة ، وبقاؤهم فى أعلى المناصب لا يخالفون للانجليز رغبة ، بل يقدسونهم من صغيرهم لكبيرهم خوفاً من السقوط والعزل .

فتنفست عندئذ الصعداء وقلت : لا تغتر يا حضرة الميرالاى بوجود بعض الخونة فينا ، واعلم أن بلداً فيه رجال يعرفون معنى الوطنية معرفة رجالكم لها لا يموت أبداً بل يعيش معززاً عالى السعد والمقام ، وربما أحيى فرد واحد أمة بأسرها ؛ وتاريخ الدول وانقلاباتها أقوى دليل على ما أقول ، ومصر فى هذا العصر غنية برجالها مباركة فى أبنائها ، لها أن تؤمل منهم الظفر القريب إن شاء الله . فبهت الميرالاى وقال : إنى أقف معك فى الحديث عند هذا الحد فلقد رأيت أن حميتك تملى عليك القول ووطنيتك تحقق لك آمالك البعيدة !

فختمت عندئذ الحديث بالعبارة الآتية : تذكر يا حضرة الميرالاى قولى ولا تنس حديثى معك ، واعلم أننى لا زلت أكرر عليك ما رددته الآن من أن الانجلاء قريب ، وأن فى مصر رجالا ينصرونها ما دام فى حياتهم دماء يستظلون بالراية الحمراء الحامل لها سيد مصر ونائب السلطان أميرنا العلى الشأن .

هذا هو الحديث الذى جاهر فيه انجليزى خطير بما لم يستطع المحتلون المجاهرة به من قبل ، وإن كانت مقالتهم أفصحت أظهر إفصاح . ولا يعدم القارىء اللبيب حكماً صادقاً على ثبات نصراء الحرية وزعماء المدنية ، كما أن نظارنا — أثابهم الله — يعلمون من هذا الحديث ما يقوله الانجليز عنهم وماذا أفادهم تهاونهم وموافقتهم على ضياع البلاد .

ولكن ليس المقام الآن مقاماً ننهاهم فيه الى ما وصل إليه مركزهم واحترامهم ، بل لنا معهم كلام آخر وفى وقت آخر » .

حديثا كرومر ونوبار مع مكاتب الجورنال الباريسى : فى ١٦ مارس تقابل مكاتب جريدة «الجورنال» مع اللورد كرومر وتحادث معه فقال له اللورد ماملخصه : «إن المصرى غير كفء لادارة حكومته بنفسه؛ إذ ينقصه العلم وحسن التصرف وأكثر ما يحسنه الطاعة . وكل المصريين ليسوا على رأى واحد ؛ فهم قسمان : قسم المعممين (المشايخ) الأقدمين الجامدين الذين يرفضون الأفكار الحديثة والتقدم فى المدنية ويكرهون الأجانب ولا يختلطون بهم ، ويعدون من حزب المحافظين فى بلادهم ؛ والقسم الثانى أبناء الأعيان الأغنياء الذين حصلوا العلم بأوربا فيرجعون لمصر ويرغبون تطبيق ما تعلموه سطحياً ظناً منهم أنهم على علم وثيق ، مع أن أوربا لم تصل الى مدنيتها إلا بعد أجيال ، ونسوا أن مصر متأخرة ومتعصبة . كذلك ليس عندهم تؤدة فى أفكارهم ، فهم خطر على البلاد لأنهم يرغبون هدم كل الموجود ولا يفكرون فى بديله .

فهذان القسمان هما ضد الاحتلال وهما لا يمثلان الأغلبية .

أما القسم المهم الذى يعول عليه فهو قسم المزارعين «الفلاحين» فهؤلاء هم الذين يجب اعتبارهم ، لأن الزراعة هى ثروة البلاد فالفلاح لا يتفوه بشىء ولا يتظلم من الاحتلال الذى لا يشاهده ولا يسمع به لأنه يدفع أموالا أقل من الماضى ولا يؤخذ للعونة ولا تقع عليه المظالم السابقة . »

وتكلم كرومر بعد ذلك عن إسراف سعيد واسماعيل الذى كانت نتيجته فقر الأهالى ، وقال عن نوبار : إنه ليس مصرياً فهو أرمنى ومسيحى . أما الخديو فهو شاب ذكى تنقصه الخبرة ؛ وكان يجب عليه الانتظار بضع سنوات لكى يكون له فكرة تمكنه من إبداء رأى صالح فى الأمور ، ولكنه أصغى لنصائح بعض المصريين الناقمين ، فكاد أن يقع من جراء ذلك فى مشاكل خطيرة جداً ، فسأله المكاتب هل تشير الى حادثة الحدود ؟ فأجابه نعم . وأردف قائلا :

« أما الفرنسيون فانهم بعد انسحابهم من مشاركتنا فى قمع الثورة سنة ١٨٨٢ كان يجب عليهم مساعدتنا فى تنظيم مصر لكى نصل الى الجلاء عنها ، ولكنهم بدلا من ذلك لا ينفكون عن إحداث العراقيل أمامنا . . . »

وفى ١٣ أبريل تقابل المكاتب مع نوبار باشا وتحدث إليه فقال له الباشا : « إنه لا توجد مسألة مصرية ، إنما توجد مسألة دولية أساسها المراقبة الثنائية ؛ والأمر الواقع أن انجلترا احتلت مصر وتدير شئونها والانجليز المسيطرون عليها ، والمصريون

لا مقدرة لهم فليس عليهم إلا مساعدة الموظفين الانجليز ومنعهم من الوقوع فى الخطأ، ثم قال : « إن الاداريين من الانجليز ليسوا أذكياء بقدر ما يقال عنهم ، والحقيقة أن هؤلاء الرجال تمرنوا فى مصر على الأعمال فهم يستفيدون من تجاربهم ويمتازون بالثبات والاستمرار فى أعمالهم ؛ وهذه ميزة تنقص الشرقيين . » وقال عن الخديو إنه شاب متزن ووطنى غيور ويعز عليه أن تكون بلاده محتلة ، وبكل أسف إنه لا يمكنه منعه لأن الانجليز ولاة أمورنا ؛ وقد دفع الى المعارضة ولكن ماذا أفاد ذلك فان انجلترا هددته بارسال عشرة آلاف جندى تقوية للحامية ؛ وقد كان الماركيز دى رفرسو من مستشارى سموه ولم تنفعه تحريضاته ، لأنه أبلغ سموه فى اليوم التالى من مسألة الحدود برقية ناظر خارجية فرنسا ، يقول فيها بأن فرنسا تنصح للخديو بالسكون وإنها لا يمكنها عمل شىء ، وأضاف نوبار : « بأن الخديو علم الآن قيمة النصائح التى كان يتلقاها من بعض كبار موظفى حكومته ، وفهم أنه لا يمكنه الاعتماد على أحد ؛ وعلم الآن عدم مقدرته » وأردف ذلك بقوله: « إنه اذا انجلت انجلترا عن مصر فانى أضع على رأس كل مصلحة موظفاً أجنبياً لضرورة لزومه (*) . »

سياسى فرنسى يدافع عن القضية المصرية . وصل الى الاسكندرية فى ٢١ مارس المسيو فرنسوا دولونكل النائب الفرنسى — الذى دافع عن القضية المصرية فى البرلمان الفرنسى عند وقوع حادثة تغيير النظارة الفهمية كما قدمنا — فاستقبله مصطفى كامل مع جمهور غفير . ومكث هذا السياسى بمصر زهاء عشرين يوما ألقى فى خلالها خطباً مهمة بمصر والاسكندرية . وأدب له المصريون عدة مآدب نذكر منها مأدبة أقيمت له فى ٢٦ مارس وأخرى فى ٣١ منه وقد ألقى فيها خطبة سياسية هامة نثبت هنا ترجمتها :

« أبدأ بالثناء على سمو الخديو عباس والابتهال للحق تعالى من صميم الفؤاد بأن يمتعه بالصحة والعافية ويهديه بنور الحكمة والعرفان فقد تمكن أعلى الله كلمته من استمالة عواطف أوربا وإكرامها وإجلالها له لما ازدان به من نبيل العواطف وحسن النظر وصدق الوطنية واهتمامه آناء الليل وأطراف النهار باسعاد رعاياه ، ولا شك أن مثل هذه الصفات الشريفة تزيد كل يوم فى رفعة قدره أمام الأمم ، ومهما كان من أولئك الذين يتهجمون على هذه الذات الكريمة التى هى أسمى من أن ينالوها ، فانهم

(*) وعقب استقالة نوبار أنعمت الملكة عليه بنيشان النجمة الهندية من الدرجة الثانية مكافأة له على جليل خدماته



القمر على بعد متر — المسيو دولونكل ومنظاره

لن يفلحوا فى سعيهم أبداً ؛ وكونوا على يقين بأنهم مهما حاولوا فلن يكون لعملهم أى تأثير على ذلك النفوذ الفعال ، وتلك الجاذبية التى للجناب العالى ، بل لا يزيد ذلك رعاياه إلا استماتة فى الاخلاص له .

وإننا أيها السادة نعرف بعضنا معرفة جيدة ولذلك فلا حاجة لى للتعبير عن مقدار الابتهاج بوجودى اليوم بينكم وإنى لا أستطيع وقف ما يخالج ضميرى من عواطف الشكران لما أوليتمونى من حسن اللقيا وإكرام المثوى . »

ثم قال : « وقد عرف القوم فى باريس وبرلين بل وفى لوندرا نفسها ماهية هذه

الحملات المزعجة التى تصوركم فى أوقات محدودة كأنكم قد توثبتم للاندفاع فى الهرج والمرج ، وتورطتم للدخول فى المهالك والمخاطر؛ وكل الناس يقولون عند وصول هذه الأخبار اليهم : لاشك أنه ستقع على المصريين فى مصر ضربة قاضية وتلك الاشاعات انما هى تمهيد للسبيل وحينئذ فلا معنى للحذر والاحتراس منكم أيها المصريون ، فقد أبانت الجرائد الأوربية فى هذا العهد الأخير شعوراً بالعطف عليكم والسخط على أعدائكم لن يزول من العقول ؛ وقد ترتب على ذلك أن حكم الرأى العام فى فرنسا وألمانيا وإيطاليا وروسيا ، بل وفى انجلترا نفسها — بما عهد فيه من الحرية وحسن النظر — على تلك الحوادث والمنتديات التى كان لها شأن فى وقت من الأوقات ، فلا عودة ولا استئناف لذلك الحادث الخطر : حادث سنة ١٨٨٢ . »

واحتفل الفرنسيون به فى ناديهم احتفالا شائقاً فخطب فيهم قائلا : « إن فرنسا لاتنسى وجودكم فى مصر وأنها مهتمة بالمسألة المصرية حتى تسترد مصر حريتها » . هذا وقد تولى مسيو كوجردان — المعتمد الفرنسى — تقديم مسيو دولونكل الى الخديو ، فاستقبله بمنتهى العطف والترحاب .

دعوتى لمسيو دولونكل : وفى ٢ أبريل دعوت مسيو دولونكل وزوجه ومصطفى كامل واسماعيل الشيمى بك الى نزهة فى القناطر الخيرية ، وهنالك تناولنا طعام الغداء .

دعوة دولونكل للصحفيين : وفى ١١ أبريل اجتمع جمهور من الصحفيين فى « نيو أوتيل » بالقاهرة تلبية لدعوة وجهها إليهم المسيو دولونكل ، وبعد أن قضى المجتمعون وقتاً فى السمر ، وقف دولونكل ، وألقى خطاباً بدأه بشكر الصحفيين ، ودلل على أن حياة مصر حياة حقة بوجود الصحافة فيها . ثم قال : « لقد استقبلتكم أوربا بسرور حقيق حيث أفضيتم إليها بآلام أمتكم وسوء التصرف فى أحوالها ، واستنجدتم رغبة فى سلامها بالقانون العام للأمم المتمدنة ، والكفالة التى أصبحت ذات شأن بين الأمم العظيمة وعندئذ أتاكم التشجيع فتكون فى فرنسا وألمانيا وانجلترا رأى عام موافق لرأيكم ، وأصبحنا لايفوتنا شىء مما يحدث عندكم وقضى الأمر على الأساطير والأراجيف القديمة وأصبحت الحقيقة وحدها ساطعة قائمة فى كل مكان . »

وبعد أن انتهى دولونكل من خطابته وقف الشيخ على يوسف وشكره على عواطفه ثم قال من خطبة طويلة : « إننا نحمد الله إذا لقينا من الجرائد الفرنسية ، المحبة لنا ، خير ترجمان يردد صدى صوتنا الحق وينصر الحقيقة المحبوبة وإذا كنت أيها الرصيف

الفاضل قد اشتهرت بحب مصر التى تقدر خدمتك الجليلة حق قدرها ، فكن كما أنت دائما نصيراً للحقيقة نصيراً للضعيف الذى يطالب بالحق فى دائرة قانونية ، وصوتك المسموع لا بد وأن يجمع حول راية الحقيقة ، كل أنصارها من رصفائك من جميع أنحاء أوروبا عموماً وفرنسا خصوصاً الذين تعلموا معك أن يحبوا ويحترموا ويدافعوا عن الحقيقة والحقوق . »

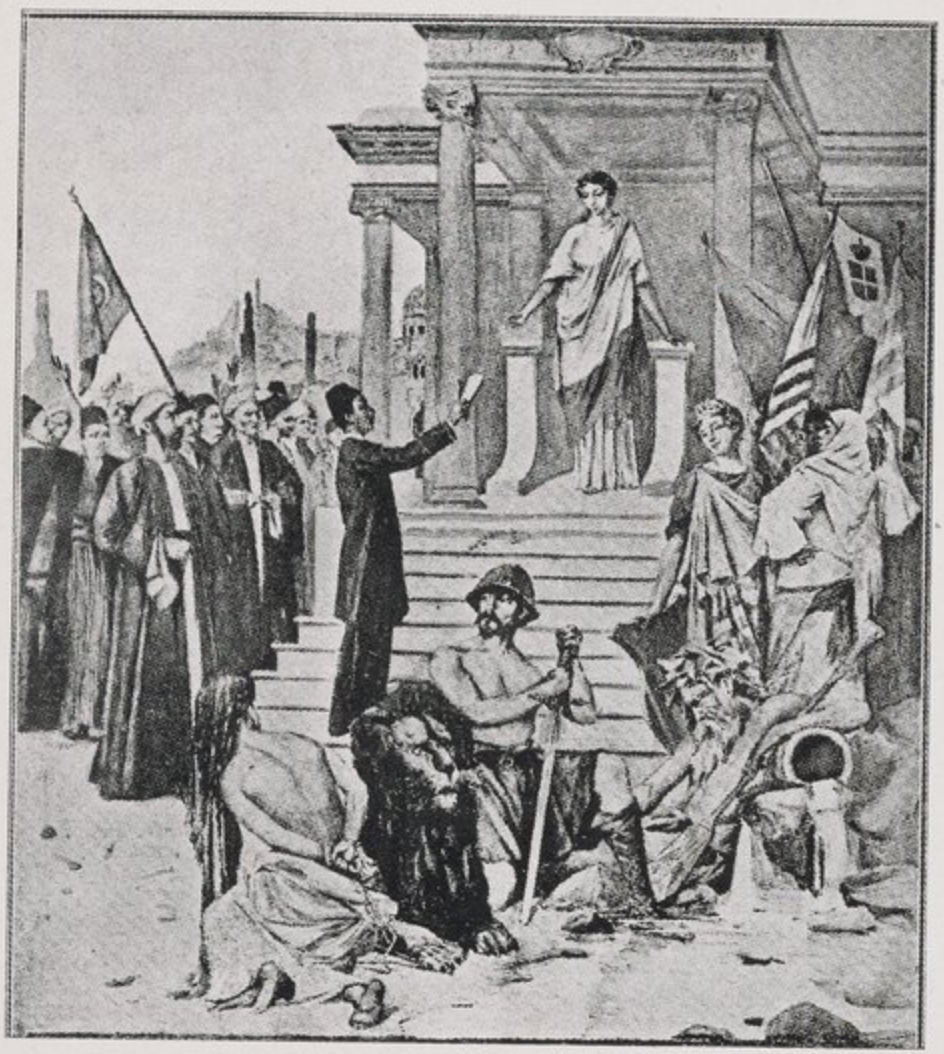
وفى نهاية الحفلة وقف مصطفى كامل فألقى خطبة مستفيضة شكر فيها جهاد دولونكل من أجل مصر وحمد لفرنسا ماتبذله للقضية المصرية من تعضيد مشكور ثم انفرط عقد الاجتماع .

وقبل أن يبارح دولونكل القطر أقام له اسماعيل الشيمى بك ، بداره بالثغر ، وليمة حضرها مصطفى كامل وزملاؤه من الأحرار الوطنيين وخطب دولونكل قائلا : « لا بد من خروج الانجليز من مصر عاجلا » ثم قذف الكأس الذى كان بيده وقال : « كما يخرج هذا الكأس من يدى » فصفقنا له .

جهاد مصطفى كامل فى أوربا وتقديم صورة رمزية للبرلمان الفرنسى .

بعد ذلك سافر مصطفى كامل الى أوربا لنشر الدعوة لمصر فيها ، وأراد أن يمثل الاحتلال الانجليزى على وضع آخر غير الذى ألفه السياسيون فى عهده من المقالات والرسائل ، فأوصى بطبع ستة آلاف نسخة لصورة رمزية تمثل الاحتلال الانجليزى ، وقد قام بتصويرها مسيو فليبوبوتو أستاذ الرسم الفرنسى بالمدارس الأميرية ؛ وهى تمثل فرنسا واقفة فى قوس نصر قام على نصب رفيع يجرى النيل من تحته ، وقد قامت مصر على شاطئيه مقيدة ، يحرسها جنـــدى بريطانى ، وتقدم جماعة من المصريين الى فرنسا يستنجدونها لتفك إسار وطنهم .

وطبع منها هذا العدد الضخم بالألوان طبعاً أنيقاً ، ورأى مصطفى وجماعة من صحبه أن يذهبوا الى مجلس النواب الفرنسى ليرفعوا اليه عريضة كان قد كتبها يستصرخ فيها عدالة فرنسا أن تعمل على رفع الظلم الانجليزى عن مصر . وفى الساعة العاشرة من صباح يوم ٤ يونيو ذهب مصطفى وإخوانه الى مجلس النواب فقدموا الى سكرتيره صورة من الصور الرمزية ، ثم تقبل منه رئيس المجلس بنفسه العريضة التى قدمها اليه ، ومما جاء فيها : « إننى ، بأشد انفعال يخالج القلب تأثيره ، أتشرف بأن أقدم لمجلس النواب الذى أنت له نعم الرئيس تلك اللوحة التى تمثل مصر طالبة من فرنسا أن تكون لها خير عضد يساعدها على استرجاع حريتها واستقلالها . . . الخ » .



الصورة الرمزية التى قدمها مصطفى كامل للبرلمان الفرنسى

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

وقد قوبل بحفاوة بالغة . كذلك لم يدخر مصطفى وسعاً فى إذاعة الصورة والعريضة فبعث بمجموعات منها إلى جميع صحف أوربا وأمريكا فكان لها تأثير عميق فى فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيطاليا والنمسا ، وأبدت الصحف الفرنسية حماسة مقرونة بالرغبة الواضحة فى نصرة المصريين ، فنشرت بأجمعها عريضة مصطفى ، ولم تشذ عنها صحيفة واحدة . أما الجرائد الألمانية والنمساوية والايطالية فقد شجعت مصطفى بكلمات رقيقة حيّتْ فيها آمال المصريين ؛ وكان فى مقدمتها جريدة برلينرتا جبلاط الألمانية ودى روما الايطالية .

أما الصحف الانجليزية فقد وقفت حيال هذه الصورة وتلك العريضة موقفها المعروف ، فأعلنت استخفافها وعدم اكتراثها .

بعد ذلك قصد مصطفى كامل الى ألمانيا مع صحبى نمسوى فبقى بها مسافة قصيرة ثم عاد الى فرنسا .

خطبة فى تولوز ومحادثة بفينا . وألقى خطبة رنانة فى مدينة تولوز يوم ٤ يوليو بناء على دعوة من كبار رجالها وأساتذتها ، وهى الخطبة الأولى التى ألقاها مصرى على مسامع الاوربيين ضد فظائع الاحتلال الانجليزى . ولما رأى ما أبدت صحافة تولوز من العطف على المصريين وقضيتهم ، أدب للصحفيين مأدبة شائقة وخطب فيهم شاكراً .

ثم سافر إلى فينا يوم ٢٠ يوليو وهناك دارت بينه وبين الصحفيين عدة أحاديث ومن أشهرها حديث نشرته جريدة الاكسترا بلاط بفيناجاء فيه : « لقد أخلص المصريون فى محبة أميرهم عباس حلمى باشا إخلاصاً فوق العادة ، وقدروا حرج مركزه حق قدره وأظهروا أنهم غير راضين بالحالة الحاضرة ، وبوجود السلطة الانجليزية عليهم فوق سلطة خديويهم . وفى كل يوم تزداد بين المصريين ألوان التألم والسخط من وجود احتلال أجنبى بين ظهرانيهم ؛ ويحب المصريون من صميم أفئدتهم لو اهتمت أوربا كثيراً بشأن مصر وشعرت بالخطر الذى يهـــدد مصالح كافة الدول إذا دام الاحتلال فيها » ثم عاد مصطفى كامل بعد ذلك الى باريس .

رسالة الى . لم تنقطع رسائل مصطفى عنى أثناء إقامته فى أوربا ، وقد جاءنى منه فى ٦ يونيو خطاب من باريس جاء فيه : « لا يخفاكم أن صاحبنا فرنسوا دولونكل يعمل فى كل المسألة لاظهار اسمه ولنوال مركز خطير هنا . وأنا كنت أول مصرى

قال ذلك ، وعملت لأن تنتفع به بلادنا ؛ ولا يهمنا إلا ذلك . وسلكت هذا السلوك وكلكم تعلمون أنه من يوم تعارفى به سار فى مسألة مصر سير القطار البخارى ، ولكنى عندما جئت باريس رأيته يقول لى هو والسيدة زوجته « أنت يا مصطفى آت لأن تكون السكرتير العربى لمسيو دولونكل » فتبسمت ولم أظهر أى إشارة غضب ، وكررا هذه الجملة مراراً . وأنا لم أظهر أقل تأثير يدل على الغضب . ثم رأيته بعد ذلك يجتهد كل الجهد فى جعلى آلة فى يده لكل أمر ولا يريد أنى أحرك يداً إلا بأمره ورغبته . ولا يخفاك أن هذا خارج عن دائرة المحبة والعمل ، ويمس إحساساتى كثيرا . فانى ما تركت الوطن العزيز وعرضت نفسى مرة واحدة للمدافعة عن بلدى إلا لغرض سام جداً وشريف ، أسمى من أن أكون سكرتيراً عربياً للمسيو . . . ، وغير ذلك أنى أخبرته باللوحة وأظهرتها له فقال انتظر فانتظرت هذا الشهر ، وهو يقول لى يوما قدمها لرئيس الجمهورية وآخر للمجلس وانتهى به الأمر إلى أنه قال لى قدمها للجمعية الاستعمارية فهل الجمعية الاستعمارية تمثل فرنسا ؟ فقلت له هذا غير ممكن فقال إذاً فقدمها حيث تشاء فذهبت إلى المجلس وقدمتها . وكل الجرائد كتبت أحسن كتابة عنها والنواب تأثروا أجمل تأثر فانى أرسلت لكل واحد نسخة منها وأظن أن هافاس أرسل لكم بذلك تلغرافا وأنى أرسلت التفصيلات لكل الجرائد الوطنية وستقرأه بعين السرور .

أما خطابى لرئيس المجلس فقد نشرته كل الجرائد بالحرف الواحد من الأول للاخر ؛ والمسيو . . . . نفسه ممنون اليوم من هذه النتيجة الخطيرة ويعجب بالجواب ويهنئنى على عملى .

وكونوا على ثقة من أنى لم أظهر له أدنى غضب بل بالعكس أنا أستشيره فى الأمر ولا أرضى أن أبقى آلة لا تعمل .

وفضلا عن ذلك فان المسيو . . . . لا يرضى أنى أتعارف بأحد مطلقاً لكى أكون له لا لغيره . ولقد قدمنى للمسيو اتيين بعد الجهد الجهيد ، وعندما قدمنى له قال أقدم لك هذا « Jeune propagandiste » داعية شاب لا زيادة ولا نقصان . ولا يخفاك أن هذه الجملة تضحك من لا يضحك . وبذلك لم يفهم مسيو اتيين أنى آت أسأل خلاص بلدى إلا من اللوحة عندما تسلمها واستغرب بالطبع من أن المسيو . . . لم يقل له شيئا .

ولا يغيب عن ذهنك أن المسيو . . . . له أعداء وأحباء فاذا كنت كالظل له ، كانت أعداؤه أعدائى دون أن يكون أحباؤه أحبائى ، لأنه لا يريد تقديمى لأحد ما .

أما أنا فى غاية الارتياح وكل الناس تقابلنى بانشراح وأعمالى ناجحة وقد لاقيت المسيو « والدك روسو » الذى كان مرشحاً لرياسة الجمهورية والذى تعرفت به السنة الماضية كما تعرفت بالمسيو . . . . وسر من مقابلتى وسأقابله بعد قليل مرة ثانية .

والنتيجة أنى سامع الأمر كل السمع ولم يتغير بينى وبين المسيو . . . . شىء ما ؛ ولا زلت أستشيره ولكن لا تظنوا أنه محب مصر الوحيد أو أنه صاحبى الوحيد ، فهنا أناس كثيرون يشتغلون بالمسألة بالتأنى ، والتأنى والحكمة ، ضالتى هنا فلا تخافوا علىّ .

وقبلوا أعتاب سيدى ومولاى وردوا علىّ حتى أطمئن على ما عندكم وخصوصاً فيما يتعلق باللوحة . »

وفى ٢٧ منه وصلنى منه الخطاب التالى : « أرى أنكم متكدرون مما كتبه اليكم المسيو جافيو عن خلاف وقع بينى وبين المسيو دولونكل ، فجئت اليوم أحقق لكم مرة ثانية أن لا خلاف مطلقاً بيننا وأن اختلافا فى بعض الأفكار لا خلافا ، حدث وزال ولم يبق له أثر . وقد تحسنت العلائق ألف مرة أحسن من ذى قبل ؛ وكنت مع المسيو دولونكل اليوم والأمس وتعشيت مع يوسف بك والهلباوى بك وشيمى بك والشيخ ابو النصر عنده أول أمس . ولما أخبرته بأنه وصلتكم أخبار تقول إننا فى شقاق تعجب غاية العجب ، وأقسم لى بشرفه بأنه لم يكتب شيئاً ما بهذا الشأن وحقق لى أنه سينهر المسيو جافيو عن كتابة مثل ذلك ، فاعتقدوا حقاً أن لا خلاف بيننا وأن كل شىء جار على أحسن ما يكون . ولا يخفاكم أن المسيو دولونكل لم ير مصريا أصدق له الوداد والحب مثلى فكيف يعقل اليوم حدوث شقاق بيننا.غاية الأمر أنى ، لما بيننا من الحب ، تحملت منه مرة عاملنى فيها بغير المعتاد ، وذلك منه تعجرف ككل الافرنج ، ومس حواسى خصوصاً لما قال مراراً متوالية أمام أناس عديدين يحترموننى غاية الاحترام أن سمو الخديو أرسلنى اليه سكرتيراً عربياً ، وإن خالفت إرادته أرجعنى إلى مصر . وقد كان أى إنسان محلى يتألم من ذلك خصوصاً وأنه صاحبى وطالما رفعت قدره بين أبناء جنسى ، وأخلصت الوداد له . ومع كل ذلك فانى متحمل ومستعمل السياسة معه ومع غيره ومهما قال لى اليوم فانى لا أتكدر وإن تألمت باطنا من ذلك ؛ وإنى إرضاء لمولاى أذبح نفسى وأضحى حياتى فلا تعتقدوا غير ذلك أبدا . وما دامت ذاته الشريفة راضية عنى فانى أعتبر نفسى أسعد السعداء ؛ فليرض علىّ مولاى وليأمرنى بما يشاء فانى منه العبد المتواضع الصادق .

هـــذا وقد سافر بالأمس صديقنا يوسف بك إلى سويسرا ومنها يرجع لمصر وسيخبركم بالكثير من أحوالنا وهو مسافر مملوء بالآمال ككل من رأى الأحوال هنا نسأل الله النجاح وحسن العواقب .

وسأسافر غالباً يوم الثلاثاء القادم لأخطب خطابى الأول عن مصر فى مدينة تولوز وهى أكبر مدائن الجنوب ؛ ومسيو دولونكل موافق على ذلك كل الموافقة وسأطلعه على خطابى قبل السفر وسيرسل لكم مضمونه بالحرف وإلى « الجورنال اجبسيان » ففيدونى عن أخباركم السائرة ، وزودونى بالأوامر السامية ، والنصائح الحميدة واطمئنوا من الآن على سعادة مصر ؛ فكوكب فلاحها بادىء فى الصعود وساعدونى برضائكم على خدمة الوطن المحبوب ، إذ أن الساعة ساعة العمل وإن تأخرنا عن انتهازها فاتت وبفواتها ضعنا وضاع مستقبلنا ، وخابت آمالنا لا قدر الله ؛ ذلك ونسأله تعالى أن يعزز الحق ويخذل الباطل .

وفى الختام أرجو تقبيل الأعتاب الشريفة باسمى ألف ألف مرة وسؤالها الرضاء عنى . »

وعقب ذلك وصلنى خطاب من الأمير محمد على باشا هـذا نصه : « يا سى شفيق ما الذى تريد أيها العزيز أن أكتبه اليك أنت تعلم أننا عانينا الشدائد فى رحلتنا هذه وها نحن فى باريس ولما وصلنا إلى مرسيليا لم نجد صاحبنا « مصطفى كامل » لا فى فندق اللوفر ولا فى أوتيل دو لابيه . وقد زارنى هنا كثيرون فى جملتهم المسيو دولونكل ولكنه لم يجدنى ودعانى صاحب جريدة الجورنال إلى سهرة فاعتذرت عن قبول دعوته على رغم شدة إلحاحه لعلمى بما يؤدى اليه ذلك من المحذورات وقد اتفقت مع أحد الناس على موافاتك بالأخبار اللازمة وهو خير من يركن اليه فى ذلك .

وليس الآن فى إمكانى أن أزيد شيئاً على رسالتى هذه غير أنى سأعهد إلى سواى فى موافاتك ببعض الأنباء . »

احتفال مصطفى كامل بعيد الجلوس السلطانى . وفى ٣١ أغسطس احتفل مصطفى بعيد الجلوس السلطانى وأقام وليمة شيقة حضرها جميع المصريين الموجودين بباريس وموظفى السفارة التركية ودعا فيها للسلطان ، وبعد ذلك أرسل برقية التهنئة للخليفة فجاء الرد عليها من الصدر الأعظم بالشكر .

حملة الجرائد الانجليزية على الطلبة المصريين بباريس . حملت الجرائد الانجليزية على الطلبة المصريين بباريس لتدخلهم فى السياسة مع مصطفى كامل فى حفلة عيد الجلوس الشاهانى وزيارتهم معه لرئيس جمهورية فرنسا فنشر الرد الآتى :

« ما عهدنا جرائد الاحتلال أشد حنقاً وأعظم غيظاً من هذه الأيام التى قامت فيها قيامتها ضد الشبيبة والشبان فنسبت لهم الغرور والجنون ولأعمالهم الطيش والخفة ، ولا نعرف لهم ذنباً عندها إلا أنهم احتفلوا مرة بعيد جلوس جلالة السلطان ، وزاروا مرة أخرى جناب المسيو فيلكس فور رئيس جمهورية فرنسا ، كأن القيام بمثل هذه الواجبات الأدبية تعتبر فى شرعة الانجليز جريمة من أكبر الجرائم ، وإلا فتعنيف جماعة من كرام الشبان تعنيفاً شديداً مثل الذى عنفتهم به جرائد الاحتلال لا يكون إلا اذا اقترفوا ذنباً عظيماً .

ليس من الخفة والطيش فى شىء زيارة المصريين فى باريس لرئيس الجمهورية الفرنسية ، فانما تعتبر هذه الزيارة عند كل عاقل بمثابة زيارة أدبية واجبة على كل من تربى وتعلم فى فرنسا مصرياً أكان أم غير مصرى ، إذ أن شريعة الآداب تأمر كل إنسان بالاعتراف بالجميل فمواطنونا لم يأتوا بتوددهم للمسيو فور شيئاً آخر غير القيام بهذا الواجب الأدبى الذى حق عليهم سيما وأنه مشهور بحبه لمصر والمصريين وميله لخير وطننا العزيز .

ماذا اقترف اذاً مصريو باريس حتى اهتزت الدنيا وقام الانجليز وتوعدوا وأرغوا وأزبدوا ، طالبين من مريض الوزارة عقابهم أشد العقاب تعذيباً لهم وعبرة لغيرهم مما حرك العليل الشيخ ، إلى إصدار أمره الى صنيعته أرتين باشا بتحقيق هذا الأمر وتقرير العقاب الصارم !

وماذا أتى المصريون إخواننا ضد الانجليز حتى يطلب السير بالمر « الاقتصادى » إلغاء الارسالية المصرية بأسرها ، وجعلها أثراً بعد عين ثم يعود فيطلب إبقاءها ومعاقبة المتسببين لزيارة المسيو فور عند ما علم — وياللعجب وطول الخجل — أن حضرات الأجلاء زيكيكيان وستروجيان وتيجران يتعلمون فى الارسالية على نفقة حكومتنا السنية أعزها الله .

ولكن ليهدأ المحتلون بالا ، ويسكنوا خاطراً فلقد علم المصريون كل ما يضمره لهم أبناء التامیز ولا يزيدهم الوعيد إلا ثباتاً فى العمل وقوة فى الوطنية ، وإذا كان رجال

الاحتلال يعتبرون كل من تودد الى فرنسا مذنباً فليعلموا من الآن أن الأمة كلها مذنبة وأن عقلاءها أكثر الناس ذنوباً .

ولا عجب أن كانت آمالنا موجهة لفرنسا وهى التى تبرعت بدماء جنودها الأعزاء للأمريكيين فى يورك تاون ولليونانيين فى نافارين وللبلجيكيين فى أنفرس وللايطاليين فى ماجنتا وسولفيرينو ورحبت بالايرلنديين سنة ١٦٨٨ وأحسنت للبولونيين بعد عام ١٨٣٠ ، وبالجملة برهنت المرة بعد الأخرى على أنها ظهيرة الحرية ونصيرة الاستقلال وللسادة المحتلين أن يتحققوا من أن شدة حنقهم على المتظاهرين فى فرنسا ستزيد التظاهرات ضدهم وتكثر المتظلمين لأوربا منهم ولا يبعد أن يأتينا الصيف الآتى بالبراهين الجمة على ذلك وكل آت قريب .

المصرى الأمين »

خطاب مصطفى كامل للورد سالسبورى وخطبته فى الجمعية الجغرافية . وأرسل مصطفى كامل فى ١٣ نوفمبر خطابا إلى اللورد سالسبورى ينتقده فيه على سياسة انجلترا حيال الاسلام والخلافة . وفى ١١ ديسمبر خطب خطبة فى قاعة الجمعية الجغرافية الكبرى على جمهور كبير من كبار الفرنسيين وغيرهم من مكاتبى الصحف الأجنبية وفى مقدمتهم مكاتبو الجرائد الانجليزية وموضوعها « الأمة المصرية بين أعمال الاحتلال التى تخالف الشرف بما أتاه الساسة الانجليز من الخبث فى الايمان والاخلاف بالعهود » ، وكان من ضمن المدعوين مدام جوليت آدام التى سبق أن تعرف بها فى ١٣ يوليو .



اللورد سالسبورى

رحلة الخديو الثالثة للاستانة . فى ١٣ يوليو صدرت الأوامر بالاستعداد للسفر للاستانة ؛ فغصت سراى رأس التين بالمودعين من مختلف الطبقات ، ونظراً لتغيب نوبار باشا بأوربا فقد أصدر الخديو فى نفس اليوم أمره الى حسين فخرى باشا

ناظر الأشغال والمعارف ليكون رئيساً لمجلس النظار بالنيابة ، وهذا المجلس يقوم مقام سموه مدة الرحلة .

وفى ١٤ منه أقيل الدكتور كومانوس باشا لتدخله فيما لا يعنيه داخل الحريم ، وعين بدله بيكر بك طبيباً خاصاً وتقرر أن يكون بمعية سموه فى الاستانة .

وفى مساء نفس اليوم نزل جنابه الى اليخت المحروسة وتناول الطعام فيه مع النظار وكبار رجال المعية ، وقضى الليلة باليخت . وفى الصباح تحرك قاصداً الاستانة وقد رافق سموه الحرم فى هذه الرحلة .

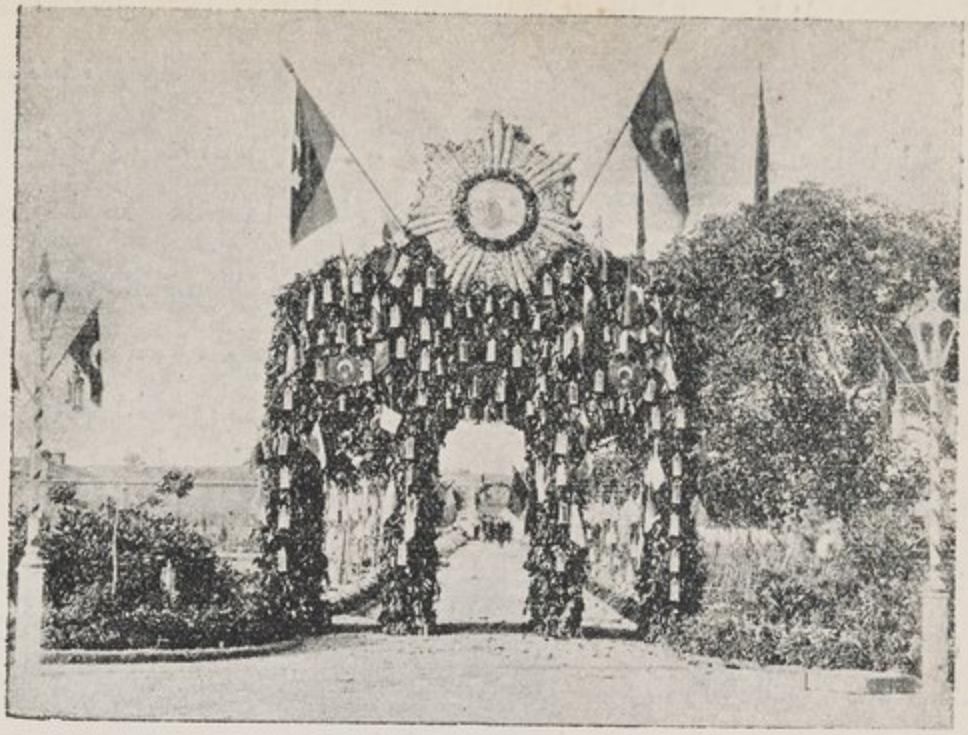
وكان مع سموه من رجال المعية محمود شكرى باشا رئيس الديوان التركى ، وعبد الحليم عاصم باشا السرياور ، وسعيد ذو الفقار بك التشريفاتى الثانى وبيكر بك وغيرهم ، كما سافرت مع سموه الموسيقى الخديوية . ولم أكن ممن سافروا هذا العام فى معية الخديو ولكن أخبار الرحلة كانت ترد إلىّ فى السراى « رأس التين » تباعاً فكنت أقف على المهم منها وأقوم بتبليغه الى النظار .

وفى ١٨ منه وصل اليخت الى الاستانة ؛ وكان الفريق شاكر باشا — الياور الهمايونى — فى الاستقبال ، وأبلغ الخديو جميل التعطفات ؛ ودعاه لمقابلة السلطان حيث لاقى من جلالته رعاية أبوية ؛ وبعد ذلك قصد الى قصر بيك .

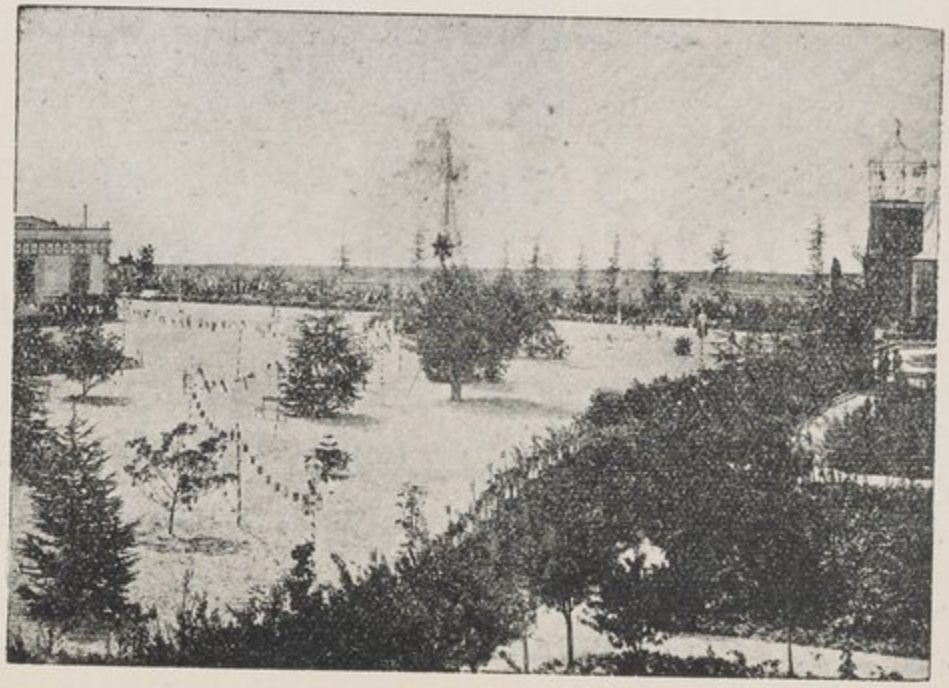
وفى ١٩ يوليو دعى الخديو الى مأدبة بيلدز وجلس عن يمين السلطان ؛ وبعد الانتهاء قلده جلالته بيده نيشان خاندان آل عثمان .

وفى ٢٠ منه زار الصدر الأعظم عباسا ، وفى ٢١ منه رد له سموه الزيارة كما تبادل الزيارة مع السفراء .

وفى نفس اليوم صدر أمر رسمى ببرقية لفخرى باشا باصدار ملحق للجريدة الرسمية نشر فيه ما نصه : « نسأل المولى سبحانه وتعالى أن يطيل فى عمر وشوكة الذات الشاهانية الى ما شاء الله وأن يقرن الذات الهمايونية كل يوم بالعز واليمن والسعد الجديد إذ أن من حسن رضا الجناب الشاهانى الذى عليه مدار نجاحى وفلاحى فى كل الأحوال والأعمال قد تعطف وتلطف عقب الضيافة السنية التى أجريت بسراى يلدز الهمايونية فى مساء أمس بالاحسان علينا بنيشان « خاندان آل عثمان » العلى الشأن مما زادنى مسرة بعطفه وامتنانه ولما كان التشرف بمثل هذا الاحسان مما يوجب الفخر



الزينة فى بيك أمام الميدان من جهة اليالي



الزينة بجوار الكشك فوق الجبل

الزائد لنا ولكم ولجميع المصريين الصادقين للسلطنة السنية فتحدثا بالنعمة وشكراً عليها نبشركم ونعلمكم ونسأل الله أن يوفقنا دواماً لما فيه رضا جانب ملجأ الخلافة العظمى.»

وعلى أثر نشر هذه البرقية بادر الكثيرون برفع آيات التهانى لسموه.

وفى ٢١ منه حضر الى بيك الفريق شاكر باشا رئيس أركان حرب المابين وسعادة الباشمصاحب يحملان «نيشان شفقت» المرصع المنعم به من السلطان على دولة الحرم، ولما علمنا ذلك من البرقيات أرسلت التهانى من أعضاء مجلس شورى القوانين وشيخ الأزهر والسيد توفيق البكرى وغيرهم.

وفى ٢٢ يوليو أقيمت مأدبة عشاء بيلدز للخديو وأفراد الحاشية.

وفى ٢٨ منه جاءت الأنباء على السراى بأن جلالة السلطان أمر باعداد جملة زوارق سلطانية لتكون فى خدمة سموه وحرمه المصون ودولة الوالدة. وكذلك أمر باقامة الحرس الخصوصى على سراى بيك، وملازمة طائفة من اليوران الشاهانية، لخدمة سموه؛ وصدرت الارادة السنية للموسيقى السلطانية أن تصدح فى قصر بيك فى بعض الليالى.

وفى ١٨ أغسطس علمت بورود إرادة خديوية الى فخرى باشا بارسال أدوات الزينات من مصر للأستانة، لتقام أمام القصر الخديوى فى بيك يوم عيد الجلوس السلطانى؛ وطلبت الخاصة حضور المطرب الشهير عبده الحامولى وتخت العقاد لاحياء ليلة العيد، فنفذت هذه الارادة وسافر الجميع فى ٢٤ منه.

ثم وردت إلينا الأنباء بأن معالم الزينة التى أقامها الخديو أمام قصره العامر وفوق الجبل فى بيك كانت زينة البسفور وعروس مجالسه، وقد أعد سموه مأدبة فاخرة لهذه المناسبة دعا إليها جماعة المصريين المقيمين فى الاستانة.

وقد بقى الخديو بالاستانة حتى إذا وردت الأنباء بمغادرته لها فى ١٢ سبتمبر، فأخذنا فى الاستعداد لاستقباله عند عودته.

وفى ١٦ منه وصل الى الاسكندرية؛ ثم رسا اليخت أمام سراى رأس التين فنزل سموه يتبعه رجال الحاشية؛ وكان فى استقباله البرنسات والغازى أحمد مختار باشا ورجال المعية.

وفى ١٧ منه أجريت التشريفات العامة ومع أن الأوامر كانت قد صدرت

بعدم إقامة زينات للاستقبال رأفة من سموه بالشعب ، إلا أن الأهالى بالغوا فى الحفاوة ، وقدمت الوفود من أقصى جهات القطر .

وفى ٣١ أكتوبر عاد سموه من مصيفه بالاسكندرية إلى القاهرة .

تغيير النظارة . يعرف القراء مما تقدم موقف النظارة فى مسألة رجوع المغفور له اسماعيل باشا ، أن الخديو لم يكن مرتاحا إلى هذا الموقف ؛ وكان هذا وغيره من البواعث داعياً إلى تفكير الخديو فى التخلص من نوبار باشا قبل سفره للاستانة ، ولكن كرومر تدخل فى الأمر ، ورأى الخديو أن تشدده قد يؤدى إلى أزمة كالتى حدثت فى سنة ١٨٩٣ فترك الأمر لفرصة أخرى ، ورأى أن يستعمل الحيلة بدل الشدة لبلوغ غايته .

وقد أحس نوبار باشا بذلك ، ولكنه كان يرى نفسه مؤيداً من الانجليز فلم يكن يفكر فى الاستقالة .

ولما عاد الخديو إلى القاهرة ، لمح إلى اللورد كرومر ، فى إحدى زياراته لسموه ، أنه يرغب فى إعادة مصطفى فهمى باشا إلى النظارة ؛ وكان ذلك وسيلة للتخلص من نوبار باشا لعلمه أن الانجليز يودون عودة الناظر الذى غضبوا لاقالته سنة ١٨٩٣ ؛ وبذا ذللت العقبات القائمة فى سبيل تحقيق رغبة الخديو ، ولم ير الانجليز داعياً للتمسك ببقاء نوبار .



حسن عاصم بك

وأحس نوبار بالموقف ؛ فرأى أن يقدم استقالته ، وقدمها فعلا يوم ١١ نوفمبر معتذراً بمرضه ، فقبلها الخديو طبعاً ؛ وفى اليوم التالى تألفت النظارة الجديدة برياسة مصطفى فهمى باشا واحتفظ بقية النظار بمراكزهم مع تعيين عبانى باشا ناظراً للحربية ، وعين مكانه فى وظيفة السر تشريفاتى حسن عاصم بك وبذلك سوى الموقف طبقاً لرغبة الخديو ، مع التضحية من جانبه بقبول مصطفى فهمى باشا مرة أخرى .

شئون مختلفة .

ندماء الخديو المسنون : كان للخديو ثلاثة ندماء شيوخ يلهو بسمرهم وقت فراغه : أولهم يسمى أبو سعده الجنايني، والثاني الشيخ عيد وكان يدّعي التنبؤ بالمستقبل ، والثالث أحمد « قبودان » وأصله صياد سمك .



في الوسط أبو سعده الجنايني وعلى اليمين الشيخ عيد
وعلى يساره أحمد قبودان ندماء الخديو الثلاثة

فمن قصص الأول أنه في زمن محمد علي باشا كان رئيسه أرناؤوطي الجنس ، فحصل على بذور فاكهة جديدة فزرعها وأثمرت ، وأخذ من ثمارها وقدمها إلى محمد علي باشا ، فلما أكل منها استحسنها ، وسأله عن اسم هذه الفاكهة فأجابه «مندرينا» فلم يستحسن الوالي هذا الاسم ليطلقه على هاته الفاكهة اللذيذة وقال له : « لا . اسمها من الآن يوسفندي نسبة لاسمك ! » .

والثاني كان يستعمل المسبحة للاستخارة . وحدث أننا كنا ذات يوم بالقطار الصغير الخاص لمشاهدة الانشاءات بالمنتزه ، وكان الخديو مشغول الفكر بمرض اسماعيل ، فطلب من الشيخ عيد أن ينظر فيما تقوله المسبحة بهذا الخصوص — طبعاً بعد أن أضمره في نفسه — فأخذ الشيخ كمية من حب المسبحة وعدّها حبة بعد أخرى ، ثم وضع المسبحة على جبهته وأسبل جفنيه وتمتم برهة ثم قال : « يا أفندينا ستأتي لك بشرى عن قريب » ! ! ولكن لم تمض إلا أيام قلائل حتى جاء الخبر بوفاة اسماعيل .

ثم سأله سموه أن يرى طالع بوسو ، فاستعمل المسبحة كما تقدم وقال : هذا رجل عظيم وله قضية أمام المحاكم سيخسرها . . ! ! فضحكنا لأن الشيخ كان يظن أن بوسو هذا

رجل مع أنه اسم كلب للخديو ، فقال للشيخ عيد: ها هو بوسو! فضحك الشيخ أيضاً معنا .

أما الثالث فحكايته أن الخديو رآه فى إحدى زياراته للمنتزه قبل إنشائه ، وكان يرسو بقاربه على الشاطىء ، فسأله عن كسبه وعن تجواله فى البحر فى الليل للصيد ، ومعرفة طريق رجوعه للبر ، فأجابه بأنه يستدل على ذلك بالنجوم ! وخلط ما خلط ! فضحك الخديو ، ووجد فى كلامه طلاوة وفكاهة ، ومن ذلك اليوم اتخذه صياداً خاصاً لسموه .

وقد اصطحبه فى إحدى رحلاته خارج القطر ضمن خدمه .

تعيين وكيل لنظارة المالية : لما خلا منصب وكيل نظارة المالية بتعيين المستر جورست وكيلها مستشاراً للداخلية كما سبق ، صدر الأمر فى ٢١ يناير بتعيين المستر كليتون دوكنس خلفاً له .

قران شقيقة الخديو : فى ٢١ يناير قدم من الاستانة البرنس عباس حليم باشا الذى كان متفقاً على زواجه بالبرنسيس خديجه هانم افندى ومعه شقيقه البرنس ابراهيم حليم باشا استعداداً للزفاف ؛ وكان الخديو قد أصدر إرادته لنظارة المالية بأن تسك فى دار الضرب « المسكوكات » عدة آلاف من القطع الذهبية الصغيرة قيمة كل منها خمسة قروش صاغ لعمل « البدرة » .

وأرسلت أوراق الدعوة الى خمسمائة من كبار المصريين والأجانب لحضور الاحتفال . وفى ٣١ منه قصدت البرنسيس قصر عابدين تصحبها والدتها وبعض البرنسيسات استعداداً لقيام الموكب فى الصباح .

وفى اليوم التالى زينت سراى القبة ، التى أعدت للزفاف ، بالأنوار والأعلام ، ونصبت السرادقات للمدعوين والمطربين .

وسار موكب العروس من ساحة عابدين فى الساعة الرابعة بعد الظهر تتقدمه فرقة من الخيالة حملة المزاريق وأمامها موسيقى السوارى ؛ وكان على جانبى الميدان أورطة بيادة مع موسيقاها لأداء السلام . وكان فى المقدمة عربة الوالدة ، وأمامها قوة من الحرس الخديوى ، ويحفها من الجانبين أربعة من الأغوات على جيادهم ، وخلف هذه العربة بطارية من المدفعية ، ثم قوة من الخيالة ثم موسيقى السوارى أمام عربة العروس ، وهى عربة التشريفات الكبرى تجرها تسعة جياد ، وعلى جانبيها ضابطان

برتبة اللواء ويليها عربات تقل البرنسيسات. ومر الموكب بميدان الأوبرا فشارع كلوت بك فالفجالة فالحسينية فالعباسية الى قصر القبة ؛ وعندما وصلت العروس الى الحرم نثرت فوق رأسها بدرات الذهب التى أعدت قبلا .

وكان البرنس محمد على باشا يستقبل كبار المدعوين، ومعه البرنسات ورجال المعية.

وفى اليوم التالى، أى فى ٢ فبراير، خرجت البرنسيس من قصر القبة مع والدتها فى قطار خاص الى محطة العاصمة ومنها الى محطة باب اللوق فاستقلتا مع الحاشية قطاراً خاصاً الى حلوان ؛ ثم وافاهما هناك البرنس قرينها للاقامة معها بالقصر الخديوى بحلوان بضعة أسابيع قبل سفرهما الى الاستانة .

زواج البرنس احمد فؤاد باشا : وكذلك احتفل فى ١٤ فبراير بزفاف البرنسيس شويكار هانم افندى الى دولة البرنس أحمد فؤاد باشا السرياور بقصر الزعفران .

وكان الاحتفال بسيطاً نظراً لما كانت عليه صحة والده الخديو اسماعيل فى ذلك الوقت .

الحفلة الراقصة بعابدين : وتلت هذه الأفراح ليلة أخرى هى الحفلة الراقصة « ليلة البللو » أقيمت فى ٢٤ فبراير لأول مرة بعد تولى عباس ، كما كانت تقام أيام والده ؛ وقد أرسلت أوراق الدعوة الى ألف وثلثمائة مدعو ومدعوة من الوطنيين والأجانب .

وفى هذه الليلة سطعت سراى عابدين بالأنوار ، وخصص رجال المعية لاستقبال المدعوين ؛ وكانت مهمتى استقبال المدعوات على نحو ما ذكرت بالجزء الأول ص ٤٩٨ .

وبعد أن تكامل عدد المدعوين ، خرج الخديو من قاعة الاستقبال ، وسار الجميع خلفه ؛ وكانت بجانبه قرينة قنصل جنرال هولنده أقدم القناصل العامة ، حسب التقاليد المتبعة ، حتى قاعة الرقص فعزفت الموسيقى بالسلام الخديوى ؛ وافتتح المرقص فأخذ كثير من الضباط الانجليز والشبان الأجانب والوطنيين بأيدى المدعوات للرقص وكنت من بينهم حتى منتصف الليل ؛ وعندئذ دعى الجميع إلى المقصف ، وأخذ الخديو والبرنسات والنظار وكبار رجال المعية وغيرهم بأذرعة كبيرات العقائل لمرافقتهن اليه .

وبعد تناول الطعام والقهوة ، عدنا إلى قاعة الرقص ولبثنا حتى الساعة الثالثة ثم انفض الاحتفال وعاد الخديو إلى قصر القبة .

وقد كانت تقام هذه الحفلة سنويا طوال حكم عباس .

إنعامات على رجال المعية : صدرت الارادة الخديوية يوم ٢٥ مارس بالانعام بالنيشان العثمانى من الدرجة الثانية على كل من محمود شكرى باشا رئيس الديوان التركى وعبد الحليم عاصم باشا السرياور خديوى وبالمجيدى الثانى على كل من محمد العبانى باشا والدكتور كومانوس باشا وبه من الدرجة الثالثة علىّ وقد كنت رئيس قلم الترجمة بالمعية .

إقالة السيد محمد توفيق البكرى : وفى أبريل صدر الأمر باقالة السيد محمد توفيق البكرى من نقابة الأشراف وإبقائه شيخاً لمشايخ الطرق الصوفية ، وإحالة أعمال النقابة إلى السيد على محمد البيلاوى .

سفر الخديو للمصيف والوالدة للاستانة وعودتها : فى ٢ مايو سافر الخديو لمصيفه بالاسكندرية كالعادة مع عائلته . وفى ٩ مايو سافرت دولة الوالدة إلى الاستانة على الباخرة « البرنس عباس » ومعها البرنسيس نعمت هانم شقيقة الجناب العالى التى خطبها البرنس جميل باشا طوسون فى ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٤ وودعها سمو الخديو والبرنسات فى قصر رأس التين قبل سفرها . وقد عين حسين فهمى باشا مهمندارا لدولتها فى السفر .



السيد على محمد البيلاوى



جميل طوسون

وفى ١١ منه وصلت للسراى برقية بوصولها للاستانة ، وأنهما استقبلتا بحفاوة كبيرة

وفى اليوم التالى وردت برقية بأن الوالدة تشرفت بمقابلة السلطان للتشكر على ما أبداه نحوها من الالتفات وحسن الرعاية .

وقد أدب لها جلالته فى الحرم السلطانى مأدبة عظيمة فى ١٥ منه لقيت فيها أجمل الرعاية والانعطاف السامى .

ثم عادت دولتها من الاستانة فوصلت إلى الاسكندرية فى ٢١ اكتوبر حيث استقبلت بصفة رسمية .

سلاطين بك : وصل إلى القاهرة فى ١٩ مايو سلاطين بك الذى كان أسيراً فى السودان واستطاع الفرار ؛ وقد نزل على قنصلية النمسا ، فرافقه القنصل الجنرال ليعرفه بكبار الموظفين بدواوين الحكومة ، وقدمه أيضاً للنظار ثم للسردار .

ثم استصحبه معه إلى السراى فقابل رئيس الديوان الافرنجى للتشرف بمقابلة الخديو .

وقد قصّ علينا قصة نجاته التى تتلخص فى أنه برح أم درمان متنكراً يوم ١٨ أبريل يصحبه دليلان ، فاكتروا جملين قطعوا عليهما المسافة حتى بلغوا النيل ، فاجتازوه فى زقاق « قرب » منفوخة ، ثم استأنفوا السير فى الصحراء مدة ١٢ يوما ، حتى بلغوا أسوان ومنها ركبوا النيل ثانية حتى وصلوا إلى القاهرة .

وقد دبر مسألة نجاته ونجت بك « باشا » رئيس قلم الاستعلامات بنظارة الحربية .

الأسطول البريطانى : وصل إلى ثغر الاسكندرية ثلاث وعشرون قطعة من قطع الأسطول البريطانى فى ٢٧ مايو بقيادة الأميرال سيمور ، فتبادلت التحية مع طوابى الاسكندرية ؛ وعلى أثر وصولها تشرف أميرالها وضباطها بمقابلة الخديو حيث قدمهم لسموه اللورد كرومر .

وقد أحدث مجىء هذا الأسطول تساؤلا فى الدوائر ؛ وكنا نقول فيما بيننا : « ترى أتقصد انجلترا الارهاب بهذه الزيارة ؟ ولا سيما بعد أن قرأنا فى الصحف الانجليزية ما يؤيد هذا الظن ، ومن ذلك ما كتبته التيمس بصريح العبارة : « إن الأميرال سيمور الثانى ما جاء إلى المياه المصرية إلا ليذكر المصريين بسيمور الأول هادم حصون الاسكندرية التى أنشأها محمد على ، وهادم قلاع الاسكندرية فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ . »

وقد رد الخديو للأميرال الزيارة ومعه رجال المعية على زورق من زوارق

المحروسة ، فهرع الأهالى الى الميناء محتفلين هاتفين . وعند وصول سموه الى مقر الأميرال ، هتفت الجنود الانجليزية ؛ وأطلقت المدافع من البوارج وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى .

وبعد الزيارة بارح سموه بارجة الأميرال الى رأس التين ؛ وعند الساعة الرابعة ركب الخديو اليخت « صفا البحر » ، ومعه رجال المعية والنظار وقناصل الدول ؛ وقضينا زهاء ساعتين نتجول باليخت فى الميناء لمشاهدة سفن الأسطول الراسية . وكان سموه كلما مرّ ببارجة هتفت له جنودها ، وانطلقت مدافعها وصدحت موسيقاها .

وفى ٢٨ منه أعد الخديو فى سراى رأس التين للأميرال وكبار ضباطه مأدبة حضرها اللورد كرومر والنظار وبعض كبار الموظفين الانجليز ، وبلغ عدد المدعوين خمسة وسبعين بما فيهم كبار رجال المعية .

وكذلك دعى الأميرال واللورد كرومر الى مأدبة خاصة فى سراى المنتزه يوم ٣٠ مايو .

وفى أول يونيو زار الأميرال سيمور الخديو مستأذناً فى السفر الى المياه السورية ، وبارح المياه المصرية فى نفس اليوم .

تعيين شيخ للأزهر : سبق أن تعين الشيخ حسونة النواوى وكيلا للأزهر نظراً لما كانت عليه صحة الشيخ محمد الانبابى شيخه من الانحراف . فلما اشتدت عليه وطأة المرض قدم فضيلته استقالته من المشيخة فى ٢٥ يونيو ، فقبلت وصدر الأمر بتعيين الشيخ حسونة النواوى بدلا عنه .

تعيين الشيخ محمد عبده فى القضاء : وفى ٢١ نوفمبر صدر الأمر بتعيين الشيخ محمد عبده قاضياً من الدرجة الثانية بمحكمة الاستئناف الأهلية بمصر .

تعيين مدير لجزيرة طاشيوز : فى أواخر ديسمبر صدر الأمر بتعيين إسحاق أحمد بك وكيل محافظة عموم القنال ، مديراً لجزيرة طاشيوز وأنعم عليه بالنيشان العثمانى من الدرجة الرابعة .

مهرجان الجمعية الخيرية الاسلامية : فى ١٤ ديسمبر أقيم المهرجان السنوى

للجمعية (*) وقد كان فى رونقه أبدع من أى مهرجان من قبل؛ وتفضل الخديو بتشريف تياترو الأوبرا إعلاناً لاهتمامه بشئون هذه الجمعية ؛ وقامت فرقة اسكندر افندى فرح بتمثيل رواية « صلاح الدين الأيوبى » ؛ وكذلك حضرت الحرم الخديوى وشاهدت التمثيـــل .

ومن الذين شهدوا الحفلة اللورد كرومر والغازى أحمد مختار باشا وقنصل جنرال فرنسـا ولم يحضر أحد من النظار سوى بطرس غالى باشا مع وجود الخديو وقناصل الدول ؛ وقد اعتبرنا ذلك تقصيراً منهم ولا سيما فى مثل هذه الظروف .

(*) كنت مع أعضاء مجلس الادارة نستقبل كبار المدعوين ولا سيما عندما حضر الخديو ، وكان بعضنا يذهب الى اللوجات « المقاصير » بين الفصول وأثناء التمثيل لتحية الزائرين أما السيدات ولا سيما الحرم الخديوى فكنا نرسل بعض الدعوات إليهن بشكر الجمعية على تعطفهن بتشجيعها .

سنة ١٨٩٦

المسألة المصرية على بساط البحث . بين مصطفى كامل وجلادستون . محمد مراد بك الصحفى التركى . شكوى برنسيس ملكة الانجليز . شئون مختلفة . حادثة رواق الشوام . تابع الخطوة الأولى لاصلاح الأزهر . رحلة مصطفى كامل الى الاستانة وأوربا . حادثة البرقية السرية عن حملة دنقلة . سفر الخديو الى أوربا . السينما فى مصر . الاب هياسنت لوازون . انتدابى للامتحان مدرسة القبة . قضية صندوق الدين .

المسألة المصرية على بساط البحث . علمنا — فى السراى — من الأخبار الخاصة الواردة من باريس ولندن ، أن هناك محادثات بين انجلترا وفرنسا تدور حول حل المسألة المصرية ، وأن انجلترا أبدت رغبتها لفرنسا فى عدم إشراك الباب العالى معهما فى هذه المفاوضات .

ومن ذلك اليوم أخذت الصحف الانجليزية والفرنسية تتناول المسألة المصرية بالتحليل والدرس ؛ وكنا نتتبع ما يكتب فى هذه الصحف عن الموضوع باهتمام ؛ ولا سيما بعد أن اشتركت فيه الصحف الروسية واهتمت به ألمانيا ، وإليك بعض ما نشرته الصحف فى ذلك الحين :

قالت التيمس بتاريخ ٢٤ يناير بعنوان «المسألة المصرية» ردا على الصحف الفرنسية التى أثارت هذه المسألة : «أما النظر فى المسألة المصرية الآن رسمياً ، فعليه اعتراضات عديدة لا تخفى على البصير ولا تقبل الرد ؛ ولا جدوى منه إلا زيادة الجفاء والنفور بين البلدين ؛ فالأمة الانجليزية ترى المناقشة فى المسألة المصرية غير المناقشة فى حدود

سيام والنيجر ، وقد آلت على نفسها ألا تخرج من مصر ، إلا متى حكمت من تلقاء نفسها ، أن مصر قادرة على الاستغناء عنها والاستقلال بنفسها .

والمعروف عند الجميع أن مصر ليست كذلك اليوم ، والمتفق عليه عند الساسة الذين يعنون بالمسألة ، أنه لابد لمصر من احتلال انجليزى أو احتلال فرنسى . ففرنسا تكره الاحتلال الانجليزى لأسباب نشعر معها بها ، ولكنها تعلم حق العلم أننا لا نرضى استبدال الاحتلال الانجليزى باحتلال آخر فرنسى . نعم إن متاجرها وأملاكها فى الشرق كثيرة ومتزايدة ، ولكنها طفيفة لا تكاد تذكر إذا قيست إلى متاجرنا وأملاكنا ، ولا تعد شيئاً بالنسبة لعظمتها ؛ فى حين أن متاجرنا وأملاكنا فى الشرق تعد قسما عظيما من سلطتنا ، ولها المحل الرفيع فى عظمة أمتنا .

بقى أن تحتل مصر دولة غيرنا وغيرها ؛ وكلتا الدولتين تأبى ذلك ونحن لا نوافق عليه قطعاً ؛ أو أن تحتل الدولتان مصر معاً وهذا قد جرب ولم ينجح وانتهى أمره ، ليس بسعى منا بل باختيار الفرنسيين أنفسهم ؛ فالعودة اليه الآن إنما تفضى إلى النزاع والخصام بعد حين ، ونكون قد سلحنا خصمنا بيدنا ؛ وهذا خرق فى السياسة لا ينتظره أحد منا .

فأى سبيل يبقى لنا إلى حل المسألة المصرية غير ما تقدم ؟؟ أتشير فرنسا علينا أن نسلم مصر التى عانينا مشقة فى إصلاحها وترقية أسباب الحضارة فيها ، إلى دولة الترك التى اشتهرت بظلمها وسوء حكمها وقامت أوربا بأسرها تسعى فى رد جماح وحشيتها ؟؟ أم تشير بسياسة مصر للمصريين وهى تعلم أن مفاد هذه السياسة التعجيل فى الرجوع إلى أيام عرابى ، وهذه سياسة يأباها أصحاب الأسهم المصرية من الفرنسيين ! ! » .

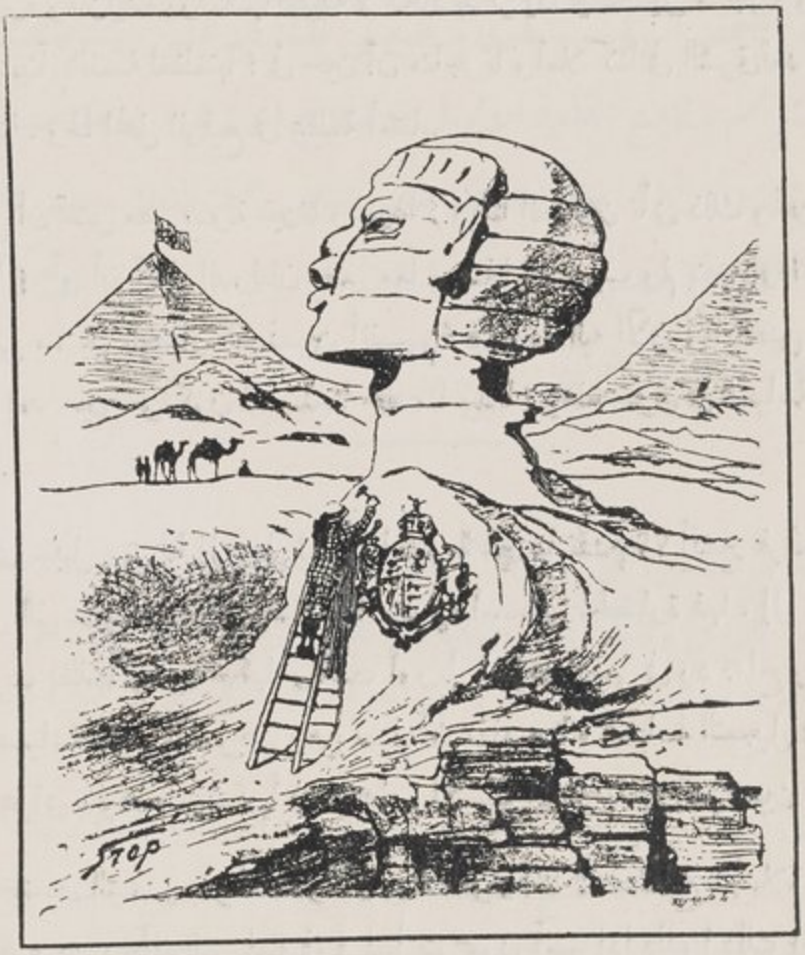
وختمت التيمس بقولها : « وخلاصة القول أننا لا نستطيع الجلاء عن مصر ، فان كان قوم من رجال السياسة فى فرنسا يتوهمون أنهم إذا طلبوا ذلك أجبناهم إلى طلبهم على عجل بالنظر للحوادث الحاضرة ، فقد ساقهم وهمهم إلى الضلال وزين لهم المحال ، لأن ما استفدناه من الحوادث الحاضرة هو ضد ما يتوهمونه على كل حال . »

وكتبت جريدة « رابل » الفرنسية فصلا موجزا طالبت فيه بالجلاء عن مصر قائلة : « لنطلب ما فى الاستطاعة إدراكه وهو الجلاء عن مصر وإعادة الحالة السابقة فى وادى النيل إلى ما كانت ؛ ومن المؤكد أن أوربا تساعدنا على نيل هذه الغاية . »

وجاء فى جريدة «النوفستى» الروسية الشبيهة بالرسمية، ما يفيد أن الروسيا أيضاً تهتم بالمسألة المصرية، وتؤيد فرنسا فيما تطلبه من الجلاء عن مصر؛ وهى تطالب بحل هذه المسألة ليصفو الجو الأوربى ولا يكون هناك مجال للتنافس الخطر.

وكذلك كانت لهجة الصحف الألمانية فيما كتبته، وذلك على أثر نزاع بين انجلترا وألمانيا على بلاد الترنسفال.

ونشرت الشاريفارى الباريسية صورة تهكمية عن تحضير انجلترا للجلاء عن مصر.



التحضير للجلاء عن مصر !!

نقلا عن جريدة الشاريفارى فى أوائل يناير سنة ١٨٩٦

ونشرت الفيجارو الفرنسية نقلا عن جريدة ألمانية عن المخابرات بخصوص الجلاء الصورة الآتية؛ ويظهر منها أن السلطان يريد مدّ البساط الخاص بهذه المسألة يساعده وزير خارجية فرنسا «بيرتوليه» تحت البساط ومعهما انجلترا من الجهة الأخرى تطويه.



المخابرات بخصوص الجلاء

نقلا عن جريدة Kladderadatsch الألمانية ونشرت فى الفيجارو فى ١٧ أبريل سنة ١٨٩٦

بين مصطفى كامل وجلادستون . وفى هـــذه الأثناء نشرت الصحف نص سؤال وجهه الفتى الوطنى مصطفى كامل فى ٢ يناير ، إلى المستر جلادستون رئيس حزب الأحرار الانجليزى ، ورئيس الوزارة السابقة فى انجلترا ؛ ورد جلادستون عليه فيما يختص باحتلال مصر ورأى زعيم الأحرار فيه وإليك نص الخطابين :

« أيها السيد المبجل — اسمحوا لأحد أبناء وادى النيل . لوطنى لا أمنية له إلا تحرير بلاده ، أن يقصدكم اليوم ليسألكم رأيكم عن حل مسألة مصر . فلقد كنتم منذ احتلت انجلترا وطننا أشد نصراء الجلاء ، وجاهرتم مراراً عديدة بأعلى صوتكم ، أنه لا يليق ببريطانيا العظمى أن تحتل مصر إلى أجل غير محدود ، فان هذا يمس بشرفها أشد المساس .

وإننا سجلنا كل تصريحاتكم وحفظناها . ولو أنكم لم تستطيعوا الوفاء بوعودكم عندما

كانت السلطة فى يدكم لأسباب نجهلها ، فاننا لا نزال نظن أن اعتقادكم الآن كاعتقادكم بالأمس ، أى أنه ليس لمسألة مصر إلا حل واحد ، وهو الجلاء .

ولهذا رأيت من المفيد أن أرجو منكم فى هذا الوقت الذى اضطربت فيه أحوال المسألة الشرقية ، أن تعرفونا عن حقيقة إحساسكم نحو خطتنا .

فان كنتم لا تزالون من نصراء الجلاء كما نظن ذلك ، فمتى تظنون أنه يمكن تحقق هذا الجلاء المنتظر من عهد بعيد ؟

وفضلا عن ذلك فان تصريحاً منكم بشأن مسألة مصر يكون له أعظم أهمية فى هذه الأيام ، التى يحسب فيها الجم الغفير من أبناء ديننا المسلمين أنكم أكبر عدو رآه الاسلام .

وأنى مع انتظار الجواب على كتابى هذا أرجو منكم أيها السيد المبجل أن تتفضلوا بقبول عظيم احترامى .»

وهذه ترجمته : « سيدى العزيز — إنى أستحسن ما فهمته من إحساساتكم نحو بلادكم بصفة كونكم مصرياً ، ولكننى مجرد بالمرة عن كل سلطة .

أما آرائى فانها لم تتغير قط ، وهى دائماً أنه يجب علينا أن نترك مصر بعد أن نتمم فيها بكل شرف وفى فائدة مصر نفسها ، العمل الذى من أجله دخلناها . وإن زمن الجلاء على ما أعلم قد وافى منذ سنتين .

ولما كنت فى منصبى أخيراً أملت مساعدة الحكومات الأخرى توصلا الى تسوية هذه المسألة المهمة ، والسلوك الذى اتبعه مستر وادنجتون سنة ١٨٩٢ شجع أملى ، غير أن المخابرات لم تخط خطوة واحدة مع عظم ما أملناه إذ ذاك — ولست أدرى لأى سبب .

ولقد جاهرت بكل تصريحاتى فى مجلس النواب سنة ١٨٩٣ ولم يبق عندى شىء أضيفه عليها ، ولكن كنت مستعداً لعمل كل حسن فى سبيل إعطاء آرائى تأثيرها ، إلا أننى تركت المنصب بالمرة ولست الآن إلا أحد أبناء بلادى العاديين ، وإننى أتشرف بأن أكون منك الخاضع الصادق — و . جلادستون بيارتز فى ١٤ يناير سنة ١٨٩٦ »

وقد كان لرد جلادستون وقع عظيم فى جميع الدوائر والصحف الأجنبية والوطنية ، لمجيئه فى هذا الظرف الذى بدأ فيه بحث المسألة المصرية ، وذلك رغم

ما كان فى هذا الرد من التخلص والغموض ، إذ لم يكن مفهوماً كيف تساعد الدول انجلترا على الجلاء ، وكيف أنها قصرت فى هذه المساعدة فلم يتمكن رئيس الوزارة الانجليزية السابق أن ينفذه ؟

وزاد فى أهمية تصريح مستر جلادستون ، تصريح آخر للدوق أوف كامبردج عم ملكة الانجليز ، وقد جاء ضيفاً على الخديو فى ٢٥ فبراير إذ قال : «إن الاحتلال الانجليزى فى وادى النيل لم يعد بفائدة على الدولة المحتلة بل إنه كلفها خسائر جمة ولهذا فانه لا يرى الجلاء متعذراً ولا شيئاً ثقيلا على نفس بريطانيا العظمى . »

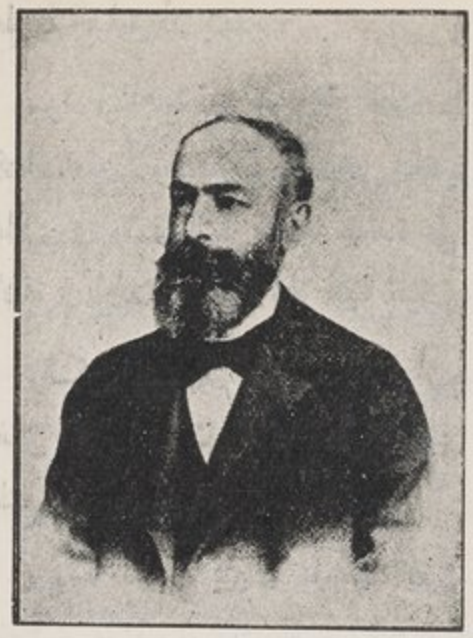
ولكن المصريين كانوا يدركون أن هذه التصريحات إنما هى ذر للرماد فى العيون ، كما تفعل انجلترا فى مثل هذا الظرف الذى تثير فيه الدول المسألة المصرية ، لخلق جو مصطنع من الطمأنينة .

وبهذه المناسبة كتبت الصحف الفرنسية فصولا ضافية عن الخديو ، وأثنت عليه وأيدته فى سياسته وانتهزت الفرصة للتشهير بالسياسة الانجليزية .

قدوم مصطفى كامل : وفى ١٤ يناير عاد مصطفى كامل من رحلته فى أوربا ، فاستقبل فى الاسكندرية ثم فى القاهرة بحفاوة وحماسة . وفى ٣ مارس ألقى بالاسكندرية خطاباً سياسياً هاماً شهدته جموع حاشدة ؛ ولما عاد إلى القاهرة اجتمع لوداعه بمحطة الاسكندرية ألوف عديدة وعلى رأسهم دعاة الوطنية وهم يحملون الأعلام الهلالية . وقدموا إليه نيشاناً من الفضة رسم على أحد وجهيه صورة النخل المصرى ومسلة الثغر ، وكتب على الوجه الآخر ما يأتى : «برهان الاخلاص من أهالى الاسكندرية للوطنى الغيور مصطفى كامل » فشكرهم مصطفى على عطفهم وبالغ حفاوتهم .

محمد مراد بك الصحفى التركى . قدم إلى مصر يوم ٥ يناير محمد مراد بك الكاتب التركى الشهير الذى كان قومسيراً للديون العمومية فى الاستانة وفر منها إلى أوربا ، وكان قد رفع الى السلطان لائحة يشرح فيها مواضع الخلل فى نظامات الدولة الحالية ويعرض أوجه الاصلاح التى يراها ، فغضب عليه السلطان ؛ فغادر الاستانة خشية النكال . وكتب مقالات فى جريدة «الفيجارو» عن شئون تركيا . وهو أول من حضر لمصر من رجال تركيا الفتاة واتصل بالخديو بواسطة عبد العزيز عزت بك . وأصدر جريدة ميزان التى كان يصدرها بالاستانة ؛ وظهر أول عدد منها يوم ١٦ يناير .

وأخذ ينتقد فيها سياسة الحكومة التركية بشدة حتى أن الباب العالى بعث بكثير من البرقيات والرسائل للخديو يطلب تسليم هذا الكاتب ؛ وقد تدخل اللورد كرومر وأشار بعدم تسليمه ؛ وأخيراً طلبته الحكومة التركية باعتبار أنه متهم جنائياً ، وأن النائب العام يطلبه للتحقيق معه فى تهمة السعى الى تقويض أركان السلطة العثمانية ، وتحريض الناس على الفتنة ، فلم يجب هذا الطلب أيضاً . فأصدرت المحاكم التركية حكماً غيابياً ضده بالاعدام ومصادرة أملاكه .



محمد مراد بك

واستمر بمصر يصدر جريدته ويحمل فيها حملات مرة على السلطان وحكومته حتى شهر يوليو ، وعندئذ تدخل الغازى مختار باشا لدى اللورد كرومر ، وأفهمه أن ما يكتب فى هذه الجريدة لا يمكن السكوت عليه ، لأن مصر تحت السيادة العثمانية ، فرأى اللورد ترضية للباب العالى أن يطلب من الرجل تعديل لهجته ، أو أن يعطل الجريدة ؛ فاختار أن يغادر مصر الى سويسرا وفعلا سافر إليها يوم ١١ يوليو .

شكوى برنسيس لملكة الانجليز . كانت المحاكم الشرعية قد حكمت على البرنسيس خديجة هانم افندى بالحجر ، وعينت صالح بك جودت قيما عليها بعد أدوار طويلة سارت فيها القضية وقد حدث أن البرنسيس رفعت التماساً إلى جلالة ملكة الانجليز ترجوها فيه التدخل لمصلحتها ؛ وهذه بعثت بتلغراف الى اللورد كرومر أن يتدخل فى الموضوع لصالح المحجور عليها ؛ فجاء اللورد للسراى وقابل سمو الخديو ؛ وبعد ذلك علمنا أنه طلب الى سموه إصدار الأمر بالغاء الحجر أو تعيين قيم شرعى من الانجليز بدلا من القيم الشرعى الحالى ، فأحاله جناب الخديو على ناظر الداخلية مصطفى فهمى باشا .

والذى حدث بعد هذا أن الناظر أنكر على اللورد مسألة تعيين قيم انجليزى لأن قوانين البلاد وعاداتها تمنع ذلك منعاً باتاً ، ورأى أن أفضل حل للموضوع هو أن يعين

احد كبار المصريين الموثوق بهم عند اللورد ، بدل القيم الحالى حتى لا تكون حكومة مصر قد أهملت مسألة رجتها فيها جلالة الملكة .

وقد استقال جودت بك من منصبه ، وقرر المجلس الحسبى فى ١٦ يوليو تعيين عبد الرحمن رشدى باشا قيما شرعياً .

وقد كان لهذا التدخل من جانب الانجليز ، حتى فى مسائل الأحوال الشخصية ، وقع سيء فى نفوس الجميع ، إذ أنه تجاوز كل ما يتوقع من التدخل الانجليزى .

شئون مختلفة .

قران شقيقة الخديو : كلفت يوم ٢ يناير بالمساعدة فى إرسال أوراق الدعوة لحضور زفاف البرنسيس نعمت الله هانم افندى شقيقة الجناب العالى بالبرنس جميل طوسون فى سراى القبة ؛ وقد بلغ عدد المدعوين نحو مائتين وخمسين من كبار الوطنيين والأجانب ؛ واختير يوم الزفاف موافقاً ليوم عيد الجلوس الخديوى ليكون الاحتفال مزدوجاً شاملا .

وفى ٧ منه توجهت البرنسيس مع سمو والدتها الى سراى عابدين ليخرج منها موكب الزفاف فى الغد ؛ وفى اليوم التالى تحرك الموكب تتبعه الموسيقى والجنود ؛ وكانت عربة العروس تجرها ستة خيول مزركشة مزينة ، وأمامها السياس بملابسهم الخاصة ، وعلى يمينها ويسارها ضابطان برتبة اللواء ، وخلفها عربات خديوية تقل البرنسيسات ؛ وخلف الجميع محافظ مصر فى ملابسه الرسمية .

وقد سار الموكب من شارع عابدين فميدان الأوبرا الخديوية فشارع كامل فالفجالة فشارع العباسية فسراى القبة ، وكان الطريق كله حافلا بالزينات والسراى ساطعة بالأنوار البديعة ؛ وكان عبده الحمولى ومحمد عثمان يغنيان .

وفى المساء أقيمت مأدبة فاخرة للمدعوين من البرنسات والنظار ورؤساء المعية وكبار الأجانب استمرت حتى الساعة الثالثة صباحاً .

وبعد الزفاف بيومين ذهب العروسان إلى سراى المنيرة وكانت أعدت لهما ثم سافرا إلى الوجه القبلى لقضاء بضعة أسابيع .

وفى ذات اليوم احتفل فى سراى عابدين بعيد الجلوس كالمعتاد سنوياً .

الخديو والدوق أوف كمبردج يستعرضان الجيش : فى يوم ٣٠ يناير استعرض الخديو الجيش المصرى بالعباسية بحضور الدوق أوف كمبردج عم ملكة الانجليز ؛ وبعدئذ تناولا الطعام فى سرادق أقيم خصيصاً لذلك .

هلال رمضان : وافق يوم ١٥ فبراير الاحتفال برؤية هلال رمضان كالعادة المتبعة كل عام ، وقد اختلف الناس فى رؤية الهلال وبعد أن أصبحوا صائمين عادوا فأفطروا لعدم ثبوتها ؛ واستلفت هذا الاختلاف نظر الخديو فسأل عنه مندهشاً ، ولما أخبرناه بالسبب وهو الاعتماد على رؤية العين يشهد بها اثنان من المسلمين ، وحدثناه عن الطريقة التى يعترف بها هذان الشاهدان ، دهش سموه لذلك وأبدى رغبته فى اتباع طريقة منتظمة لضبط المواعيد . ولما جاء اليوم التالى ، الذى ثبتت فيه الرؤية تقدمت الوفود لتهنئة الجناب العالى ، حتى إذا كان وفد العلماء تحدث سموه مع شيخ الأزهر والمفتى فى أمر الرؤية وأن بعض المسلمين يدعون ، جرأة منهم أو استهانة ، أنهم شاهدوا الهلال فى الوقت الذى يثبت فيه الفلكيون جميعاً عدم رؤيته ، وما يكون وراء ذلك من انخداع المسلمين وصومهم بناء على هذه الشهادة الباطلة ، وأظهر رغبته فى أن يستأنس بمراقبة الرصدخانة الخديوية عند الشك ، حتى لا تحمل الأمة على الصوم فى غير وقته كما حدث غير مرة .

مصر فى معرض برلين العام : كانت الحكومة الألمانية قد طلبت الى الحكومة المصرية الاشتراك فى هذا المعرض وقد أجابت هذا الطلب وبعد افتتاحه أرسل الامبراطور غليوم لعباس فى ٣ مايو البرقية الآتية : « قد عدت من افتتاح المعرض وأرى من الضرورى أن أعرب لسموكم عن خالص شكرى على مساعدتكم العظيمة التى منحتموها للمعرض . ومن أعجب مناظر المعرض تمثيل القاهرة وسكانها وقد زاده رونقا إرسالكم الموسيقى العسكرية والأسلحة الجميلة التى يوجد فى مقدمتها سيف محمد على . »

فأبرق له سموه : « سررت كل السرور من العبارات الرقيقة التى بعثتم بها جلالتكم إلىّ ، ومن المديح الذى تخصون به المساعى الضعيفة التى بذلناها لجعل القسم المصرى لائقا بعاصمة الامبراطورية الألمانية ، وإن استحسان جلالتكم الجم لهو أحسن مكافأة لى وللبلاد وأرجو جلالتكم قبول شكرى . »

سفر الخديو للاسكندرية : وفى ٧ مايو سافرنا إلى الاسكندرية بمعية الخديو ، وكان عيد الأضحى بعد ذلك بأسبوع ؛ ونظراً لتفشى مرض الكوليرا بها فقد رأى سموه

أن تقتصر التشريفات على الموجودين بالثغر ، حتى لا يختلط القادمون بالموبوئين منعاً لانتشار العدوى . وقد أبلغ ديوان التشريفات ذلك إلى مجلس النظار .

مولودة جديدة للخديو : سرى فى ٩ يونيو نبأ بين رجال السراى بأن سمو الخديو قد رزق بمولودة جديدة فقدمنا التهانى لسموه ، وأعلنت التشريفات ذلك إلى رئيس مجلس النظار ، فأذاع النبأ فى جميع أنحاء القطر وورد إلى الخديو كثير من البرقيات بالتهنئة من مختلف طبقات الشعب ، كما وردت برقية من مجلس شورى القوانين وسميت عطية الله هانم افندى .

رحلة الخديو إلى الطور : رغب الخديو فى عمل سياحة إلى الطور يقضى فيها بضعة أيام مصطحباً معه بعض رجال الحاشية ؛ فركبنا اليخت « صفا البحر » إلى بورسعيد يوم ٢٠ يونيو حيث بتنا بها ثم غادرناها للسويس ومنها الى الطور واستغرقت الرحلة ستة أيام .

سفر الوالدة للاستانة وعودتها : وفى ٢٦ يونيو سافرت الى الاستانة والدة الخديو على الوابور « توفيق ربانى » مع حاشيتها ، وعين حسين عارف باشا مهمندراً لسموها مدة إقامتها بالاستانة وأنعم عليه برتبة الميرمران ؛ وقد ودعت رسمياً على الميناء . وفى ٢٩ منه وردت برقية بوصولها الى أزمير ، وفى ٣٠ منه وصلت الى مياه البوسفور واستقبلت استقبالا حافلا ونزلت فى قصر بيك وقد عادت بعد أن أمضت فصل الصيف بالاستانة .

زيارة الخديو لتكية الفقراء . فى ٢ أغسطس زار الخديو مع بعض رجال الحاشية ، تكية الفقراء التى أنشأها ديوان الأوقاف فى الاسكندرية قبل ذلك بقليل ، وقد شاهدنا فى هذه الدار مائة وعشرين سريراً معدة للنوم ؛ وبها قسمان أحدهما للرجال والآخر للنساء ؛ وقسم هذان القسمان الى أقسام أخرى للصغار والكبار والأرامل والعذارى على أن يدخل هذه الدار من يثبت عجزه المطلق عن الكسب ، ولا يكون مريضاً بأمراض معدية ؛ وقد أبدى سموه ارتياحه لهذا العمل الانسانى الجليل .

حادثة رواق الشوام . فى ٢ يونيو ورد على السراى من ناظر الداخلية بالقاهرة نبأ خطير خلاصته : أن أحد طلبة رواق الشوام فى الأزهر أصيب بالكوليرا ، وأراد رجال الصحة نقله من الرواق فأبى رفاقه تسليمه ، واستمروا فى المقاومة والصخب حتى

توجه المحافظ وبعض رجاله ، فاعتدوا عليهم ورموهم بالحجارة ، فأصيب المحافظ ووكيل الحكمدار وبعض ضباط البوليس باصابات مختلفة ، وتوجه حكمدار البوليس بقوة وأمر باطلاق الرصاص على الطلبة ، داخل الجامع فقتل واحد وجرح أربعة .

وبعد ذلك علمنا أن ناظر الداخلية كلف كلا من المحافظ وشيخ الأزهر بتقديم تقرير عن الحادثة ، فكان أهم ما جاء بتقرير المحافظ : « إنه بعد ضرب الطلبة له وللبوليس بشكل شنيع والاستمرار فى إلقاء الأحجار لم يعد هناك مجال لاستعمال اللين ؛ لأنه يعتبر فى هذه الحالة ضعفاً ، وتكون نتيجته ضارة بالأحوال الصحية وبالأمن العام . »

وأما تقرير شيخ الأزهر فيتلخص فى أن الأمر لم يبلغه إلا بعد هياج الطلبة ، فذهب الى المحافظة لاخبار المحافظ ؛ إذ أنه يعرف أن المجاورين فى مثل هذه الظروف لا يوقرون أحداً ، فلم يستطع التدخل ، ولما ذهب للمحافظة وجد المحافظ قد سبقه الى الأزهر فعاد فوجد الحادثة قد انتهت باطلاق الرصاص . »

وقد انعقد بعد ذلك مجلس النظار برياسة الخديو ودرس التقريرين المشار إليهما وقرر نفى ستين طالباً من رواق الشوام ، وإقفال الرواق لمدة سنة ؛ والانعام بالنيشان العثمانى الثانى على المحافظ ، وإبلاغ حكمدار البوليس ووكيله ارتياح ناظر الداخلية .

وانتهى تحقيق النيابة فى الحادث بادانة أربعة عشر طالباً من الشوام(*)

تابع الخطوة الأولى لاصلاح الأزهر . فى أول يوليو صدر قانون الأزهر وأهم ما جاء به : « لمجلس الادارة أن يأذن لغير علماء الأزهر بتدريس العلوم غير المتداول تدريسها الآن فيه بشرط أن يكونوا من أهل العلم الحائزين للصفات الملائمة لحال الأزهر من حيث هو مدرسة إسلامية وله حق توزيع العلوم التى تدرس فيه على الأساتذة والسنين ، ولا يجوز لأستاذ منهم أن يتعدى ما يقرره المجلس فى ذلك ، وللمجلس أن يعين مباشرة كتباً لجميع العلوم خصوصاً فيما لم يتداول الآن تدريسه بالأزهر ، ومتى عين كتاباً لا يجوز قراءة غيره إلا بقرار يصدر منه ، ولا يباح لأحد أن

(*) وفى أول أبريل سنة ١٨٩٧ صدر الأمر باعادة فتح الرواق والسماح بعودة من كانوا قد نفوا إلى خارج القطر ، وكذلك بالعفو عن المحكوم عليهم بالسجن .

يختار الكتب المألوف قراءتها فى الجامع الأزهر إلا بعد إشعار مجلس الادارة وصدور قراره بذلك .

تحصيل العلوم غير المتداول تدريسها الآن بالأزهر كتاريخ الاسلام وصناعة الانشاء قولا وكتابة وكاللغة متنا وأدباً ومبادىء الهندسة وتقويم البلدان وخلافها من العلوم العقلية والنقلية يكون من المرجحات والمميزات الموجبة لتقديم بعض أهل الدرجة الواحدة على بعض .

مدة طلب العلم فى الجامع الأزهر لمن يريد أن ينال لقب عالم أقلها اثنتا عشرة سنة وأكثرها خمس عشرة سنة . »

وهذا القانون يخول شيخ الأزهر سلطة واسعة ويشتمل على الاجراءات الداخلية الادارية ومسائل الامتحانات والعقوبات وغيرها ويساعده مجلس إدارة فى تنفيذ ما ورد فى هذا القانون .

وقد اهتم مجلس الادارة بعد صدور القوانين السالفة التى تعتبر أسس الاصلاح فى وضع النظم لتنفيذ هذه القوانين وسار المجلس فى ذلك حتى أواخر سنة ١٩٠٣ حيث بدأت الدسائس وكان من نتيجتها فشل الخطوة الأولى عند استقالة الشيخ البيلاوى وخروج المفتى والشيخ عبد الكريم سلمان من مجلس الادارة كما سيراه القارىء بالتفصيل فى سنة ١٩٠٥ .

سفر مصطفى كامل الى أوربا والاستانة . سافر مصطفى الى باريس فى أول أغسطس بعد مقابلة الخديو واحتفل هنالك بعيد الجلوس السلطانى كالعادة ، ثم زار برلين وفينا وحادث كبار الساسة والصحفيين وغيرهم عن الشئون المصرية ثم قام الى الاستانة فوصلها يوم ٢٧ اكتوبر ونزل بفندق « بيرا بالاس » ضيفاً على جلالة السلطان . وفى اليوم التالى دعى بواسطة الباشكاتب لحضور حفلة السلاملك يوم الجمعة ٣٠ منه فلبى الطلب وأدى فريضة الجمعة فى الجامع الحميدى وبعد الصلاة أعلمه الباشكاتب بأن الخليفة يود رؤيته . ولما مثل بين يدى جلالته قال له السلطان : « كنت أظنك رجلا كبير السن ولكنك لا تزال فى صداثة العمر فبارك الله فيك . » فأجابه على الفور : « إن شعور المسلمين جميعاً نحو الخليفة والخلافة كبير جداً ، ويستوى فيه الصغير والكبير . » فسأله جلالته : « أين تعلمت ؟ » فأجاب : « تعلمت فى مصر وأمضيت امتحانات الحقوق فى

فرنسا ونلت شهادة من جامعة تولوز . » فقال له السلطان : « إنك إذاً محام . » فأجابه مصطفى : « نعم يا مولاى ، إنى محام عن قضيتين مهمتين ، قضية مصر خصوصاً وقضية المسلمين عموماً ؛ أما قضية مصر فالعالم الأوربى مستعد أن يساعدنا فى حلها وانصراف الاحتلال عنها ؛ ولكنها مسألة يعرف كل المصريين أن جلالتكم صاحبها وسيدها ، وأملنا عظيم فى أن خليفتنا المحبوب يبدأ بما يحقق آمالنا . » فتبسم جلالته وقال : « إنى أحب لك أن تزور الاستانة كثيراً وأن تتعلم اللغة التركية . » وذلك لأن الواسطة بينه وبين جلالته كان الباشكاتب .

فأحنى مصطفى رأسه وقال : « إن حب الخليفة لأخلص حب ، وسيكون ما أراد بمشيئة الله . »

فأذن له جلالته بالانصراف ؛ وعندما تقدم لتقبيل يده قال له : « إنك ستكون كبيراً جداً فى زمن قريب ما دمت على هذا الاخلاص . »

وفى أول نوفمبر قابل الباشكاتب تلبية لدعوته فقال له : « إن السلطان يخبرك بأن لك الحق فى مقابلة من تشاء كأنك فى بلدك أو فى أى بلد أوربى » . وسأله الباشكاتب عن النياشين أو الرتب التى يحملها فأجابه بالنفى قائلا : « إنى حر ، والأحرار لا يميلون لهذه الألقاب . » وعند ذلك دخل الباشكاتب وخرج حاملا إليه تمنيات الخليفة وتحياته ، وكذلك حمل إليه علبة سجائر من الذهب والفضة مرصعة بالماس وعليها الطرة الشريفة مرصعة بالجواهر والأحجار الكريمة .

وغادر مصطفى كامل الاستانة فى ١١ نوفمبر فوصل الاسكندرية فى ١٥ منه .

وفى مدة شهرين نال رتبة المتياز والنيشان المجيدى الثانى والرتبة الأولى صنف ثان العلمية تقديراً من الخليفة له (*) .

حادثة البرقية السرية عن حملة دنقلة . فى ٢٦ يوليو وردت لمكتب تلغراف الأزبكية ، إشارة برقية باللغة الفرنسية من السردار الى ناظر الحربية ، تحتوى على ٥٦٦ كلمة تتعلق بأحوال الحملة ؛ وأخذت مباشرة من المكتب الى نظارة الحربية حيث سلمت لأحد « الجاويشية » الانجليز فأرسلها فوراً الى ناظر الحربية بمنزله فتلاها بمفرده

(*) أعمال مصطفى كامل المدونة فى هذه السنة وفى السنوات التالية تلقيتها منه كما أنها دونت فى تاريخ حياته الذى نشره أخوه المرحوم على فهمى كامل بك .

واحتفظ بها . ولكن صدرت جريدة المؤيد فى ٢٨ يوليو وبها نص هذه الاشارة السرية مترجماً الى اللغة العربية .

ولما اطلع ناظر الحربية على ذلك ، كلف ملحمة بك شكور ، أحد كبار موظفى النظارة ، بالتوجه الى مكتب التلغراف لمعرفة المسئول عن إذاعة هذه البرقية . وبعد التحقيق ومراقبة الموظفين اتضح أن توفيق افندى كيرلس الموظف بمكتب التلغراف هو الذى نقل الصورة حرفياً ، وسلمها لجريدة المؤيد ؛ فرفعت الدعوى العمومية على الشيخ على يوسف وتوفيق كيرلس افندى ، ونظرت القضية فى يوم ١٧ نوفمبر وتولى الدفاع عن المتهمين الأستاذان ابراهيم الهلباوى بك والسيد احمد الحسينى بك .

واستمر نظر القضية حتى يوم ١٩ نوفمبر حيث صدر الحكم بحبس توفيق كيرلس افندى ثلاثة أشهر بتهمة إفشاء أسرار الدولة وببراءته من تهمة إفشاء تلغراف المقطم ؛ وذلك أنه فى ٣٠ يوليو حضر الدكتور فارس نمر صاحب المقطم الى مكتب تلغراف الأزبكية ، وقال إن مكاتبه فى ببا أرسل له برقية فى ٢٧ يوليو ولم يطلع عليها أحد سواه ، ومع هذا فقد وجدت منشورة بعدد المؤيد الصادر فى ذلك اليوم ، فاتهم الشيخ على يوسف وتوفيق افندى كيرلس ولكن الشيخ على يوسف حكم بتبرئته من التهمتين المنسوبتين اليه . وقد اهتم المصريون جميعاً بهذه القضية وكان لها دوى عظيم وكانت الجموع الحاشدة تشهد الجلسات .

وقد كتبت المؤيد فى ١٧ أغسطس بهذا الشأن ما يأتى : « رأى الانكليز أن جريدة المؤيد تحارب الاحتلال بسلاح الحقيقة الساطعة ، فاضطهدوها وساقوا مديرها للمحاكمة بحجة أنه ساعد على إذاعة تلغراف رسمى بنشره فى جريدته . وقد أحدثت هذه القضية فى مصر تأثيراً كبيراً وقد برأت المحكمة الجزئية صاحب المؤيد فلم يرض الانجليز ذلك ، فاستأنفوا الحكم فبرىء أيضاً فقاموا وقعدوا لذلك وكانت النتيجة أنهم عينوا ثلاثة قضاة من الانجليز بمحكمة الاستئناف ليزداد عددهم ويكون الحكم على أعداء الاحتلال أمراً سهلا هيناً . هذا وسوف نعود الى الكلام عن حادث حملة دنقلة وجميع ما تعلق بعملية استرداد السودان فى فصل قادم . »

سفر الخديو الى أوربا . فى ٩ أغسطس نزل الخديو من قصر المنتزه الى سراى رأس التين استعداداً للسفر إلى أوربا بصفة غير رسمية ، وقد عين رئيس النظار مصطفى فهمى باشا قائمقام خديو ، وبعد تناول العشاء فى السراى نزل إلى اليخت « المحروسة » حيث كانت هناك دولة الحرم ؛ وفى الصباح أقلع اليخت إلى تريستا

واصطحب سموه معه حسن عاصم باشا ورولييه بك والدكتور كاوتسكى بك ، وحسين محرم بك وغيرهم .

وفى ١٤ أغسطس وصلت برقية للسراى بوصول الخديو إلى تريستا وأن اليخت سيعود مقلا الحرم الى مصر . ففى ٢١ منه عادت المحروسة تقل الحرم ؛ وفى معيتها دومرتينو باشا ناظر الدائرة الخاصة الخديوية وبقية حاشيتها .

وفى ١٥ منه وردت برقية بأن سموه سافر الى فينا ، ومنها الى أنسبروك ؛ وأفادت أخبار اليوم التالى أن سموه بارحها الى زوريخ . وفى ١٨ منه بارحها الى كورا وبقى بها الى صباح ٢٠ منه ثم قصد الى تسلق الجبال الشاهقة حتى وصل الى آكام ارتفاعها ٤٠٤٦ متراً عن سطح البحر ؛ وبعد نزوله اتخذ ومن معيته الطريق الى أندرمات حيث وصلها فى ٢٢ أغسطس وأرسل برقية يسأل عن الحالة الصحية العامة وحالة الجيش وقد بعثنا الرد لسموه ، بأن وطأة الوباء قد خفت ، وأن حالة الجيش على مايرام .

وفى ٢٥ منه بارح سموه أندرمات خفية يصحبه رجال الحاشية على عربة ذات خمس خيول فمر ببلدة فوركة ، وشاهد « ثلوج الرون » . وفى ٢٦ منه بارحها الى بريج واستقل القطار الى « فرنايا » . وفى ٢٧ منه بارحها الى « سان مورتس » ومنها الى إفيان الحمامات ومكث بها حتى يوم ٥ سبتمبر . وفى ٦ منه سافر الى ليون بفرنسا وبقى بها حتى يوم ٨ منه ثم برحها الى أورليان فوصلها يوم ٩ منه ، ومنها أرسل برقية يسأل عن الحالة الصحية وعن حالة الجيش وعن فيضان النيل ، وقد أجابه رئيس النظار بما طمأنه . وبعد أن تجول فى جهاتها وغيرها لترويح النفس قام الى تريستا ومنها الى جزيرة « زانتى » لاستقبال الحرم التى بارحت الاسكندرية على المحروسة فى ٢٤ منه .

وقد وردت الأنباء بقيام الخديو قاصداً إلى الاسكندرية .

وفى أول أكتوبر وصل الخديو وكان استقبالا حافلا كالذى عهدناه فى الرحلات الماضية .

وقد بقى سموه بها حتى يوم ٣١ أكتوبر ثم عاد الى القاهرة .

السينما فى مصر . فى ٢٨ يناير افتتح السينما لأول مرة فى مصر فى « حمام شنيدر » بالقرب من لوكاندة شبرد ، وأطلق عليه اسم « الفوتوغراف المتحرك » ومخترعه المسيو لوميير من ليون ، وجعلت أجرة الدخول خمسة قروش للكبار ، وقرشين للصغار ، وعرضت بها جملة مناظر لا بأس بها .

الأب هياسنت لوازون . هذا الأب حبر كاثوليكى فرنسى ، خلع ثوب الكهنوت واعتنق مذهباً جديداً ورأى أن يتخذ الأقطار الشرقية ميداناً لنشر أفكاره ، فجاء الى مصر حاملا إلىّ من صديقى المسيو مزمر رسالة هذه ترجمتها :

« يسرنى أن أقدم إليك حامل رسالتى هذه ، الأب هياسنت لوازون راجياً أن تبذل جهدك فى مساعدته ، وتمهيد السبيل له إلى تأدية مهمته فى مصر على وجه يؤدى الى الفائدة المرجوة منها ، فهو ينوى إلقاء محاضرات فى مصر والاسكندرية فى موضوعات سبق أن عالجها فى باريس نفسها ، على منوال بديع لفت الأذهان وكان لها صدى فى الجزائر وتونس ، وفى العالم الاسلامى أجمع ، وحبذا لو مهدتم له السبيل إلى التشرف بمقابلة الخديو ، وعلى كل حال فانك تقلدنى جميلا بمساعدتك له ، وإسداء كل ما تستطيع إسداءه إليه من العون . . . . »

ثم كتب إلىّ رسالة أخرى فيها : « إن الحملة التى قام بها الرجل تعزيزاً لمقام الاسلام ، من شأنها أن تدفع بجميع المسلمين الى الأخذ بناصره ، فانه ليس لمصر ولا لتركيا والهند أن تعلق أقل رجاء على السياسة ، فمستقبل هذه الأقطار الثلاثة يتوقف على الدين وهو وحده كفيل بأن يحررها ، ويؤدى بها إلى عهد إصلاح جديد يدهش العالم . »

ثم تلقيت من الأب لوازون رسالة ينبئنى فيها بوصوله إلى مصر ، فدعوته وزوجته الى الاقامة فى منزلى مدة إقامته فى القاهرة ، ثم سافرا إلى الصعيد وسحرتهما مناظره ، فكتب الى بالشكر ، وتطرق الى وصف محاسن البلاد فقال عنها : « إنها أبو الهول . وإن التمدن الحديث لم ينزع منها سرها القديم . » الى أن قال : « وهذا السر ، سر الماضى لا يصرف أفكارى عن سر المستقبل ، فما هو مصير مصر ؟ يقول أحد رجال إيطاليا : (الاستقلال للشعوب كالحصانة للمرأة ، ومن العبث أن تستمسك هذه الشعوب بفضائل ومزايا أخرى ، إن لم تكن هذه المزية التى لا يصلح شىء ولا يدوم بدونها .)

على أن السياسة ليست من الشئون التى سأجعلها موضعاً للبحث فى محاضرتى ، فسأبحث فى المسألة الدينية ، لأنها داخلة فى نطاق اختصاصى ، ولأنى أعتقد مثل صديقك مزمر أن الفائدة التى ترجوها الشعوب الاسلامية ، لا تأتيها عن طريق السياسة ، بل عن طريق الدين ، ولا بد من تعريف الاسلام للنصرانية كما يجب تعريف الاسلام لنفسه . فاذا ما أولانى الله المقدرة فى المحاضرة التى سألقيها فى القاهرة فلن تكون المحاضرة عديمة الجدوى ، وإنى أعتمد عليك فى ذلك . . . »

وقد حضر الى القاهرة بعد ذلك لالقاء محاضرته فى دار الأوبرا الخديوية يوم ٢ فبراير وعملت كل ما أستطيع لحضور أكبر عدد ممكن لسماعها ، وكان فى مقدمة الحاضرين الخديو وشقيقه البرنس محمد على باشا وغيره من البرنسات والنظار وكبار الوطنيين والأجانب .

وكان فحوى محاضرته الدعوة للتوفيق بين الأديان ، وبعبارة أصح فى دعوة الشعوب والطوائف الى التفاهم ، تاركا السياسة وأساليبها لأن السياسة خالية من معنى العظمة والذكاء . ومما قاله : « إننى أحاول أن أزيل كل أثر لسوء التفاهم بين الاسلام والنصرانية ، لأنى أعتقد أنهما لا يستطيعان الاستغناء عن بعضهما ، والذين يحاولون الفصل بينهما وتوسيع شقة الخلاف بين أعوانهما ليسوا بأكثر جهلا من الذين يحاولون المزج بينهما وجعلهما مذهباً واحداً ، فان الغرض الذى يجب أن توجه اليه الأفكار هو أن يوفق بين المذهبين على أسلوب يجعلهما أداة نافعة لحضارة المستقبل . »

وقد لاقى الخطيب استحساناً كثيراً من السامعين الذين تمنوا أن تثمر دعوته . وسافر الأب الى الاسكندرية يوم ٢٧ فبراير وهناك ألقى محاضرة أخرى . وفى ١١ مارس غادر القطر الى بلاد فارس ؛ وكان يوافينى بأخباره بها . وبعد أن أتم رحلته عاد الى باريس .

ندب المؤلف لحضور امتحان مدرسة القبة . فى أول يونيو ندبنى الخديو لحضور امتحان مدرسة القبة التى أنشئت منذ عامين ، وعهد إلىّ سموه بادارتها واختيار أساتذتها ، ووضع برامجها لتعليم أبناء سكان « العزبة المتمدنة » التى أنشأها سموه بجانب محطة كوبرى القبة ؛ فسافرت الى القاهرة بناء على هذا الأمر وجرى الامتحان فى حفل عظيم حضره جمهور كبير من العظماء ورجال التعليم ، من بينهم أمين فكرى باشا ناظر الدائرة السنية ، واحمد السيوفى باشا ، والشيخ محمد عبده ، وحسين بك رشدى ، وصابر صبرى بك ، وغيرهم من الأساتذة ومكاتبى الصحف العربية والأفرنجية .

وقد ألقيت خطبة على الحاضرين أبنت فيها مزايا الطريقة التى قررت حسب الحاجة المحلية لسكان هذه الجهة وأمثالها .

وقد جرى الامتحان بنجاح وكتبت الصحف بين عربية وفرنسية عن الحفلة

وعن المدرسة ؛ ومما قالته جريدة الأهرام :

« . . . . إن الكل أجابوا إجابة حسنة على كل ما ألقى عليهم من أسئلة التفسير للقرآن الشريف والعلوم العربية والرياضية والحسابية والهندسية والمساحية وغيرها ، مما جعل الحضور فى سرور عظيم لأنهم رأوا كيف تكون أهلية الوطنى المجتهد فى إدارة عمل عظيم كهذه المدرسة وما تكون نتائج اجتهاده وسهره طبقاً لرغبات أمير القطر العزيز . وإننا لا نرى بداً من إيفاء عزتلو الفاضل شفيق بك حقه من الثناء المعلن على صفحات هذه الجريدة لجميع قرائها ولسنا بهذا الثناء الا مشتركين مع جميع الذين حضروا حفلة الامتحان أمس فى العزبة المتمدنة ، أدام الله ولى النعم العزيز »



أمين فكرى باشا

وكتبت جريدة المؤيد عن ذلك بمعنى ما تقدم .



احمد السيوفى باشا



صابر صبرى باشا

وكانت المواد التى تدرس بهذه المدرسة هى :

معرفة القبانى والموازين بالعمل
معرفة المعاملة مع الصراف
} فى الحساب

إعطاء موضوعات إنشائية فى تحرير العقود كالبيع والشراء والايجارات وفى العرضحالات أيضاً وتدريس القانون الادارى ؛ وكان يقوم بهذين الفرعين الشيخ محمد عبده .

تعليم سورة الفدان وكان يقوم بتعليمها صابر بك صبرى

إعطاء الحساب العقلى وكان يقوم باعطائه حسين رشدى بك .

إعطاء مبادىء التاريخ الطبيعى وقانون الصحة وقد تكفل باعطائهما الدكتور صالح بك صبحى .

قضية صندوق الدين . لما أرادت الحكومة المصرية فتح دنقلة سيرت اليها حملة سنأتى على تفاصيل أنبائها فى سنة ١٨٩٩ ؛ وقد اقتضت هذه الحملة نفقات لم يوجد منها شىء بخزانة المالية المصرية ، فأخذت فى ٢٦ مارس المبالغ اللازمة من مخصصات صندوق الدين ؛ وبعد انتهاء الحملة قام بعد أعضائه يطالبون الحكومة برد هذا المبلغ إلى الصندوق وقيمته نصف مليون جنيه ، فلم تدفعه لعدم وجود المال فرفعوا قضية أمام المحاكم المختلطة يطلبون فيها رد المبلغ إلى الصندوق ، ونظرت القضية فى عدة جلسات خلال شهر نوفمبر ثم انتهت بالحكم فيها نهائياً فى ٦ ديسمبر لصالح صندوق الدين . ولما كانت المالية المصرية لا تستطيع السداد ، فقد قدمت لها الحكومة الانجليزية قرضاً بهذا المبلغ .

وبمناسبة هذه القضية وصلتنى رسالة فى ٢٢ نوفمبر من المسيو بوكار عن المناقشة التى جرت بشأن مصر فى مجلس النواب الفرنسى نلخصها فيما يلى : « يقول المسيو هوبار وزير الخارجية بأنه لم يكن فى الاستطاعة أن نحول دون مواصلة هذه الحملة إلى هدفها ، ورأينا أنفسنا فى هذا الوقت نفسه أمام دعوى مقامة من جانب حملة سندات الدين المصرى وقد حكمت محكمة ابتدائية لمصلحتهم معترفة بالحقوق التى كانوا يدعونها ، ولا تزال هذه الدعوى مطروحة للبحث فى محكمة الاستئناف المختلطة بالاسكندرية فعلينا إذاً أن ننتظر حكم هذه المحكمة لنتخذ لنا خطة يبينها هذا الحكم . » ويضيف على ذلك قوله : « إننا لا نتبسط فى الكلام عن سياستنا الخارجية وأنا لا أرى فائدة فى هذا

التبسط ، ولست أدرى كيف أنه بدلا من أن نسأل عن الوقائع والأعمال الراهنة ، بصرف النظر عن النتائج الحاصلة ، لا يطلب منا إلا تأدية الحساب عما لم نعمله بعد ، فأنا لا أتمكن من الاجابة على الأسئلة التى توجه إلىّ من هذا القبيل ، ولا أعتقد بأن وزيراً آخر غيرى بيده وزارة الخارجية ليستطيع ذلك .

أما مطالب فرنسا المشروعة فيما يتعلق بالمسألة المصرية ، فما من واحد منا يفكر فى إخراجها من الحساب فنحن كنا ولا نزال على اتفاق تام مع الرأى العام على التمسك بهذه المطالب والمطالبة بتنفيذ العهود المقطوعة ؛ ولا يخفى أن فرنسا انفردت منذ البدء فى المطالبة بتنفيذ هذه العهود . وأما الآن فانها لم تعد ترى نفسها معزولة منفردة فى طلبها هذا ؛ والمأمول أن قضية ، نظير القضية التى نحن فى صددها لها صلة بمصالح الدول جميعا ، لن يطول بها الزمن حتى تصبح موضعاً لاهتمام الجميع ، حتى أشد الناس مراسا وأنا أصرح بأن القضية تقدمت خطوات واسعة فى هذا السبيل ؛ وإذا كان من الواجب ألا تفقد السياسة توازنها فلا يخشى والحالة هذه أن تنسى نفسها وتحل بالمهام المنوطة بها .»

سنة ١٨٩٧

نداء مصطفى كامل للشعب الألمانى . الخديو فى الصحف الأمريكية . ردم الخليج المصرى . الحرب التركية اليونانية ومساعدات مصر للدولة العلية . ترقيم منازل القاهرة . وضع الحجر الأساسى لدار الآثار العباسى فى مصيف . مصطفى كامل فى ميدان الجهاد . مقتل وطنى بيد جندى انجليزى . افتتاح أول خط ترام بالاسكندرية . زيارة ملك سيام لمصر . قضية الطعن على الخديو . شئون مختلفة .

نداء مصطفى كامل للشعب الألمانى . أرسل مصطفى كامل ، فى ٢٧ يناير ، بمناسبة عيد ميلاد الأمبراطور غليوم الثانى ، دعوة للأمة الألمانية نشرتها جريدة «برلينر تاجبلاط» ، ومما جاء فيها : «إنى أتقدم للأمة الألمانية فى هذا اليوم التاريخى الذى تحتفل فيه بالعيد السعيد لتذكار جلالة الأمبراطور غليوم ، سائلا إياها معونة بلادى ومساعدة وطنى المنكود .

وإنى أعلم علم اليقين أنه لكى تجرى أمة من الأمم فى سبيل سياسى يجب انقضاء زمن طويل والقيام بعمل عظيم ، ولكنى أعلم أيضاً أن الحقيقة لو كانت معلنة على لسان رجل واحد تكفى وحدها للتأثير على الضمائر والأفكار ، ولا شىء يشجع النفوس الميالة للحرية مثل ميل الأمم الحرة الى نشر الحرية بين سائر بنى الانسان ؛ وإنا نعلم جيداً أن الأمة الألمانية لا تستطيع مطلقاً إلا المناداة بحرية مصر والمساعدة على الوصول إليها .»

ولما سافر مصطفى كامل الى ألمانيا بعد ذلك بقليل ، احتفت به الصحافة الألمانية حين وصوله الى برلين فى ٥ أبريل .

الخديو فى الصحف الأمريكية . فى ٣١ يناير قرأنا للمستر بنفليد — قنصل جنرال أمريكا فى مصر — كلمة فى صحيفة «ليوث كومبنيون» الأمريكية عن الخديو ذكر فيها تاريخ

حياته وتعليمه ، وما كان يبدو على سموه من الذكاء والنشاط والجاذبية وميله إلى الفنون العسكرية ، وزيارته لعواصم أوربا ثم قال : « وللجناب العالى فى معرفة اللغات ، اقتدار يدهش الأمريكيين الذين يحسبون أن علم أمراء الشرق ليس إلا زينة وتصنعاً ، فيحدث غالباً فى أيام مقابلاته أن يحادث زائره بسهولة تامة باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ، ثم يكلمه المعتمد العثمانى باللغة التركية ، وبعد هذا يرأس مجلس النظار حيث يبحثون فى أدق المسائل باللغة العربية المعروفة بأنها أصعب لغات العالم ؛ وفى مساء اليوم نفسه يزور سموه الأوبرا فيشهد التمثيل باللغة الايطالية . والأمير معروف بالحلم ورقة الجانب وحب العدل والانصاف شديد المحافظة على تنفيذ قوانين البلاد ؛ ومع أنه لا يميل الى الأبهة والمظاهر ، فهو لا يرضى ألا ينال نصيبه من الاحترام اللائق بمقامه السامى . »



المستر بنفيلد

ثم استطرد بذكر بعض أشياء خاصة عن الخديو وأنه لا يدخن ولا يذوق المسكرات ، إطاعة لأوامر القرآن ورغبة منه فى أن يكون مثالا صالحاً لشعبه .

ردم الخليج المصرى . فى أول فبراير صدر الأمر العالى بردم الخليج المصرى وجعله طريقاً عمومياً وذلك مراعاة للصحة العامة أولا ؛ وثانياً لأن شركة الترام تعهدت بردمه ومد خط الترام فيه .

الحرب التركية اليونانية ومساعدات مصر للدولة العلية . منذ أوائل مارس بدأت تقع حوادث عدائية بين اليونان وتركيا فى جزيرة كريد ففكر كثير من أكابر المصريين فى جمع إعانة مالية بواسطة الاكتتاب ، وإرسالها للدولة مدفوعين بعاطفتهم نحوها .

فى ١١ مارس قدم إلى السراى وفد يمثل اللجان الفرعية التى تكونت لهذا الغرض ، وأعضاؤه قره جوللى بك الرئيس ، ومحرم بك حتى أبو جبل ، وعثمان بك عبد الحميد ، وقابلوا الخديو وعرضوا عليه التماساً بأن تكون أعمال الاكتتاب تحت رعايته ، فقبل سموه ذلك وشكرهم على مجهودهم .

وكان الكثيرون يترددون قبل ذلك فى الاشتراك فى هذا العمل فلما قبل سموه رعاية هذا الاكتتاب ، ازداد المشتركون فيه ، حتى جمعت مبالغ كبيرة فى مدة وجيزة .

وتقدمت هذه الحركة بسرعة ، ولا سيما حينما قام مصطفى رياض باشا فأسس لجنة برياسته وعضوية ثابت باشا وحيدر باشا وعمر لطفى باشا وعثمان ماهر باشا ومحمد راتب باشا وإدريس راغب بك ، وبليغ باشا وابراهيم هلباوى بك ، واسماعيل باشا محمد ، واسماعيل صفوت باشا ، وخليل عفت باشا ، وعلى آصف باشا ، ويعقوب صبرى بك ، واحمد السيوفى باشا ، وحسن مدكور بك .



حسن مدكور بك

وفى ١٦ منه وفد على السراى رياض باشا يصحبه الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر ، وبعض أعضاء اللجنة . فقابلوا الخديو وأبلغوا سموه ما تم فى تشكيل اللجنة المذكورة والتبرعات التى جمعت حتى اليوم ، ورجوه أن يشمل هذا المشروع بالتفاته السامى ، فشكر لهم سموه عواطفهم ، ثم انصرفوا على أن يقابلوا البرنسات ويطلبوا معونتهم فى مهمتهم .

وفى اليوم التالى أرسلت الخاصة ألفين وخمسمائة جنيه للاعانة العسكرية التركية ، وعلى أثر ذلك تبرع أفراد الأسرة الخديوية بمبالغ كبيرة وحذا حذوهم سائر رجال المعية .

وتألفت عدة لجان أخرى من الشبان ، وكريمات السيدات اللواتى رجون حرم رياض باشا قبول رياسة لجنتهن فقبلتها . وأخذت فى جمع الاكتتابات ، وفكرت اللجنة العامة فى أن الكثيرين من الفقراء قد يريدون التبرع فيمنعهم الحياء من دفع مبالغ صغيرة ، فوضعت صناديق مقفلة فى المساجد وفى بعض المحال التجارية ، ليضع فيها كل من شاء ، ما تجود به نفسه تسهيلا لاشتراك الجميع .

وظلت أخبار المناوشات بين الدولة واليونان ترد إلينا تباعا وفى ١٨ أبريل ، ورد على السراى من الباب العالى أن الحرب أعلنت رسمياً بين تركيا واليونان ، وذلك

بعد أن حشدت كلتا الدولتين جيوشها على الحدود ، وتدخلت الدول الأوربية لحسم النزاع ، ولكن اليونانيين اخترقوا الحدود واعتدوا على الجيش العثمانى ، فاضطر لاعلان الحرب رسمياً .

وعلى أثر ذلك زادت حركة التبرعات فى مصر ، وبلغ ما جمع نحو خمسين ألف جنيه . وتقدم بعض ضباط الجيش المصرى المتقاعدين للغازى مختار باشا ملتمسين قبول تطوعهم فى الجيش العثمانى . كما تطوع كثيرون من الشبان المصريين والأطباء فى الجيش .

وفى ٢٠ أبريل وردت إشارة رسمية من الباب العالى بالتنبيه على الرعايا اليونانيين فى مصر بتصفية مصالحهم والرحيل من القطر المصرى ، وإلا اعتبروا من الرعايا العثمانيين . ولكن تقرر بعد المداولة بين الخديو ورجال المعية والنظار أن يخير الرعايا اليونانيون بين البقاء بصفتهم من الرعايا العثمانيين أو الاحتماء بعلم من أعلام الدول الأخرى كانجلترا أو فرنسا أو الروسيا ، مدة الحرب . ولما أبلغ هذا القرار اليهم اختاروا أن يستظلوا بالحمايات الأجنبية ، وقد زار اللورد كرومر الخديو وأبلغه ما قر عليه رأى الجالية اليونانية .

وفى ٢٢ أبريل أنشئت جمعية باسم جمعية الهلال الأحمر أسسها البنك العثمانى لجمع اكتتابات تنشأ بها مستشفيات خصوصية تقوم بتمريض جرحى الجيش العثمانى . وقد لقيت الفكرة تعضيداً كبيراً من رجال المعية ، وعرض مدير البنك على الخديو قبول هذا المشروع تحت رعايته فقبله بارتياح ، وتولى الغازى مختار باشا الرياسة الفعلية ، كما قبلت الحكومة المصرية الاشتراك فيه بصفة رسمية .

وفى ٢٦ أبريل أبرق الصدر الأعظم الى الخديو يبشره بانتصار الجيش التركى بقيادة أدهم باشا على الجيش اليونانى ، واحتلال قاعدته الحربية مدينة « لاريسيا » ، ولما جاءت هذه البرقية شمل السرور جميع رجال المعية ، وأمر الخديو بالرد معربا عن سروره بأنباء الانتصار ، وتهنئة الباب العالى على ذلك ورفع دعواته الى الجناب الشاهانى .

وقد رد جلالة السلطان شخصياً على الخديو ، يشكره على إخلاصه ، وأن جلالته أمر كاتب سره أن يوافى الخديو أولا فأولا بأخبار الحركات العسكرية والوقائع الحربية بين الجيش العثمانى وجيش الأعداء .

وقد وردت على السراى كثير من برقيات التهنئة ، التى بعث بها الأهالى من مختلف الطبقات والجهات .

وغادرت سفينة مصرية مياه الاسكندرية فى أوائل مايو الى جزيرة طشيوز وقولة وعليها مائة جندى مصرى مع ضباطهم لحراستها . وهاتان الجزيرتان من أملاك مصر رغم وقوعهما بين الأملاك العثمانية ، وهما من الأمكنة الموقوفة من عهد محمد على الكبير . ولكن اليونانيين اعتقلوا هذه الباخرة ، ونقلوا الضباط والجنود الى أثينا كأسرى حرب . فدارت المفاوضات بين الحكومتين المصرية واليونانية حول هذا الموضوع وانتهى الأمر باطلاق سراح السفينة ومن فيها . وكانت قد عقدت الهدنة بين الدولتين المتحاربتين فى انتظار حل المشكل بتدخل دول أوربا(*) .

وأقيم فى الاستانة معرض خصص دخله لمساعدة منكوبى الحرب ، فأمر الخديو باشتراك مصر فيه وأرسلت بعض مصنوعات مدرسة الفنون والصنايع لتعرض وتباع . وكذلك اشترك غير واحد من البرنسات وكذلك البرنسيس نعمت الله هانم شقيقة الخديو ، ودولة الوالدة . ووردت برقية من الاستانة باعلان رضاء السلطان عن هذه العواطف نحو الدولة .



دولة الوالدة أمينه هانم

ولقد ظهر شعور المصريين جليا فى يوم الاحتفال بعيد الجلوس السلطانى (٣١ أغسطس) ويوم عيد ميلاد الخديو (٢٧ أكتوبر) وكانت الظاهرة الجديدة التى امتاز بها هذان الاحتفالان فى جميع أنحاء القطر هى رفع

(*) استمرت هذه المفاوضات ثلاثة أشهر وانتهت بابرام الصلح فى يوم ١٩ سبتمبر ووردت على السراى برقية رسمية بذلك .

الأعلام العثمانية على السرادقات والدور ومحال التجارة ، فضلا عن فخامة الزينات التى أقيمت . وقد أثار ذلك حنق الصحف الانجليزية المحلية والصحف المناصرة للانجليز ، فقامت بحملة قوامها أن السراى ورجال المعية يتدخلون فى شأن هذه الاحتفالات ، ويشجعون إقامتها ورفع الأعلام العثمانية بها ، حتى يفهم الأهالى أنها أوامر تلقى إليهم من السراى .

والحقيقة التى يمكن تقريرها أن أحداً من رجال المعية لم يكن يتدخل فى أمر هذه الاحتفالات بالصورة التى زعمتها هذه الصحف .

ترقيم منازل القاهرة . تسهيلا لعملية التعداد التى صدر الأمر باجرائها ، صدر أمر خديوى فى ٢٧ مارس بترقيم منازل القاهرة ، وكان هذا أول العهد بترقيم المنازل .

وضع الحجر الأساسى لبناء دار الآثار . تقرر أن يكون يوم أول ابريل موعد الاحتفال بوضع الحجر الأساسى لبناء المتحف بقصر النيل ، ووزعت أوراق الدعوة لشهود هذا الاحتفال .

وكان الاحتفال فخما جامعا ، ونحرت ست جاموسات ، منها اثنتان نحرتا عند تشريف الخديو ، ووزعت لحومها جميعاً على الفقراء . وبعد أن وضع الحجر بالمونة وضربه الخديو بالمطرقة وقع محضر الاحتفال الذى قدمه إليه ناظر الأشغال وقد كتب هذا المحضر على ورق خاص ، ورسم على حاشيتيه اليسرى واليمنى عاموادان مكتوب فيهما أسماء أشهر علماء التاريخ المصرى القديم الذين تجشموا المشاق فى طريق تحصيل هذا العلم الجليل . وكان على رأس العامودين اسما شامبليون وماريت باشا ويليهما فى العامودين العلماء الآخرون ؛ وهذان العامودان يقومان على قاعدة مكتوب عليها بخط كبير أسماء الجهات التى تنقل بينها هذا المتحف وهى بولاق — الجيزة — قصر النيل .

وتقوم فوق العامودين قاعدة متقنة مزينة ، ومحلاة بأغصان من شجر الغار تذكاراً لمجد علماء التاريخ المصرى القديم ؛ وهذا نص المحضر الرسمى : «فى اليوم الأول من شهر أبريل سنة ١٨٩٧ وهو يوم الخميس المبارك الموافق ٢٩ شوال سنة ١٣١٤ وضع سموخديو مصر عباس حلمى الثانى الحجر الأول فى أساس متحف الآثار التاريخية المصرية ؛ وحضر الاحتفال بذلك أصحاب السعادة مصطفى فهمى باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية وحسين فخرى باشا ناظر الأشغال والمعارف وبطرس غالى باشا

ناظر الخارجية واحمد مظلوم باشا ناظر المالية وابراهيم فؤاد باشا ناظر الحقانية ومحمد عبانى باشا ناظر الحربية . وبعد الانتهاء عاد الخديو ومن بمعيته إلى سراى عابدين .

عباس فى مصيفه . فى ٨ مايو بارح الخديو ورجال المعية القاهرة إلى الاسكندرية لقضاء فصل الصيف بها .

مصطفى كامل فى ميدان الجهاد . فى ٣٠ يونيو ألقى مصطفى كامل خطبة شائقة بالاسكندرية وفى ٨ منه وضع قرار احتجاج هذا نصه :

« المصريون المجتمعون فى ٨ يونيو بمدينة الاسكندرية لاظهار أمانيهم ورغائبهم يحتجون ضد الاحتلال الانجليزى أشد احتجاج ويحققون للنزلاء الأوربيين أنهم لا يريدون لهم سوءاً ولا يرغبون إلا أن يعيشوا معهم بسلام ، ويسألون جلالة السلطان الأعظم أن يطلب من دول أوربا الاتفاق مع جلالته فى حل المسألة المصرية وتحقيق حرية مصر إلى الأبد . »

وفى ٢٤ يونيو سافر مصطفى كامل إلى الاستانة ومنها إلى بودابست ففينا وباريس وعاد إلى مصر فى ١٠ اكتوبر .

وفى ٦ ديسمبر تلقى مصطفى كامل خطاباً من أحد أصدقائه فى باريس نثبت منه هذه الفقرات : « ولكن على المصريين واجبات إذا قاموا بها نالوا بغيتهم وهى واجبات ثلاثة :

أولها — اتحادهم كل الاتحاد حول أريكة سمو العباس وإعلان العدوان لكل طاعن فى سموه فان فى القضاء على السلطة الخديوية القضاء الأبدى على حقوق الأمة المصرية .

وخديويكم أجدر أمراء مصر بالحب والاجلال ولا سيما وأنه مكروه من الانجليز وهم لا يبغضونه إلا لأنه محبوب منكم .

ثانيها — تعزيز مركز الخديو المعظم فى الاستانة فان جلالة السلطان صاحب الصوت الأول بين دول أوربا فى مسألة مصر ولا بد له من أن يأخذ بالثأر فى مسألة بلادكم التى خدعه الانجليز فيها أكبر خداع فيجب عليكم أن تكونوا على تمام الصفاء والوفاء فى علاقاتكم مع جلالة السلطان ، وإنى أعلم أن هنالك دسائس عديدة تدس ضدكم وضد سمو أميركم ولكنى أعتقد أنه يسهل عليكم أن تبددوا هذه الدسائس وتحافظوا على ميل الخليفة لكم .

ثالثها — جعل الرأى العام الأوربى واقفاً على الدوام على أحوالكم فان ممالك أوربا اليوم مسيرة بحركة الرأى العام ، وطالما رأينا الحكومات مشتغلة بمسائل مهمة فتتركها بالرغم عنها للاشتغال بمسائل أخرى تثيرها الجرائد والرأى العام ، وتتناقش فيها المجالس النيابية ؛ فان كانت مسألة مصر فى الجرائد والمنتديات وكنتم دائماً على مسرح السياسة الأوربية قائمين بابطال الاشاعات والأراجيف الانجليزية ، فانكم تنشئون لمسألتكم أهمية كبرى ويزداد أنصارها كل يوم وتتوالى الضربات عندئذ على هذه الصخرة الاحتلالية الضخمة . »

مقتل وطنى بيد جندى انجليزى . فى ١٧ يوليو حيث كانت الساعة الرابعة والنصف مساء ، بينما كنت أطل صدفة من نافذة غرفتى بسراى رأس التين ، وهى واقعة مقابل المعسكر الانجليزى ، سمعت صوت طلق نارى من المعسكر أصاب شاباً وطنياً من الرعاة أرداه صريعا ، وقد كان لهذا المنظر روعة فى نفسى .

وقد جرى بعض خدم السراى ، وبعض الرعاة الآخرين لاسعاف المصاب ؛ ولكنه فارق الحياة .

وظهر أن الذى أطلق عليه هذه الرصاصة جندى انجليزى من نافذة المعسكر ؛ وقد قدم هذا الجندى للمحاكمة بعد ذلك أمام المحكمة القنصلية ، فقرر أنه أطلق الرصاص حقيقة ، ولكن على سبيل المزاح والفكاهة مع هذا الشاب ولم يكن يعتقد أنه سيصيبه ؛ وبالرغم من هذا الاعتراف الصريح بالقتل وشهادة الشهود ومن بينهم خادم انجليزى ملحق بحاشية الخديو ؛ فقد برأته المحكمة القنصلية ! .

وكان لهذا التصرف رنة استياء عامة فى الأمة ، لأن المداعبة بالرصاص إن دلت على شىء فانما تدل على استخفاف المحتلين بأرواح المصريين ؛ أما الحكم بالبراءة فى مثل هذه الظروف فهو دليل آخر على أن الجهات الانجليزية الرسمية لا تقيم لأرواح المصريين وزناً .

وقد زار السراى وفد من أعيان الاسكندرية ، وقابلوا الجناب العالى وأفضوا اليه باستيائهم من هذه الحادثة معربين بذلك عن عواطف الوطنيين جميعا ، وقالوا : « إن انتهاء المسألة بلا تحقيق جدى عادل ، وعدم وضع حد لهذه الحوادث يؤدى إلى الشك فى العدالة ، و لايساعد على حفظ الأمن العام . »

فطيب الخديو خواطرهم ووعدهم بالنظر فى الموضوع مع نظاره ، ولما كانت المبادىء القانونية تقضى بألا يحاكم المتهم مرتين على تهمة واحدة ، فلم يكن فى الامكان عمل شىء إلا رفع دعوى بالتعويض المدنى ؛ وقد رفعتها والدة القتيل لدى المحاكم المختلطة تطالب فيها بتعويض مالى عن فقد ابنها وعائلها .

وبالرغم من هذا كله ، فقد أخذت الصحف الانجليزية تعلق على هذا التصرف القانونى المتواضع ، بأنه من صنع رجال المعية ، وتنسب اليهم تحريض الاسكندريين على تقديم شكواهم للخديو ، وأنهم ينفثون سموم التعصب ضد الأجانب !!

افتتاح أول خط ترام بالاسكندرية . فى ١١ سبتمبر احتفل بافتتاح أول خط للترام بالاسكندرية فاجتمع جمهور عظيم من الناس فى شارع المنشية الصغرى مبدأ الخط الكهربائى ، وأوقفت خمس عربات كهربائية لحمل المدعوين ، وأعدت عربة مكللة بالأزهار لركوب الخديو .

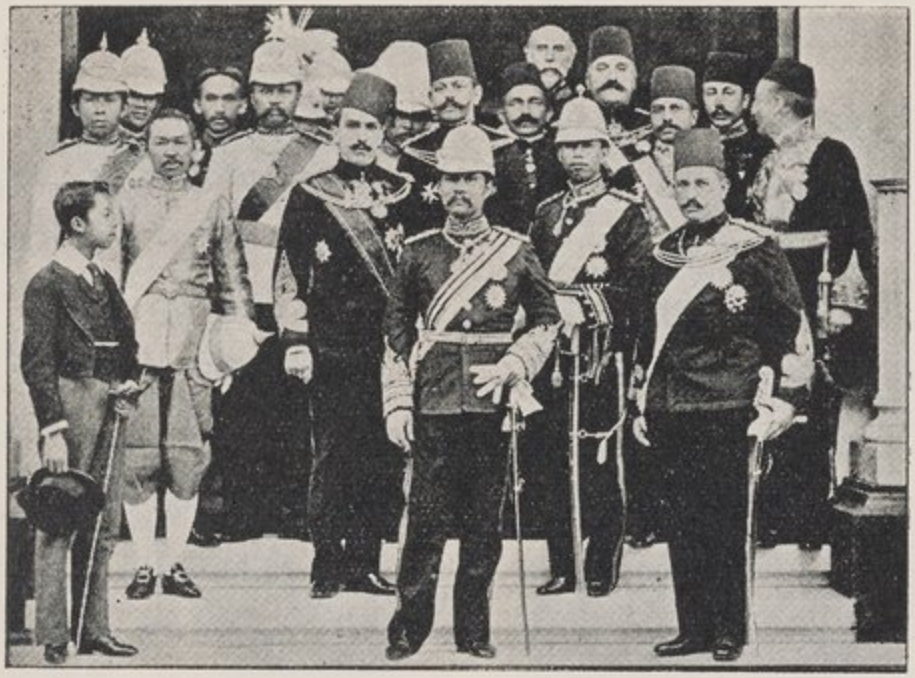
وفى الساعة الخامسة حضر سموه فنزل وحيا مستقبليه وكان قد سبق سموه الغازى احمد مختار باشا وكبار رجال المعية وحضرات النظار ؛ وبعد ذلك ركب الخديو العربة المعدة له وسارت وتلتها بقية العربات تقل المدعوين إلى أن وصلنا إلى المكس ؛ ثم عدنا بها إلى المخزن العام بكرموز حيث افتتح سمو الخديو المأدبة التى أقيمت هناك ؛ وبعد ذلك عاد مع حاشيته إلى المنتزه .

زيارة ملك سيام للخديو . منذ أيام صدرت الأوامر العالية بتهيئة جناح من سراى عابدين لنزول ملك سيام الذى سيفد ضيفاً على الخديو لمدة بضعة أيام . وفى ٦ نوفمبر وافتنا الأنباء البرقية من الاسكندرية بوصول الملك وحاشيته ، واستقباله بها بواسطة البرنس محمد على باشا نائباً عن الخديو .

وقبيل موعد وصوله لمحطة القاهرة ركب الخديو متشحاً بالملابس الرسمية لاستقباله بها ؛ وكان البرنسات والنظار وكبار رجال المعية فى الاستقبال .

ولما أقبل القطار صدحت الموسيقى بالسلام السيامى ، وكانت الأعلام العثمانية والسيامية تخفق على المحطة ؛ وأطلقت المدافع إيذاناً بالوصول . وعندئذ تقدم الخديو فصافح ضيفه ثم قدم جلالته لسموه الأمراء السياميين ، وكذلك قدم سموه له البرنسات المصريين والنظار وكبار رجال المعية ؛ وبعد ذلك ركب الخديو فى عربة وعن يمينه

جلالة الملك وركب البرنس محمد على فى عربة ثانية يرافقه ابن الملك ؛ وفى عربة ثالثة كان باقى الأمراء السياميين ومعهم عبد الحليم باشا عاصم ؛ ثم ركبت بقية الحاشية فى عربات ومع كل جماعة أحد كبار رجال المعية .



عباس وملك سيام

وسار الموكب بين جموع متراصة من المحطة الى سراى عابدين حيث نزل الملك . وهنأه الخديو بسلامة الوصول ، فشكر له حسن استقباله . وقد رفع العلم السيامى على الجناح المخصص للملك .

وفى صباح ٧ منه ارتدى الخديو الملابس الرسمية ، والحاشية أيضاً استعداداً لاستقبال الملك وحاشيته بسراى عابدين ؛ وبعد الاستقبال الرسمى ورجوع الملك الى مقره بالقصر ، أرسل رئيس أمنائه يحمل نيشان شولاسو مكلو الى سمو الخديو ، ونيشان الفيل الأبيض من الدرجة الأولى للبرنس محمد على باشا وجملة نياشين للنظار وبعض رجال المعية . وقد أنعم الخديو ببعض النياشين على حاشية الملك .

وقد عين أحمد زكى بك مهمندراً للملك مدة إقامته ؛ وبعد ذلك زار جلالته بعض الجهات الأثرية بالقاهرة ؛ وفى المساء أقيمت مأدبة خديوية لجلالته حضرها قناصل الدول .

وفى أثناء المأدبة انقطع التيار الكهربائى فجأة ، فساد الظلام ، ولكن الخدم تداركوا الأمر وبعد برهة قصيرة عاد النور(١) .

وفى ٩ منه سافر الملك وحاشيته على قطار خاص الى قنا ؛ وقد ودعه فى المحطة بالقاهرة سمو الخديو . ثم زار الأقصر واستمر فى رحلته يومين ثم عاد الى القاهرة فى ١١ نوفمبر .

وفى ١٢ منه زار وبرفقته الخديو ورجال المعية القناطر الخيرية ، وتناولوا هناك طعام الغذاء فى سرادق أعد بالحدائق . وفى ١٣ منه ذهب الى سقارة وتناول بها طعام الغذاء فى سرادق أعد لذلك بأمر الخديو .

وفى ١٥ منه انتهت مدة الضيافة فودع الملك فى محطة العاصمة كما استقبل ؛ وغادرها الى السويس لركوب الباخرة عائداً الى بلاده بعد أن أقيمت حفلة وداع شائقة لجلالته قبل سفره ؛ وكانت آخر جملة قالها الملك لسمو الخديو وهما بمحطة القاهرة : « إننى أقسم لك برءوس إخوتى وأبنائى أننى سأذكر دائماً فضلك وحفاوتك بنا ، وجميل الأمة المصرية التى تحكمها ؛ وهذا أعظم قسم لدى » . ولما وصل الى السويس بعث ببرقية شكر للخديو ورجال حكومته وكذلك بعث ببرقية شكر أخرى عند نزوله فى الباخرة .

قضية الطعن على الخديو . فى ٤ ديسمبر أصدرت محكمة جنح السيدة زينب حكما فى قضية عيب فى الذات الخديوية (٢) .

وتتلخص وقائع هذه القضية فى أن شخصاً اسمه أحمد فؤاد (٣) طبع قصيدة كلها طعن بذىء فى الذات الخديوية ، ووزعها على الجمهور يوم عودة سموه فى ٣ نوفمبر إلى مصر ؛ وكان مطلعها :

عيد ولكن لا أقول سعيد ... وملك وإن طال المدى سيبيد

فقبضت عليه النيابة ، ولما سألته فى شأنها قال إنه ناظمها وطابعها ، ولكن ظهر من التحقيق أن الذى نظمها هو الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى ، بالاتفاق مع السيد محمد توفيق البكرى . وقد طلبت النيابة عقاب الشركاء وصاحب المطبعة الذى قرر

---

(١) وقد غضب الخديو لوقوع هذا الحادث وأمر باجراء التحقيق اللازم .

(٢) أسمتها بعض الصحف بقضية السفهاء .

(٣) هو الأستاذ أحمد فؤاد صاحب جريدة الصاعقة .

أنه يعرف محتويات القصيدة ؛ ولكن المستر اسكوت « المستشار القضائى » تداخل من أجل السيد محمد توفيق البكرى . وفى النهاية صدر الحكم بادانة أحمد فؤاد ، فحكم عليه بالسجن عشرين شهراً وبغرامة قدرها ثلاثون جنيهاً مصرياً ؛ وحكم على مصطفى لطفى المنفلوطى بالحبس سنة ، وبغرامة قدرها عشرون جنيهاً وبرىء الشيخ محمد الخيامى صاحب المطبعة ؛ وقد شغلت هذه القضية الأفكار مدى حين .



أحمد افندى فؤاد



السيد مصطفى لطفى المنفلوطى

شئون مختلفة .

افتتاح معرض الزهور بحديقة الأزبكية : فى ٢٣ يناير رافقت سمو الخديو لأداء فريضة الجمعة بمسجد السيدة زينب ثم زرنا معرض الزهور بحديقة الأزبكية ؛ وكان فى انتظار سموه هناك الأمير حسين كامل رئيس المعرض وأعضاء لجنته والنظار وقناصل الدول وكثيرون من الأعيان والكبراء المصريين والأجانب ؛ وبعد افتتاحه رسمياً عدنا لسراى عابدين .

الخديو والأعمال الخيرية : وفى مساء ذلك اليوم كنت فى معية سموه فى تياترو الأوبرا لحضور حفلة راقصة أقامتها قرينات قناصل الدول تحت رعاية سموه لمساعدة المستشفى الأوربى وبعدها عاد الخديو لسراى القبة .

وبعد بضعة أيام ورد على السراى نبأ بحصول حريق كبير فى ناحية ميت حبيش وأبى طور بطنطا ترك الكثيرين بلا مأوى ، فأمر جنابه أن يكتب لنظارة الداخلية باسعاف هؤلاء المنكوبين بكل ما يلزم لهم تخفيفاً لما نالهم ؛ وبعث ببرقية لمديرية الغربية لينوب عنه فى إبلاغ عطفه على الذين أصابهم الحريق وأمر بارسال عربة سكة حديد مشحونة بالطعام على حساب الخاصة مع اثنين من الياوران لمساعدة المنكوبين الذين قابلوا هذا العطف السامى بالشكر والدعاء .

ضيف إيطالى : مر بمصر فى أوائل شهر مارس البرنس هنرى دورليان الايطالى ، وكان معروفا بمعارضته وعدائه للحكومة الايطالية القائمة فأدب له الخديو مأدبة كعادته مع ضيوف مصر العظماء ، غير أن ذلك لم يرق فى نظر القنصل الجنرال الايطالى ، فأرسل لبطرس غالى باشا ناظر الخارجية عتاباً على استقبال رجل معاد لحكومة صديقة للخديو ؛ فحضر بطرس باشا للسراى وأطلع سموه على هذه المراسلة وقد ثارت دهشتنا لذلك التصرف من جانب القنصل الايطالى الذى لم يقدر أن الخديو حر فى مقابلاته لمن يمر بمصر ، وأنه لم يقم إلا بواجب إكرام الضيف بغض النظر عن مبدئه السياسى . كما فهمنا أن هذا التصرف لم يرق فى نظر الكثيرين من الايطاليين أنفسهم ، وبعد المداولة مع رجال المعية تقرر ترك هذه المراسلة بلا جواب .

تقرير لورد كرومر : فى أواخر أبريل ظهر تقرير اللورد كرومر عن مصر فى العام الماضى . وقد جاء فيه عن حملة دنقلة فقال : « إن أهم أسباب الحملة هو التزام مصر خطة الدفاع منذ سنوات حتى جاء الوقت المناسب للتقدم سواء من الوجهة العسكرية أو الوجهة المادية . »

ثم تكلم عن تعديل أدخل على ديوان الأوقاف بأن عدلت طريقة حساباته ، بتدخل الموظفين الانجليز مما أدى إلى التذمر والاستياء فقال اللورد : « إن التدخل الفعلى فى هذه المصالح الشرعية المحضة ، يجب أن يكون من الحكام المسلمين خاصة ؛ وإذا احتاج الحال إلى إرشاد أو مساعدة من غيرهم وجب أن يكون على أقل ما يمكن وذلك هو الذى حدث فى تعديل نظم ديوان الأوقاف . » ثم ختم تقريره بقوله : « وإن كبار الموظفين فى الحكومة المصرية من أوربيين ووطنيين قد تعاونوا على الاصلاح بالوفاق التام بينهم ، فلا ريب فى النجاح الذى أسعدنى الحظ بلفت الأنظار اليه يجرى على وتيرة واحدة فى المستقبل إلى ما شاء الله ! ! » وكانت هذه الجملة الأخيرة

محل تفسيرات وتأويلات أقربها أنها إشارة صريحة إلى بقاء أمد هذا الاحتلال إلى ما شاء الله . ! !

عيد الملكة : فى ٢٣ يونيو كان احتفال الجالية الانجليزية ببلوغ ملكتهم سن الستين ، وكان مصطفى فهمى باشا رئيس النظار يرغب — بايعاز من اللورد كرومر — فى جعل هذا العيد عطلة رسمية فى المصالح الحكومية ؛ ولما عرض هذا الأمر على الجناب الخديوى تداول مع كبار رجال المعية ، وقد رؤى أن هذا يعد سابقة خطرة فى العلاقات بين مصر وانجلترا ولذلك تقرر العدول عن هذه الفكرة ؛ وكان الخديو شديد التأثر من أن تفكر النظارة فى أمر كهذا غير مقدرة عواقبه الوخيمة على مستقبل البلاد .

نيشان للخديو : أهدى الأمبراطور فرنسوا جوزيف إمبراطور النمسا نيشان ليوبلد الأول لسمو الخديو . وفى ٢٦ يونيو حضر قنصل النمسا العام إلى سراى رأس التين وسلمه للخديو وفقاً للرسوم المعتادة فى مثل هذه المناسبات .

طلبات العطف : لما علم الخديو بأهمية الآلات الرافعة فى العطف عند فم المحمودية ، عزم على القيام برحلة قصيرة لمشاهدتها ، فاستقل اليخت «صفا البحر» مع الحاشية إلى العطف فى ٣٠ يوليو ؛ وهناك وجدنا فى الاستقبال مدير البحيرة وكبار الموظفين الملكيين والعسكريين والعمد والأعيان وتلامذة المدارس وغيرهم . وقد استقبلته هذه الجموع استقبالا حافلا اختلطت فيه نغمات الموسيقى بصيحات الهتاف والدعاء ؛ وقصد سموه إلى الطلبات عند اتصال النيل بالترعة فشاهد أعمالها وسأل عن كمية ما ترفعه هذه الآلات من الماء وحالة الرى فى الأراضى التى تستق من الترعة وغير ذلك مما يختص بالطلبات ، ثم عدنا الى اليخت فأقلع بنا راجعاً للاسكندرية .

مأدب لقواد جيش الاحتلال : فى ١٤ أغسطس أعد سمو الخديو مأدبة عشاء فى سراى رأس التين للجنرال نولس القائد العام لجيش الاحتلال بمناسبة اعتزاله العمل وسفره الى انجلترا ، وكانت الموسيقى تطرب المدعوين .

وفى ٢٠ اكتوبر أعد سموه مأدبة رسمية لخلفه السير جرانفل ؛ وفى ٢١ منه أقام مأدبة أخرى إكراماً لقائد الأسطول الانجليزى الراسى الآن فى مياه الثغر بالاسكندرية .

عودة الخديو للعاصمة وزيارته للغربية والبحيرة والمنوفية : أثناء عودة الخديو من الاسكندرية الى مصر فى ٢٨ أكتوبر زار مديريات الغربية والبحيرة والمنوفية تارة بالنيل ، وأخرى على ظهور الجياد ؛ واستقل القطار الخاص من شبين الكوم إلى القاهرة فوصلها فى ٣ نوفمبر ؛ وكان سموه يقابل فى الجهات التى زارها أحسن استقبال .

مولودة جديدة للخديو : فى ٢٧ نوفمبر وكنا بسراى المنتزه ، سرت البشائر بمولودة جديدة لسموه ؛ وقد حضرت بعد ساعات من القاهرة دولة الوالدة والبرنس محمد على باشا والبرنسيس نعمت الله هانم افندى للتهنئة ؛ وتوالت التهانى والبرقيات من مختلف الجهات الرسمية والأهالى وسميت هذه المولودة «فتحية هانم» .

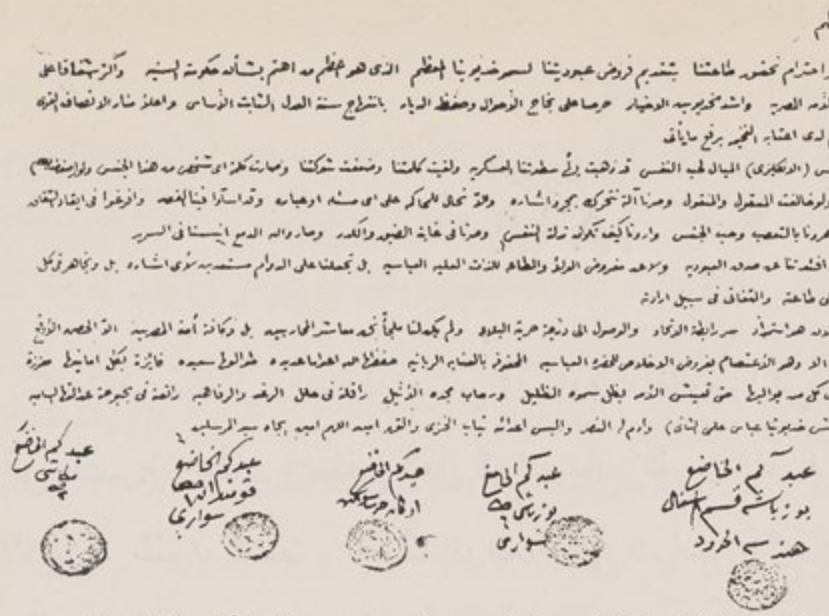
وفاة روليبه بك : فى العاشر من ديسمبر توفى روليبه بك بعد أن مرض أياماً ؛ فصدر الأمر فى ١٦ منه بتعيينى سكرتيراً خاصاً محله ، وعين محمد صادق بك رئيساً لقلم الترجمة مكانى وكنت قد رشحت احمد زكى بك الذى كان رئيساً لقلم الترجمة بمجلس النظار ليحل محلى ولكن لما عرض هذا المنصب عليه فضل البقاء فى وظيفته .

الشيخ حسونه النواوى مفتياً للديار : فى ٢٣ ديسمبر صدر الأمر العالى بتعيين الشيخ حسونه النواوى شيخ الجامع الأزهر مفتياً للديار المصرية بدلا من الشيخ محمد العباسى المهدى المتوفى ، وفى ٣٠ منه عين عضواً بمجلس شورى القوانين .

سنة ١٨٩٨

جمعية المودة السرية لضباط الجيش فى وادى حلفا وسواكن . بيع بعض المرافق المصرية . خطاب لمصطفى كامل فى الاتحاد . تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٨٩٧ . شئون مختلفة . حادث الاعتداء على البرنس احمد فؤاد باشا . رحلة الخديوى لأوربا والاستانة ومرضه فى برلين . عود الخديو من المصيف وزيارته الغربية والشرقية . الدقهلية . جريدة « بريد الشرق » الفرنسية .

جمعية المودة السرية لضباط الجيش فى وادى حلفا وسواكن . بعد حادثة الحدود تذمر الضباط المصريون وشكلوا جمعية فى نفس سنة ١٨٩٤ باسم « جمعية المودة السرية » تضم ضباطا مصريين من رتب مختلفة وكان كل واحد منهم يقسم يمين الجمعية ويكتبه ويمضيه بخطه وهذا هو نص القسم : « أنا فلان بن فلان أقسم بالله العظيم ثلاثاً وبذمتى وشرفى واعتقادى بأن أكتم الأسرار التى تباح لى الآن وفى المستقبل ولا أبوح بشىء منها أبداً لأحد إلا إذا كان ضمن جمعية المودة التى أتشرف بأن أكون عضواً فيها المبنى أساسها على الاخلاص لسمو ولى نعمتنا خديوينا المعظم عباس حلمى الثانى ، وأقسم أيضاً أنى لا أدل على أسرار هذه الجمعية بأى وجه من الوجوه وإنى أمنع ما استطعت من يريد أن يفعل ذلك ، وإنى لا أكون سبباً فى إحداث أى شىء يعود علىّ أو على الجمعية بالضرر مطلقاً ، وأتعهد على نفسى تعهداً شرعياً بأن أكون منفذاً لجميع الأوامر والتعليمات التى تصدر للجمعية من سمو خديوينا المعظم ما دمت حياً ، وأحافظ على جميع أفراد الجمعية كما أحافظ على نفسى ، وإذا لا سمح الله وحنثت فى يمينى هذا فأكون بريئاً من دينى ومهدر الدم وخائناً لله والرسول وعامة المسلمين والوطنيين ، وأشهد عدول الناس على يمينى هذا والله خير الشاهدين . » وقد أرسل أعضاء الجمعية عريضة لسمو الخديو وهذه صورتها .



صورة العريضة المرفوعة للخديو والموقع عليها من بعض ضباط الجيش فى السودان
من أعضاء جمعية المودة السرية

وبدأت الجمعية بارسال تقارير وخطابات بالشفرة المخصوصة التى اتفق عليها بينهم وبينى ومما ورد خطاب بتاريخ ٩ أبريل سنة ١٨٩٤ يفيد استعداد ٢٢٠ صف ضابط وعساكر و٩ ضباط وطنيين ، من كل رتبة ثلاثة من رتب يوزباشى وملازم أول وملازم ثان وقومندان الأورطة وبكباشيها الانجليزى وجميعهم من الأورطة الثالثة البيادة ونحو ٢٥ هجانة مصرية ومعهم ضابط وبلوك هجانة سودانية وبكباشى ومهندس الحدود ونحو ٢٥٠ جمل من الحملة بالبر الغربى للقيام إلى بير نخله والشب لبناء حظيرة « زريبة » تسع أربعمائة جمل ، ويكون داخلها الآبار لأجل تحرك الهجانة من حلفا وإقامتها بهذه الزريبة عند نزول الدراويش من طريق بير الشب للواحات وعندها . ويمكنهم مناوشة الدراويش حال المرور وعدم تمكنهم من السير للشمال ولكن عدل عن ذلك واستعيض عن الزريبة ببناء برجين .

واستمرت الحملة حتى وصلت إلى بير شب وعمل خط نار بها وقد تم إنشاء البرجين فى ٢٦ مارس سنة ١٨٩٤ ثم رجعت الحملة إلى بير نخله وشيد برجان بها ورجعت الحملة إلى حلفا فى ٤ أبريل سنة ١٨٩٤ .

وفى يومى ١٨ و ٢٥ مارس وردت لنا الأنباء من الجمعية بحصول القتال بين الدراويش والحامية فى طركر وكذلك بمد سكة حديدية من ترنكيتات إلى النيب وقد تم منها ستة أميال .

وفى ٢٧ مايو ورد لى خطاب مبين فيه كيفية إرسال الجواسيس إلى أبى حمد وبربر للوقوف على قوات الدراويش وأعمالهم ، وكذلك أخبار عن كسلا بخصوص التحام الايطاليين مع الدراويش وانتصار الآخرين .

وفى ٤ يونيو ورد من الجمعية خطاب بأن هنتر باشا حانق على القاضى الشرعى لمركز حلفا ؛ لأنه أرسل تقريراً لوزارة الحقانية يستفهم فيه عما يجب عمله نحو معاشرة المسيحيين للمسلمات ؛ وقد ظن هنتر باشا أن القاضى يقصده ، لأن له ذرية من امرأة حبشية . ولكن هذه الحبشية كانت مسيحية .

وبتاريخ ١٨ منه ورد بأن مدرسة حلفا الحربية تقبل تلامذة غير مستوفى الشروط بها وتخرجهم بسرعة ليكونوا ضباطا ، وهم أولاد العساكر السودانيين فى حين أنه لم ينل أولاد الضباط المصريين مثل هذا الامتياز .

وفى ٢٤ ديسمبر ورد تقرير بحصول تحرك الدراويش لنقطة عكاشة .

وفى ٨ يناير سنة ١٨٩٦ وردت من أعضاء الجمعية تهنئة بعيد جلوس الخديو المعظم .

وفى ٢ فبراير ورد تقرير من أحد أعضاء الجمعية بخصوص مناورة الدراويش فى جهة سرس .

وقد استمرت الجمعية ترسل الخطابات والتقارير السرية حتى تجريد الحملة لافتتاح دنقله واسترجاع السودان ، فانقطعت أخبارها حتى ورد لنا من أعضائها فى سواكن فى ٨ يناير ما يأتى :

« ليلة عيد الجلوس للحضرة الخديوية الفخيمة قد احتفلنا به احتفالا لم يسبق له مثيل هنا ولا جرت به عادة . وهذا بتوفيق الله وحسن طالع العباس . وقد جرى بالكيفية الآتية :

عملت الزينة بالمحافظة على خلاف العادة رغماً عن كل معارض ، وكان بها نحو ألف و مائتى مصباح مختلفة الأشكال وصفت على جدران المحافظة وأبوابها وما جاورها من الأمكنة ، وما أذنت الساعة السابعة مساء حتى توافد المدعوون من حضرات الضباط عموماً والمستخدمين الملكيين وعموم التجار من الوطنيين والأجانب ، وقنصل جنرال انجلترا ومديرى التلغراف الانجليزى والعثمانى ووكيل شركة « وابورات هانكى » والسيد عثمان الميرغنى وتوابعه من خلفاء وغيرهم . واحتشد الجميع

فوق محل مرتفع أمام المحافظة مسرورين من حسن نظام الزينة وأشكالها الغريبة وخصوصاً الزينات التى أقيمت حول أعمدة المصابيح ، وفسقية الماء ذات النافورة وقد أطربت موسيقى الأورطة الخامسة الحضور بشجى نغماتها وكان النائب عن المحافظ البكباشى « أونلى » يقابل المدعوين بكل احترام ، وكنت أقدم له من لم يعرفهم من الموظفين ، وكان بدء الموسيقى بالسلام الخديوى . وبعد أن تناول الحاضرون المرطبات جلسوا يتحدثون بحسن ما يرونه على خلاف العادة ، داعين بدوام تأييد خديوينا وتحرير وطنه العزيز .

والهمة فيما ذكرته راجعة للاخوان ولمساعدة حضرة المأمور . وكان العزم قد تم على إحياء ليلة الجلوس فى محل خصوصى بمعرفة الاخوان إذا لم يعمل فى المحافظة وقد جمع لها ما يلزم . ومع ذلك فقد زينا مسجد الشافعى زينة جميلة بالمصابيح ودعونا الأهالى والتجار لتناول الشاى وكذلك أصحاب الطرق من مرغنية وشاذلية ، واستمر الاحتفال بالمسجد بين ذكر وقراءة قرآن بمعرفة أحد أساتذة المدرسة الأميرية لغاية الساعة الواحدة والنصف صباحاً والجميع كانوا مسرورين بهذا الاحتفال الفائق ، وكان يقابل الوفود حضرة المحترم عبد الله افندى لطفى مدرس اللغة الانجليزية بالمدرسة الأميرية . وكذلك زينا قشلاق الهجانة بأبهى وأحسن زينة وبالأخص شرفة الدور العلوى التى وضع فى وسطها صندوق محلى بالجملة الآتية « يعيش أفندينا عباس الثانى » وكان كل وطنى غيور يبارح لرحبة المحافظة أو الجامع يمر على زينة الهجانة . وختمت الحفلات بسلام السلطان وبعده سلام الخديو المعظم مع الهتاف لسموه ثلاث مرات « أفندمز جوق يشا » وانتهت الاحتفالات جميعها بما يسر الخاطر . »

بيع بعض المرافق المصرية . امتاز هذا العام منذ البداية بعرض بعض مرافق الحكومة وأملاكها للبيع باشارة الموظفين الانجليز وبحجة توفير الأموال للحملة السودانية وغيرها ، وكانت هذه الأملاك والمرافق تعرض للبيع تباعاً رغم اضطراب الرأى العام ومعارضة الوطنيين .

من ذلك أنه فى فاتحة يناير من هذا العام فوجئنا فى السراى بنبأ مفاده أن نظارة المالية اتفقت مع شركة انجليزية وهى « شركة ألن والدرسن » بالاسكندرية ، على أن تبيع لها بواخر البوستة الخديوية وكل متعلقاتها بثمن بخس قدره مائة وخمسون ألف جنيه ، على أن تنشىء الشركة ، لتنظيف السفن وإصلاحها بالاسكندرية ، حوضاً قيل إنه يتكلف ثمانين ألف جنيه . فأثار هذا الخبر الفجائى دهشة واستياء لا فى أرجاء السراى

فحسب ، بل وفى جميع الدوائر والأوساط الوطنية . وبادر الخديو فدعا كثيرين من الأعيان الى سراى القبة واجتمع بهم مراراً ، وأفهمهم أنهم أولى بامتلاك هذه البواخر ، ولكنهم أبدوا ترددا ؛ وكان الوقت ضيقاً ، حيث بادر المستشار المالى بعقد الاتفاق مع الشركة نهائياً فى ٢٣ يناير ، وهكذا أفلتت هذه الصفقة الرابحة من يد المصريين ، وطوى بذلك آخر أثر للبحرية المصرية .

وقبيل إبرام هذه الصفقة أعلن فى ٢٠ يناير عن بيع تفتيش الوادى بحجة أن أراضيه قد تلفت من رشح مياه الترعة الاسماعيلية ، وإصلاحها يتطلب نفقات كبيرة لا قبل بها لوقف التفتيش ؛ ولكن المسألة فى هذه المرة لم تكن مسألة مالية فقط يبت فيها المستشار المالى ، بل كان لها وجه دينى ؛ وهو أن هذا التفتيش لا يصح بيعه لأنه موقوف . وقد اضطربت أفكار المسلمين لذلك ، وتهاطلت البرقيات على السراى ، معلنة الاحتجاج على دخول الأصبع الانجليزية فى المسائل الدينية ، وكتبت الصحف فصولا طويلة فى الموضوع ، وكتب بعض العلماء مفتياً بتحريم هذا البيع ، فلفت الخديو نظر اللورد كرومر الى هذا الموضوع ، فاقتنع بأن الاعلان عن بيع هذا التفتيش كان خطأ من المستشار المالى ! وانتهى الأمر بالغاء هذا الاعلان .

وقد بلغنا من مصدر خاص أن اللورد أخذ على المستشار المالى هذا التصرف لمساسه بالشعور الدينى الذى حرص الانجليز دائما على عدم إثارته . وقد سخط أنصار الاحتلال لهذه النتيجة ، وتقوّل بعضهم على الخديو بأنه كان يريد ابتياع تفتيش الوادى لنفسه ودفع ثمنه على آجال معينة ، لولا أن لفت نظره حسن عاصم باشا إلى أن سموه ناظر الوقف فلا يجوز له شراؤه ، وعندئذ عدل عن ذلك .

بيع أملاك الدائرة السنية : وما كاد هذا الحادث ينتهى حتى أعقبه حادث آخر هو الشروع فى بيع تفاتيش الدائرة السنية التى تبلغ أملاكها الزراعية نحو ثلثمائة ألف فدان بما فيها من معامل عصير القصب وصنع السكر وهى تسعة معامل كبيرة . وابتدأ الكلام فى شأنها منذ أول مارس مع شركة مختلطة من المصريين والفرنسيين والانجليز (سوارس وشركاه) وتم الاتفاق على الثمن وهو ستة ملايين وأربعمائة ألف جنيه وهى قيمة الدين الذى كان على الدائرة فى هذا الحين ، وأخذت الحكومة مبلغ خمسمائة ألف جنيه بصفة « عربون » .

ولما كانت الصفقة خاسرة ، فقد كتب ناظر الدائرة السنية ، وكروكشنك باشا المراقب الانجليزى بها كل منهما تقريراً يعترض فيه على عمل الحكومة وقدمه

إلى الخديو . ولكن هذين التقريرين لم يعمل بهما ، وتمت صفقة البيع على يد المستشار المالى السير الوين بالمر .

مسألة سكة حديد السودان : ثم جاءت الأخبار بأنه فى ١٠ أبريل نشبت موقعة عطبرة فى السودان ، وانتصر الجيش المصرى بقيادة السردار على الدراويش وأسر الأمير محمود من أكبر قواد التعايشى ، وأسر نحو أربعة آلاف أسير .

ولم تمض على هذه الواقعة خمسة أيام حتى كان المستشار المالى يشير على الحكومة ببيع سكك حديد السودان إلى شركة انجليزية يتولى هو عقد البيع لها فى لندن ، لأنه لم تعد حاجة لهذه السكك بعد انتصار الجيش المصرى ، ولأن ثمنها ضرورى للحملة فى أعمالها المقبلة ، فسلم النظار بذلك ، وأبى الخديو أن يصدق على هذا البيع .

وبعد ثلاثة أيام زار اللورد كرومر عباسا ومعه برقية من اللورد سالسبورى يقول فيها : « إن للانجليز فى مصر ، منذ واقعة التل الكبير ، نفوذاً يفوق نفوذ أية دولة أخرى ، ويجب بناء على هذا قبول نصحها . » ثم عطف على مسألة بيع سكك حديد السودان . فقال : « إن من اللازم بيعها لتدبير نفقات الحملة السودانية . »

ولكن الخديو أصر على رأيه فى عدم ضرورة بيع هذه السكك ، ولأنها ملك للدولة العثمانية صاحبة السيادة على مصر فلا يجوز لمصر أن تتصرف فيها ، وقد أشار الى اللورد كرومر بأنه يستقيل إذا تحرجت المشكلة . وكانت المحادثة بأسلوب عنيف ثم رفع سموه الأمر برقياً إلى السلطان فجاء الرد متضمناً شكر الجناب العالى على احتفاظه بحقوق الدولة ، باعتبار أن السكك الحديدية أنشئت للجيش وبيعها مخالف للسيادة التركية ، وتضمنت برقية المابين الرد على ما جاء فى برقية اللورد سالسبورى السالفة الذكر ، بأن ذلك يعارض التصريحات الرسمية المتكررة التى صدرت من وزراء انجلترا والدول الأخرى عند الاحتلال .

وعرض الباب العالى على الحكومة المصرية أن يعقد لها قرضا عثمانيا إذا كانت فى حاجة للمال ، وكانت هذه الحاجة سبباً لبيع السكك الحديدية .

وقد ظلت المسألة بين الأخذ والرد حتى انتهى الأمر بتراجع الانجليز وتقرير عدم البيع فى شهر يونيو .

خطبة لمصطفى كامل فى الاتحاد . فى ٨ يناير احتفل طلبة المدارس العليا

والثانوية فى حديقة الأزبكية بعيد جلوس الخديو . وخطب فى هذا الاحتفال مصطفى كامل خطبة هامة اختتمها بقوله : « وإنكم وإن كنتم أخذتم على أنفسكم خدمة سمو العباس ، وخدمة الوطن المحبوب ، وعزمتم على إعلاء شأن البلاد بما ستأتونه من شريف الأعمال ، فاجعلوا الاتحاد فيما بينكم أساس آمالكم وأساس أعمالكم ، وإن أثمن نصيحة أتلقاها وألقيها على أبناء بلادى المحبوبة وأختم بها كلامى معكم الليلة هى : العمل بالاتحاد على خدمة الوطن العزيز . »

تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٨٩٧ . وفى هذه الأثناء نشر تقرير اللورد كرومر وقد عنيت بالاطلاع عليه وتلخيص أهم ما فيه لعرضه على أنظار الخديو . ومما جاء فى مقدمته : « إنى ختمت تقرير السنة الماضية بالاشارة إلى اتفاق كبار الموظفين الأوربيين والمصريين فى خدمة الجناب العالى قلبا وقالبا وتعاونهم على الاصلاح وتحسين الأحكام فى تلك السنة ، ويسرنى أن أفتتح تقريرى هذا بذكر دوام ذلك الاتفاق الذى هو من اللزوم بأعظم مكان لأنه مهما كان جهد الموظفين الأوربيين ينتج لمصر ما هى فيه من النجاح فانى أقصر فى تأدية الواجب علىّ اذا لم أشهد أن جهودهم لا تكاد تنتج شيئاً يذكر من ذلك ، لو لم يكن رؤساؤهم النظار يؤيدونهم فيه ، فقد حكم سعادة مصطفى باشا فهمى وأصاب هو ورفاقه ، خلافا لما يفترى به كثيراً عليهم . إن مصالح بلادهم الحقيقية تقضى باتفاقهم قلبا وقالبا ، مع جماعة الموظفين الانجليز الذين ليس لهم غاية غير العمل بما تعلموه فى بلاد أخرى لخير مصر . فمعظم الفضل فيما أبسطه من التقدم المحسوس فى كل فرع من فروع الادارة المصرية هو لذلك الاتفاق السعيد . »

وجاء فى حديثه عن بناء خزان أسوان الذى تم الاتفاق بشأن إقامته فى أوائل هذه السنة ما يأتى : « وقد يظهر لأول وهلة أن زيادة مصروفات الخزانة المصرية قبل انتهاء المسألة السودانية تعد مخاطرة بأموالها . وعندى أن هذه المخاطرة ظاهرية فقط لا حقيقية ، وأن صرف الأموال لاصلاح حالة الرى فى مصر وبالتالى لزيادة إيرادها ، هو خير الطرق للتخلص من الورطات المالية التى قد تتهدد البلاد من احتلال السودان كله أو بعضه .

ومما سرنى خصوصاً ، أن الخديو استحسن هذا المشروع كل الاستحسان وكذلك نظار مصر . ولما صادق سموه عليه أثنى على السير بالمر والسير وليم جارستن ثناء يستحقانه على بذلهما الجهد فى إخراجه من القول الى الفعل . أما آراء الوطنيين عموماً

فكل ما أقول عنها أننى لم أعرف مشروعا استحسن لديهم مثل استحسانهم للمشروع الذى نحن بصدده . »

شئون مختلفة .

سياحة برية للعريش : فى أول مارس قرر الخديو القيام برحلة برية على « الهجن » الى العريش ، واستصحب معه بعض كبار رجال المعية .

وقد قلنا من القاهرة الى القنطرة قطار خاص ، ومنها على الهجن الى العريش . وقد قضينا فى الصحراء بضع ليال بديعة كنا فيها نضرب الخيام كأننا بعض الأعراب ، وكثيراً ما كان يفد علينا بعض رجال القبائل الضاربة فى الصحراء العربية بين مصر والعريش ، فندعوهم الى الطعام ، وساعد على ذلك أن الليالى كانت مقمرة ، وما كان أجمل الصحراء والقمر يرسل عليها ضوءه الفضى ، ونحن نتسامر فى هذا الجو الصافى ، جو الربيع شباب الزمان . وقد شاهدنا الحد الفاصل بين تركيا ومصر .

الحج والكوليرا : وقد كان فى نية الخديو أن يطيل هذه السياحة اللطيفة نحو أسبوعين لولا أن وردت علينا الأخبار من القاهرة بأن الحكومة المصرية أبدت رغبتها فى منع الحج هذا العام بناء على إشارة القومسيون الصحى ، فكلفنى سموه بكتابة برقية لرئيس النظار يأمره فيها بعدم البت فى شىء فى هذا الموضوع حتى يعود سموه وينظر فى الأمر .

وعلى أثر ذلك عزمنا على العودة فركبنا يوم ٩ مارس من القنطرة ومنها الى الاسماعيلية فالسويس فالقاهرة ، فوصلناها فى اليوم التالى .

وفى ١١ منه اجتمع مجلس النظار برياسة الخديو ؛ وبعد المباحثة فى الموضوع تقرر أن يباح السفر لمن يريد من الحجاج ولكن على شرط أن يمنع من العودة الى مصر اذا ظهر الطاعون فى الحجاز ، واشترط على كل حاج أن يكتب تعهداً بما تقدم قبل سفره ، وأن يثبت اقتداره على دفع نفقات السفر ذهاباً وإياباً ونفقات إقامته ومن معه ستة شهور .

افتتاح الرواق العباسى بالأزهر : كان يوم ١٧ مارس موعد افتتاح الرواق العباسى بالأزهر الذى أمر الخديو بانشائه منذ عامين سبقا ، وقد تم بناؤه . ففى هذا اليوم ركب سموه فى موكب من رجال المعية وقد سبقنا للاستقبال عند المسجد الغازى

مختار باشا والبرنسات ، والنظار ، والعلماء . وسار الموكب بين صفوف حاشدة من الأهالى تهتف بحياة الخديو وتدعو له . ولما وصلنا إلى المسجد تقدم إلى سموه الغازى مختار باشا فأمسك بيده وسارا معاً ونحن نتبعهما الى الرواق الجديد حيث تفقد غرفه ، ثم عدنا الى المسجد فجلس الخديو فى المحراب وعن يمينه الغازى مختار باشا وعن يساره قاضى مصر . فشيخ الأزهر وبقية كبار العلماء . وبعد الاستراحة تليت بعض آى القرآن الكريم ، ثم تقدم الشيخ أحمد أبو الفضل الجيزاوى من كبار العلماء فألقى خطبة وانتهى الاحتفال بتوزيع الحلوى ؛ وعاد الموكب الخديوى مودعا بمثل ما استقبل به من الهتاف والدعاء .

عناية الخديو بالشئون الصناعية : كان عباس ، فضلا عن اهتمامه بالناحية العلمية ، يعنى أيضاً بتشجيع الصناعات الوطنية والمشروعات المصرية ، ومن ذلك أن قرر سموه زيارة معمل لتحليل الدقيق[1] أنشأه محمد بك الرمالى[2] وشريكه السيد على سيد احمد بالسيدة زينب ، تشجيعا لصاحبيه ولمن يريد الاقدام على مثل هذه المشروعات ؛ وقد ركبنا مع الخديو يوم ٣١ مارس الى المعمل الذى زين بالأعلام والزهور ، وكان فى الاستقبال صاحباه وكثير من كبار التجار فطاف بأرجائه وشاهد محتوياته ، سائلا عن كل منها ، ثم أثنى على صاحبيه قائلا لهما مامضمونه ؛ « إنه شاهد فى أوربا كثيراً من أمثال هذا المعمل فلم ير منها ما يزيد فى نظامه عنه . وبعد ذلك دعينا الى مقصف أعد فى سرادق فخم فتناولنا شيئاً مما به ، ثم عاد الركب الى السراى .



محمد بك الرمالى

(١) وهو الآن مخبز الرمالى الشهير يديره بكفاية نجله السيد عبد المجيد الرمالى حتى نافس المحال الأجنبية فى كافة أنواع الخبز .

(٢) سبق الانعام عليه بالرتبة الثانية فى ٢٢ مايو سنة ١٨٩٧

وفى ٢٠ أبريل زار سموه دار الصناعة التى افتتحتها نظارة الأشغال لتمدها ببعض المصنوعات اللازمة لها ولاسيما الأثاث ، وكان فى انتظار سموه ناظر الأشغال ورئيس قسم الهندسة ، فشاهدنا قطعاً جميلة من الأثاث الدقيق الصنع أخرجها هذا المصنع . وقد ظهرت على سموه دلائل الارتياح لما شاهده ، وشكر للقائمين بالأمر همتهم وشجعهم على الاجتهاد المتواصل فى هذه السبيل ؛ ثم عدنا لسراى عابدين .

زواج برنس بأجنبية : ذاع أن البرنس على بك فاضل نجل المرحوم مصطفى باشا فاضل ينوى الزواج بمسيحية فرنسية الجنس هى « مدام بونا » ربيبة مسيو سوارس وقد كانت متزوجة وطلقت ؛ فلما وقف الخديو على هذا الخبر فى ١٠ أبريل فهمنا من أحاديثه معناً أنه غير مرتاح لهذا التصرف من جانب أحد البرنسات ، وأنه مهما يكن ميالا الى تقدير الحرية الشخصية فى هذه الشئون ، إلا أن مركز البرنسات بين شعب إسلامى لا يسمح بمثل هذا الزواج ولو أباحه الدين أيضاً . وقد رؤى أن خير وسيلة تتخذ هى النصح للبرنس بواسطة بعض أعضاء العائلة ، بالعدول عن هذه الفكرة ، وكلفهم سموه بذلك بصفة غير رسمية . ولكن البرنس أصر على رغبته فلم يقتنع بهذا النصح ، وعقد قرانه فى ١٣ أبريل أولا فى القنصلية الفرنسية ثم بالطريقة الشرعية ؛ وكان ذلك سبباً فى غضب الخديو وتأثر بعض أفراد الأسرة ومنهم أخوات البرنس نفسه ؛ وأصدر الخديو أمره بقطع معاش (مخصص) هذا البرنس وقدره ١٢٠٠ جنيه فى العام .

محمد شريف باشا وصاحبته : وبهذه المناسبة نذكر أن حرم شريف باشا الفرنساوى تقدمت الى الخديو بالرجاء بأن ينصح لابنها محمد شريف باشا وكيل الخارجية بترك صاحبته الفرنسية التى كان متصلا بها ، ولم يستمع لنصح والدته فى قطع علاقته بها . فكلمه سموه فى ذلك بنفسه وبواسطة بعض أعضاء العائلة ليعمل على إرضاء والدته ، ولكنه لم ينتصح وبقى متصلا بها حتى وفاته .

إنشاء البنك الأهلى المصرى : طلب جماعة من الماليين إنشاء البنك الأهلى ومنحه امتيازاً طول مدة قيام شركته باصدار أوراق مالية تدفع قيمتها لحاملها عند تقديمها « بنكنوت » ، ولا يمنح هذا الامتياز لبنك آخر طول مدة بقاء الشركة . وفعلا صدر الأمر فى ٢٥ يونيو بالاعتماد .

وفى ٢٠ اكتوبر صدر الأمر باعتماد تعيين السير الوين بالمر المستشار المالى محافظاً للبنك المذكور ، وعين بدله السير جورست مستشاراً للمالية .

تعيينات : وعين فى منصب مستشار الداخلية الكابتن متشل الذى كان مفتشاً لعموم مصلحة خفر السواحل ، وكذلك عين المستر ملكولم ماك ايلرث مستشاراً قضائياً مكان السير جون سكوت المستعفى .

وفى ١٩ نوفمبر صدر الأمر بتعيين اسكندر فهمى بك عضواً مصرياً فى مجلس إدارة مصلحة السكك الحديدية وميناء الاسكندرية ، بدلا من بوغوص نوبار باشا الذى استقال وأنعم عليه بالنيشان المجيدى الأول .

وفى ١٠ ديسمبر عين اسماعيل نيازى افندى تشريفاتياً خديوياً .

وفى ٢٠ منه عين جورست المستشار المالى عضواً فى مجلس المعارف الأعلى بدلا من المستر كليتن دوكنس .

حادث الاعتداء على البرنس أحمد فؤاد باشا . فى الخامس من شهر مايو بارح الخديو القاهرة الى الاسكندرية ومعه معيته لقضاء فصل الصيف . وفى ٧ منه ورد من القاهرة نبأ حادث مروع هو اعتداء البرنس احمد سيف الدين على البرنس احمد فؤاد باشا باطلاق الرصاص عليه فى نادى محمد على . وتفصيل الحادث أن البرنس فؤاد باشا كان على خلاف مع حرمه منذ حين ؛ وعلمنا أنه كان قد حظر على كل إنسان ، حتى أقارب حرمه ، دخول الحرم . وقيل إن البرنس احمد سيف الدين نفسه حاول رؤية شقيقته فأبى عليه ذلك ، فأضمر له الشر . وحدث فى يوم السبت ٧ مايو أن ذهب البرنس الى نادى محمد على ، وكانت الساعة السابعة مساء . وكان البرنس فؤاد باشا وقتئذ فى شرفة النادى ومعه صباغ بك سكرتير البرنس حسين كامل باشا . فلما رأى صباغ بك البرنس احمد سيف الدين مقبلا على النادى أعرب للبرنس فؤاد باشا عن دهشته ، لأن الشاب ليس من مشتركى النادى . والظاهر أن البرنس فؤاد باشا شعر بما كان وشيكا أن يحدث ، فرد على صباغ بك مازحا بقوله : إنه آت ليفتك بى ! وما كاد ينطق بهذه العبارة حتى كان الشاب قد دخل النادى وصعد السلم مسرعا ودخل فى الحال الى قاعة المطالعة شاهراً مسدسه . وكان فى القاعة بعض أعضاء النادى الباشوات مظلوم وعبانى ويعقوب أرتين ، فأراد تطمينهم ولفظ اسم « البرنس فؤاد » .

وفى هذه اللحظة قدم البرنس فؤاد باشا الى غرفة المطالعة فوقع نظره عليه . فادرك للحال قصده ، وحاول الاختباء وراء عبانى باشا وهو لا يدرك شيئاً من الأمر ؛

لأنه كان كزملائه منصرفا الى مطالعة الصحف ، ثم عاد البرنس فؤاد فابتعد عن العبانى لئلا يصاب بمكروه من أجله محاولا الفرار من وجه الشاب الى غرفة أخرى ، ولكنه ماكاد يخطو خطوتين حتى كان هذا قد أطلق عليه سيف الدين رصاصة من مسدسه أصابته فى جنبه فسقط على الأرض وهو يقول : « قتلت ! » ثم دنا الجانى منه وأطلق عليه رصاصتين أخريين فأصابته إحداهما فى صدره ومست الثانية كم قميصه . وخيل الى الجانى أنه قضى عليه فقال : « Fini » وفى الحال خرج من القاعة وهو هادىء الروع ، وأراد مغادرة النادى إلا أنه وجد أن بابه موصد ؛ وكان يعقوب أرتين باشا قد أبلغ البوليس فحضر وقبض عليه وقاده الى قسم عابدين .



البرنس احمد سيف الدين

وكان أول من أبرق للخديو بهذا الحادث الخطير الكونتس دى لاسالا باشا ، فأرسلت اليه النبأ ولما اطلعتُ على البرقية أسفت أشد الأسف لما كان بينى وبين البرنس فؤاد باشا من المودة وشاطرنى أسفى سائر رجال المعية . ثم وردت برقية أخرى من البرنس حسين باشا . فرددت عليه ببرقية أعربت فيها عن تأثر الخديو وشديد جزعه لما حدث لعمه وختمتها بالدعاء له بالشفاء التام . واستمر تبادل البرقيات بين الاسكندرية ومصر حتى شغلت أسلاك البرق الى ساعة متأخرة من الليل .

وخشى الأطباء على حياة البرنس بسبب الرصاصة التى أصابته فى صدره ، لأن الحمى اشتدت فى اليوم التالى وأصبحت حالة الجريح خطرة . غير أنه فى اليوم الثالث حدث تحسن فى حالة البرنس بعث شيئاً من الأمل .

ولما علمت والدة البرنس ، بالحادث من موظفى قصرها ، ركبت فى الحال الى دار على بك شاهين معاون التشريفات ، لمعرفتها بزوجته ، فحاول أن يهدىء روعها فلم يفلح ، واستسلمت الى الجزع والحزن ، وألحت فى رؤية ابنها قبل أن يلفظ النفس

الأخير لأنها كانت موقنة بأنه لن يشفى . ووصل البرنس حسين الى قصر الزعفران ، ولما لم يجد والدة البرنس فؤاد قفل راجعا وكانت قد وصلت مع على بك شاهين ودخلت على ابنها ؛ وكان اجتماعا مؤثراً جداً فقد قبلته ، وتظاهرت بالتجلد لئلا تزيد فى ألمه ، وقالت له بلهجة قوية : « أنت جندى فينبغى لك ألا تخاف الموت . وافرض أنك أصبت بالرصاصة فى السودان ، لأنك كنت عازما على الذهاب اليه . » وقد علمت أنها حين خرجت أغمى عليها .

أما البرنسيس شويكار هانم زوجة البرنس فؤاد باشا فانها لم تعرب عن رغبتها فى رؤية دولة زوجها إلا فى اليوم التالى ، وقد حال البرنس حسين باشا دون رغبتها ؛ وأعادت الكرة فى اليوم الثالث ، وكان البرنس فؤاد باشا قد تعافى قليلا فأبى هو نفسه أن يسمح لها بزيارته .

أما سلوك البرنس حسين وشقيقه الثانى البرنس ابراهيم بعد وقوع الجناية فقد كان يبعث على الاعجاب ، وقد برهن الاخوة الثلاثة على أن ما كان بينهم من الجفاء ـ لاختلافهم فى وصية والدهم ـ قد زال على أثر هذه الحادثة ، وقد جثا البرنسان حسين وابراهيم راكعين أمام سرير شقيقهما وقبلاه وهما يجهشان بالبكاء ، وكان البرنس فؤاد ضعيفا الى حد أنه لم يكن يستطيع التكلم ، وعلى رغم انحطاط قواه وهزاله فقد لفظ اسم والدته مرتين ، فأجابه البرنس حسين وهو يبكى : « أقسم بعظام والدنا بأنى سأعتنى بها عنايتى بوالدتى بالذات . »

وقد وفد الكبراء والعظماء على النادى ودونوا أسماءهم فى سجل الزيارات ، معربين عن أسفهم الشديد لوقوع هذه الحادثة ، وبينهم البرنسات جميعاً ، وفى جملتهم عم الجانى وشقيقه ؛ وكذلك المعتمدون السياسيون والقناصل وفى مقدمتهم اللورد كرومر والنظار ومستشارو النظارات والباشوات والأعيان .

أما الخديو فقد انتهج بازاء هذه الحادثة خطة لاغبار عليها ؛ ومما عمله أنه فى اليوم التالى لوقوع الجناية عقد فى قصر المنتزه مجلساً برياسته وحضورى ودومرتينو باشا ومحمود فهمى باشا ومحمود شكرى باشا . واستقر الرأى على إيفاد حسن عاصم باشا الى القاهرة ليعرب للبرنس فؤاد عن عواطف الخديو وتمنياته ، ويطمئن عباساً على حالته برقياً ؛ ثم يبلغ مصطفى باشا فهمى رئيس مجلس النظار أن سموه يريد أن يطبق القانون على الجانى كما لو كان من عامة الناس ودون أقل مراعاة لمركز أسرته .

وكان البرنس فؤاد باشا قد فكر قبل وقوع الجناية فى طلاق زوجته كما كانت شويكار هانم ترغب فى هذا الانفصال أيضاً .

وقد سمعت البرنس حسين يقول على أثر وقوع الجناية : « لقد رأينا بين أعضاء أسرتنا المقامر والسكير ولم يكن ينقصنا سوى القاتل ! »

وقد تولت النيابة التحقيق مع الجانى ، فسمعت أقوال الذين شهدوا الحادثة وهى لا تخرج عما تقدم تفصيله . وقرر أخوه البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين بك أن بينهما شقاقاً ، وأنه اعتدى على خادمه قبل الحادثة بيومين فأطلق عليه الرصاص ولم يصبه .

أما المتهم فقد قرر أنه أقدم على هذا الاعتداء انتقاماً لأخته ، وقد كتبت له منذ أيام كتاباً تقول له فيه : « خلصنى من قسوة هذا الرجل المتسلط على . » وأن ما كانت تشكوه هو طمع زوجها فى مالها ، وعمله على انتزاع توكيل منها هى لا تريده .

وقرر كذلك أنه كان يحمل دائماً طبنجته خوفاً على نفسه من عميه البرنسين أحمد كمال وفؤاد باشا ، إذ بينهما وبينه خصومات ؛ لأن الأول يطمع فى ماله ويطلب الحجر عليه ، فضلا عما كان بينه وبين والده من الجفاء . والثانى يطمع فى مال أخته ويعتقد أنه اذا مات (أى سيف الدين) قبل أخته فانها ترثه ويكون ذلك محققاً لأطماعه .



البرنس احمد كمال

وفى ١٦ مايو استأنفت النيابة التحقيق فسمعت أقوال البرنس أحمد كمال ، وخلاصتها : أنه يعتقد بوجود خلل فى قوى المعتدى العقلية ، وأنه طلب الحجر عليه لهذا السبب ؛ وذكر عدة أمثلة لذلك . ثم سئل عن الشقاق بين البرنس فؤاد باشا وزوجته فقرر أنه صحيح ، وأنها أرسلت إليه رسالة تطلب خلاصها وتشكو سوء معاملة زوجها لها .

وفى ١٩ منه تحسنت صحة المصاب وزال الخطر فنقل الى سراى الانشاء .

وكذلك انتهت النيابة من التحقيق بعد أن سمعت أقوال البرنسيس شويكار هانم ، وقررت أن الشقاق بينها وبين زوجها حقيقى ، وأنها شكت لعمها أحمد كمال ولأخويها وحيد الدين بك وأحمد بك ، ولكنها أنكرت أنها أوعزت للأخير بشىء أو أنه أخبرها بعزمه على ارتكاب الجريمة . ثم قررت النيابة إحالة المتهم على محكمة الجنايات ، متهماً

بتهمة الشروع فى القتل العمد مع سبق الاصرار ، وهى تهمة نص على عقوبتها بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وبدأت المحكمة تنظر القضية فى ٢٧ يونيه ، واستمر نظرها ثلاثة أيام وتولى الدفاع عن المتهم بوراللى بك وخليل بك ابراهيم ومرقص افندى فهمى ، وكان رئيس المحكمة احمد فتحى زغلول بك ، وقدم طلب بالحق المدنى من البرنس فؤاد بمبلغ ١٨٤٥ جنيهاً ما أنفق فقط للأطباء .

وشرح الدفاع تاريخ حياة المتهم وقال إنه عصبى المزاج جداً ، وإن له حوادث تدل على اضطراب فى ذهنه ، يضاف الى ذلك أنه لقى اضطهاداً أو إهانات كثيرة توجه إليه من أقربائه ولا سيما عمه المعتدى عليه ، وأن أخته البرنسيس شويكار هى التى بقيت وحدها على الولاء له ، ولذلك كان يخلص لها ويثق بها ، وقد رأى أن أخته أهينت أمامه ؛ إذ طردت من قصر الزعفران مكشوفة الرأس ، وأهين هو أيضاً من الخدم ؛ وذهب يشكو أمره الى المراجع العليا فلم يجد من ينصت له . ثم قرأ الدفاع بعض رسائل البرنسيس شويكار الى أخيها والى عمها والى عمتها عين الحياة هانم ؛ والى حكمدار البوليس ورئيس النيابة ومحافظ العاصمة ، وهى تشكو فيها جميعها أمر الشكوى من المعاملة القاسية التى تلاقيها وأنها تخشى على حياتها لأنها سجينة تقريباً ، ويراد اغتصاب توكيل منها هى لا تريد إعطاءه . وقال الدفاع : « إن هذه الشكوى من أخته العزيزة عليه قد حفزت المتهم الى الانتقام ، فضلا عما كان يلقاه هو شخصياً من إهانة عمه له . »

وفى ٣٠ يونيو أصدرت المحكمة حكمها بسجن المتهم سبع سنوات تحسب فيها مدة الحبس الاحتياطى ، وباعفائه من المراقبة بعد انتهائها ، وقضت للبرنس فؤاد باشا بالتعويض المدنى المطلوب .

وقد عدل هذا الحكم فى ١٤ ديسمبر من السنة نفسها ، أمام محكمة النقض والابرام فقد قضت بتخفيض الحكم من سبع سنوات الى خمس ، مع الحجر على المتهم فى جميع تصرفاته المدنية (*) .

(*) ولكن فى سنة ١٩٠٠ رفعت عريضة استرحام للخديو من البرنس احمد سيف الدين وفيها طلب العفو وقد قيل بعد ذلك أن قواه العقلية مضطربة فأمر سموه بفحص حالة السجين والبت فى موضوعه وفى ٤ يناير سنة ١٩٠٠ استدعي الدكتور وارنوك مدير مستشفى الأمراض العقلية بالقاهرة لفحصه فقرر بعد الفحص أنه مصاب فى قواه العقلية وقدم تقريراً أشار فيه بعلاجه فى أحد مستشفيات انجلترا رغم أن أخاه وأفراد أسرته كانوا يفضلون بقاءه فى مصر وعلاجه بمعرفتهم .

هذا وقد كرر البرنس فؤاد باشا الأعراب لاخوته أثناء مرضه عن رغبته فى طلاق زوجته ، فأقراه على هذه الرغبة ، وقد تم ذلك فى ٢١ مايو وأودع البرنس مؤخر الصداق وقيمته ثلاثة آلاف جنيه لدى أخيه البرنس ابراهيم حلمى باشا .

رحلة الخديو لأوربا والاستانة ومعاهدة برلين . عزم الخديو على القيام فى هذا العام برحلة إلى أوربا للاستشفاء حيث اعتلت صحته ، وكان انكبابه على العمل وإجهاد ذهنه ببحث الحوادث والشئون التى توالت لأول عهده بالحكم قد أحدثا أثراً سيئاً فى أعصابه وفى صحته بوجه عام ، فرأى أن لا مفر له من الراحة والاستشفاء .

مدحت بدرخان بك : وقد أمرنى سموه بأن أسبقه فسافرت إلى الاستانة ومعى مدحت بك بدرخان أحد رجال تركيا الفتاة والذى كان قد قدم إلى القاهرة وأنشأ جريدة باللغة الكردية للتعبير عن أمانى الأكراد فى تركيا ، وكان السلطان لا يريد أن تكون للأكراد صحف أو لغة مستقلة خوفا من تطور هذه الحركة إلى حركة انفصالية وعلم الخديو بهذه الرغبة فعمل على تحقيقها ، واتفق مع مدحت بك أولا على تعطيل جريدته وعوضه عن ذلك بمبلغ من طرفه وثانيا بالرجوع إلى تركيا فخشى إن هو عاد أن يصيبه شىء من الأذى ، ولهذا فقد استصحبته معى لأوصى به خيرا .

وقد عزم الخديو كذلك على أن يصطحب معه إلى الاستانة كاظم بك حفيد فؤاد باشا الكبير وابن عزيزة هانم بنت مصطفى باشا فاضل الذى كان ضابطا فى الجيش العثمانى ثم تركه وأقام فى أوربا مدة ثم قدم الى مصر فحظى بعطف الخديو . وكان كاظم بك رجلا مثقفاً ذا شخصية كبيرة ، يقف على كثير من أحوال الباب العالى ، ولذا خشى المابين أن يفشى ما لديه ورغب فى أن يعود الى الاستانة ، فقرر الخديو استصحابه معه ليرجعه الى الاستانة عند زيارتها ، مع التوصية عليه حتى لا يصيبه مكروه .

ولم يكن الخديو يسعى الى إرضاء السلطان طمعا فى غنم مادى أو سياسى الا أنه ظهر أن السلطان لم يقدر عواطفه وخدماته فقد وقف فى طريقه عندما أراد البحث عن المعادن فى طشيوز وإجراء بعض الاصلاحات فى وقفها ووقف قوله ، حتى لا يرى أهالى هذه البلاد أن هناك من يتولى شيئا من أمورهم غير السلطان . وكذلك كان الخديو يعلم أن السلطان لا يشجعه سياسيا ، حتى أن جلالته فى حديثه مع حاشيته كان يلقب الخديو « بالولد المجنون . »

ومع ذلك فقد كان الخديو يريد فقط أن يشعر السلطان باخلاصه لجلالته ، ويطلب الرضاء الأدبى منه .

هذا وقد سافرت مع رفيقى مدحت بك فوصلنا الاستانة يوم ١٢ يوليو ؛ وأبلغت السلطان بواسطة الباشكاتب مهمتى ، فسر السلطان من عمل الخديو وزاد فأنعم علىّ برتبة المتمايز فأرسلت برقية بذلك الى الخديو . وكان سموه قد غادر الاسكندرية يوم ٦ منه بعد أن انتدب مصطفى فهمى باشا قائمقاما خديويا فوصل الى فينا يوم ١٤ منه ؛ وأمرنى بموافاته فيها فسافرت اليها وقابلته بفندق أمبريال .

مهمتى فى برلين : كانت هناك محادثات تدور بين مصر وبرلين حول زيارة الامبراطور لمصر فى طريقه الى فلسطين هذا العام حتى أن الخديو أمر باعداد جناح فى سراى عابدين لنزول جلالته وأوصت الحكومة على مشترى أثاثات فاخرة لتزيين هذا الجناح وكانت سياسة الخديو ترمى الى أن ينتهز سموه الفرصة فيجمع الأمبراطور بأعضاء شركة قنال السويس سعياً الى التقريب بين فرنسا وألمانيا ؛ وقد وضع برنامج لهذه الزيارة ، وحملت أنا هذا البرنامج يوم ٢٢ يوليو لعرضه على الامبراطور ؛ ومما جاء فيه استقبال رئيس وأعضاء مجلس إدارة شركة القنال للامبراطور بالاسماعيلية ونزهة فى القنال، تعيين المرافق «مهمندار» للأمبراطور، ومشاهداته للآثار والمتاحف فى القاهرة والوجه القبلى ، والمآدب الرسمية ، واستعراض الجيش المصرى وغير ذلك .



امبراطور ألمانيا غليوم الثانى

وقد سافر سمو الخديو أيضاً معى خفية الى برلين ونزل فى فندق بسيط ، وأنزلنى فى أفخم فندق بها ، وهو فندق « كايزرهوف » ، وبعد قليل جاءنى صاحبه يسألنى هل سموكم الخديو ؟ لأن البارون ريشتهوفن فى وزارة الخارجية يستفهم . قلت: لا . إننى سكرتيره فقط . وبعد ذلك قابلت البارون فى مكتبه وكانت لى به صلة قديمة مذ كان عضواً فى صندوق الدين ، فسألنى عن حضور الخديو فأجبته بأنه لم يحضر . فقال لى : إن لدينا خبراً من فينا بأن الخديو غادرها الى برلين ، فأجبته بأن فى المسألة خطأ وأن الذى سافر هو

سكرتيره ؛ ولما علم بمهمتى ذهب بى الى السراى فقابلنا كبير الأمناء وقدمت اليه البرنامج ؛ وعلمت أن الأمبراطور غائب عن برلين ، وأنه سيعرض عليه هذا البرنامج ويخبرنا برأى جلالته(١) .

ثم طاف بى بعض الغرف والأبهاء الكبرى المعدة لزيارة الملوك ، وقال لى إن الخديو سيكون باحداها عند زيارته للامبراطور ؛ وقد شاهدت مكتب الأمبراطور فى طوافى ، وبه تمثال للكرة الأرضية وصورة نابليون .

وبعد ذلك عدت الى الخديو وكان لا يزال متنكرا ، وأخبرته بما تم . ثم خرجنا لزيارة حديقة النباتات(٢) وسمعنا الموسيقى ؛ ثم عدنا الى احدى المحطات فانتظرنا بها نحو ساعة وأدهشنا لاشتداد حركة القطارات إذ بلغت نحو الستين قطارا فى الساعة الواحدة فى أرصفتها المختلفة .

وقد جاءتنى رسالة من المركيز دى رفرسو بتاريخ ١٧ أغسطس جاء فيها : « علمت بسرور لا مزيد عليه أن امبراطور ألمانيا سيزور سمو الخديو فى مصر ، وحينئذ يستطيع أن يرى بنفسه الخطة التى يجرى عليها الانجليز تنفيذاً للعهود الرسمية التى قطعوها ؛ وأرجو فى الختام أن تعرب لسموه عن أصدق شعائر احترامى وتقبل أنت يا عزيزى البك أجمل تحياتى . »

وقد بعث الخديو فى ٢٠ اغسطس يعرض على الجناب الشاهانى رغبته فى زيارة الاستانة فجاء الرد بالترحيب بهذه الزيارة .

الخديو فى باريس : وقد سافرنا بعد ذلك الى باريس ؛ وكان الخديو متنكرا . وكنا معه ثلاثة فقط : طبيبه الخاص كوتسكى بك والدكتور حسين صبرى وهو من أصدقائه المقربين وأنا ، ولم نجد أحدا فى الاستقبال لشدة التكتم ؛ وكنا قد حجزنا أمكنة فى فندق « كمبل » ، ولكن ظهر لنا أننا عرفنا هنالك ، فذهبنا الى فندق « بوسيت » .

حديث لمصطفى كامل مع الليبر بارول عن عباس : وكان مصطفى كامل عندئذ فى

---

(١) لم تتم زيارة الأمبراطور لمصر ، لأن السلطان تدخل فى الأمر ورغب فى عدم وقوعها حتى لا يظهر الخديو بمظهر الملك المستقل عند زيارة الأمبراطور له . وقد علمت من أحد وزراء ألمانيا المفوضين بأنه عند مقابلة حصلت بينه وبين الأمبراطور فى المدة الأخيرة سمع منه أن الانجليز أيضاً لم يظهروا ارتياحهم لهذه الزيارة.

(٢) بينما كنا « بالسويسره » زار البارون ريشتهوفن عباسا وعرفه بأنه رغم تنكره فان بوليس برلين اكتشف سموه معي أثناء وجودنا بحديقة النباتات .

باريس ؛ وقد زاره أحد محررى جريدة الليبر بارول ، فحادثه عن الخديو وعن مقدمه الى باريس ونشر هذا الحديث فى جريدته وهذا أهم ما جاء فيه :

« إن الذى أعلمه أن سموه حضر الى أوربا للاستشفاء ، فان ما اختص به سموه من الدأب على العمل والاهتمام بمصالح الوطن ، قد جعله فى حاجة للراحة والرياضة فترة من الزمن ، وهذا ما دعا سموه للمبالغة فى التنكر والاختفاء .

فسأله المندوب : وهل الشعب المصرى مشارك فى الأفكار والميول لسمو الخديو ؟ فأجابه : « إن عباساً محترم شخصياً من الشعب المصرى ، الذى يجل مقامه ويعجب بصفاته العالية وفضائله ، وبالرغم عما يعمله الانجليز كل يوم ضد هذا الأمير الكريم ، فان الأمة المصرية بأسرها لا تزال مرتبطة بروابط الاخلاص والولاء له ، وهذا الارتباط هو الذى جعل نفوذه يكبر شيئا فشيئا فى نفوسهم ، وجميع الذين زاروا القطر المصرى شعروا بهذه الرابطة الوثيقة . ولا غرابة فى ذلك فان ارتقاء عباس الى الأريكة الخديوية كان عنواناً ليقظة الأمة من سباتها الطويل ؛ وبه ابتدأت الحركة الوطنية التى لا زالت تجعل وثوقنا بالمستقبل وطيداً ما دام سمو الأمير قائماً بالأمر فينا ، ولا بد للأجنبى أن يعيش بيننا زمناً ما ليتمكن من الوقوف على مقدار شهرة الجناب العالى بين الأمة المصرية ، فان سموه اذا أراد التجول فى داخل البلاد تقاطر الأهالى من جميع الطبقات بين شيخ وشاب . وغنى وفقير ، وعامل وفلاح للسلام عليه والتبشير به والتهليل له ، ولكى يرفعوا الى علمه أنه لا ولى لأمرهم سواه . وكم يكون هذا المنظر جميلا اذا تذكر الانسان أن الشعب المصرى كله الذى كان بالأمس فى عهد الحركة العرابية عدواً للمغفور له الخديو السابق ، هو بعينه الذى يتظاهر الآن بتلك العواطف الشريفة للجناب العالى عباس باشا ضد الانجليز . واذا كان الشعب المصرى ملازماً للسكينة فذلك إجابة لرغبة الخديو الذى يرى أن مصلحة البلاد تقضى عليها بالهدوء وانتظار الانصاف من أوربا . »

وسأله عن عواطف الخديو نحو فرنسا ؟ فأجاب : « عواطفه معلومة هنا لديكم ، وهى أنه يحب بلادكم ويعجب بها ، وليس ينسى أحد بمصر سواء كان من العائلة الخديوية أم من عامة الشعب أن فرنسا وحدها هى التى شدت أزر محمد على فى عام ١٨٤٠ وساعدته على نشر المعارف وتمدين القطر . »

احتفاء الطلبة المصريين بالخديو : وفى ٥ أغسطس اجتمع الطلبة المصريون المقيمون فى باريس وجاءوا الى الفندق الذى نزلنا به للتشرف بمقابلة سموه ، وقد ألقى

أحدهم ، وهو الدكتور أمين افندى أبو زيد خطبة أعلن بها سروره وإخوانه بوجود أميرهم فى باريس .

فرد عليه سموه بالشكر على هذه العاطفة والحث على دوام الاجتهاد لتحصيل العلوم ثم قال :

« إنى شاب مثلكم تقلدت منصباً كله مصاعب ومتاعب ، ولكنى أرى من واجبى المقدس ألا أمل أمام واجباتى الوطنية ، وأن أبذل كل ما فى وسعى لاعلاء شأن الوطن المصرى وترقية أمتنا العزيزة .

« وأملى وطيد فى أنكم متى أتممتم علومكم تكونون مع من فى مصر من الشبان النجباء أعواناً لى على خدمة الوطن العزيز ، لنبلغ بالعمل والاجتهاد الغاية التى نقصدها ونحقق ما فى نفوسنا من الأمانى . »

وهنا هتف الطلبة بصوت عال : « ليعش سمو خديوينا المعظم . » ثم أخذ سموه يسأل كل واحد منهم عن العلوم التى يلقاها ، ويحثه على الجد ؛ ثم انصرفوا شاكرين .

الخديو فى ديفون للاستشفاء : وفى ١٢ أغسطس بارحنا باريس الى سويسرة ومنها الى ديفون الحمامات على حدود فرنسا السويسرية للاستشفاء حسب نصح الأطباء ؛ وبناء على إشارة الطبيب كان الخديو يسير بسرعة عشرة كيلو مترات حتى يتصبب عرقاً ثم يدخل فى الحمام الى قاعة « الدوش » ، ويأخذ الدكتور الخرطوم ويقف على منصة عالية ويصوب عليه خرطوم الماء البارد لدرجة ٦ فوق الصفر من قدمه الى رأسه عدة مرات ، ثم يأمره بأن يعتدل بظهره من القدم الى الرأس كذلك ، وبعدئذ يخرج فيجفف جسمه ثم يذهب الى الحديقة ويعرض نفسه للهواء فى الاستراحة ويتناول الطعام حسب إشارة الطبيب .

اجتماعات سياسية فى نيون : وفى ٤ سبتمبر جاءتنا برقية من مسيو جافيو بباريس ليستفهم بها عما إذا كان الخديو يوافق على أن يقابله مع الأصدقاء يوم ١٢ سبتمبر فى نيون ورددت عليه بالموافقة . وكانت عادة عباس أن يتقابل مع جافيو وبعض السياسيين الفرنسيين فى مطعم اسمه « شاليه روس » على بحيرة « الأربعة الأقاليم » وهو مطعم مشهور بالجودة والنظافة لأن صاحبه كان طاهياً لقيصر الروسيا . فاجتمعنا فى الموعد المحدد وكان البحث يدور حول برنامج زيارة إمبراطور المانيا لمصر .

الرجوع إلى فينا والسفر منها للاستانة : وفى ٢٢ سبتمبر أرسل الخديو لمصر فى طلب ملابسه الرسمية ونيشان خاندان آل عثمان استعداداً لزيارة الاستانة ؛ وغادرنا ديفون إلى فينا ، وبعث سموه يطلب الدكتور نوتناجل الذى كان يستشيره — كلما حضر للنمسا — فى مرضه فجاءتنا برقية بأن هذا الطبيب لا يستطيع الحضور ، وأنه يعرض على الخديو استقدام البارون هوفر طبيب جلالة الامبراطور ؛ وقد حضر هذا الطبيب وقرر أن حالة سموه الصحية لا بأس بها .

وفى ٢٩ سبتمبر بارحنا فينا إلى الاستانة فوجدنا فى الاستقبال فى بابا اسكى على مقربة منها الفريق احمد على باشا من قبل السلطان . ولما وصل القطار إلى محطة سركه جى استقبله المشير شاكر باشا باسم الخليفة ، وقدم له تحية جنابه الشاهانى . وكان بالمحطة أيضاً البرنسات حسين كامل باشا ومحمد على باشا والبرنس ابراهيم حلمى باشا وكثير من الكبراء . وعند وصول الخديو إلى يلدز تشرف بمقابلة السلطان فلقى منه حفاوة بالغة .

وفى ٤ اكتوبر دعى سموه لتناول الطعام على المائدة السلطانية فى سراى يلدز ومعه شقيقه ، وبعد الطعام قلده جلالة السلطان مدالية الحرب اليونانية كما أنعم على شقيقه بالنيشان العثمانى المرصع ، وعلى عبادى باشا قومندان المحروسة ، وحسن عاصم باشا الذى وصل إلى الاستانة لانتظار سموه ، بمدالية الحرب اليونانية .

الرجوع لمصر : وفى ١١ اكتوبر بارحنا الاستانة الى مصر فوصلنا الاسكندرية فى ١٢ منه ، واستقبل الخديو بالرسوم المتبعة ، ونزل بسراى المنتزه .

وفى اليوم التالى لوصولنا أبلغنا ببرقية من الاستانة أن جلالة السلطان أنعم على عاصم باشا بمداليتى الامتياز الذهبية والفضية ، وعلى عبادى باشا وعلىّ بالنيشان المجيدى الثانى ، وبرتب ونياشين أخرى على كثير من رجال المعية .

عود الخديو من المصيف وزيارته الغربية والشرقية والدقهلية . بقى الخديو بالاسكندرية حتى يوم ٢٤ اكتوبر ، ثم بارحناها فى ٢٥ منه ومر سموه فى طريقه بدمنهور لزيارتها ، فاستقبل بها استقبالا حافلا . وفى ٢٦ منه زار مديرية الغربية . وفى ٢٧ منه سافرنا الى المنصورة . وفى ٢٨ منه زرنا الشرقية وتنقلنا فى بعض مدنها . وفى ٣١ اكتوبر عدنا الى القاهرة وكانت مظاهر الاحتفال فى كل بلد حل بها أكثر

مما تعودت إظهاره من قبل ، فكان ذلك خير رد عمل على اتهام مدير البحيرة بأنه أرغم الناس على إقامة الزينات .

محاكمة أحمد خيرى باشا : وتفصيل ذلك أنه لم يرق لأنصار الاحتلال ظاهرة الاحتفال بالخديو فى دمنهور ، فأوعزوا الى الحكومة المصرية بمحاكمة مدير البحيرة أحمد خيرى باشا بتهمة أنه أجبر الناس على الاحتفال وإقامة الزينات . وقد قام الكثيرون من كبار الأهالى والعمد والمشايخ بتكذيب هذه التهمة ، وصرحوا بأنهم إنما قاموا بالاحتفال من تلقاء أنفسهم ودون إرغام من أحد ؛ وقد عرض النظار على الخديو أن يحال خيرى باشا على المعاش بدون محاكمة ، ولكن سموه فضل أن يحال على مجلس تأديب ، يتهم ويدافع عن نفسه ، وقد انعقد المجلس فى ٥ نوفمبر وحكم عليه بالاحالة الى المعاش ! .

جريدة « بريد الشرق » الفرنسية . المسيو كلافل رجل فرنسى كان فى مستعمرات فرنسا الافريقية ، وألف كتاباً فى الأوقاف ، وهو كاتب مجيد ومحام سابق وقد قدم الى مصر فى يوليو سنة ١٨٩٨ وتعرف بى بعد رجوعى من السياحة مع الخديو وكلمنى فى استعداده لاصدار جريدة « بريد الشرق » باللغة الفرنسية ، وجعلها تحت أمر الخديو للدفاع عنه وعن المصالح المصرية ، فعرضت على سموه هذه المسألة فاستحسنها ، وكلفنى بشكره ، ولكن بدون أن يحصل أى اتفاق كتابى أو شفوى على إصدارها . وبعد مدة من نشرها جاءنى يوماً من الأيام وطلب منى أن أعرض على الخديو أن يعين له مكافأة سنوية لأن الجريدة تقوم بالخدمة لسموه ، ولكن عباساً تردد فى ذلك لتوقعه أنه ربما يطلب زيادة الجعل فيما بعد ، ورأى ألا يعطى شيئاً ، ويكتفى بشكره ، لأن أمثاله ربما طمعوا فى أخذ مكافأة مثله .

وكان مسيو كلافل على اتصال فى هذه المسألة مع المسيو كورون ، أحد موظفى البنك العقارى ، فغضب لذلك ورأى أن يتدخل فى الموضوع ، وأن يعرض على الخديو أن يرضى كلافل باعطائه مبلغاً مع تعهده بعدم إصدار الجريدة ، وفعلا تم ذلك وهذا نص التعهد المأخوذ على مصدر الجريدة :

« وصلنى من الشركة التى أسست جريدة بريد الشرق بصفة ترضية وبواسطة مسيو كورون الوسيط المعتبر لحكم ودى ، مبلغ ألف وخمسمائة جنيه انكليزى ؛ وقد سلمت الى المسيو المذكور الأوراق التى يعلمها ، وأتعهد بأن أوقف ظهور الجريدة فى

مدة ثمانية أيام ، وألا أصدر جريدة أخرى فى مصر ، وأن أخرج منها فى ظرف ستة أسابيع ، حتى أستعد للسفر وأصفى حساباتى ؛ وإنى أتنازل عن التعهدات الشفوية وغيرها التى أعطيت لى بخصوص هذه الجريدة بحيث لا يحق لى فى المستقبل أن أطالب أحداً أمام المحاكم بأى شىء كان ؟ القاهرة فى ٣ ديسمبر سنة ١٨٩٨ الامضاء « كلافل »

وقام الرجل بما تعهد به وبارح القطر المصرى نهائياً .

سنة ١٨٩٩

مجلس شورى القوانين والتعليم فى تقرير كرومر . امتناع الخديو عن حضور الاحتفال بوضع الحجر الأساسى لخزان أسوان . مولد ولى العهد . تدخل الانجليز فى المسائل الشرعية . حملة لاسترداد السودان . موقف الباب العالى . تعليقات الصحف الأجنبية . حوادث الحرب السودانية . مسألة فاشودة . انتهاء الحرب السودانية . سفر كرومر الى السودان . اتفاقية السودان وصداها فى البلاد وفى الصحف الأجنبية بمصر وأوربا . سفرى الى الاستانة مع الوالدة . رحلة الخديو لاوربا . دسيسة ضد الوالدة . رفع الستار عن تمثال فرديناند ولسبس بپور سعيد . عيد الميلاد السلطانى . شئون مختلفة . حديث بين الخديو وشيخ الازهر .

مجلس شورى القوانين والتعليم فى تقرير كرومر. صدر تقرير اللورد كرومر عن العام الماضى ومما جاء فيه عن مجلس شورى القوانين قوله : « ومما هو جدير بالذكر أن مجلس شورى القوانين صادق على ميزانية السنة الحاضرة بلا تردد ولما كان النظار والمستشارون الانجليز لم يحاولوا فى وقت من الأوقات أن تكون لهم يد فى انتخاب أعضاء المجلس أو فى أعماله فمصادقة المجلس هذه تعد اختيارية خالية من كل شائبة .

« وقد جرت عادة المجلس فى بعض السنين الماضية أن يعترض على الميزانية قبل أن يفحصها فحصاً دقيقاً . ومع ذلك كانت اقتراحاته تحل محل الاعتبار ، لمعرفة ما إذا كان يمكن اتباع رأيه فى أمر من الأمور . »

وجاء فى كلامه عن التعليم : « إن عدد المتعلمين باللغة الانجليزية ازداد زيادة كبيرة بعد ما كان النفوذ كله للغة الفرنسية فى التعليم ، وإن عدد الذين تحتاجهم المصالح من عارفى اللغة الانجليزية يزيد شيئاً فشيئاً مما يؤدى إلى الاقبال على تعلم هذه اللغة ، وإنه فى هذا العام خصص مبلغ فى الميزانية لافتتاح قسم فى مدرسة الحقوق للتعليم بالانجليزية بعد أن كانت هذه المدرسة الوحيدة المقررة بها اللغة الفرنسية وحدها . »

امتناع الخديو عن حضور الاحتفال بوضع الحجر الاساسى لخزان أسوان . فى ١٥ فبراير وصل إلى القاهرة الدوق أوف كونوت نجل جلالة ملكة الانجليز فى طريقه إلى السودان فاستقبله باسم الخديو ، حسن عاصم باشا وقد قابل عباساً بسراى عابدين ورد له سموه الزيارة فى فندق سافوى .

وفى اليوم التالى سافر الدوق إلى الوجه القبلى على قطار خاص قاصداً الأقصر . ورأى النظار أن يسافر الخديو مع الدوق لوضع الحجر الأساسى فى بناء خزان أسوان أولا ثم لزيارة السودان بعد ذلك ؛ ولكن سموه أبى ، لأن سفره ، وهو حاكم مصر ، مع الدوق يعرضه لأن يكون أقل منه مرتبة فى الاستقبالات الرسمية ويتقدمه الدوق بحكم النفوذ الانجليزى وهو ما لا يقبله .

ثم سافر الدوق إلى أسوان حيث حضر الاحتفال ، وبعد تمامه بعث الى الخديو برقية جاء فيها :

« إن الاحتفال جرى على ما يرام ، وإنى أهنىء البلاد بافتتاح هذا الخزان الذى سيعود على أهلها بالنفع الكثير . »

ثم غادر أسوان إلى السودان ولما عاد زار الخديو فى يوم ٩ مارس مودعا وشاكراً له حفاوته التى لقيها . وسافر على قطار خاص إلى الاسكندرية وودعه السرتشريفاتى من قبل الخديو ، واللورد كرومر ، وأطلقت المدافع عند تحرك قطاره ؛ وسافر مع الدوق من قبل الخديو يوسف بك ضيا حتى الاسكندرية وقد أرسل الدوق منها برقية شكر لعباس لما لقيه من سموه من الحفاوة والاكرام مدة إقامته بمصر .

مولد ولى العهد . فى صباح ٢٠ فبراير سرت البشرى بمولد ولى عهد للخديوية المصرية ، وكان الخديو بسراى المنتزه . فأعلن الخبر لرياسة مجلس النظار . فاجتمع وقرر الاحتفال بهذه البشرى باطلاق مائة مدفع ومدفع ، وإبلاغ مصالح الحكومة الرئيسية

فى القاهرة ، ووجه منشور برقى للمحافظين والمديرين وآخر من ناظر الخارجية لقناصل الدول الجنرالية . وكذلك رفعت الأعلام على ديوان المحافظة والمصالح الحكومية ودور القناصل .

وقد سافرت أنا ومحمود شكرى باشا ومحمود بك فهمى ، ناظر دائرة الوالدة ، وعبد الحليم عاصم باشا إلى الاسكندرية فهنأنا الخديو بهذا المولود السعيد .

وبعث الجناب العالى برقية إلى جلالة السلطان يخبره فيها بما أنعم الله به عليه ؛ وأقيمت الزينات بالمساجد والمنازل بالاسكندرية ، وتليت الأدعية فى الجوامع ، ووزعت الخاصة ستين رأساً من الغنم على تكايا ومساجد الاسكندرية ومثلها فى القاهرة .

وتوافد الأعيان والكبراء على السراى يقيدون أسماءهم فى سجل التشريفات ، وكثرت برقيات التهنئة على مكتب تلغراف الاسكندرية ، فرأت مصلحة التلغرافات أن خير وسيلة للخلاص من تكدس هذه البرقيات أن تبعث بأصولها الخطية الى مكتب تلغراف المنتزه ؛ وبعثت بعدة عمال لنقل صور هذه البرقيات .

وقد أمرنى الجناب العالى بأن أرد على هذه البرقيات بالشكر وعدنا مع الخديو يوم ٢٢ منه الى سراى القبة وفى صباح ٢٣ منه نزل سموه الى عابدين حيث احتشد المهنئون احتشاداً عظيما .

وقد أقيمت الزينات والاحتفالات فى طول البلاد وعرضها ، وزينت السرايات الخديوية وقصور البرنسات . وكانت البلاد من أقصاها الى أقصاها — كما نقلت الينا الأخبار — ساحة من الزينة والرواء .

وأقامت دولة الوالدة عدة احتفالات متوالية كان أبهجها الاحتفال الذى أقيم يوم ٤ مارس فى سراى عابدين ودعى اليه نحو ستمائة من كبار المصريين والأجانب وقد أقيم فى الميدان عدد كبير من السرادقات والزينات والأنوار ، وتليت الآيات القرآنية فى بعضها ، وجلس المغنون يشنفون الآذان بالألحان الشجية وفى مقدمتهم عبده الحمولى والشيخ يوسف المنيلاوى ومحمد عثمان . ووقف محمود باشا شكرى بمدخل السراى يستقبل الوافدين ومعه حسن باشا عاصم والموسيقى العسكرية تصدح بألحانها . واستمرت الحفلة الى ما بعد منتصف الليل .

وأطلق على المولود الجديد اسم البرنس « محمد عبد المنعم » والذى اختار له هذا الاسم هو محمود شكرى باشا .

تدخل الانجليز فى المسائل الشرعية . منذ العام الماضى كانت هناك فكرة لمنع المصريين من السفر الى الحج ، لأن قومسيون الصحة والكورنتينات قد قرر وجود خطر الكوليرا فى الحجاز ، وانتهت المسألة كما قدمنا فى مذكرات العام الماضى بتحقيق رغبة الخديو فى إباحة الحج بشروط معينة .

وفى هذا العام تجدد المشكل وأصر النظار والموظفون الانجليز على المنع ؛ ولما رأى سموه هذا الاصرار سلم به على شرط أن تستصدر فتوى من العلماء بتأييده ، واضطر المعارضون لقبول استصدار الفتوى ، وكان سموه يرمى بذلك إلى ملافاة الأمر من الوجهة الدينية بعد ما تأكد أن الفتوى ستصدر بعدم المنع .

وبالفعل أفتى العلماء بعدم المنع ، لأن الشريعة لم تنص على منع الحج إذا كان ثمة وباء أو شبهه ، وإن رخصت بتأجيله لمن أراد . وبعد أخذ ورد صدر الأمر فى ١٤ مارس ، باطلاق الحج مع اتخاذ التحوطات اللازمة على نحو ما حدث فى العام الماضى .

ولم تمض أسابيع قلائل حتى جدت مسألة دينية خطيرة أخرى ؛ ذلك أن المستشار القضائى قدم فى ١٨ أبريل مشروعا بتعديل تأليف المحكمة الشرعية العليا يقضى بتعيين قاضيين من قضاة الاستئناف لحضور جلسات هذه المحكمة . ولما عرض المشروع على مجلس شورى القوانين فى جلسة ١٠ مايو ، رفض لسببين أبداهما قاضى مصر سماحة جمال الدين افندى ومفتى الديار المصرية الشيخ حسونه النواوى : « أولهما عدم جواز تولية من لم يكن موصوفا بالقدرة فى معرفة القول الراجح من المرجوح والضعيف من الصحيح من مذهب الامام الأعظم ، لأن من يتولى الأحكام الشرعية مأمور بالحكم والفتوى بالقول الصحيح من مذهب أبى حنيفة ، ويكون من الممارسين للمرافعات والأحكام الشرعية . »

ثانيهما : « أن سماحة قاضى مصر حيث كان معيناً من لدن الخلافة ، فاشتراك أحد قضاة محكمة الاستئناف معه فى الأحكام لا يسوغ شرعا ، ولا يسعه الاذن له كما يستفاد ذلك من النصوص . »

وقد فند ابراهيم فؤاد باشا ناظر الحقانية هذين السببين مستنداً على بعض آراء العلماء القدماء والمفتين السابقين ، وتكلم المستشار القضائى فى الجلسة باللغة الفرنسية مؤيداً مشروعه (*) .

(*) وأسر الشيخ محمد عبده بهذه المناسبة لأحد أصدقائه أن غرض الانجليز من هذا المشروع يرمى إلى إلغاء المحاكم الشرعية كما علمه من بطرس باشا غالى .

ولكن رفض جميع أعضاء المجلس المشروع لمخالفته للشريعة .



الشيخ سليم البشرى

ولما علم الباب العالى بهذا التغيير المنوى إدخاله على القضاء الشرعى أعلن بواسطة احمد مختار باشا احتجاجه على الاعتداء على سلطته الدينية . فاضطرت الحكومة إلى تأجيله مؤقتاً . وقد وقف الشيخ حسونه شيخ الأزهر موقفاً صلباً مشرفاً حتى انتهى الأمر بمغادرته المشيخة وتعين الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى مكانه فى ٣ يونيو ؛ وأسند منصب الافتاء الى الشيخ محمد عبده . وفى ٦ يوليو عين الشيخ سليم البشرى شيخا للأزهر ، وفى ٢٥ يونيو عين الشيخ محمد عبده عضواً دائماً بمجلس شورى القوانين بدلا من إدريس بك راغب المستقيل .

وعلى أثر ذلك فكر الانجليز فى تعيين قاض لمصر من كبار علماء الأزهر مكان القاضى التركى ، ووردت على اللورد كرومر برقية من وزير الخارجية الانجليزية تشير الى وجوب تعيين قاض مصرى فى منصب القاضى التركى ؛ فاستشار الخديو الشيخ محمد عبده فى ذلك فقال له : « إن الانجليز أشد شعوب الأرض احتراماً لحرية الضمير والوجدان الدينى ، ولا سيما الطبقات الراقية منهم ، فاذا جاء اللورد الآن وبلغ سموكم هذا الطلب وقلتم له إن وجدانى الدينى لا يسمح لى بأن أعين القاضى ورئيس الأمور الشرعية — لأننى أعتقد أن هذا حق السلطان بما له من صفة الخلافة — فانى لا أشك فى أن اللورد بما نعرفه من تربيته السكسونية الاستقلالية — ومن أصولها احترام الوجدان — فانه يقبل من أفندينا هذا الجواب ويبلغه لرئيسه وزير الخارجية فيقبله هو الآخر ويكون هذا فصل الخطاب . »

وقد حضر اللورد وأخبره الخديو بذلك فأجابه : « وإذا كانت المسألة مسألة ضمير ووجدان فلا كلام لنا فيها ! » وانتهى الأمر بذلك .

حملة لاسترداد السودان . كانت مسألة استرداد السودان الذى ترك فى سنة ١٨٨٤ تتردد منذ أوائل سنة ١٨٩٦ ؛ وفى ذلك الحين وردت الأنباء بأن الايطاليين قد هزموا فى مصوع أمام الأحباش ، وحصر جيشهم فى كسلا أمام الدراويش ؛ وكان هناك اتفاق بين إيطاليا ومصر يقضى بأن ترد إيطاليا كسلا إلى مصر فى ظروف مخصوصة ؛ فلما هزمت الجيوش الايطالية قررت أن تردها إلى مصر خشية أن تسقط فى يد الدراويش .

ولم نكن نعتقد أنه سيبت فى أمر إرسال حملة للسودان حتى يؤخذ رأى الجناب الخديوى وحكومته فى هذا الشأن غير أننا فوجئنا بالأمر يوم ١٣ مارس سنة ١٨٩٦ حينما حضر رئيس النظار وأخبر الخديو بأن اللورد كرومر أفضى إليه بأن الحكومة الانجليزية قررت إرسال حملة للسودان ، وأنه لم يبق إلا إرسال الأوامر للمديريات والمراكز لجمع الجنود .

وكان لذلك الخبر وقع سيء لدى عباس ، وكان مثار دهشة وإنكار من الجميع ، حتى أن سموه رفض أن يصدر أمراً عالياً بارسال الحملة ، ولذا فقد حضر اللورد كرومر واعتذر لسموه باسم اللورد سالسبورى عن الخطأ الذى وقع فى الاجراءات الشكلية بعدم إخبار سموه رسمياً بالأمر ؛ وقد علمنا عندئذ أن اللورد كرومر نفسه لم يكن قد استشير فى هذا القرار(١) الذى أصدرته حكومته على عجل ، مساعدة لايطاليا فى موقفها الحرج أمام الدراويش والأحباش(٢) .

وفى ٨ مارس كانت أورطتان قد تهيأتا للسفر ، وقد حضر اللورد كرومر قبلها وبذل مجهوداً كبيراً لدى الخديو فى حمله على أن يقف موقفاً محايداً فى الموضوع ؛ ومن ثم فقد قبل سموه أن يودع الفرقتين عند سفرهما ؛ فركب فى موكب من رجال معيته قاصداً العباسية محطة القشلاقات ، وكان هناك قطار خاص أعد لركوب رجال الجيش ، وفى مقدمتهم السردار فلما أشرف سموه عليهم تقدم الضباط ولثموا يده ثم ألقى عليهم الكلمة الآتية : « إنكم يا حضرات الضباط مسافرون ، وستعودون إن شاء الله بالسلامة والظفر وإنى أؤمل فيكم أن تؤدوا وظيفتكم بهمة ونشاط ، وتقوموا بالواجب عليكم حتى تأتينى تقارير رؤسائكم بالثناء عليكم ، إذ يسرنى ذلك كل السرور .

---

(١) ولكن الحقيقة التى علمتها فيما بعد أن الحملة كانت باتفاق كرومر مع كتشنر وأنهما أرسلا تقريراً إلى اللورد سالسبورى بعد ذلك .

(٢) وعلمت أيضاً أن حكومة انجلترا علمت بزحف بعثة فرنسية إلى داخل حدود السودان المصرى .

واحفظوا اسم وشرف الجيش المصرى الذى لا يزال شريفا ، وشأنه رفيعا وأنا أشاهد الآن بينكم ضباطاً تخرجوا حديثاً فى المدارس الحربية فأملى أن أسمع عنهم أنهم اقتدوا باخوانهم الأقدمين ، وبذلوا من الهمة والاقدام ما فيه خدمة وطنكم المحبوب .

وأسأل الله أن تصاحبكم السلامة فى كل حركة وسكون . »

وعندئذ لهجت ألسنة الضباط بالدعاء لذاته الفخيمة ، وعلى أثر ذلك ركب الجنود القطار فى حركة سريعة سر منها سموه — وكان قد أمر من قبل بعدم ركوبهم قبل حضوره حتى يشاهد حركاتهم — ثم سار سموه محاذيا القطار متفقداً الجنود فى جلستهم ، وبعد ذلك ركب الضباط وصدحت الموسيقى بتحية الوداع والجنود تهلل باسم الجناب الخديوى وتدعو له بالتأييد والبقاء .

وقد طلب السردار بعد ذلك من الخديو أن يتكرم على الجيش بضباط الحرس لأنه فى حاجة اليهم ، فاستبقى ضابطين فقط وأرسل للجيش أحد عشر ضابطا ، وقدم الضباط الذين فى الاستيداع أنفسهم للسردار ووزعوا على الفرق كذلك . ومع هذا فقد اقتضى الأمر أخذ بعض طلبة المدرسة الحربية من الفرقة النهائية قبل إتمام دراستهم نظراً لشدة الحاجة اليهم .

وظل الخديو يودع كل أورطة تسافر بعد ذلك حتى بلغت الجيوش المسافرة حتى يوم ٢٤ مارس خمسة عشر ألف جندى وجمع من الرديف ألفان ، وألحق ثلاثون ضابطا انجليزيا بالحملة ، كان معظمهم ممن سبق اشتغالهم بالجيش المصرى .

موقف الباب العالى . وقد بعث الصدر الأعظم برسالة برقية إلى الحكومة المصرية فى ٢٥ مارس يسألها عن الباعث لها الآن على تجهيز حملة للسودان ، ولماذا لم تخطر الباب العالى بها ؟ فحضر للسراى رئيس النظار وتباحث مع الخديو فى مسألة الرد فتقرر : « أن دنقلة هى التى يراد استرجاعها الآن وهى جزء من السودان التابع لمصر ، بمقتضى الفرمانات الشاهانية . وأن الحكومة الخديوية لم تتخل عن السودان إلا حينما دعت الظروف لذلك على نية أنه متى سنحت لها فرصة باسترجاعه أو جزء منه لا تتأخر ، وهى الآن لم تعمل ذلك إلا حيث سنحت لها الفرصة وخلت طريق دنقله من الدراويش لاشتغالهم بكسلا وأن الحكومة الانجليزية مع ذلك كله هى التى أشارت بايفاد هذه الحملة وتقرر تسييرها بناء على ذلك . »

وقد جاء الرد يوم ١٠ أبريل بما يأتى :

« إن جلالة السلطان راض تمام الرضى عن احتياط سموه وإنه لم يخالجه أقل شك فى إخلاصه لذاته الشاهانية وحسن ولائه لمتبوعيته . »

وبعد أن تقدمت الحملة فى خطواتها وردت برقية من الباب العالى بالسؤال عما إذا كانت حامية سواكن المصرية كافية لحفظها ، إذا ما تقدم الجيش لمقاتلة الدراويش ، أو هل تعوزها فى هذه الحالة نجدة من جيش أجنبى ؟

وقد حضر رئيس النظار وقابل الخديو وتقرر بعد المداولة مع رجال المعية أن يكون الرد فى هذه المرة صريحا من جانب الحكومة المصرية لا مواربة فيه — كردها السابق عن مسألة الحملة — وذلك باعلان نيات الانجليز التى تعرفها الحكومة المصرية للباب العالى ليتصرف بحسبها ، إذا كان يريد أن يتصرف ، وكان ملخص الرد :

« إن الحامية الموجودة الآن بسواكن كافية لحفظها ، ولكن إذا اشتبكت الجنود المصرية مع الدراويش فى قتال واحتيج إلى تقديم الحامية الموجودة فان الانجليز يرون أن تحتل هذا الثغر حامية من الجيش البريطانى . »

وبالفعل قد صرح وزير خارجية انجلترا بعد ذلك بأيام قلائل بأن الجنود الانجليزية ستحل محل الجنود المصرية فى سواكن عند الضرورة !

تعليقات الصحف الأجنبية . وقد اهتمت الصحف الأجنبية الكبرى بهذا الحادث ، ونشرت عنه فصولا طويلة ، ومن ذلك حديث للخديو أفضى به لمكاتب نيويورك هرالد فى أواخر مارس ونشرته الصحيفة المذكورة ، وفيه ينوه الخديو بأهمية الحملة السودانية ويأسف لتقريرها فجأة قبل تنظيمها وإعداد ما يلزم لها ، ويقدر عدد عساكر الحملة بعشرة آلاف مصرى وانجليزى بين أسوان وعكاشه .

ونشرت جريدة « الديبا » لمراسلها فى لندن فى عدد ٥ مايو سنة ١٨٩٦ : « لماذا أرغمت الحكومة الانجليزية مصر على إرسال حملة على دنقله ؟ » لقد أجاب مستر بلنت على هذا السؤال فى مجلة القرن التاسع عشر حيث قال : « إن الحملة قررتها الحكومة المصرية والسلطة العسكرية بمصر بتصديق كرومر . والحقيقة أنه بعد انهزام الايطاليين فى عدوة حضر إلى مصر من روما سياسى عسكرى بمهمة سرية لدى كرومر بغرض البحث فى القيام بعمل ضرورى لمنع الدراويش من الاستيلاء على كسلا حتى تتمكن

إيطاليا من تنفيذ وعدها برد كسلا للحكومة المصرية . فاجتمع عند كرومر الجنرال نولس قائد الحامية وكتشنر والضابط الانجليزى السرى ، وكانت النتيجة إرسال كرومر تقريراً لوزارة الخارجية الانجليزية يقول فيه إنه باجماع الآراء يلزم إرسال جنود كافية مصرية من توكر إلى كسلا لأجل المحافظة على المدينة والمدافعة عنها ؛ وكانت الدراويش لم تحاصرها الى هذا الوقت ومن هذا يتضح أن الحكومة المصرية لم يكن لها دخل فى هذه المسألة ، ولم يكن السبب فى إرسال الحملة إلى دنقله أى خطر على تقدم الدراويش على مصر ، بقى أن الخطر ليس على مصر بل على أملاك إيطاليا فى الاريتريا ؛ إذاً فان انجلترا هى التى أعلنت حكومة مصر بهذا القرار بدون استشارتها وبدون أن يكون لاسترجاع دنقله دخل فى ذلك . أما مسألة الزحف عليها فانها تقررت فى لندرة ولم يكن لكرومر وكتشنر علم بها إلا فى يوم ١٢ مارس من برقية وصلت من وزارة الخارجية الانجليزية ، والخديو هو آخر من علم بقرار انجلترا فى ١٣ مارس عندما أعطيت الأوامر لجميع جهات القطر لجمع الجنود .

« وفضلا عن ذلك فان الأوامر صدرت للجنود المصرية الموجودة فى سواكن بالانضمام لحملة دنقله وتخلفها قوة انجليزية ، لاحتلال سواكن بنفس الشروط التى احتلت بها إيطاليا مصوع ؛ وقد رفض الخديو أن يقبل ما عرض عليه بخصوص سواكن بدون أخذ رأى النظار . وفى ١٤ مارس اجتمع مجلس النظار وسحب اللورد كتشنر ما طلبه بخصوص سواكن مع هذا فان الخديو وحكومته أذعنا أخيراً لقبول استرجاع دنقله . » وقد ختم بلنت كلامه بقوله : « إن تدخل الامبراطور غليوم فى مسألة حملة دنقله كان فى صالح التحالف الثلاثى — ألمانيا والنمسا وإيطاليا — لمساعدة إيطاليا وفى مقابل هذه الخدمة للتحالف الثلاثى ترجع المودة بين ألمانيا وانجلترا لتأييد الأولى للثانية على استمرار احتلالها لمصر . »

وقالت الطان بتاريخ ١٤ مايو سنة ١٨٩٦ بعد أن ذكرت ما قاله بلنت فى المقالة السابقة : « إن الوقائع التى ذكرها بلنت لم تكذبها الصحف الانجليزية ، بل سكتت ولم تبد رأيها ، ويظهر أن سالسبورى أبرق إلى كرومر بأن يعتذر لعباس عن عدم إخباره بما تقرر بخصوص استرجاع دنقله . أما قول كيرزون فى مجلس العموم بأن الحكومة المصرية هى التى قررت حملة دنقله فلا أساس له . »

ثم قالت : « وإن الجنود الهندية هى التى ستخلف المصريين فى سواكن بدلا من الجنود الانجليزية . »

وقالت الفيجارو فى عددها الصادر فى ٥ مايو سنة ١٨٩٦ : « إن بعض الشواهد تدل على أن سياسة ألمانيا ليست ثابتة فى المسألة المصرية . وقد لوحظ كثيراً، وخصوصاً فى لندرة، تبادل البرقيات اللطيفة بين الامبراطور غليوم وعباس بمناسبة اشتراك مصر فى معرض برلين وربما كان ذلك لاظهار وخز الضمير لتصريحه بالموافقة على حملة دنقله . »

احتلال دنقله وإنعامات الخديو للضباط : رافق النصر الحملة المصرية من البداية فانتصرت فى سوارده وفركة وغيرهما من المواقع ، وكانت الأخبار ترد تباعا على الخديو وهو فى أوربا أثناء الصيف . وقد رأى سموه أن يظهر تقديره للجيش والجندية فأمر فى ١٢ أغسطس بأن يمنح الجند شهرين مكافأة لهم على بسالتهم. وفى ٢٤ سبتمبر علمنا بأن هذه الفتوحات قد توجت بسقوط دنقله فى يد الجيش المصرى بعد أن سبقتها عدة مواقع صغيرة فى « الحفير » وأن خسائر الجيش كانت قليلة بالنسبة لخسائر العدو ، وقد قتل خمسة من الضباط الانجليز . وبعد ذلك أخذنا نتساءل فيما إذا كان الانجليز سيكتفون باسترجاع دنقله كما كان غرض الحملة فى المبدأ أم سيطوحون بالجيش فى أراضى السودان جميعاً بقصد استرجاعه كله .

وفى ٣ أكتوبر أنعم عباس بالنيشان العثمانى من الدرجة الأولى على كتشنر باشا بمناسبة هذا الانتصار ، وصدرت الارادة السنية بتهنئته برقياً وإبداء ارتياح سموه للهمة وحسن التدبير اللذين أظهرهما فى قيادة الجيش ، ثم عبارات الثناء والتشجيع للضباط على ما أبدوه من الشجاعة .

وقد رد السردار ببرقية تتضمن الشكر وإظهار الاخلاص ، كما أعرب فيها عن تقدم صحة الجرحى من الضباط والجنود .

تمثيل رواية المهدى وفتح السودان : وبهذه المناسبة أذكر أن جوق اسكندر فرح افندى مثل فى هذه الأثناء رواية « المهدى وفتح السودان » وهى تمثل حرب السودان وتنتهى بدخول العساكر المصرية إلى أم درمان ووقوع التعايشى أسيراً فى أيديهم وقد كان الازدحام شديداً جداً على حضور هذه الرواية ، رغم أن الفرقة رفعت أسعار الدخول ، مما دل على اتجاه الأفكار لحركات الجيش المصرى فى السودان .

الاحتفال بكتشنر باشا : وفى ١٣ اكتوبر كان السردار قد حضر الى الاسكندرية فزار الخديو للشكر على ما لقيه من الانعام ؛ وقد دعاه سموه لمأدبة أقامها فى اليوم

التالى ودعى اليها النظار ، وفى أثنائها دار الحديث حول استمرار الفتح فى السودان أو الاكتفاء بهذه الخطوة الآن ، ولكن لم يتقرر شىء حاسم ؛ ثم أنعم الخديو بنياشين أخرى على ستين ضابطا من ضباط الحملة بين مصريين وانجليز مكافأة لهم على حسن بلائهم .

وفى ١٧ منه رفع السردار تقريرا لسمو الخديو عن الحملة المصرية فى السودان وما لاقته من المصاعب ، سواء من جهة الحر الشديد أو الوباء اللذين كانا أشد عليها من الجيش السودانى ، وجاء فى التقرير ثناء طيب على جنود الجيش المصرى ، حيث لقبهم السردار بأنهم « أطوع جنود فى العالم » ولكن التقرير كان ينقصه ذكر النفقات التى تكلفتها الحملة ، فلم يشر اليها أية إشارة ، مع أن هذه النفقات أخذت من صندوق الدين فى وقت لم تكن المالية المصرية تتحملها .

وقد أقام اللورد كرومر مأدبة تكريم للسردار فى النادى الانجليزى وألقى فيها خطابا أثنى فيه على المحتفل به وهنأه بافتتاح دنقله ... الخ ، ولكن الذى لفت نظرنا فى الخطبة بعد أن نشرتها الصحف قوله : « إننا نشرب هذه الكأس نخب سرورهم (يعنى الضباط) وعلى الأمل والاعتقاد بأنهم لو دعوا ثانية الى حمل السلاح لملكة انجلترا أو لخديو مصر للبوا الدعوة ، وعادوا الينا بمثل هذا الظفر الذى عادوا به الآن . » وقد رأينا أن فى ذلك الكلام تلميحاً يرمى الى غاية بعيدة ، إذ أن دعوة ملكة الانجليز للضباط الانجليز مفهومة وواضحة ولكن الذى لا يفهم ذكر الضباط المصريين فى هذا العرض وهو ما لا يكون إلا اذا كانت مصر تابعة لانجلترا فى كل شىء ! .

ثم قام كتشنر وشكر اللورد وأضاف بأن قال : « إنه يشاع أن همة الجنود المصرية قد تأثرت من المعيشة الصعبة والأشغال الشاقة ، وبما أننى أعرف من المكاتب الذى أذاع هذه الأخبار غير الحقيقية عن الجنود المصرية ، فاننى أحقق لكم أن الضباط والعساكر قاموا بتنفيذ كل ما أمروا به من الأعمال الصعبة بكل ارتياح ، وبما أنهم قاموا بالتجربة التى أعطيت لهم الثقة فى أعمالهم وأدركوا قيمة قوتهم فان صبرهم سيكون أكثر وعزمهم أشد حتى يقوموا بأعمال أكثر مشقة وألما بمجرد طلب وطنهم استرجاع باقى البلاد السودانية . »

وفى ٢٢ اكتوبر أقيمت لكتشنر مأدبة أخرى فى نادى محمد على ، وتوالت عليه التهانى وألقيت خطب عديدة بهذه المناسبة .

الاستيلاء على أبى حمد : بقيت الحال على ذلك حتى يوم ٥ يونيو سنة ١٨٩٧ حيث حضر كتشنر باشا الى السراى وتشرف بمقابلة الخديو ؛ وقد علمنا بعد خروجه أنه شرح لسموه حالة الجيش المصرى فى السودان وأحوال الدراويش حسبما جاء بها الجواسيس فى الجيش ، وأنه ينوى تجريد الحملة على أبى حمد بعد قليل ، أى عند فيضان النيل الأبيض فوافقه سموه على ذلك .

وفى ١٢ أغسطس وردت للسراى أخبار بأن الجنود المصرية بقيادة كتشنر باشا قد فتحت بلدة أبى حمد ، فأرسل الخديو تهنئته للسردار ، وأثنى على الضباط والجنود واستفسر عن صحة الجميع ؛ فرد السردار بالشكر عن الضباط والجنود .

واستمرت الحملة السودانية فى انتصاراتها حتى أصبحت على أبواب العطبرة . وعندئذ سعى اللورد كرومر لتعيين جرانفيل باشا فى سردارية الجيش المصرى ، حتى لا يكون لكتشنر فضل الفتح النهائى وكان كرومر يفضل جرانفيل للين عريكته ، ولا يرتاح لكتشنر لشدة أخلاقه ؛ ولكن كتشنر اتصل رأساً بحكومة لندن حتى نجح فى إقناعها بالعدول عن هذا التعيين بعد أن كان قد عين فعلا ووصل الى مدينة حلفا .

ثم حدثت بعد ذلك موقعة العطبرة وانتصر فيها الجيش المصرى بقيادة كتشنر فكان انتصاره موطداً لمركزه .

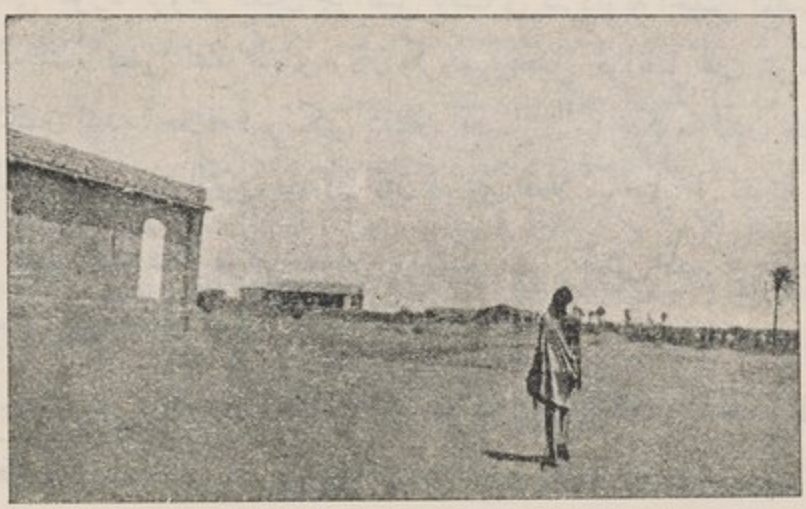
الاستيلاء على أم درمان : وفى ٣ سبتمبر سنة ١٨٩٨ التقت الحملة مع الدراويش فى موقعة فاصلة وبعد قتال شديد استولت على أم درمان العاصمة الجديدة ، وهرب التعايشى وأرسلت الفرسان لمطاردته ، ومزق شمل العصاة — وكنا حينئذ فى أوربا — فوردت الينا الأخبار بما تقدم ، وقد أبرق نخرى باشا ، بناء على طلب كتشنر ، بأن يكافأ الجنود الذين اشتركوا فى الحملة بمرتب شهرين مرة أخرى ، فوافق الخديو على ذلك .

رفع العلم الانجليزى : وفى ١٤ سبتمبر ورد من نخرى باشا برقية يقول فيها : « إن الحكومة الانجليزية أبلغت الحكومة المصرية أن لانجلترا حق الاشتراك فى السودان بما ضحت فيه من المال والرجال ، وقد ظهرت بوادر هذه الخطة تباعاً حيث جاء بنفس البرقية : « وإن كتشنر رفع العلم الانجليزى بجانب العلم المصرى على أم درمان . » وقد كان لهذه الأخبار وقع سيء فى نفس الخديو ونفوسنا جميعاً ، وظهرت نيات الانجليز واضحة فيما يختص بالسودان . »

وقد بادر سموه بارسال برقية لفخرى باشا يدعوه فيها للتمسك بحقوق مصر وعدم التسليم بشىء لأن الأمر يتعلق بحقوق الباب العالى . وقد بلغنا أن الضباط المصريين استاءوا جداً لرفع العلم الانجليزى واحتجوا على ذلك ، فطمأنهم الانجليز بأن هذا العمل وقتى لوجود جنود انجليزية مع الجنود المصرية .

مسألة فاشودة . ولما كانت الأخبار قد وصلت إلى انجلترا بأن حملة فرنسية بقيادة الكولونيل مارشان قد احتلت فاشودة وماجاورها من الأراضى السودانية . فقد أمر كتشنر بالذهاب اليها لاحتلالها .

هذا ونظراً لأهمية مسألة فاشودة من الوجهتين السياسية والتاريخية نرى أن نبسط الكلام عليها بما يأتى :



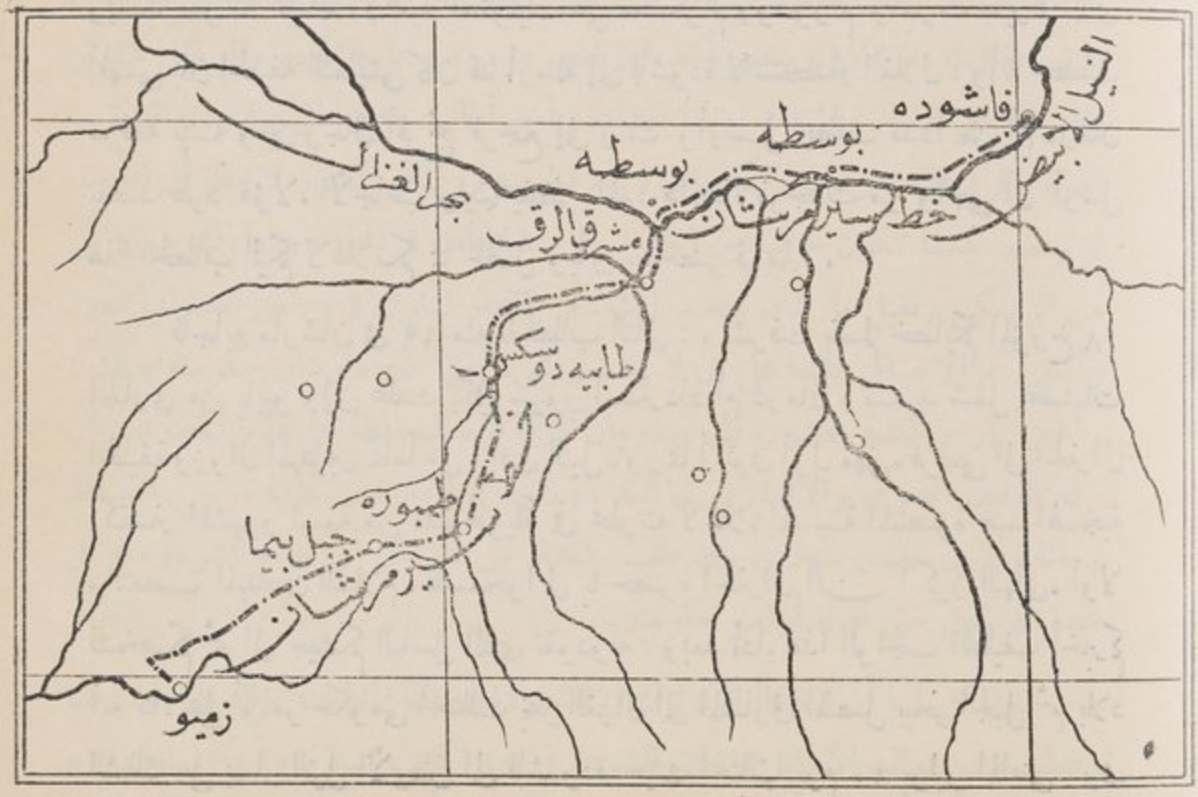
فاشودة

كان الخديو حين إقامته فى ديفون للاستشفاء ، قد اعتاد أحيانا أن يذهب وأنا بصحبته ، إلى بلدة نيون السويسرية لتناول الطعام فى مطعم « شاليه روس » مع بعض كبار الساسة الفرنسيين ، وكان المنظم لهذه الاجتماعات المسيو جافيو الذى تقدم ذكره .

وحدث فى أحد هذه الاجتماعات أن أدلى بعضهم لسموه بأن فرنسا أعدت العدة لاحتلال بحر الغزال فى أعالى النيل لمساعدة مصر ضد انجلترا ، فكان هذا التصريح مدعاة لغبطة الخديو وغبطتنا نحن رجال المعية عامة ، لأننا جميعاً كنا نتوق إلى العمل لاجلاء الانجليز عن مصر .

التفكير فى حملة لاحتلال بحر الغزال : ففى سنة ١٨٩٤ أرسلت الحكومة الفرنسية الكولونيل مونتى بقوة إلى الأوبنجى العليا ، وهى آخر نقطة من مستعمرة فرنسا فى الكونغو وتمس بحر الغزال ، وكانت الأوامر تقضى بأن تسير هذه القوة فى أراضى بحر الغزال حتى تصل إلى النيل الأعلى ؛ فلما وقع الاتفاق بين انجلترا وفرنسا على الخلاف الذى كان موجوداً بينهما فى تحديد مناطق البلاد المختلف عليها ، رجع مونتى إلى الأوبنجى وسحبت انجلترا قوتها التى كانت احتلت وادى لاى ورجعت إلى مستعمرتها فى أوغندا . ولما تعين بعد ذلك المسيو ليونار حاكما عاما للأوبنجى الفرنسى ووضع يده على الجهات التى سلمها له مندوبو البلجيك فى الكونغو ، أخذ فى تنظيمها واتفق مع رؤساء القبائل فى النيل الأعلى على احتلال جهات بحر الغزال حتى يصل إلى النيل .

خط سير مارشان واحتلال فاشودة : ولما تولى المسيو ليبون وزارة المستعمرات فى سنة ١٨٩٦ كلف فى ٢٤ فبراير الكبتن مارشان بالقيام إلى الأوبنجى لمساعدة المسيو ليونار وتنفيذ الاتفاق ، فأعد عدته وبارح مرسيليا فى أوائل يونيو فوصل فى



خريطة خط سير مارشان

أواخره إلى برازافيل . وفى ٣١ منه قام منها للالتحاق بليونار ، ثم سار بقوته فى بلاد بحر الغزال حتى فاشودة واحتلها فى ١٠ يوليو سنة ١٨٩٨ .

كتشنر ومارشان : وبقيت الحال على ذلك حتى كان يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٨ فقد سار كتشنر بعد انتصاره على الدراويش بقوة مكونة من ثلاث أورط سودانية ومائة جندى انجليزى وقوة من المدفعية فى النيل قاصداً فاشودة .

وفى الوقت نفسه كلف الماجور مكدونالد قائد قوة أوغندا بالتوجه بقوته للالتحاق به لأن الانجليز علموا بأمر البعثة الفرنسية واحتلالها فاشودة التى تبعد عن الخرطوم بستمائة ميل ، وقد ثار لذلك الرأى العام الانجليزى قاطبة .

وفى ١٨ سبتمبر أرسل كتشنر إلى مارشان الخطاب التالى :

« أتشرف بابلاغكم بأنى هجمت على الخليفة فى أم درمان وبددت جيشه واسترجعت البلاد ، وبعد قليل تركت أم درمان على خمس طرادات وقوة عظيمة انجليزية ومصرية قاصداً فاشودة ؛ وفى أثناء السير قابلت قوة من الدراويش فى رنك وبعد معركة قليلة الأهمية استوليت على معسكرهم ووابورهم وأسرت أميرهم الذى أفهمنى بأن الخليفة التعايشى كان قد أرسله إلى فاشودة لاستحضار الغلال ، وأنه حصلت موقعة بينه وبين رجال أفرنج فرجع إلى رنك وأرسل يطلب مددا من أم درمان بقصد طرد هؤلاء الأجانب وبينما ينتظر المدد هاجمناه فوجدت من واجبى أن أرسل هذا الخطاب اليكم لاعلانكم بما حصل وبأنى سأحضر قريبا . »

فأجابه مارشان فى ١٩ منه بالخطاب التالى : « تشرفت بتسلم خطابكم المؤرخ ١٨ الجارى من يابيو وإنى علمت بكل سرور استرداد أم درمان وتبديد شمل عصابات الخليفة وزوال المهديين تماماً من وادى النيل ، وربما أكون أول مهنىء فرنسى الى الجنرال كتشنر المشهور اسمه من مدة طويلة فى محاربته لاعلاء المدنية المنتصرة ضد الهمجية والتعصب المهددين للسلام ، فاسمحوا لى يا حضرة الجنرال أن أكرر التهانىء أولا لشخصكم ثم الى جيشكم الباسل الذى تقودونه . وبعد أداء هذا الواجب اللطيف أخبركم أنه بناء على أوامر حكومتى احتللت بحر الغزال الى المشارق المتصل ببحر الجبل ثم بلاد الشلك على يسار النيل الأبيض الى فاشودة حيث احتللتها يوم ١٠ يوليو الماضى ، وفى ٢٥ أغسطس هجمت علينا الدراويش على باخرتين وأظن اسميهما شبين وكوكو وعليهما ألف ومائتا رجل بمدافعهم ، وقد بدأت الموقعة فى الساعة السادسة والدقيقة الأربعين

صباحا وانتهت فى الساعة الخامسة مساء بهروب الباخرتين اللتين ساعدهما التيار حاملتين ما بقى من الرجال . وقد غرقت أغلب المراكب التى كان يجرها الوابوران ، وحصل بعض التلف للوابور شبين على أثر هذه الحادثة التى كان من نتيجتها تحرير بلاد الشلك ، فانى أمضيت مع سلطانها معاهدة فى ٣ سبتمبر بموجبها وضعت بلاده التى على يسار ضفة النيل الأبيض تحت حماية فرنسا بشرط التصديق عليها من الحكومة الفرنسية ، وأرسلت المعاهدة أولا بطريق سوبات والحبشة ، وثانيا بطريق بحر الغزال والمشارق ومنها بواسطة باخرتى التى أرسلتها لاحضار مدد للدفاع عن فاشودة خوفا من تكرار الهجوم من الدراويش الذى اعتزموه بقوة أكثر فى ٢٥ الجارى غير أن حضوركم منعهم .

وإنى أقدم لكم تحياتى بحضوركم إلى أعالى النيل وإنى فى انتظاركم وأكون سعيداً للسلام عليكم باسم حكومتى . »

ولما وصل كتشنر فى ٢٢ سبتمبر إلى خارج فاشودة أرسل لمارشان للحضور اليه — لأن مرتبة كتشنر العسكرية أكبر من رتبة مارشان — فلما تقابلا تناقشا فى الموضوع بعنف فقال له مارشان إنه يرضى بأخذ العلم المصرى ورفعه على فاشودة ، فلم يقبل كتشنر إلا رفعه على القلعة ، واشتدت بينهما المشادة وأخيراً قال له مشيراً الى جيشه : « القوة — القوة » فرد عليه مارشان ولكن القوة بعد الحرب ؛ ولكن كتشنر لاحظ أن الحرب لو وقعت بينهما تكون حرب بين انجلترا وفرنسا فتلطف فى المحادثة ودعاه لشرب كأس من الويسكى ، فقبل مارشان وبعد ذلك دعا كتشنر لتناول كأس من الشمبانيا معه ، وأخيراً تم الاتفاق بينهما على أن لا يبتا فى شىء حتى يخبر مارشان حكومته بذلك ؛ وأخيراً بارح كتشنر فاشودة الى أم درمان تاركا قوة للمحافظة على هذه النقطة بعد أن رفع العلمين المصرى والانجليزى فى البلد ، وكانت قوة مارشان ثمانية من الضباط ومائة وثمانين جندى سودانى وقد طلب كتشنر من مارشان أن يبرح فاشودة معه الى مصر فلم يقبل حتى تصله أوامر حكومته .

ولكن لما أن استبطأ الرد ترك فى فاشودة ضابطا نائبا عنه وقام الى مصر فلما وصلها صدرت اليه الأوامر باخلاء فاشودة فى ١٩ اكتوبر سنة ١٨٩٨ ؛ واحتفل به الفرنسيون فى النادى الفرنسى وخطب فيه خطبة قال فيها : « لقد صدرت الأوامر بترك فاشودة ، ولقد تكدرت لذلك أعظم الكدر . » ثم أضاف : « إن الفرنسيين منذ ثلاث

سنوات فكروا في إرسال البعثة العسكرية حتى تصل رجالها من أعالى النيل بأبنائها فى مصر وتصالحهم . »

وقال إنه سيبرح ومن معه مصر الى أم درمان ومنها الى فاشودة لاخلائها ثم يعود الجميع الى فرنسا عن طريق الحبشة .

وقد تم الجلاء عن فاشودة فى ١١ ديسمبر سنة ١٨٩٨ .

وقد خطب مسيو دولونكل فى مجلس النواب بهذه المناسبة وقال : « إننا اذا كنا دخلنا بحر الغزال فهذا لأخذ ضمانة حتى يظهر للعالم أن احتلال هذه الجهات ليس مسألة انجليزية بل هو مسألة دولية . »

الانعام بلقب لورد أوف خرطوم داسيال على كتشنر باشا وتأسيس كلية غوردون:

وقد كوفىء السردار على انتصاراته من حكومته بلقب لورد وذهب لتسلمه فى لندن ، وهنالك دعا إلى فتح اكتتاب بمبلغ ١٠٠٫٠٠٠ جنيه لبناء مدرسة فى الخرطوم باسم « كلية غوردون » ، وكان ذلك فى ١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٨ ولم تمض أيام قلائل حتى تم الاكتتاب . وكان القصد من إنشاء هذه الكلية ظاهرا وهو توطيد النفوذ الانجليزى فى السودان ، وإعداد جيل سودانى جديد يتأثر بنفوذ انجلترا وثقافتها وتقاليدها .

انتهاء الحرب السودانية .

قتل التعايشى والانعام على ونجت باشا : وفى ٢١ نوفمبر وردت برقية من السردار للخديو يبشره فيها بقتل التعايشى على أثر موقعة جرت بين الدراويش والجيش المصرى بقيادة ونجت باشا ؛ وبذا تم القضاء على نفوذ الدراويش بهذه البلاد .

فرد سموه عليه مهنئاً له وللضباط بهذا الانتصار .

وفى ٢ ديسمبر زار ونجت باشا عباسا وعرض على مسامعه تفصيل الواقعة الأخيرة التى نشبت بينه وبين الدراويش فكرر له التهانى على هذا النصر العظيم .

والذى علمناه من رسائل الضباط لنا فى السودان أن ونجت باشا كان قد أرسل للسردار فى مصر يعزمه على مقابلة الدراويش فى موقعة فاصلة ، فأراد السردار أن يبادر بالسفر الى السودان حتى لا يكون لونجت باشا فخر الموقعة الأخيرة ، ولكن ونجت بادر بخوض الموقعة لتأكده من النصر ، على حين كان السردار فى طريقه الى السودان .

وفى ١٢ ديسمبر أنعم الخديو بالنيشان العثمانى الثانى على ونجت باشا مكافأة له على انتصاره الحاسم .

استقالة كتشنر وتعيين ونجت خلفاً له : وقد استقال كتشنر باشا من منصبه فى السردارية ، لأن حكومته اختارته للعمل فى حرب البوير ، فوقع الاختيار على ونجت باشا ليخلفه فى منصبه . وفى ٢٣ منه صدر أمر الخديو بتعيينه سردارا للجيش المصرى وحاكما عاما للسودان ورقى الى رتبة فريق . وقد أصدر سموه أمره بهذه المناسبة بالثناء على ما قام به كتشنر من جليل الخدمات مدة وجوده سرداراً للجيش المصرى ، وعلى الأعمال العظيمة التى قام بها لسحق حكومة الدراويش فى السودان .

وكان كتشنر فى جبل طارق عند صدور هذا الأمر فأرسل اليه بالبرق ، وجاء الرد منه بالشكر العظيم .

سفر اللورد كرومر الى السودان . قام الى السودان فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٨ فوصل الى أم درمان مساء ٣ يناير سنة ١٨٩٩ وعلمت كيفية استقباله من رسالة بعث الى بها ضابط من المنضمين الى « جمعية المودة » للضباط جاء فيها :

« وصل الى هنا اللورد كرومر وفى صباح ٤ منه عمل له قرقول شرف على شاطىء البحر أمام وابوره ، وسلم عليه كبار الضباط من مصريين وانجليز ولما خرج من الوابور عزفت الموسيقى سلام الملكة ، وبعدها ركب الى منزل التعايشى الخليفة الهارب والى « بيت الأمانة » وهو مخزن أسلحته ، ثم زار الضبطية وجميع شيوخ البلد والتجار ، ثم توجه الى مكان استعراض الجيش ومر على الصفوف وبعد ذلك توجه الى سوق أم درمان فزاره وتفقده ، كما زار ورشة الآلات الميكانيكية ، ثم توجه يرافقه السردار الى مكان واقعة ٢ سبتمبر الأخيرة وعادا إلى حفلة عشاء أقامها السردار له وللضباط الانجليز ولم يدع من المصريين إلا ضابط واحد هو ابراهيم فتحى بك .

وفى صباح ٥ منه ذهب لوضع الحجر الأساسى فى كلية غوردون باسم ملكة انجلترا وامبراطورة الهند وسمو خديو مصر عباس الثانى .

خطبة كرومر فى أم درمان ، وظهور نية الانجليز فى حكم السودان : وقد ألقى اللورد على جمع كبير من الأهالى والضباط وأركان حرب خطبة فى أم درمان وأخرى فى الخرطوم مفادهما واحد . ومما جاء فى خطبة أم درمان :

« إنى أعد نفسى سعيداً بمقابلتى إياكم لأهنئكم على الخلاص من استبداد حكومة الدراويش بفضل ما أظهره السردار وضباطه من الحذق فى تدبير القتال وبما برهنت عليه الجنود البريطانية والمصرية من الشهامة والثبات .

ولقد شاهدتم أن العلمين الانجليزى والمصرى يخفقان على هذا المكان . وفى هذا إشارة الى أنكم ستحكمون فى المستقبل بملكة انجلترا وخديو مصر . والنائب الوحيد فى السودان عن الحكومتين البريطانية والمصرية سيكون سعادة السردار الذى أودعت فيه جلالة الملكة وسمو الخديو تمام ثقتهما . واعلموا أن البلاد السودانية لا تستمد أحكامها من القاهرة ولا من لندن ، بل إن السردار وحده هو الذى سيقوم بالعدل فيما بينكم ، فلا يجب التعويل على أحد غيره ، ولست أشك فى أنه يحقق أمانيكم ويحقق لكم كل ما ترجون . »

وبعد ذلك قال لهم ما مضمونه أن انجلترا من طبيعتها احترام الأديان وأنه لا خوف عليهم من هذه الوجهة ، ثم ذكر أن مظالم كثيرة وقعت فى عهد الحكومة المصرية السابقة ، ولن يكون شىء منها بعد الآن واستمر يشرح ما ستكون عليه معاملة السردار لهم من العدل والاصلاح . »

وختم هذا الضابط رسالته إلى بأن جميع الضباط المصريين استاءوا لهذه الخطبة وسألنى عما اذا كان قد تم شىء من الاتفاق بخصوص السودان حتى قال اللورد مثل هذا الكلام .

ولما وصلت الينا هذه الرسالة كان لها وقع شديد فى نفوسنا إذ كانت إعلانا صريحاً من الجانب الانجليزى بأنه لا يبغى الاشتراك فقط فى حكومة السودان ، بل ويعتزم غل اليد المصرية نهائياً عن التدخل فى شأنه ، ما دام السردار الانجليزى هو الشخص الوحيد الذى سيقوم بالأمر .

وبهذه الخطبة وضحت نيات الانجليز من رفع العلمين معاً واتضحت خطتهم المقبلة فى السودان .

ولقد كانت تلك الخطبة مفاجأة وكانت موضع دهشة حتى أن الخديو عندما بلغته قال : « إننى لا أصدق أن يكون هذا نص خطبة اللورد كرومر ! » ولكن تبين فيما بعد أنه هو النص الصحيح ! .

رجوع كرومر الى القاهرة : وعاد اللورد فى ١٣ منه . وفى ١٧ منه زار الخديو

وعلمنا أنه دار الحديث بينهما فيما يختص بهذه الخطبة ، وأن الخديو لم يكن له بها علم من قبل فاعتذر اللورد بأنه قبل أن يذهب للسودان لم يكن ينوى إلقاء خطب أو تصريحات ولكنه اضطر الى ذلك اضطراراً . وأشار فى حديثه الى أن اللورد سالسبورى بعث اليه بصورة اتفاق انجليزى مصرى يختص بالسودان وأنه سلم نسخة منه لبطرس غالى باشا ناظر الخارجية .

وقد وصل الينا فى ١٨ منه أن المحكمة المختلطة المنعقدة فى هذا اليوم قررت عدم قبول القضايا المختصة بالبلاد السودانية لأنها غير داخلة فى اختصاصها باعتبار أن السودان له نظام خاص غير نظام القطر المصرى الذى أنشئت من أجله المحاكم المختلطة .

اتفاقية السودان وصداها فى البلاد . وانعقد مجلس النظار للنظر فى مشروع الاتفاق الذى أبلغه اللورد لبطرس غالى باشا ، ولم يكن لدى المجلس منه غير نسخة واحدة علمنا أن أكثر النظار لم يكونوا قد اطلعوا عليها ولكنهم كانوا متفقين على قبولها ، على حين كان الخديو يرى أنه لا يجوز للحكومة المصرية عقد اتفاق كهذ الآن فيه اعتداء على السيادة التركية .

وأخيراً تقررت الموافقة على المشروع ونشر فى الجريدة الرسمية يوم ١٩ يناير . واليك نص هذه الاتفاقية المشئومة :

« وفاق بين حكومة جلالة ملكة الانجليز وحكومة الجناب العالى خديو مصر بشأن إدارة السودان فى المستقبل .

حيث إن بعض أقاليم السودان التى خرجت من طاعة الحضرة الفخيمة الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية والمالية التى بذلها بالاتحاد حكومتا جلالة ملكة الانجليز والجناب العالى الخديو ، وحيث قد أصبح من الضرورى وضع نظام مخصوص لأجل إدارة الأقاليم المفتتحة المذكورة وسن القوانين اللازمة لها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الأقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال إلى الآن وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياطات المتنوعة .

وحيث إنه من مقتضى التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبة على ما لها من حق الفتح وذلك بأن تشترك فى وضع النظام الادارى والقانونى الآنف ذكره وفى إجراء تنفيذ معقوله وتوسيع نطاقه فى المستقبل .

وحيث إنه تراءى من جملة وجوه أصوبية إلحاق وادى حلفا وسواكن إدارياً بالأقاليم المفتتحة المجاورة لهما.

فلذلك قد صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا بما لهما من التفويض اللازم بهذا الشأن على مايأتى وهو :

المادة الأولى : تطلق نقطة السودان فى هـذا الوفاق على جميع الأراضى الكائنة إلى جنوبى الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهى :

أولا — الأراضى التى لم تحتلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢ .

ثانياً — الأراضى التى كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان الأخيرة وفقدت منها وقتياً ثم افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد .

ثالثاً — الأراضى التى قد تفتتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعداً

المادة الثانية — يستعمل العلم البريطانى والعلم المصرى معاً فى البر والبحر بجميع اتحاد السودان المصرى ما عدا مدينة سواكن فلا تستعمل إلا العلم المصرى فقط .

المادة الثالثة — تفوض الرياسة العليا العسكرية والمدنية فى السودان إلى موظف واحد يلقب « حاكم عام السودان » ويكون تعيينه بأمر عال خديوى بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا ينفصل عن وظيفته إلا بأمر عال خديوى ويصدر برضا الحكومة البريطانية .

المادة الرابعة — القوانين وكافة الأوامر واللوائح التى يكون لها قوة القانون المعمول به التى من شأنها تحسين إدارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية أيلولتها والتصرف فيها يجوز سنها أو تحويرها أو نسخها من وقت الى آخر بمنشور من الحاكم العام وهذه القوانين والأوامر واللوائح يجوز أن يسرى مفعولها على جميع أنحاء السودان أو على جزء معلوم منه ويجوز أن يترتب عليها صراحة أو ضمنا تحوير أو نسخ أى قانون أو أية لائحة من القوانين واللوائح الموجودة .

وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع المنشورات التى يصدرها من هذا القبيل إلى وكيل قنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة وإلى رئيس مجلس نظار الجناب العالى الخديوى .

المادة الخامسة : لا يسرى على السودان أو على جزء منه شيء ما من القوانين أو الأوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية التى تصدر من الآن فصاعداً إلا ما يصدر منه باجرائه منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها .

المادة السادسة : المنشور الذى يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط التى بموجبها يصرح للأوربيين من أية جنسية كانت بحرية المتاجرة أو السكنى بالسودان أو تملك ملك كائن ضمن حدوده لايشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة من الدول .

المادة السابعة : لاتدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الأراضى المصرية حين دخولها إلى السودان ولكن يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضائع القادمة من غير الأراضى المصرية إلا أنه فى حالة ما إذا كانت تلك البضائع آتية إلى السودان عن طريق سواكن أو أية ميناء أخرى من موانى ساحل البحر الأحمر لا يجوز أن تزيد الرسوم التى تحصل عليها عن القيمة الجارى تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج ويجوز أن تقرر عوائد على البضائع التى تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت لآخر بالمنشورات التى يصدرها بهذا الشأن .

المادة الثامنة : فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه .

المادة التاسعة : يعتبر السودان بأجمعه ما عدا مدينة سواكن تحت الأحكام العرفية ويبقى كذلك الى أن يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام .

المادة العاشرة : لا يجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأمورى قنصليات بالسودان ولا يصرح لهم بالاقامة بها قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية .

المادة الحادية عشرة : ممنوع منعاً مطلقاً إدخال الرقيق الى السودان أو تصديره منه وسيصدر منشور بالاجراءات اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن .

المادة الثانية عشرة : قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منهما على تنفيذ معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يوليو سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بادخال الأسلحة النارية والذخائر الحربية والأشربة المقطرة أو الروحية وبيعها أو تشغيلها ؟

تحريراً بالقاهرة في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ « كرومر — بطرس غالي »

صدى الاتفاقية فى الصحف الاجنبية بمصر وأوربا . وقد علقت الصحف الانجليزية والفرنسية والروسية على هذه الاتفاقية تعليقات شتى نورد بعضها :

قالت جريدة الجورنال إجبسيان : « إن أفظع اغتصاب فى هذا الجيل قد وقع ، وهو عقد الاتفاق بين الغاصب القاهر والمغصوب العاجز .

وفى سنة ١٨٨٤ حينما شرع الانجليز فى وضع يدهم على مصر كان يوجد وطنى صادق ووزير أمين رفض تدنيس توقيعه بوضعه على عقد قصد به سلخ السودان عن مصر سلخاً مؤقتاً ، وقد توفى هذا الرجل الشريف النفس ، وخلد ذكره مقروناً بالمديح .

وفى سنة ١٨٩٩ وقع مجلس النظار المصرى عقد اتفاق مشئوم لا يراد به التخلى المؤقت عن السودان ، وإنما التنازل عنه لانجلترا . وقد تم هذا العقد الذى مزقت به العقود المبرمة سابقاً مع الدول بين وكيل المملكة وناظر خارجية مصر المأذون بذلك ، كما يتم التوقيع على تعريفة جمركية . ! »

ونشرت جريدة وستمنستر غازيت الانجليزية عدة مقالات لاحظت فيها أن طلب الجلاء عن فاشودة باسم مصر والاستيلاء على السودان باسم انجلترا مما يعرض هذه هذه الدولة الى تهمة الخيانة والخداع . وأما حق الفتح الذى تمسك به اللورد سالسبرى فانه اذا انطبق على ما فتح من الأقاليم السودانية فلا يصح تطبيقه على مديرية خط الاستواء ولا على أقاليم بحر الغزال اللذين لم يكن للدراويش فيهما أثر مدة ثورتهم .

وجاء فى جريدة الفار ألكسندرى : « لا تزال آراء الصحف الأوربية ترد تباعاً فى هذا الموضوع الخطير متضمنة الاحتجاج الشديد على التهام انجلترا للسودان بوضع تلك الاتفاقية . »

وكتبت جريدة الريفورم : « هل السودان مصرى ؟ . هل السودان انجليزى ؟ .

إن العلمين المصرى والانجليزى يخفقان معاً ، وتجارة مصر ستدخل السودان بلا رسوم ؛ فالسودان من هذه الوجهة حفظ جزءا من صبغته الرسمية .

ومن جهة أخرى فان الحاكم العام للسودان ، القابض على زمام السلطة كلها انجليزى معين بأمر الخديو بناء على اقتراح حكومة جلالة الملكة ، ولكن الشكل فى هذا المقام لايصح أن يستر الموضوع ، فان انجلترا هى التى تعين فى الحقيقة حاكم السودان .

فالسودان من هذه الوجهة انجليزى تقريباً . »

وقد احتجت الصحف الروسية وطلبت من الدول الاعتراض على الاتفاقية بشدة .

أما الصحف الانجليزية على العموم فكانت تبدى الارتياح لهذا الاتفاق وتبشر بما سيكون عليه السودان فى ظله .

أما الباب العالى فاكتفى بالاحتجاج بواسطة سفيره فى لندن عندما أبلغه الخديو أمر الاتفاقية برقياً بمجرد عرضها على سموه .

وقد سخطت الصحف العربية فى مصر على سلب حقوق مصر الادارية من السودان وقالت إنها مقدمة للاستيلاء عليه .

تعطيل جريدة الجورنال اجبسيان : وفى ٢٥ يناير صدر الأمر بتعطيل هذه الجريدة بسبب اللهجة الشديدة التى تحدثت بها عن السودان .

دفع مصر نفقات الجنود الانجليزية فى حملة السودان : وفى ٢٩ يناير قامت الحكومة المصرية بتسديد مبلغ مائتين وخمسة عشر ألف جنيه الى الحكومة الانجليزية وهى قيمة نفقات الجنود الانجليزية فى حملة السودان فى واقعتى العطبرة وأم درمان .

وقد كان لمطالبة الحكومة الانجليزية بهذا المبلغ الذى زعمت أنها من أجل إنفاقه ومن أجل الحملة التى أنفق عليها ، قد أصبحت شريكة مصر فى السودان — صدى دهشة ؛ ولكن هذه التصرفات كانت تتكرر تباعا بحيث لم يبق مجال للدهشة بعد .

سفرى الى الاستانة مع الوالدة . وقع الاختيار علىّ فى هذا العام بدلا من محمد عزت بك لأكون بمعية سمو الوالدة لوجود مسائل بين المعية والمابين تحتاج للبحث وقد انتدبت لتسويتها ، وسيأتى عنها الحديث أثناء الرحلة . وقد كتبت عن مهمتى عدة تقارير متوالية بعثت بها للخديو وفيها تفصيل كاف لما وقع فى هذه الفترة .

وقد كان السفر من الاسكندرية يوم ٢٨ ابريل ، فحضر للوداع محافظ الاسكندرية وكثير من البرنسات والعظماء وأطلقت المدافع عند قيام الباخرة وكان المسافرون معنا الدكتور زمباكو باشا الطبيب الخصوصى للوالدة وهو من أشهر أطباء الاستانة ، وقد اعتاد تمضية فصل الشتاء فى مصر ، وعلى باشا عبادى قومندان المحروسة ومحمود بك فهمى وكيل دائرة الوالدة والشريف يحيى ، وكان من خصوم الدولة ، وكان فاراً من الاستانة فبذل المابين جهداً كبيراً لاعادته فلم يفلح ، وأخيراً سعى لديه الخديو حتى قبل الرجوع

وسافر معنا . وقد اجتمعت به ، بعد قيام الباخرة فحدثنى حديثاً طويلا عن اضطهاده فى تركيا والتضييق على حريته والدسائس التى حيكت حوله مما اضطره للفرار . ولكنه وقد سافر معنا لم يمسسه أحد بسوء .

استقبال الوالدة فى الاستانة . ووصلنا الاستانة فى أول مايو فحضر للسلام على دولة الوالدة المشير شاكر باشا وعبد الغنى أغا قزلر أغاسى ورتبته كرتبة الصدر الأعظم ، صاحب السمو ، وكذلك البرنس عباس حليم باشا .

حديثى مع الباشكاتب : ونزلت الوالدة فى زورقها مع من كان فى حاشيتها من السيدات الى يالى بيك . ثم نزلت مع الشريف يحيى فى زورق المحروسة وتوجهنا الى بشكطاش ومنها بالعربة الى يلدز لمقابلة الباشكاتب ، وكان لدى السلطان فاضطررنا للانتظار أكثر من ساعتين حتى حضر ؛ فقدمت له تحيات الوالدة وشكرها على ما لقيت من حفاوة ، ثم سلمته رسالة من محمود شكرى باشا تختص بمسألة الشريف يحيى وبعض مسائل أخرى . وبعد قراءتها سألنى أن أفصح له عما جاء بالرسالة لاختصارها ، فأجبته بأن الوقت لا يكفى لابداء ما لدى الآن ، وكان مقصدى من ذلك أن أثير فضوله حتى يطالبنى هو بشرح المسائل التى أريد أن أعرضها عليه ، فلما اعتذرت بضيق الوقت أصر هو على السماع بعد أن صرف الحاضرين لديه وعاد إلىّ ، فابتدأت الحديث معه بشرح ما يبذله الخديو من جهود فى خدمة الجناب الشاهانى وطلب مرضاته ، ولا سيما فيما يختص ببعض الصحف والأشخاص المعادية للسلطان فى مصر ، والتى عجز المابين عن أن يصنع معهم شيئاً من قبل ، حتى استطاع الخديو أن يسكتهم بمختلف الطرق ، وأن سموه كان يبغى بذلك كله رضاء السلطان عنه . ولكنه شعر أخيراً بعكس ذلك ، فى عدة مواقف آخرها أن المابين قصد الى الحكومة الانجليزية ليشكو اليها عدوان صحيفة من هذه الصحف تصدر فى مصر ، كأن الخديو وكيل السلطان الشرعى غير موجود .

وهنا سألنى عن هذه الشكوى ، فقلت له : لا شك أن عطوفتكم تعرفونها . فقال لى : إن المسألة التى تشير اليها لها حديث سأفضى اليك به فيما بعد ، ولكنى أقول لك الآن إنها لم تعرض مطلقاً بصفة شكوى ، وإنما نظراً لاحتلال الانجليز مصر وانتحالهم للسلطة الادارية ، رغبنا أن نأتى لهم من هذا الوجه فقط للوصول الى غايتنا .

قلت له : ولكن أية فائدة حصلتم عليها ؟ قال : إننا لم نحصل الى الآن على شىء . فقلت : ولا فى المستقبل . ولا شك أنكم تعرفون إجابة اللورد كرومر على طلبكم ! قال : وما هى ؟

قلت : إنه قال لكم إن حرية الصحافة مكفولة ولا يمكن المساس بها .

وقد أكد اللورد أن الخديو المعظم لا يساعد مطلقاً هذه الجريدة ولا أمثالها من الصحف المعادية للسلطان .

ثم عقبت على ذلك بأن الخديو دهش عندما علم بهذه الشكاية ، لأنه لم يكن يخطر على باله قط حدوث أمر كهذا بعد مساعيه الظاهرة فى هذا السبيل ، واذا كنا أخفقنا فى بعض هذه المساعى ، فان سبب هذا الاخفاق هو هؤلاء الذين قدمتم لهم شكواكم من غير جدوى . فهل هذه هى مكافأة الخديو فى نظركم على مساعيه ؟ قال لى: أنا أعرض كل ذلك على الذات الشاهانية ثم أخبرك بما تجيب به الخديو . ثم سألنى عما اذا كان سموه ينوى السفر لأوربا هذا العام ، فأجبته بانى لست متأكداً من ذلك . ثم انصرفت .

زيارتى للسفارات : وفى ١١ مايو خرجت لزيارة السفارات فبدأت بزيارة السفارة الانجليزية ، وهناك قابلنى الترجمان الأول فسألنى عن صحة الخديو وعما إذا كان ينوى السفر لأوربا أو الاستانة هذا العام فأجبته بأنه ليس فى عزمه السفر الآن ، وبعدئذ قابلت السفير فسألنى نفس السؤال فكررت نفس الجواب وزدت عليه : إن زيارة الاستانة يعلم جنابه عنها الشىء الكثير لأن المحادثات التى جرت أخيراً بين المابين وبينكم كدرت خاطر الخديو .

فقال لى : حقيقة إن ما أدخله بعض المفسدين فى نفس السلطان من أن الخديو يشجع بعض الصحف المعادية له هو مكدر ولكنى نفيت ذلك لجلالته ، وأصبحت المسألة نسيا منسيا ، على أن عادة الخليفة إذا اهتم بأمر اليوم أن يهمله غدا .

قلت : ولكن الطبائع تختلف فاذا نسى مولانا السلطان ما فعله فان الخديو متغير الخاطر ، ولذلك فقد أرسل برقية ينفى فيها هذه التهمة عن نفسه فأتى الرد شاملا لتعطفات الخليفة وإنكار الشكوى ، والوعد بالاستعلام عن الأمر وإفادة سموه بالنتيجة ولكن لم يتضح حتى اليوم شىء .

قال لى : ليست هناك استعلامات ترسل ولكن لما اتضحت لهم الحقيقة أرادوا المراوغة ، وهذا هو حال المابين . وإذن فليكن الخديو المعظم مرتاح البال من جهة هذه المسألة فانها صارت كما قلت لك نسيا منسيا .

ثم أخذ يقارن بين مصر والدولة مفضلا مصر فى تقدمها ورقيها ومثنياً على الخديو.

ثم زرت السفارة الايطالية ، وهناك قابلنى السفير فدار الحديث بيننا عن السودان

وشجاعة الجنود المصرية وما يستحقه عبانى باشا من الفخر لأن السودان فتح وهو ناظر الحربية إلى غير ذلك .

وذهبت بعد ذلك إلى السفارة الألمانية ، فلم أجد السفير وقابلنى الترجمان الأول ، فتحادثنا برهة فى أحوال مصر الحاضرة ومما قاله لى : إن السلطان خشى إرسال جيش عثمانى لاخماد الثورة العرابية لأنه كان يتوهم أنه نظراً لأن الاسلام يجمع بين الجيشين فقد يتحدان معاً على مصر والدولة فتكون المصيبة أعم ، وأن ألمانيا وحدها هى التى كانت تحذر السلطان من مطامع انجلترا فى مصر ، ولكن جلالته كان يقول : إنه لا يمكن لانجلترا احتلالها .

وفى اليوم التالى زرت سفير فرنسا فسألنى عن سفر سمو الخديو للاستانة فأشرت اليه بأنه قد لا يأتى فى هذا العام نظراً لأشياء لا تشجع سموه على الزيارة ولما سألنى عنها بالحاح أخبرته - موجزا - بمسألة الصحف فقال لى فى النهاية إن كل شىء يزول عند وجود سموه بالاستانة ، ثم قال : إننى سأنتهز كل فرصة وأعرف السلطان بالحقيقة وأكرر عليه ما سبق أن قلته وهو أن من صالحه أن يجعل الخديو راضياً ، لأن سموه لو خلع الطاعة لأوقع الخليفة فى ارتباك عظيم . فشكرت له حسن مسعاه .

وبعد بضعة أيام كنت أزور البرنس عباس حليم فجرى بيننا الحديث عن مسألة الصحف والشكوى المعروفة ، فقال لى : إن الغرض من ذلك ، ربما كان التقرب لسفير انجلترا فى الدولة ، لأن السلطان كثيراً ما تودد اليه فى الأيام الأخيرة .

وزرت السفارة الروسية فقابلنى مكسيموف الترجمان الأول وله نفوذ عظيم فى المابين ورحب بى وقال لى إنه علم بمسألة الصحف فأسف لما وقع ، وأكد لى أن ذلك حدث دون ترو فلا ضرورة للتأثر بما حدث .

عيد رأس السنة الهجرية : وفى ١٢ مايو صدرت فتوى من شيخ الاسلام باعتبار هذا اليوم أول السنة الهجرية فتوجهت الى يلدز للتهنئة . وقد شاهدت هناك ازدحاما عظيما جداً وجماعات من كل طبقة فدهشت لوجود عامة الشعب بجانب الكبراء والجنرالات ، وتساءلت كيف يقع فى هذه المملكة الاستبدادية ما لا يقع فى فرنسا الديموقراطية ؛ ولكن لم يمض سوى قليل حتى زال عجبى حينما علمت أن العادة جرت بتوزيع المابين بعض النقود الفضية الجديدة فى هذا اليوم ، وأن هذا هو السبب فى تجمع هذه الأخلاط لأخذ ما تعودوا أخذه من الصدقة .

ختان الأمير عبد الرحيم افندى : وفى ٥ يونيو كان الاحتفال بختان الأمير عبد الرحيم افندى نجل السلطان فى يلدز ، وقد صدرت الارادة السلطانية أن ينادى فى كل شوارع الاستانة وطرقاتها أن كل من يرغب فى ختان نجله أو أحد أقاربه فعليه أن يتوجه لتسجيل اسمه فى أحد الأماكن الستة التى خصصت لذلك، وأن إجراء هذه العملية يستمر مدى عشرة أيام ، وكل من يختن يمنح كسوة كاملة بما فى ذلك حذاء وطربوش به خرز لمنع الحسد ومائة قرش ، ويضاف هو وولى أمره ليلة الختان بما يلزم من المأكل وصدر الأمر كذلك بأن كل من يحتاج من المختونين لمعالجة بعد رجوعه لمنزله فعلى طبيب القسم أن يقوم بذلك مجاناً ، وأن يعطى لكل مختون شهادة يرسلها بعد تمام العلاج الى أعتاب الخليفة يبين فيها مبلغ عناية الطبيب ومرات حضوره .

وقد بلغ عدد الذين ختنوا أكثر من اثنى عشر ألف شخص من بينهم من كان عمره ٢٥ سنة . ومن لطيف ما وقع أن أحد الأولاد وجد فى تكة سراويله عريضة من أمه تسترحم فيها ، وتطلب إجراء الختان لزوجها والد الطفل ، فاستدعى الرجل بحجة حضور ختان ابنه ، ولما حضر طلبوا الكشف عليه فامتنع وادعى أنه مجنون . ولكن تحقق العكس فأجريت له العملية ولابنه معه .

بين الخديو والمابين : وفى ١٥ يونيه وردت مذكرة من محمود شكرى باشا لرفعها إلى الجناب الشاهانى وفيها تفصيل لمسائل ثلاث : مسألة بيع سكك حديد السودان فى العام الماضى ، ومسألة رفع العلم الانجليزى بجانب العلم العثمانى فى السودان ، ومسألة المحكمة الشرعية ؛ وبيان موقف الدولة فى هذه المسائل الثلاث ، ثم عتب الخديو على هذا الموقف فذهبت إلى المابين لتسليمها للباشكاتب ، ولما رأى أن العريضة مسهبة ضافية لم يقرأها وقبل أن يقول شيئاً طلب لمقابلة السلطان فذهب وأمرنى أن أنتظر عودته ، فانتظرت ثم أبلغت أنه لن يتمكن اليوم من مقابلتى وحدد لى موعداً آخر فلم أستطع مقابلته أيضاً ، وتكرر تحديد الميعاد بلا جدوى حتى كان يوم ٢٣ يونيو إذ جاءنى أحد أتباع الباشكاتب وأخبرنى أنه مشغول ولن يتمكن من مقابلتى ، فتنبهت إلى أن هذه المماطلة إنما هى لعدم قبول النظر فى العريضة لسبب ما ، فبرمت وكان الحر شديدا فزاد فى برمى ، وخاطبت الرسول بحدة : كيف يؤخر البك مقابلتى من يوم إلى آخر مع أنى أحمل معروضات مهمة ولم آت للسمر بل لعمل ؟ ! فأخبر عطوفته أنى لا أقبل هذه المعاملة وسأرجع يوم ٢٥ على أن تكون هذه آخر مرة ، فاذا لم يقابلنى إذ ذاك فهمت أنه لا يريد عرض ما أحمله واضطررت أن أتخذ لعرضه طريقاً آخر .

وفى ٢٤ منه قابلت دولة الوالدة فأخبرتها بما حدث واعتذرت لها عن حدتى فى مخاطبة المابين ومخالفتى بذلك أوامرها التى تقضى باظهار التلطف والتودد ، فقبلت العذر وزادت على ذلك أنى أستطيع أن أخاطب الباشكاتب بكل حرية قائلة : « كفانا الآن خمس سنوات لم نحصل فيها على نتيجة تذكر وأنا عندما أقابل السلطان فى المرة الآتية ، فلن أتأخر عن محادثته بصراحة ، وقد وافقت على اتباع هذه الخطة التى أعتقد أنها أكثر جدوى . »

وفى يوم ٢٥ ذهبت للمابين حسب الميعاد فاعتذر الباشكاتب ولكنى أصررت على مقابلته فحضر بعد حين وقال لى : ياشفيق بك أنا عرضت الأمر على الخليفة فقال إنها مسألة تمت « أى مسألة المحكمة الشرعية » .

فقلت له : كلا المسألة لم تتم ، والغرض من هذه العريضة هى إطلاع جلالته على تفاصيلها وخصوصاً النقط الدقيقة .

فأجابنى بأن مختار باشا عرض هذه التفاصيل .

قلت له : فى معروضاتنا دقائق غير معلومة للباشا ، ولهذا نريد إطلاع الخليفة عليها مع بعض تحوطات للمستقبل .

فرد بأن الذى يعلمونه أن المسألة انتهت ، وأن الخديو دافع دفاعا مجيداً عن حقوق الخلافة ، وأن الأهالى أرسلوا لسموه التهانىء ولم يبق محل لعرض أى أمر .

فأفهمته أن المسألة لم تنته بعد لأنه قد شكلت لجنة للنظر فى إصلاح المحاكم الشرعية ومن الجائز أن يعاد النظر فى الموضوع ، وأن تستصدر الحكومة فتوى جديدة تؤيد نظريتها فيصبح مركز الخديو حرجا .

قال : ليس على سمو الخديو إلا طرد هؤلاء الناس غير المصلحين .

قلت : ولكنهم مؤيدون بالانجليز .

فأجابنى : ولكن سموه يستطيع أن يفعل كل ما يراه ليس عليه أن يخشى اللورد كرومر أو غيره ما دام حائزا لعطف جلالة الخليفة .

فأجبته : بأن سموه حقيقة متمتع برضا جلالته ، ولكن فى مثل مسألة المحكمة العليا الشرعية يجب إرسال الأوامر رأساً للخديو لأن كرومر والنظار لا يعترفون مطلقاً بأية صفة رسمية للغازى مختار باشا .

فاعترض على بأن مختار باشا ياور شاهانى فكيف لا تكون له صفة رسمية !

ولكنى أكدت له أنهم لا يعترفون له بهذه الصفة ، وأن هذا هو الواقع ، وأن هذه هى إحدى النقط المشروحة فى المذكرة فيجب تقديمها لذلك .

وهنا أجابنى بالتركية ما ترجمته : « أقول لكم شيئاً ياشفيق بك . هنا مركز الخلافة وليس ألعوبة ! »

وقبل أن أجيب على ذلك حضر أحد المشيرين فانقطع الحديث . ثم عاد الباشكاتب يحدثنى عن سفر الخديو وعما إذا كانت أسرته ستحضر معه للاستانة ولكنى اختصرت هذا الحديث ورجعت إلى موضوعنا فقلت له :

وما رأيكم فى المذكرة ؟ إذا كنتم مصرين على عدم عرضها ، فانى أردها وأقول إن السبب هو عدم أهميتها نظراً لما سبق عرضه من مختار باشا .

وعندئذ قال لى :

« وأين خطاب محمود شكرى باشا المرفق بالمذكرة ؟ » فأخرجته من سترتى ، فطلب إبقاءه عنده ، فامتنعت أولا لأنى مأمور بعدم إبقاء الخطاب ، ولكنى لمحت أنه يود إبقاءه عنده لاطلاع الخليفة عليه ، وفيه ملخص للمذكرة فتركته له . وفى اليوم التالى اعتذر لى بأنه لم يتمكن من عرض الموضوع ، وطلب أن أحضر المذكرة معى فى المرة التالية ، وقد ذهبت وفى نفسى أن أناقشه فى جملته السابقة .

وفى يوم ٢٨ ذهبت فلم أتمكن من مقابلته . فبعثت يومئذ إلى الخديو برسالة خاصة عما وقع وقلت له إنه يبدو لى أن الباشكاتب لا يريد عرض المذكرة لما فيها من العتب على موقف الدولة ، وأن هذه المراوغة تشتد كلما حاولت الوقوف على سرها .

وجرى بعد ذلك حديث بينى وبين سفير فرنسا ، فسألنى عن أحوال مصر فصرحت له بعدم ارتياحى لمسلك المابين ، وحدثته عن المسائل التى دافع فيها سمو الخديو عن سلطة الخلافة ، ثم أخبرته بموقف المابين إزاء المذكرة وقلت له :

« لقد سمعت مراراً أنه لا يتم أمر فى الاستانة إلا ببذل الدرهم والدينار ، وكنت أظن فى ذلك مبالغة ولكنى الآن أعتقد صحته ، ولو اشترينا بعض المقربين لوصلت هذه المذكرة وغيرها للسلطان فى أول فرصة . »

فقال : وماذا تصنع وقد رسخ الداء من مدة طويلة ولا يمكن استئصاله ؟ ثم تحدثنا طويلا فى هذه الشئون وأمثالها ، وشكرت له عواطفه نحو الخديو .

بينى ودولة الوالدة : وفى ٤ يوليو قابلت سمو الوالدة فحدثتها عما دار بينى وبين

الباشكاتب فى المابين وعن جملته السابقة ، فغضبت سموها ولكنى هدأت غضبها ووعدتها بمناقشة الباشكاتب فى هذه الجملة ، فتأوهت وقالت :

« إنى منذ ثلاثة أسابيع حينما قابلت والدة السلطان حدثتها بكل صراحة وشرحت لها الفرق بين مصر وباقى الولايات التى تجتهد فى الانفصال عن الخلافة ، وأن مصر تدافع عنها بكل ما وسعت ومع ذلك لا تلقى أية مساعدة منها .

وقد علمت من والدته أيضاً أنه انزعج فى العام الماضى حينما أشيع أنى سأذهب إلى باريس ولم يطمئن حتى تحقق العكس . »

ثم سكتت دولتها قليلا وقالت :

« وبما أن هؤلاء الناس قد اعتادوا خطة الكيد والمشاكسة فماذا يحدث لو أنى ذهبت فى العام المقبل إلى أوربا ؟ فاذا تأكدت أن ذلك يفيدنا فانى لا أتأخر مهما كلفنى ذلك من النفقات . »

وهنا قلت لها : « إن عندى رأياً آخر ؛ وهو أن ولى النعم إذا زار أوربا فلا يمتنع عن مقابلة ملوكها الذين يرغبون فى مقابلته ، وسموه لم يمتنع إلا ابتغاء مرضاة السلطان ، وأنا متحقق أنه لو فعل لحدث تطور كبير فى علائقنا مع الخليفة والمابين ، ولقيت شئوننا بدل الفتور اهتماما عظيما . »

فوافقت سموها على ذلك وقالت : « ولكن الزيارة الأولى لن تكون لانجلترا . »

ثم عرضت على سموها رسالة من محمود شكرى بأن الخديو استحسن إرسال « الحرم » إلى رودس وفقاً لمشورة الأطباء . فقالت : « إن الصحة مقدمة على كل شىء . » ثم أمرتنى أن أتوجه غداً للمابين لمعرفة ما تم فى الأوراق .

فتوجهت فى اليوم التالى ، وبعد مطاولات كثيرة سلمت لى الأوراق .

وبعدئذ بيومين قابلت دولة الوالدة فسلمتها المذكرة وخطاب محمود شكرى باشا المرفق وخطاباً منه أيضاً فيما يختص بسفر العائلة الخديوية الى رودس ، وسفر الخديو الى أوربا ، وكانت دولتها قد اعتزمت الذهاب الى يلدز لتعرضها بنفسها .

وفى اليوم التالى علمت منها أن الأوراق قبلت منها بكل ارتياح .

وعلى أثر ذلك وردت لى برقية من الخديو بارسال البريد القادم الى محجر « أورله » ليلوغه اليها فى سفره .

وفى ١٨ منه وردت لى برقية أخرى من عزت بك . . . . يطلب منى القيام الى

« أورله » فتوجهت للمابين بعد ظهر اليوم وأخبرت الباشكاتب بذلك وطلبت الأوامر اذا كان هناك أوامر . فأخبرنى أن الخديو بعث للخليفة برقيتين الأولى عند مبارحة الاسكندرية والثانية عند وصوله الى أورله وأرسل الرد لسموه .

ثم قال : إنه سيعرض الأمر على الخليفة واذا كانت هناك تعليمات يخبرنى بها . فانتظرت حتى يوم ٢٠ يوليه دون أن يصل الىّ شىء ، وعندئذ عزمت على السفر .

ولما قابلت دولة الوالدة كلفتنى إبلاغ تحياتها الى سمو نجلها وأسرته .

المابين وموقف الخديو : ثم ذهبت الى المابين فلم ألق جديدا ، وهناك قابلت نجيب بك ملحمة القوميسير العالى للدولة فى البلغار فتعرفنا بعد قليل ، ودارت بيننا أحاديث أخبرنى خلالها أن جماعة أبى الهدى أرادوا اجتذابه نحوهم ، فطلبوا منه أن يرسل تقريراً ضد الحضرة الخديوية ، وكان الواسطة فى ذلك كرم افندى صاحب جريدة تركيا التى تطبع فى مصر . ولكنه أخذ الأوراق التى تثبت ذلك ورفعها للسلطان ، فصدرت له الارادة بحفظها عنده ، وبألا يظهر لجماعة أبى الهدى شيئاً مما حدث . ثم طلب منى إبلاغ تحياته وإخلاصه للخديو . ثم دخل الباشكاتب للخليفة وعاد فقال لى :

« لما عرضت على أعتاب السلطان سفركم أمرنى أن أخبركم بأنه رفعت لجلالته مذكرة بواسطة دولة الوالدة ، وفيها ثلاثة أمور :

الأول : السكة الحديدية السودانية وطلب الانجليز بيعها لشركة انجليزية ، وهذه مسألة صرف النظر عنها .

الثانى : السودان ورفع العلم الانجليزى عليه بجانب العلم العثمانى ، وتدخل الانجليز فى أموره . . . وهذه مسألة أعطت فيها الدولة الانجليزية تأمينات للدولة العلية بواسطة سفير انجلترا هنا .

الثالث : المحكمة الشرعية المصرية ، وهى مسألة تمت وأرسل الغازى مختار باشا تقريراً بخصوصها . »

فأفهمته أن الأمر الأول لم يذكر فى المذكرة الا لبيان أنه اذا لقيت جميع المسائل المصرية الهامة عناية من جلالة السلطان بارسال إرادته السنية للخديو كما حصل فى مسألة السكك الحديدية فان كل صعوبة تزول كما حصل والدليل على ذلك أن المسألة الثانية لما لم تنل هذه العناية ، تمكن الانجليز فيها مما أرادوا وأملنا من ذلك أنه اذا حدث مناقشات فى المستقبل فى مسألة المحكمة الشرعية أو فى غيرها فترسل الأوامر الى الخديو مباشرة .

فأجابنى بأن مسألة المحكمة هى مسألة دينية محضة ولا يمكن تدخل أجنبى فيها فضلا عن الأوامر التى أعطيت هى بواسطة الياور الشاهانى وفى هذا كفاية .

قلت له : ولكنى عرضت على عطوفتكم عدم قبول كرومر والنظار لما يعرضه الغازى من الأوامر .

فرد علىّ بأن هذه أوامر السلطان وليست محلا لمناقشة . ثم قال : « وهناك مسألة أخرى ، وهى أن الخليفة يقول : إنه يعامل الخديو معاملة الأب لابنه ، ولكنه يأسف لعدم قيام سموه بالواجبات التى تفرضها عليه هذه المعاملة فى مسألة جرائد الجون ترك والأرمن وجمعياتهم فى مصر ، التى غدت ملجأ لهؤلاء المفسدين يتعيشون فيها من المساعدات التى يجدونها من الذين هم فى أطراف الحضرة الخديوية . »

فقاطعته دهشاً مستغرباً : « وماذا تعنى عطوفتك بأطراف الجناب الخديوى ؟ »

قال : « أنا لا أعنى شفيق بك مثلا . »

قلت : « وأنا لا أقبل أن يقال إن هناك شخصاً ما فى معية الجناب الخديوى له علاقات مع هؤلاء المفسدين ، فان كانت لديك معلومات بشأنهم ، فأرجو أن تعلمنى بأسمائهم واذا ظهر بعد التحقيق إدانة أحدهم فان الخديو المعظم يأمر فى الحال بفصله ، وأنا أعلم ميول الخديو ، وأنه لا يقبل مطلقاً وجود أحد من هؤلاء فى معيته ... » ولما ألححت عليه قال : « وهل أطرافه يعنى معيته ؟ . هذه لفظة تطلق على مأمورى الحكومة وبعض الأهالى المساعدين . »

فقلت له : « اذا كان الأمر كذلك فأنتم تعلمون أن الادارة فى يد الانجليز . »

فأجابنى بأنه ليس الغرض هو طرد هؤلاء المفسدين بواسطة الحكمدار والمحافظ ، بل بصفة كون الجناب الخديوى حاكما شرعيا يأمر بتضييق المعيشة عليهم فى مصر حتى لا يجدوا فيها راحة ولا معونة فيخرجوا منها .

قلت له : « كيف وهم يقبضون مساعدات من نفس الانجليز مثل أصحاب جريدة القانون الأساسى . أما الذين ليست لهم علاقة بالانجليز فقد أخرجناهم من مصر ، وبذلنا فى سبيل ذلك مبالغ كثيرة . وأنتم مع سطوتكم وقوتكم لم يمكنكم أن تحصلوا على غايتكم لما طلبتم ذلك من السفارة الانجليزية ، فكيف تكلفوننا ماهو خارج عن طاقتنا ؟ »

قال : « إن مولانا السلطان يعتقد أن الخديو إذا رغب فى شىء وصل الى غايته ، وإن شيئاً من هذا لم يقع أيام المرحوم والده . »

فلفت نظره إلى أن هذه الطوائف لم يكن لها وجود أيام الخديو توفيق .

ثم أخذ يذكر لى أن بعض الدول كهولاندا وفرنسا قد أخرجت من لجأ اليهما من الجون ترك ، فذكرته بالفارق بين مصر وهذه الدول فى الادارة والاستقلال .

رحلة الخديو الى أوربا .

سفرى إلى أزمير : ثم استأذنت فى السفر وتوجهت للوابور الفرنسي « كونغو » القائم إلى أزمير فركبته بعد ظهر يوم ٢٠ يوليو ووصلت اليها فى اليوم التالى . ثم ذهبت إلى الجمرك وقدمت جواز السفر فأرسلنى المأمور إلى محل البوستة الخديوية ، وهناك اطلعت على برقية من الخديو لمأمور إدارة شركة البواخر الخديوية بارسالى إلى أورله بالعربة بمجرد وصولى إلى أزمير ، وقد وصلت اليها فى الساعة الثامنة مساء ، وركبت من هناك صندلا شراعياً إلى جزيرة كلازومين وقضيت الليلة فى المحجر .

وفى صباح ٢٢ نزل الخديو إلى الجزيرة فمثلت بين يديه وحدثته عما وقع لى بالاستانة وتلقيت أوامره ؛ ثم عدت إلى الاستانة فوصلتها يوم ٢٣ منه . وعلى أثر وصولى ذهبت للمابين فقابلت الباشكاتب وأخبرته بمقابلتى للخديو وعرضى عليه ما كلفت بتبليغه ، ودهشته عند سماعه ما يختص بالجون ترك بعد ما بذل من الجهد والمال . وقد بلغت الدرجة أن أصحاب جريدة القانون الأساسى حينما رفعت عليهم قضية أمام المحاكم الأهلية وخافوا افتضاح الأوراق السرية التى فى أيديهم التجأوا للخديو فأبى معونتهم وأمر سراً بتضييق الخناق عليهم فى المحاكمة ، فهددوه بأنهم سيقررون فى المحاكمة أن الخديو كان يمدهم بالمال على يد محمود شكرى باشا ! فلم يأبه سموه لهذه التهمة ، واستمر فى مضايقتهم بعد ما أشاعوا هذه التهمة فعلا . وكذلك ما فعله سموه مع جريدة المشير ؛ فقد جمع النظار ولفتهم الى وقاحة هذه الصحيفة ووجوب محاكمتها ، وفعلا أخذت النيابة فى التحقيق قبل سفره .

ثم قلت : « فهل كل ذلك لا يستوجب رضاء السلطان ، وقد أمرنى سموه أن أرجو عطوفتكم عرض هذه الملاحظات على أعتاب جلالته مع تقديم إخلاصه للجناب الشاهانى . »

ثم دار الحديث حول انتقال الأسرة الخديوية الى المصيف وعن سفر الخديو لأوربا .

حديث لسفير انجلترا : وفى ٢٥ يوليو قابلت سفير انجلترا فأخبرنى أنه وردت له تعليمات من حكومته خلاصتها أنها لا تقبل مطلقاً أن يحجر على حرية الخديو المعظم ، وأنه حر فى الذهاب الى أى بلد شاء ، وأنه أرسل اليوم برقية رقمية الى القنصل الانجليزى

فى أزمير لكى يبلغ سموه ذلك فى المحجر الصحى ، وبأن الأوامر أعطيت لحاكم قبرص بأن يؤدى لسموه التعظيمات اللائقة اذا حضر اليها . ثم تحادثنا عن رأى المابين فأخبرته بأنه يلوح لى أنه لا يمانع فى نزول الأسرة فى رودس . ثم أضفت الى ذلك أن الجناب الخديو يجتهد فى إرضاء السلطان فى كل أمر ، ولكن مع هذا لا شكر ولا رضاء ! فكم من مرة رغب ملوك أوربا فى مقابلة الجناب الخديوى والاحتفال به فاعتذر لهم ، لأنه يعلم أن ذلك مما لا يسر السلطان .

فقال السفير : « الخديو المعظم يمكنه أن يحصل على كل رغائبه ويتجول فى أوربا ولكن بصفة غير رسمية . واذا غضب السلطان اليوم فسيرضى غدا ، ومن رأيى أن مايمكن الحصول عليه باللين فلا ضرورة لاستعمال الشدة فيه . »



محمد عزت بك

قلت : « ولكن الخديو صريح ، وليس فى طبعه الرياء ، فوافقنى على ذلك . ثم استأذنت فقال لى : اذا جد شىء فانى أرسل اليك سكرتيرى فى بيك . »

وبعد يومين وردت لى برقية بأن الخديو ترك أورله ؛ وفى اليوم التالى وصل إلى رودس مع العائلة .

وفى ٢٩ منه حضر للاستانة محمد عزت بك ليكون بمعية الوالدة مكانى حيث تقرر أن أكون برفقة الخديو .

وفى ٣١ منه زرت احمد جودت افندى صاحب جريدة اقدام وقد تعرفت اليه لأنه نقل كتابى « الرق فى الاسلام » للتركية . ودار الحديث بيننا عن مسلك المابين فى المسائل التى سبق الحديث عنها ، وآخرها مسألة المحكمة الشرعية . . . . الخ فصرح لى بموافقته على آرائى ، وتبين لى أنه ناقم على الادارة التركية راغب فى تغييرها ، وقد أعجبت بصراحته هذه مع أنه من المقربين جداً للسلطان .

السفر إلى فينا وكارلسباد : وفى ٤ أغسطس صدر الأمر تلغرافياً بأن ألحق بسمو الخديو فى فينا فى العاشر منه ، فأخبرت الباشكاتب بذلك .

وسافرت على قطار الشرق فوصلت فينا فى صباح ١٠ أغسطس وفى اليوم التالى حضر الخديو من تريستا ، وبعد يومين حضر محمود شكرى باشا .

وفى ١٩ أغسطس سافرنا إلى جريفنبرج ومعنا الدكتور كاوتسكى ، فأقمنا بها عشرة أيام ثم غادرناها لرداءة الجو ، الى كارلسباد . ونزل الخديو فى فندق سافوى مع طبيبه وخادمه الانجليزى ، وأشار إلىّ ، نظراً لازدحام الفندق ، بالنزول فى فندق « بوب » ، وكان قد نزل فيه طورنيزون باشا الميراخور بأمره ؛ وبينما كنت أتعشى معه جاءته رسالة من مدير فندق سافوى يدعوه ، بناء على أمر الخديو للانتقال اليه بعد أن توفرت الأمكنة . ولما كان طورنيزون باشا يحب فندق بوب ولم يرد مغادرته فقد احتج بما ورد فى رسالة مدير فندق سافوى من مخاطبته بلفظة « يا عزيزى » واعتبرها إهانة وصمم على طلب مبارزته ، فهدأته ما استطعت ، وكاشفت سمو الخديو بالحقيقة فأمر أن نبقى فى مكاننا وانتهى الأمر بذلك .



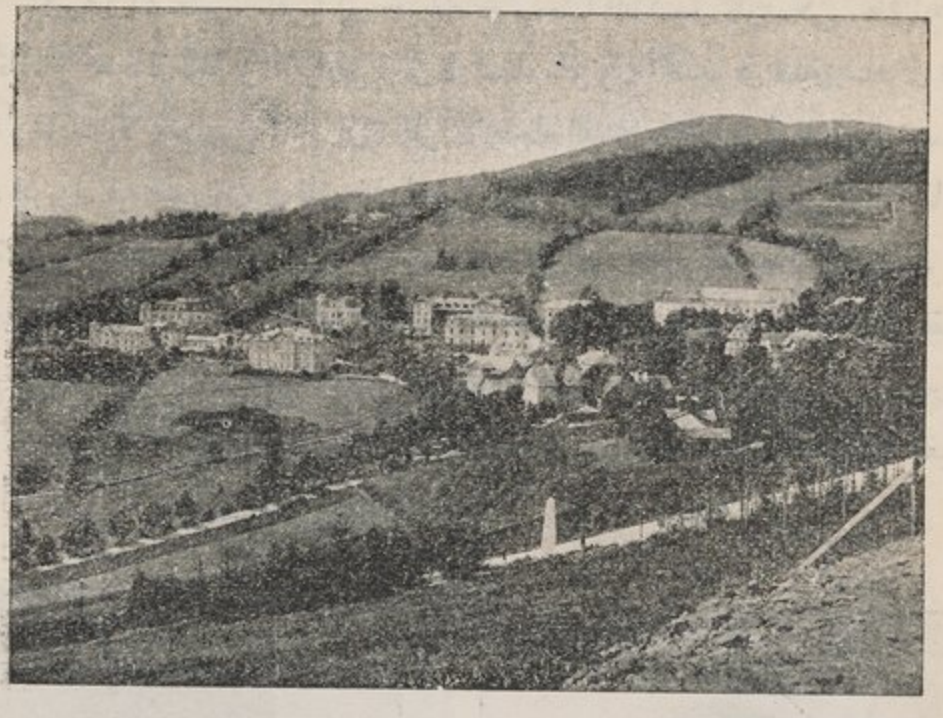
طورنيزون باشا



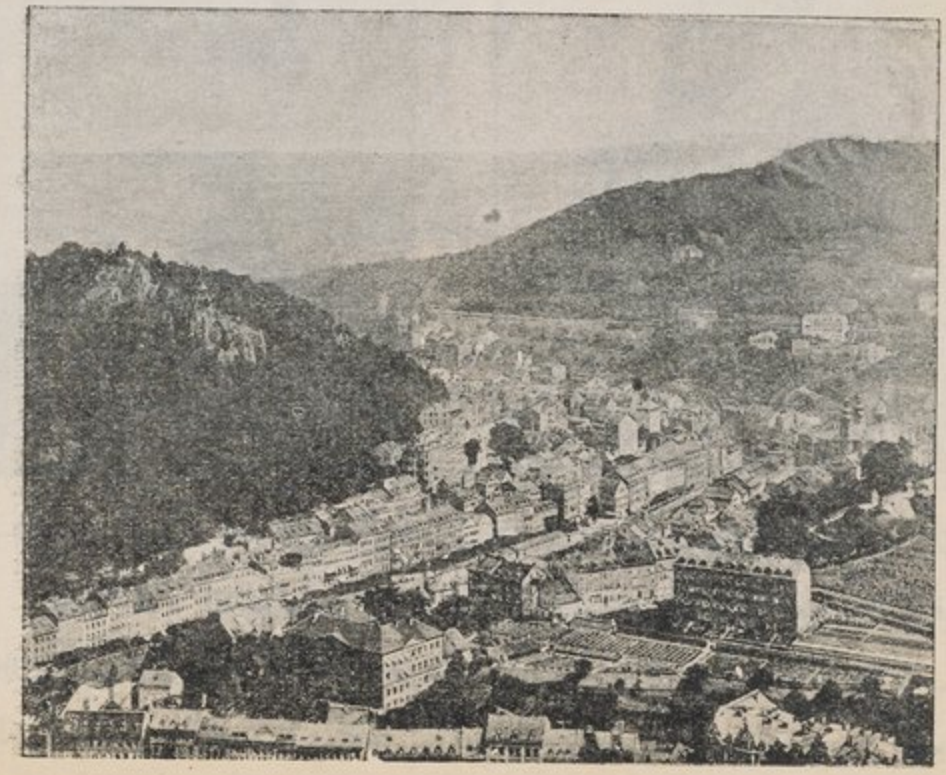
الدكتور كاوتسكى بك

مقابلة الخديو للامبراطور : وبقينا بكارلسباد حتى ٤ سبتمبر ثم عدنا إلى فينا ، وهنالك قابلت ناظر الخارجية بناء على أمر الخديو لأعرف منه موعد مقابلة سموه لجلالة الأمبراطور فأخبرنى أنه تحدد لذلك الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٩ سبتمبر .

وفى هـــذا اليوم استقل سموه عربة ملكية وزار الأمبراطور فى السراى ، ثم رد له جلالته الزيارة فى الفندق ، ولكنه لم ينزل من العربة بل ترك البطاقة كالعادة .



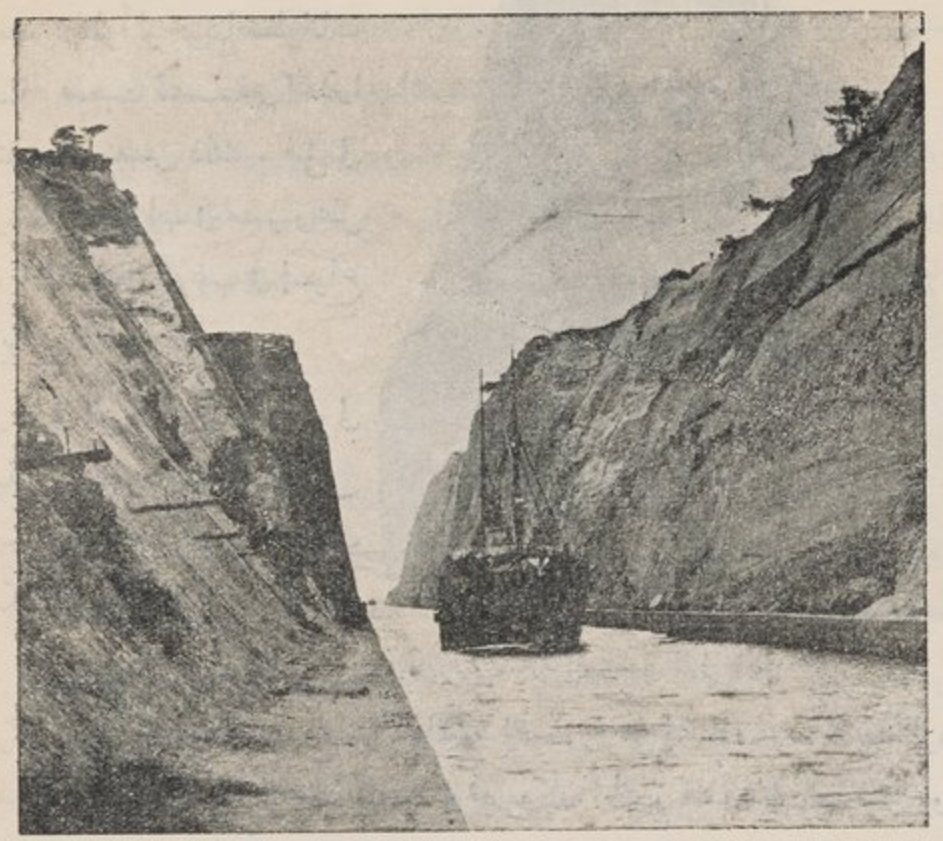
مدينة جريفنبرج بالنمسا



مدينة كارلسباد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

دسيسة ضد الوالدة . ثم سافرنا قاصدين ميناء پابراس فى بلاد اليونان ومنها ركبنا « صفاء البحر » واخترقنا قنال كورنت إلى كلاماكى .



قنال كورنت

وركب سموه « المحروسة » إلى رودس حيث توجد الأسرة الخديوية . أما أنا فركبت الوابور النمساوى « تاليا » من بيره إلى الاستانة فوصلتها فى ٢ اكتوبر .

وبدأت بالذهاب إلى المابين ، فأبلغته تحيات الخديو ؛ ثم زرت دولة الوالدة فأخبرتنى بأنها علمت أن دسيسة دبرت ضدها فى السراى ، وخلاصتها أن جلال الدين باشا وشى فى حقها لدى السلطان ، وقال إنه تأكد من تحرياته وهو فى أوربا من أن الوالدة أعطت الجون ترك مبلغاً من المال بواسطة البرنس جميل طوسن والبرنسيس نازلى فاضل ، ثم قالت لى إنها كتبت إلى السلطان تنفى هذه التهمة ، وعندئذ تذكرت ما قاله لى الباشكاتب عن وجود من يساعدون هذه الفئة من « أطراف الخديو » .

وقد ظلت هذه المسألة أياماً بين الأخذ والرد حتى انجلت الحقيقة وظهر للسلطان كذب الوشاية .



البرنسيس نازلى فاضل

وفى يوم ٢٦ بلغنى أن والى أزمير أمر بالذهاب إلى رودس ليعلم سمو الخديو بأن يرجع حالا إلى مصر، نظراً لوجود اضطرابات بهـا ، فذهبت لسـفير انجلترا واستفهمت منه عن ذلك ، فنفى لى وجود أى اضطراب فى مصر وعلل ذلك بأن السلطان يرغب فى إسراع الخديو بمغادرة رودس .

وفى اليوم التالى وردت لى برقية بأن سموه سيسافر من رودس يوم ٢٩ اكتوبر فأخبرت الباشكاتب بذلك .

وفى يوم ٢٩ نزلت دولة الوالدة للسفر فى وابور خاص اتفقت مع شركة اللويد النمساوية على إعداده ، وسرنا بعد الوداع نقصد الاسكندرية رأساً فوصلنا يوم ٢ نوفمبر وكان الخديو قد وصل اليها قبلنا بيوم .

رفع الستار عن تمثال دولسبس ببور سعيد . كانت قد وصلت الى سمو الخديو ، وهو فى أوربا ، دعوة من اللجنة التى ألفت للاحتفال برفع الستار عن تمثال فرديناند دولسبس صاحب مشروع قناة السويس فى مصر ، ليكون الاحتفال برعاية سموه وحضوره ، فرد جنابه بالقبول . وكان قد تعين يوم ١٧ نوفمبر لاجراء ذلك الاحتفال ؛ ففى يوم ١٦ منه سافر سموه ومعه رجال المعية والنظار من الاسكندرية الى بور سعيد وعند وصولنا الى الاسماعيلية ركبنا باخرة أعدتها الشركة لتقل سموه وحاشيته ، وركب معنا المحافظ ورئيس الشركة ووفد من أعضائها ، وكانوا فى الاستقبال فوصلنا الى بور سعيد مساء وهناك انتقلنا للمحروسة التى كانت فى انتظارنا .

وفى صباح اليوم الثانى كانت اللجنة قد أعدت مكان الاحتفال بأن صفت السفن بعضها بجانب بعض ، ووضعت فوقها ألواح أفقية من الخشب فى مساحة سعتها ثمانون متراً فى خمسين ، ووضعت منصة للخطابة بالقرب من التمثال الذى أقيم على قاعدة عالية

فى وسط الماء ومدت الى الشاطىء بحاجز لتخفيف الأمواج . وصفت المقاعد على هذا المسطح على هيئة مدرج .

وشهد الاحتفال من أسرة دولسبس قرينته الكونتيس دولسبس ، وولده شارل دولسبس وقرينته وعدة آخرون من أولاد دولسبس وبناته .

وقد شرف سموه الاحتفال فى الساعة التاسعة ، وكان قد سبقه اليـــه الغازى مختار باشا والبرنسات عمر طوسن وعزيز بك حسن والنظار . وبعد مراسيم الاستقبال، استأذن رئيس مجلس ادارة الشركة البرنس دارنبرج من سمو الخديو برفع الستار عن التمثال فاذن له ، وعندئذ صدحت الموسيقى ، وعلا التصفيق من كل جانب .

ووقف الخديو فألقى الكلمة الآتية :

أيها السادة :

« إنكم تعلمون جميعاً تاريخ حفر ترعة السويس البحرية والمنافع الجمة التى عادت منها على العالم بأسره . وقد مضى اليوم ثلاثون عاما على اليوم الذى تمكن فيه فردينان دولسبس بقوة ذكائه وعالى همته من تحقيق أمنية طالما تعلقت بها الآمال قبله ، وهى وصل البحرين الأبيض والأحمر ، ولذلك هنأه العالم المتمدين وشكره فى مهرجان لم يزل بهاؤه وأبهته حاضرين فى الأذهان ، فكان ذلك خير تمجيد لعمل عظيم مثل هذا ، إلا أنه كان من الواجب أيضاً بعد وفاته تخليد ذكراه ، بنقل صورته إلى الخلف .

ويسرنى أن أرى شركة الترعة قد قامت بهذا الواجب ، وأشكر مجلس إدارتها على دعوتى لهذا الاحتفال فانه ساعدنى على اتباع سنة آبائى الفخام ، نحو هذا الرجل العظيم ، بأن أحضر بنفسى وأشاركم فى تعظيم قدره باقامة هذا التمثال . »

ولما أتم سموه إلقاء خطبته صافح الجميع ، وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى. ومثل بين يديه رئيس الشركة وأعضاؤها فقدموا شكرهم على ما تفضل به سموه ، ثم تقدم إلى المنصة رئيس مجلس إدارة الشركة فألقى خطبة مطولة جاء فيها :

« إن وجود سموكم فى هذا الاحتفال وما نطقتم به من العبارات يبعث ألسنتنا بالشكر الجزيل والثناء الجميل .

إنكم يامولاى اقتفيتم أثار أجدادكم ، وسلكتم سبيلهم فأتيتم بما يدل على اهتمامكم السامى بالعمل العظيم والأثر المخلد ، الذى تم فى عهد ساكنى الجنان المغفور لهما سعيدباشا وإسماعيل باشا بواسطة المسيو فردينان دولسبس .

إن هـذا العمل العظيم ينمو ويتسع نطاقه كل يوم وتزداد أهميته شيئاً فشيئاً فى أحوال العالم بأسره ، فكأن ساكن الجنان محمد سعيد باشا كان قد قرأ صحيفة المستقبل حينما طلب أن تكون شركة قناة السويس شركة عمومية . ونحن نجتهد فى أن تكون هذه صبغتها على الدوام ، لما يترتب على ذلك من الفائدة للعالم بأسره .

ولقد قلتم يا مولاى ذات يوم : (إن مصر الحارسة الطبيعية لقنال السويس) وإنه ليبدو لى من خلال هذه الكلمات أثر اتجاه رغائبكم الشريفة إلى إبقاء ما كان يتمناه أجدادكم ، من أن يكون القنـال صلة ما بين الشرق والغرب ، وكفالة للسلم والسعادة لجميع الشعوب . »

ثم نوه بحسن رعاية سموه وعنايته وشكره على التفضل بالحضور وكرر عبارات الاخلاص .

وبعد ذلك ألقى الموسيو « دوفوجيه » خطبة فى تاريخ القناة . وأعقبه شارل دولسبس نجل صاحب التمثال شاكراً . ثم انفض الاحتفال وعدنا لليخت .

وفى المساء كانت الشركة قد زينت إدارتها بالميناء بالأنوار والأعلام . ودعت نحو ثلثمائة إلى حفلة تقام على أحد وابورات الشركة .

وعند الساعة العاشرة ذهبنا مع الخديو الى الحفلة ، فبقينا الى منتصف الليل . وفى الصباح غادرنا بور سعيد الى القاهرة .

وفى ١٩ نوفمبر قلد عباس بيـــده النيشان المجيدى من الدرجة الأولى للبرنس دارنبرج .

وفى يوم ٤ ديسمبر دعا الخديو أفراد عائلة دولسبس لتناول الغداء بسراى القبة . وقد انتهزت هـذه الفرصة ودعوت شارل دو لسبس وقرينته لتنـاول الغداء عنـدى . وتحادثنا معاً فى شئون مصر السياسية ، فأدهشنى أن أسمع منه أنه خير لمصر أن تصادق الانجليز وألا تسعى فى مناوأتهم .

عيد الميلاد السلطانى . وافق يوم ١٩ ديسمبر عيد الميلاد السلطانى ، فاحتفل به فى البـلاد كالعادة . وبهذه المناسبة أرسل السلطان على يد الغازى مختـار باشا برقية مطولة لسمو الخديو ، يعرب فيها عن عطف جلالته ورعايته ، وتأكده من ولاء سموه له .

ووفد على القاهرة كذلك محمود بك وكيل الخـديو فى الاستانة بأمر من جلالة

السلطان لابلاغ سموه مثل هذه التعطفات فتقبل جنابه هذه الرعاية بالشكر والامتنان، وبقى محمود بك حتى يوم ٢٢ منه ثم رجع للاستانة.

ولا شك أن ذلك كان استرضاء من السلطان للخديو بعد الذى حدث طول العام الماضى من سوء التفاهم بينهما.

شئون مختلفة.

البنك الأهلى المصرى: احتفل فى ٥ مارس بوضع الحجر الأساسى لبناء البنك الأهلى المصرى الجديد بحضور الخديو وبهذه المناسبة نذكر أن البنك أسس برأس مال قدره مليون جنيه زيد نصف مليون آخر فى ١٨ أبريل سنة ١٨٩٩.

إنعام خديوى: فى ٢٢ نوفمبر أنعم بالعثمانى الثالث على أحمد خيرى باشا مدير البحيرة السابق الذى كانت قد وجهت اليه تهمة إرغام الأهالى على الاحتفاء بالخديو حين زيارته لدمنهور كما تقدم.

العفو عن المجرمين السياسيين: وفى هذا العام والعام الذى قبله صدر الأمر بالعفو عن بعض المحكوم عليهم من زعماء الثورة العرابية، ومنهم طلبة عصمت ومحمود سامى البارودى.

حديث بين الخديو وشيخ الأزهر. وفى ٢٣ ديسمبر نظمت مقابلة عامة كالمعتاد، ولما مثل وفد العلماء فى حضرة سمو الخديو، أشار جنابه الى ما رآه فى المسجد الحسينى ليلة نصف شعبان من شدة الازدحام. ثم قال: «ومهما عظم هذا الازدحام فانى أفضله على الشدة التى يستعملها رجال الضبط كأن يقفلوا بعض الأبواب، أو يمنعوا الناس من الدخول. لأن المساجد بيوت الله، ولا تناسبها الرسوم والنظامات المعتادة.»

وهنا قال شيخ الأزهر:

«إن هذا الازدحام الشديد فى مثل هذا المقام، منشؤه تهافت أفراد الشعب على شهود أميرهم المحبوب، لاخلاصهم له، فهم ينتهزون فرصة حضوره للصلاة، فيتزاحمون بشدة كما رآهم سموه فى كل مناسبة.»

فأجاب الخديو:

«نعم إنى أقدر حب الأمة المصرية وإخلاصها فى ولائها حق التقدير، ويزيدنى حباً فيها أنها أمة فطرت على الوداعة والهدوء وسلامة النية.»

سنة ١٩٠٠

شئون مختلفة. من جولييت آدام الى مصطفى كامل. تمرد فرقتين مصريتين في السودان. رسالة من صحفي أجنبي الى الخديو. رحلة الخديو الى الصحراء الغربية. رحلتي ومهامي في الاستانة. سفر الخديو الى أوربا وعزمه على زيارة لندرة. الاستعداد لاستقباله. مرض الخديو. السفر الى لندرة. الاستقبالات والزيارات. عود الخديو الى مصر. رحلتي في أوربا.

شئون مختلفة.

عيد الجلوس الخديوى: قبل أن يستهل عام ١٩٠٠ بأيام ألفت لجنة للاحتفال بعيد الجلوس الخديوى احتفالا يمتاز بفخامته عما تقدمه من الاحتفالات وإقامة حفلة شائقة فى حديقة الأزبكية. وألفت اللجنة برياسة عبد القادر حلمى باشا وعضوية كبار القوم من مصريين وأجانب ومنهم حبيب سكاكينى باشا وموسى بك قطاوى، وأخذت فى الأهبة اللازمة؛ حتى إذا كان اليوم المحدد وهو يوم ٨ يناير ظهرت حديقة الأزبكية فى حلة رائعة، وخصصت تذاكر للدخول مختلفة الأثمان والدرجات؛ وتماطر سيل الزائرين منذ الساعة الثالثة بعد الظهر. وفى المساء حضر كبار المدعوين والمدعوات. وكان يستقبلهم رئيس اللجنة وأعضاؤها وقد أناب الخديو عنه شقيقه لحضور الاحتفال فاستقبلته اللجنة استقبالا رسميا، وظل فى الحديقة حتى شاهد إطلاق النيازك، ثم أعرب عن سروره بنظام الاحتفال وشكر للقائمين بالأمر هذه الظاهرة الدالة على الاخلاص والولاء.

وقد حضر بعض البرنسات وكبار العقائل إلى المسرح الذى أقامه الشيخ سلامة حجازى فى الحديقة، كما أقيم غيره من الملاهى وأنواع الطرب والغناء.

LIBRARY
AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

وقد تهاطلت الوفود والبرقيات من جميع جهات القطر بالاشتراك فى هذا العيد وتهنئة الخديو بحلوله ، وأبلغ السردار إلى السراى تهنئة مكسويل باشا نائب حاكم عموم السودان وجميع الضباط والموظفين الملكيين ، وأهالى السودان ، فصدر أمر سموه بالردعلى هذه التهنئة بالشكر للجميع. وخصص صافى إيراد هذه الحفلة للأعمال الخيرية .



موسى قطاوى بك



حبيب سكاكينى باشا

افتتاح ساحل مصر القديمة : رافقت الخديو يوم ٢ يناير مع بعض رجال الحاشية ، فى حفلة افتتاح ساحل مصر القديمة . ولما وصل سموه الى مكان الاحتفال قوبل من لجنته التى يرأسها قلينى فهمى بك بما يليق بجنابه العالى ، وهتف المجتمعون هتافا عاليا لسموه ، فاستراح فى السرادق الذى أعد لاستقباله ، وتناول القهوة . ثم زار سرادق التجار فاستقبل بالهتاف بحياته فألقى عليهم كلمة موجزة ، مبيناً لهم الفائدة التى تعود عليهم وعلى الشعب من افتتاح هذا الساحل . وبعد الانتهاء من خطبته صفق له الحاضرون وهتفوا له بالدعاء . ثم عاد الى سراى عابدين .

معاش المسيو مزمر : كان مسيو مزمر يتقاضى مرتباً من الحكومة المصرية كمعاش له بعد أن ترك رياسة البعثة المصرية فى باريس وقد أنقص هذا المرتب فيما بعد . فبعث الىّ برجاء فى أن أعاونه فى هذا الموضوع ؛ فعرضت أمره على الخديو

فتفضل بصرف تحويل له على البنك العثمانى بمبلغ خمسمائة فرنك وهو مقدار المعاش الذى كان يتقاضاه ، على أن يصرف له هذا المبلغ كل شهر .

وقد أرسلت له رسالة بتاريخ ١٧ يناير أخبره فيها بهذا العطف السامى وأن رئيس النظار مصطفى فهمى باشا لم يوفق رغم عطفه عليه الى إعادة تقرير مرتبه نظراً لمعارضة المستشار المالى .

القبض على عثمان دقنة : فى ٢١ يناير وردت برقية من السودان للسراى تنبىء بالقبض على عثمان دقنة أكبر قواد الدراويش وأكثرهم جرأة وإقداما فى السودان الشرقى ، وكان قد فر عقب الموقعة الأخيرة وظل يتنقل من جهة الى أخرى حتى قبض عليه فى طوكر أخيراً بمكيدة دبرتها له السلطات بالاتفاق مع أحد مشايخ القبائل الموالية الذى دعاه الى وليمة ثم قبض عليه حينما ذهب اليها ؛ وقد أرسل مخفوراً الى مصر حيث اعتقل .

ميلاد أميرة للخديو : فى ٢٩ سبتمبر سرت البشائر بميلاد ابنة للخديو وسميت شوكت هانم افندى .

شكوى لأصحاب المقطم : فى ١٠ نوفمبر حضر الدكتور صروف أحد أصحاب المقطم وشكا إلىّ أن أخبار المعية لا تبلغ الى جريدته فى الوقت الذى تبلغ فيه للصحف الأخرى وأنه يطلب مساواته فى ذلك بزملائه . فقلت له : « إن بابى مفتوح لكل من يريد استقاء أخبار المعية التى يصرح بنشرها ، واذا شرفتمونى فانى أرحب بكم مثل جميع الزملاء . »

من جولييت آدام الى مصطفى كامل . فى أوائل يناير ، تلقى مصطفى كامل من مدام جولييت آدام الكاتبة الفرنسية الشهيرة خطابا جاء فيه : « صديقى الشاب . اسمح لى أن أعرب لك عن الدعوات الصادقة التى أرفعها إلى السماء ليهبك الله من لدنه صحة ومجداً وقوة فى جهادك الشريف ضد أعداء بلادك . وإنى منشرحة الصدر جداً لما علمته من أنك ستنشىء جريدة سياسية « اللواء » لأن ذخائر الخطابة والصحافة لازمة لكل المجاهدين فى ميادين السياسة .

وإنى أهنئك أصدق تهنئة على نجاحك الخطابى ، ولست بحاجة لأن أعرفك رأيى فى أعمالك الوطنية فأنت عالم بها علم اليقين ، ولو استعطت أن أشرح لك أفكارى بشأن بلادك البديعة لوجدت فيها ما يملأ الفؤاد أملا وثقة بالمستقبل ، فقد كانت مصر آفة الدول الطاغية ، وأثبت التاريخ أنها لم تبتلع الفاتحين لها بل قذفت بهم إلى خارجها ،

ويظهر لى أنها محروسة بأرواح أبنائها القدماء، وأن فى أرض بلادكم سراً جعلها ويجعلها مقدسة عند الناس أجمعين .

وأنكم معاشر المصريين ، لو أردتم أن تكون مصر من أكبر الأمم وأعظمها لكانت كما تشاءون .

ألف تحية وألف سلام (للواء الرسول) وليكن لواؤك أول عامل للتقريب بين أبناء الدين المحمدى الصحيح و بين أبناء الدين المسيحى الصحيح وما ذلك بعسير . وإن هذا التقريب يكون أكبر خطوة فى تاريخ الانسانية والتمدن . . . . جولييت آدام . »

تمرد فرقتين مصريتين فى السودان . فى ٢٨ يناير حضر إلى السراى ونجت باشا فأبلغ الخديو عزمه على السفر سريعاً إلى السودان ، نظراً لتمرد أورطتين من الجيش ، على أثر صدور أمر مكسويل باشا نائب الحاكم العام بتجريد الجيش من سلاحه ، فأبت الأورطتان إطاعة هذا الأمر لما فيه من المساس بكرامتهما ودلالته على عدم الثقة بالجيش ، وأنه أطلقت بعض الطلقات النارية وجرح بعض الجنود وقبض على بعض الضباط وأودعوا السجن .

وقد أوصى الخديو ونجت باشا باستعمال اللين فى معالجة المسألة ؛ لأن هذا التذمر وليد الشدة التى استعملت أيام السردار السابق كتشنر باشا أثناء حملة السودان مما أدى إلى إضمار الاحنة فى نفوس رجال الجيش .

وتواترت الاشاعات بعد ذلك وأخذ أنصار الاحتلال يهولون الموضوع ، قائلين : « إن سبب العصيان هو تحريض الضباط المصريين فى الأورطتين لجنودهم على التمرد وعدم إطاعة الأوامر . »

وفى ١٠ فبراير حضر للسراى رئيس النظار لمباحثة الخديو فى الموضوع على أثر برقية وردت له من السردار بأنه يحقق مع بعض الضباط المصريين الذين يظن أن لهم يداً فى الموضوع ، وأنه تم تسليم السلاح من بعض رجال الأورطتين بواسطة الضباط السودانيين فيهما .

وكانت المباحثات بين الخديو ورئيس النظار تدور حول استصدار أمر عال من سموه باعتبار الضباط الذين تثبت عليهم التهمة عصاة متمردين مهددين لسلامة الجيش، ليكون عقابهم شديداً رادعا لغيرهم . فأبى الخديو، بعد استشارة رجال معيته ،

أن يوافق على ذلك ؛ لأن كل البرقيات التى وردت له من السردار لم تلق على أى ضابط مثل هذه التهمة الكبيرة ؛ وكل ما يؤخذ منها أن بعضهم خالف أوامر رؤسائه ، وهؤلاء يحاكمون فقط حسب القانون العسكرى . وانتهى البحث بارسال برقية للسردار فيها ما يلى :

أولا — إظهار الأسف من أن حالة التمرد التى ظهرت من بعض عساكر الجيش لم تحسم نهائياً .

ثانياً — أن الجناب العالى يأمل فى سعادة السردار أن يستعمل نهاية الحكمة فى تلافى المسألة ، والدقة الزائدة فى تحقيقها حتى لا تلقى المسئولية إلا على المذنبين الحقيقيين .

ثالثاً — أن الضباط الذين تثبت مخالفتهم لأوامر رؤسائهم يحاكمون أمام مجلس عسكرى عال طبقاً للقوانين العسكرية .

رابعاً — أنه إذا اقتضى الحال نشر أمر الخديو هذا على الضباط والعساكر لدعوتهم إلى الطاعة والسكينة فلا بأس من أن يقوم السردار بذلك .

وأعرب سموه فى الختام عن أمله بألا يصل هذا الأمر إلى السردار حتى تكون المسألة قد انتهت بالحسنى ، وعادت العساكر إلى تمام الطاعة للرؤساء .

وفى ٢٤ فبراير أرسل السردار برقية بقرار مجلس التأديب الذى شكل فى الخرطوم لمحاكمة المتمردين ، فاذا هو يقضى بطرد بعض الضباط المصريين من الخدمة ، وإحالة آخرين إلى الاستيداع ، وعقاب بعض الأومباشية بالطرد ، وبعضهم بخصم جزء من راتبه أو تنزيله إلى رتبة أقل . فوافق مجلس النظار على هذا القرار فى جلسة ٥ مارس وأرسله للخديو أثناء رحلته فى الصحراء الغربية فاعتمده .

رسالة قارئة من صحفى أجنبى الى الخديو . وعلى أثر ذلك وردت إلى الخديو رسالة مؤرخة ١٥ مارس من صحفى يظن أنه ألمانى مقيم فى مصر ، ومطلع على ما يجرى بها خفية وعلانية . ولما قرأها سموه تألم مما جاء فيها من القذف . ونورد هنا ترجمة هذه الرسالة بنصها : « إن الضباط الذين حوكموا أمام المجلس العسكرى السودانى ، ومعظم أعضائه من الانجليز ، جديرون بشكر الوطن وامتنانه ؛ فان ما قالوه وطالبوا به هو عين الحق والانصاف ؛ فقد طلبوا أن يعطوا نفس المرتبات التى يتقاضاها الضباط الانجليز ، فلماذا لايجاب طلبهم هذا ؟ وهل جلد المصرى أقل قيمة من جلد الانجليزى ؟

وما هو الباعث على هذا التميز ؟ وقالوا إن الانجليز كسروا فى جنوب إفريقية ، أفليس هذا صحيحاً ؟ وكيف يلامون إذاً على ذلك ؟ وقالوا إن مقداراً من المدافع أرسل إلى الكاب من مصر وهى دولة محايدة ، وقد ملأ حديث هذه المدافع العالم بأسره ، فهل تظن يا مولاى أن هذ الأمر مما يؤدى إلى توطيد عرشك ؟ كلا . وسوف ترى فيما بعد أن الأمور تجرى على غير ما تريد ! لأن مصر لن تستطيع إلا أن تحترم حياد القنال ، ولو كره نظارك ، وقال هؤلاء الضباط إن الذخائر الحربية أرسلت إلى الكاب مع ٢٠٠ مركبة من مركبات سكة الحديد . أليس هذا صحيحاً ؟ ذلك ما آلم الانجليز لأنه أماط اللثام عن مكرهم وخبث طويتهم ، وأنت يا مولاى قد ذهبت بك الجرأة إلى الموافقة على كل ذلك ، وإنه لمن العار على أمير أن يعمل مثل هذا العمل غير ناظر إلى مصلحة بلاده .

ثم إن السردار الذى سلب مدافع المكسيم وسرق الذخائر الحربية المرسلة الى مصر ، ومركبات سكة الحديد المصرية لا يزال فى منصبه ، ولم تفه أنت بكلمة . إذاً أنت ملك مزيف ، ملك من الكرتون .

لقد قال الضباط : إن سرقة المكسيم من الأمور الغريبة فى بابها ، وهذا عين ما قالته صحف العالم بأسره ، وأنت لم تفعل شيئاً لمعاقبة السارق . وهذا ما يدل على أن الأمر تم بموافقتك ، ويلوح لى أنك وافقت على كل هذه السرقات لأنك لم تتوسط للضباط بالعفو عنهم .

وهناك مسألة الجندى الانجليزى الذى قتل رئيسه وهو ضابط مصرى ، فانه لم يعدم رمياً بالرصاص فى اليوم التالى لوقوع الجناية بحسب القانون ولماذا هذا ؟ يقال إن هذا الجندى يمرح الآن على ضفاف التاميز . فما أجمل هذا ! ولا سيما أنك سمحت بأن يعدم رمياً بالرصاص جنديان سودانيان لأنهما هربا من الجندية فى وقت السلم ؛ وهذا ما يعد وصمة عار تلحقك مدى الحياة . وقد وقع هذا الأمر قبل حملة السودان التى جردت لمصلحة الانجليز بأموال مصر ودمائها .

إنك تجهل السبب الذى حكم من أجله المجلس العسكرى الانجليزى على هذين الجنديين المسكينين بالاعدام رمياً بالرصاص فى أيام السلم . ذلك أن الانجليز كانوا على وشك افتتاح السودان ولم يكن أحد عارفا بذلك ، فأرادوا أن يوردوا مثلا باعدام جندى فار من الجندية فى أيام السلم ؛ ولكن أوربا برمتها استنكرت مثلهم هذا .

لقد شعروا فى المدة الأخيرة باحتياجهم اليك ، أو أنهم تظاهروا بذلك لاجتذاب الجنود السود اليهم فما هذا المكر !!

لقد خدعوك يا مولاى يوم أكرهوك على حضور حفلة افتتاح البنك الذى أطلق عليه اسم البنك الأهلى . إن هذا يعد احتقاراً لك ، وقد ساقوك إلى هذه الحفلة كما يساق الخروف ! ورأيتهم بعينيك وأنت صامت يضعون تحت الحجر الأساسى ورقة تتضمن تاريخ إنشاء هذا البنك وهى مكتوبة باللغة الانجليزية ، وليست بالعربية طبعاً . ومع ذلك حضرت الحفلة مكرها وأفاضت صحف برلين فى وصف هذه الحفلة على الصورة المتقدمة فما هذه المهزلة !!

لايخفى عليك يامولاى أن الضباط الذين حوكموا وعوقبوا هم من صميم الوطنيين ؛ فان دم الوطنية يجرى فى عروقهم ، وهم من خيرة الناس ، وأكثرهم جرأة وشجاعة كما قال عنهم امبراطور ألمانيا . نعم هم من الشجعان ولم يحسبوا للانجليز حساباً وسيكونون فى الأيام المقبلة خير أداة لاحياء مصر وإنهاضها . نعم إن الدم الذى يجرى فى عروق هؤلاء الشجعان إنما هو دم كريم طاهر ، وأنا أؤكد لك أن مائتى رجل على مثالهم يكفون لتحرير مصر من نير الانجليز .

لقد قال الضباط إن جنودنا السود سيقوا فى طريق البحر الأحمر ، فالى أين يذهبون بغير ضباطهم ، وهم على حق فى سؤالهم هذا . ولم يكادوا يلقون هذا السؤال حتى كتب تقرير فى حقهم باللغة الانجليزية ، لأنهم أدوا الواجب المفروض عليهم . فما أجمل هذا العمل يا مولاى وما أحرى بأن يقال عنه : ليس فى الامكان أبدع مما كان !!

ثم إن هناك أمراً آخر يستوقف النظر وهو أن المسمى بيرش بك من موظفى الداخلية متغيب فى إجازة ثلاثة أشهر . وقد انقضت مدة اجازته ولم يعد بعد ، وهو يتقاضى مرتبه المعتاد من خزينة الحكومة الانجليزية ، أى أنه يتقاضى مرتبين اثنين من الحكومتين المصرية والانجليزية . ولاغرو فالانجليزى حاد الأسنان طويلها . وفى اعتبارى أن هذا الضابط سيطلب من الحكومة المصرية اجازة مرضية وأنا مستعد أن أراهن على ذلك فأدفع مائة جنيه مقابل جنيه واحد .

لنفرض أن الضباط الذين عوقبوا يستحقون العقاب الذى حكم عليهم به ، ولكن ما قولكم فى السردار الذى تصرف بمدافع مصر تصرف المالك فى ملكه ؟! وكيف تفسر أيها الأمير التعس حياد مصر وما هى فى اعتبارك قيمة هذا الحياد ؟ إن جميع صحف

العالم تحدثت بهذا العمل الغريب مشيرة إلى حياد مصر وإلى الأسلوب الذى اتخذته مصر للاحتفاظ بحيادها هذا ، فما أجمل هذا الحياد الذى قد يفضى بصورته هذه إلى عواقب خطيرة وهو ما لابد من وقوعه . ومن يعش يرَ ؟

إن أسماء هؤلاء الضباط ستنقش أيها الأمير على رغم أنفك فى صحائف من النحاس تخليداً لعملهم الوطنى الجليل . لقد سلمت بمعاقبة ضباط كشفوا النقاب عن مبادىء الذين أقاموا نفوسهم مخامين عنك ، وأعلنوا على رءوس الملأ أعمالهم السافلة مبينين ما انطووا عليه من الخبث واللؤم وعدم الانصاف . إنه لمن العار عليك يا مولاى ألا تكون نطقت بكلمة احتجاجا على سلب مصر مدافعها . انك لم تقل كلمة واحدة للسارق حتى جعلت أوربا برمتها ولا سيما برلين تسخر منك وتحتقر عملك ، ووصفتك بملك الكرتون قائلة إنك من الممثلين المضحكين .

وعلاوة على ذلك فلى كلمة أخرى أقولها لك ؛ وهى إنه لمن المؤلم أن نرى الموظفين المصريين ينتقلون من خدمة بلادهم ، إلى خدمة الانجليز ثم يعودون بعد حين الى خدمة مصر . إن هذا لمن الأمور المخجلة المعيبة !!

تذكر بلا ريب أنه لما مر الأسطول الأسبانى منذ بضعة أشهر فى القنال أبى ولاة الأمور أن يزودوه بالفحم اللازم له ، فلماذا تسمح الآن للانجليز بأخذ الفحم اللازم لهم من مصر وهم مشتبكون فى حرب مع البوير ؟ أليقال إن حكومتك تكيل بمكيالين ؟ إن هذا غير معقول وليس بمثل هذا الأسلوب ينفذ نظام القنال ويحترم قانون حياده . ولعل ما يقال صحيح ؛ وهو أن هؤلاء من طينة وأولئك من طينة أخرى . كم من المظالم والمحرمات يرتكبها هؤلاء الانجليز فى هذه البلاد وأنت صامت ! وهذا ما يدل على أن كل ما يأتونه من الأعمال إنما يتم بموافقتك وهو الأصح . إن مسألة المدافع التى سرقت فضيحة كبرى ، ولا سيما أنك لم تعاقب السارق فى حين أنك سمحت بمعاقبة ضباط هم من صميم الوطن ! . اذكر أيها الأمير هذا الأمر وأعمل الفكرة فيه ، وهو أن هؤلاء الضباط الخمسة سيعادون الى رتبهم ويصلون الى أرفع مناصب الدولة وأرقاها . أما أنت فالدول لن تهتم بشخصك بل إنما هى تهتم بمصر ، فليس من المهم عندها أن تقتصر فى حياتك على الاحتفاظ بهذين الأمرين ؛ وهما الانصراف الى الصلاة وحضور السباق . وستقص عليك جريدة المؤيد قصة ظريفة يوماً عن السودان فيما يتعلق بالأعمال الغريبة التى يعملها الانجليز هناك .

لقد قيل لى إن مدير الجمارك الانجليزى يتقاضى مرتباً قدره ٦٧ ألف فرنك ، فى حين أن الوزير فى حكومة مصر لا يتقاضى سوى ٥٢ ألف فرنك لأنه مصرى .

ومما يستوقف النظر أيضاً أن السردار « المصرى » أدت غيرته الى إرسال مدافع المكسيم الستة ليلا و « خالصة الأجرة » بدليل أنه ليس فى دفاتر حساب سكة الحديد أقل أثر للأجرة المفروضة عليها ولا للحافظة التى شحنت هذه المدافع بمقتضاها ، ثم والمائتا مركبة من مركبات سكة الحديد التى أخذت ومصر محتاجة اليها كل الاحتياج لشحن البضائع ونقلها من مكان الى آخر أليست هذه أيضاً جديرة بالذكر ؟ »

رحلة الخديو الى الصحراء الغربية . اعتزم الخديو أن يقوم برحلة فى صحراء ليبيا حتى آخر حدود مصر الغربية فى السلوم ، فسافر من الاسكندرية مع بعض رجال الحاشية يوم ١١ فبراير فى طريق بحذاء شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وصدرت الأوامر بقيام بريد منتظم يومياً من الاسكندرية الى محطات الرحلة وخصص الوابور « طاشيوز » لذلك ، ووصل سموه الى آخر الحدود بين طرابلس ومصر ورأس السلوم فى ٢١ منه .

وقد علمت من الأخبار السرية أن بعض خصوم الخديو أرسل برقية للاستانة جاء فيها : « سيصل الخديو فى سياحته الى حدود طرابلس ، حيث يقابله الشيخ حتيته وكيل السنوسى للمخابرة معه بشأن الخلافة العربية . »

وكان الغرض من ذلك طبعاً تكدير صفو العلائق بين الخديو والسلطان ، ولكن هذه الوشاية لم تكن لتستحق التكذيب فلم تحدث أى أثر .

وقد قضى سموه فى مرسى مطروح ثلاثة أيام ، وجاءت الأخبار بأنه فى أثنائها تفقد الحامية وزار بعض الأماكن المشهورة واستقبل مشايخ العربان .

ثم عاد من نفس الطريق يوم أول مارس فوصل الاسكندرية فى ٨ منه ؛ ونزل بالمنتزه وعاد للقاهرة فى اليوم التالى .

رحلتى ومهامى فى الاستانة . وقع الاختيار علىّ لأكون برفقة دولة الوالدة فى الاستانة هذا العام أيضاً . ففى ٢ مايو قمنا من الاسكندرية وفى صباح ٦ منه دخلنا البسفور ، واستقبلنا فى بشكطاش كالعادة . وبعد وصول دولتها إلى يالى بيك ذهبت للمابين وسلمت الباشكاتب رسالة من الخديو اليه وأبلغته تحيته واخلاصه وطاعته

للسلطان ؛ وفى يوم ٧ منـــه أرسل جلالته يدعو دولة الوالدة إلى يلدز ، فذهبت فى اليوم الثانى .

أبو الهدى والخديو : وفى ٧ مايو قابلت القزلر أغاسى وتحادثت معـــه زهاء الساعتين فعرفنى ببغضه لأبى الهدى وأنه انجليزى ، وأن السلطان علم أن ما افتراه هو وأتباعه على الخديو فى غير محله . ثم قال لى إنه سر لما سمع بان الخديو اشتكى للسلطان من تصرفات الشيخ المذكور ، فقلت له إن ذلك لم يحدث إلا تلميحاً ، فأعرب لى عن رغبته بأن يقدم سموه شكواه صراحة للسلطان . وأكد لى أن ذلك مما يسر جلالته .

حديثى مع مكسيموف وسفير انجلترا : وفى ١٠ منه قابلت مسيو مكسيموف فأبلغته سلام الخديو فأخبرنى أنه جرت فى السنة الماضية محادثة بين سفير الروسيا ووزير خارجيتها حول زيارة الخديو لانجلترا فقال له : « إن الوقت لم يحن بعد للحديث فى المسألة المصرية ، وأن مركز سموه حرج فله أن يعمل ما يراه موافقاً لمصلحته . » ثم قابلت مستر كلارك الترجمان الأول للسفارة الانجليزية فقال لى : « إن السلطان متأثر من مقال نشر ضده فى مصر » ولما قابلت السفير قال لى ، إن جلالته أخبره باستعداده لارسال فرقة من الجيش التركى لمساعدة الجيش الانجليزى فى مصر . لأنه سمع أن إيطاليا دعيت لذلك ، وإنه مستعد لارسال ضباط عثمانين بدل الضباط المصرين الذين عصوا الانجليز فى السودان . وأن السفير شكره على عرض معونته ، ونفى له مسألة الاستعانة بايطاليا وأن التمرد الذى حصل فى السودان أمر عادى يحصل فى كل دولة ، ثم دار الحديث بينهما كذلك على مصطفى كامل وعلاقته بالمابين فنفى السلطان أن هناك أى علاقة بينهما .

مصيف للحرم الخديوى : وفى ١٧ منه قابلت الباشكاتب وتحادثت معه فيما يختص بسفر العائلة الخديوية إلى رودس حسبما جاءنى من المعية ، فقال : « ولم لا تحضر للاستانة ؟ » فأجبته بأنه لايوجد مكان لائق لاقامتها فعرض علىّ تأجير سراى ميركون ولكنى أفهمته ما أعرفه عن عدم رضاء حرم اسماعيل بذلك ، ثم عرضت عليه تأجير يالى فؤاد باشا ويالى رفعت باشا معاً بالقرب من جبوقلى فوعد بعرض الأمر على السلطان .

وقد عاينت المكانين فوجدتهما صالحين ؛ وفى ١٩ مايو أخبرت الباشكاتب برأيى فقال لى : « هناك صعوبات فى استئجارها . » وبعد ذلك بأيام ذهبت إلى تحسين بك . فقال لى : « إنه وردت برقية من الخديو بعزمه على السفر مع عائلته الى تريستا ، وأنه إذا

أمر السلطان بمحل لائق فانه يرسل العائلة للاستانة ، وأن الخليفة أمر بانتخاب يالى فى بلطه ليمان . »

وفى ٣١ منه وردت إلىّ مذكرة لعرضها على الجناب الشاهانى مرفقة بخطاب من محمود شكرى باشا ، وبهذه المذكرة عريضة من ابن مدحت باشا من رجال تركيا الفتاة يطلب فيها العفو ، والبيان عن مسألة سفر العائلة فسلمتها للباشكاتب لعرضها .

وفى أول يونيو أخبرنى أنه أرسل الرد للخديو بسرور السلطان مما جاء فى المذكرة وترحيبه بمجىء العائلة للاستانة .

وفى اليوم التالى جاءتنى برقية من عزت بك بأن الخديو مسرور للالتفات الشاهانى وأنه سيرسل عائلته من تريستا إلى الاستانة لتنزل مؤقتاً فى يالى حليم باشا الملاصق ليالى بيك مع الوالدة ، وقد أخبرت دولتها بذلك فسرت كثيراً ، وأخبرت الباشكاتب أيضاً .

سفر الخديو الى أوربا وعزمه على زيارة لندرة .

السفر إلى فينا : وفى ٣ منه وردت لى برقية بالسفر إلى فينا فذهبت فى اليوم التالى إلى المابين لأخذ التعليمات قبل سفرى ، فقال لى تحسين بك ، بعد أن عرض ذلك على السلطان ، أن أبلغ الخديو السلام الشاهانى وامتنانه من سموه لما أظهره من الاخلاص لذاته فى أفعاله وفى محرراته الأخيرة ، وأنه يتعشم دوام ذلك سواء أكان سموه فى أوربا أم فى غيرها — وربما يعنى بذلك أن السلطان يرجو أن يجتهد الخديو فى إرجاع محمود باشا الداماد الموجود بأوربا وغيره من جماعة تركيا الفتاة .

وفى اليوم التالى سافرت من الاستانة إلى تريستا فقابلت الخديو فى الكورنتينة وعرضت على سموه معلوماتى عن أحوال الاستانة وفى يوم ٩ منه سافرنا قاصدين فينا فوصلناها صباح اليوم الثانى وهناك صدر الأمر الى عزت بك بالقيام الى الاستانة ليحل محلى مع دولة الوالدة .

الاستعداد لاستقباله . وكان دومرتينو باشا قد سافر إلى لندره لعمل الترتيبات اللازمة لزيارة الخديو لها مع السلطات المختصة . وقد بعث الى الخديو رسائل فى ذلك الشأن ، بسط فيها برنامج السلطات الانجليزية لاستقبال سموه وما سيقوم به من الزيارات وما سيشهده من المآدب ؛ ومما جاء فيه أنه تحدث مع وزير الخارجية بشأن

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

رجال تركيا الفتاة الذين قد يكونون فى لندرة أثناء الزيارة ، وأن لسموه ألا يستقبلهم ، وذلك مراعاة لعواطف السلطان . على أن مرض الخديو قد حال دون تنفيذ هـذا البرنامج الرسمى كما سيجىء .

وفى ١٤ يونيه سافرت من فينا ومعى خليل أغا الشماشرجى وهاشم رئيس السفرجية وصالح أغا خادمى الخاص، إلى أنفرس لارسال الخدم اللازمين فى لندرة اليها فوصلناها يوم ١٥ منه . أما الخديو فسافر مع كاوتسكى بك إلى نورمبرج ليسافر إلى كولونيا .

مرض الخديو . وقد قمت من أنفرس فى ١٦ يونيو قاصداً كولونيا أيضاً ؛ وهناك التقيت بالخديو فاستغربت لوجوده مبكراً؛ إذ كان مقرراً أن يبيت فى نورمبرج ولكنه أخبرنى بأنه فضل السفر مباشرة من فينا الى كولونيا وأنه حضر الساعة الرابعة صباحا ، فوجد باب الفندق مغلقاً ولم يجد غرفة خاصة وقد كان هذا السفر طويلا لمدة خمس عشرة ساعة متعباً لسموه فأصيب ببرد . وكان المقرر فى البرنامج أن يقطع سموه هذه المسافة فى مرحلتين .

وفى ١٧ منه ركبنا عربات وطفنا بالمدينة ولكن سموه ، عاد مبكراً نظراً لشعوره بحرارة مرتفعة ازداد ارتفاعها فى اليوم التالى ؛ وكان ذلك ناشئاً عن احتقان اللوزتين وحسبنا فى المبدأ أن المرض هو الدفتريا فقلقنا جداً وقد فحصه الدكتور كاوتسكى وقرر العلاج اللازم لسموه .

وقد سافرنا إلى أنفرس يوم ١٩ منه مع وجود الحمى عند سموه وكان فى انتظارنا بالمحطة جمهور كبير من المستقبلين وفى مقدمتهم سفير تركيا وقنصلها ووكيله ؛ ثم جاء السفير إلى الفندق الذى نزلنا به وأعرب للخديو بالنيابة عن جلالة السلطان عن أسفه على التقصير الذى بدا من سفير الدولة فى فينا لعدم زيارته لسموه ، وكنت أنا قد كتبت إلى عزت بك بالاستانة بهذا الشأن وكانت النتيجة أن جلالة السلطان بعث يعتذر لسموه ويوبخ السفير على هذا التقصير .

أما حالة عباس فلم تتحسن وقضى ليلة ١٩ يونيو متألماً وارتفعت الحمى إلى « ٣٩ » درجة ، ومع أن حالته لم تكن تسمح بالسفر فقد اضطررنا فى عصر اليوم الثانى أن نسافر على باخرة خاصة من أنفرس ومعنا البرنس محمد على باشا وحسن عاصم باشا وأحمد زكى باشا

وياور بك وانضم الينا عبد العزيز عزت بك فوصلنا إلى فلوسنجن بهولندة فى الساعة السابعة والنصف مساء ؛ وهنالك وجدنا اليخت أوزيورن الخاص بملكة انجلترا الكولونيل كارنجتون الذى عينته ليكون بمعية الخديو ودومرتينو باشا ، ثم السير رينل روود وونجت باشا فتعشينا فى اليخت جميعاً مع الخديو ، ولو أنه كان منحرف المزاج ولكنه راعى شعور ضيوفه ، ثم دخل إلى الجناح المخصص له فى اليخت وقضى ليلته منزعجاً واضطررت أنا أن أتفقده ثلاث مرات فى تلك الليلة .

السفر الى لندرة : وفى صبيحة يوم ٢١ منه بارح اليخت فلوسنجن وحالة الخديو لم تتحسن ، بل إن احتقان اللوزتين قد ظهرت عليه النقط البيضاء بكثرة ، حتى أن كاوتسكى بك اشتبه فيه وظن أنها دفتريا ، فأحضرنا طبيب اليخت فوافق على قول كاوتسكى ، فتقرر أن نطلب الدكتور السير سيمونسن من لندرة ، فلما وصلنا إلى بورت فيكتوريا أرسلت برقية للطبيب المذكور ، كما أخطرت الملكة بتأخير المقابلة التى كانت مقررة اليوم فى الساعة الخامسة والنصف ؛ وحضر الطبيب وكشف على الخديو إلا أنه لم يبد رأياً ووعد بالرجوع فى اليوم التالى ، وقد لاحظنا أنهم يخشون نزول الخديو فى سراى بوكنجهام وهو فى حالة مشتبه فيها ، لأن فى السراى عائلة الدوق أوف كونوت والملكة والبرنس دوجال وغيرهم وقد أرسلوا للاستفسار عن صحة سموه . أما البرقيات بتأخير المقابلة فلم تصل فى أوانها ، ولهذا كان فى انتظار الخديو فى المحطة جم غفير حتى أن الدوق أوف كمبردج حضر اليها ثم انصرف الجميع لدى الوقوف على الحقيقة .

وقد اضطرب الخديو ايما اضطراب وحاولت عبثاً تسكين اضطرابه وجزعه ؛ فاضطررت لملازمته مدة مرضه ولما حضر الطبيب ولم يبد رأياً قاطعاً زاد قلقنا ، وحسبنا للأمر ألف حساب خصوصاً بعد أن عرفنا أنه قد يؤدى الأمر الى عزل المريض فى مكان خاص ، وشعر سموه بالخطر . فسكنت قلقه ولكن الخوف تغلب عليه ، وخطر لنا أن نستدعى الدكتور زمباكو باشا من باريس وفى ٢٢ منه عاد الطبيب وفحص الخديو ثانية وبعد أن حقنه بالمصل المضاد للدفتريا من قبيل الاحتياط ، ذهب واعداً بأن يوافينا بنتيجة فحص المادة التى أخذها من حلقه بعد أربع وعشرين ساعة ؛ وفى ٢٣ منه عاد يقول بأنه بعد الفحص البكتريولوجى اتضح بأن المرض ليس دفتريا ، ولكنه التهاب حاد وأسبابه الاستربتوكوك أى أن الخديو شم روائح عفنة فأثرت على الحنجرة ، فهنأنا الخديو بذلك كما عانق سموه الدكتور كاوتسكى أول من أخبره بنتيجة الفحص .

وأرسلت البرقية الآتية الى مصطفى فهمى باشا : « أبشركم بغاية السرور أن الفحص البكتريولوجى أثبت أن المرض هو التهاب عفنى بسيط مسبب عن الاستربتوكوك لا يدعو للقلق مطلقاً ، إنما تلزمه راحة بضعة أيام .

والجناب العالى يشعر اليوم بتحسن فى صحته وهو محاط بجميع أسباب الراحة والعناية والاهتمام ، وممتن على الخصوص مما أظهرته جلالة الملكة والعائلة الملوكية من حسن الانعطاف والرعاية . »

بعد هذه النتيجة سكن روعنا وزال هذا الكابوس الثقيل عن الصدور وحمدنا الله . وكنت قد عرضت على سموه تطميناً له وهو فى إبان انزعاجه والخوف آخذ منه مأخذه ، أن يأمر بقطع رأسى إذا ثبت للأطباء أنه مصاب بالدفتريا ، فلما ثبت لنا عكس الأمر قلت مازحاً : « إذن لن يقطع رأسى ! » فضحك وقال : « الحمد لله . »

وقد وصله وهو مريض ألوف من البرقيات بالاستفسار عن صحته وللاعراب عن قلق مرسليها وأكثرها من مصر .

وبلغنا أن الملكة لما سمعت ما قيل من أن الخديو قد ينزل فى بيت خاص وفى جناح خاص فيه تأثرت جداً ، وأرسلت أمس طبيبها وسكرتيرها للسؤال عن صحة سموه ، وإبلاغه أنها وضعت يختها وسراى بوكنجهام تحت أمره كما يحب ويشتهى حتى تنفى ما قيل من تأجير بيت ، وقد أظهرت الملكة وعائلتها فى مرض سموه عناية فائقة ، فكان يرسل لهم أربع برقيات يومياً من ونجت ورووود وكارنجتون وطبيب اليخت ؛ وكان بعض عظماء الانجليز يرسلون الزهور والبرقيات والخطابات .



الخديو على ظهر اليخت لأول مرة بعد مرضه

ومن حسن الحظ أن تماثل الخديو للشفاء بسرعة فهبطت الحمى إلى المستوى الطبيعى ، وزالت أعراض المرض ، ونام فى يومى ٢٣ و ٢٤ يونيو نوماً هادئا .

وفى ٢٥ منه أرسلت البرقية التالية الى القائمقام خديو : « نام الجناب العالى

عشر ساعات متوالية ، وقد زالت الحمى عن سموه تماماً والأعراض الموضعية تحسنت جداً والشهية للطعام جيدة والحالة العمومية حسنة جداً ؛ ويقضى الجناب العالى معظم نهاره خارج السرير وأعلن الأستاذ سيمونسن بعد الفحص أن الجناب العالى دخل فى دور النقه التام وأنه لم تبق حاجة الى إصدار النشرة اليومية عن صحة سموه . »

وقد جاء النبأ أن مصطفى فهمى باشا شكر جميع الذين أرسلوا البرقيات للسؤال عن صحة الخديو أثناء مرضه .

الاستقبالات والزيارات . وفى ٢٧ منه نزلنا من اليخت بكساوى التشريفة والنياشين واستقبلنا الأميرال سيمور والبحارة ، ثم أخذنا زورقاً خاصاً إلى لندرة فنزلنا فى محطة شارنج كروس وكان الدوق أوف يورك بن البرنس دوجال فى الاستقبال مع كبار الضباط وسفير الدولة العلية قسطاكى باشا الذى صدر الأمر الشاهانى اليه بأن يكون فى خدمة الخديو مدة وجوده فى لندرة وبأن يقوم بتقديمه إلى جلالة الملكة رسمياً وبأن يكون فى معيته فى كل الحفلات الرسمية التى تقام لجنابه ، وبعض المصريين ، وبعد مراسيم الاستقبال واستعراض الخديو لحرس الشرف ركب سموه عربة ملكية بأربعة خيول وعن شماله الدوق أوف يورك وأمامه ونجت باشا ودومرتينو باشا وركبنا نحن فى عربات أخرى مع بعض رجال التشريفات ومأمورى سراى بوكنجهام خاص بها لقيد أسماء الزائرين

وقد وجدنا أنهم أعدوا لاقامتنا أمكنة خاصة يؤلف كل منها ثلاث غرف مع المرافق اللازمة لها لاقامة كل اثنين من الحاشية معاً لكل منهما غرفة نوم وغرفة استقبال ومحل للخدم الخصوصيين .

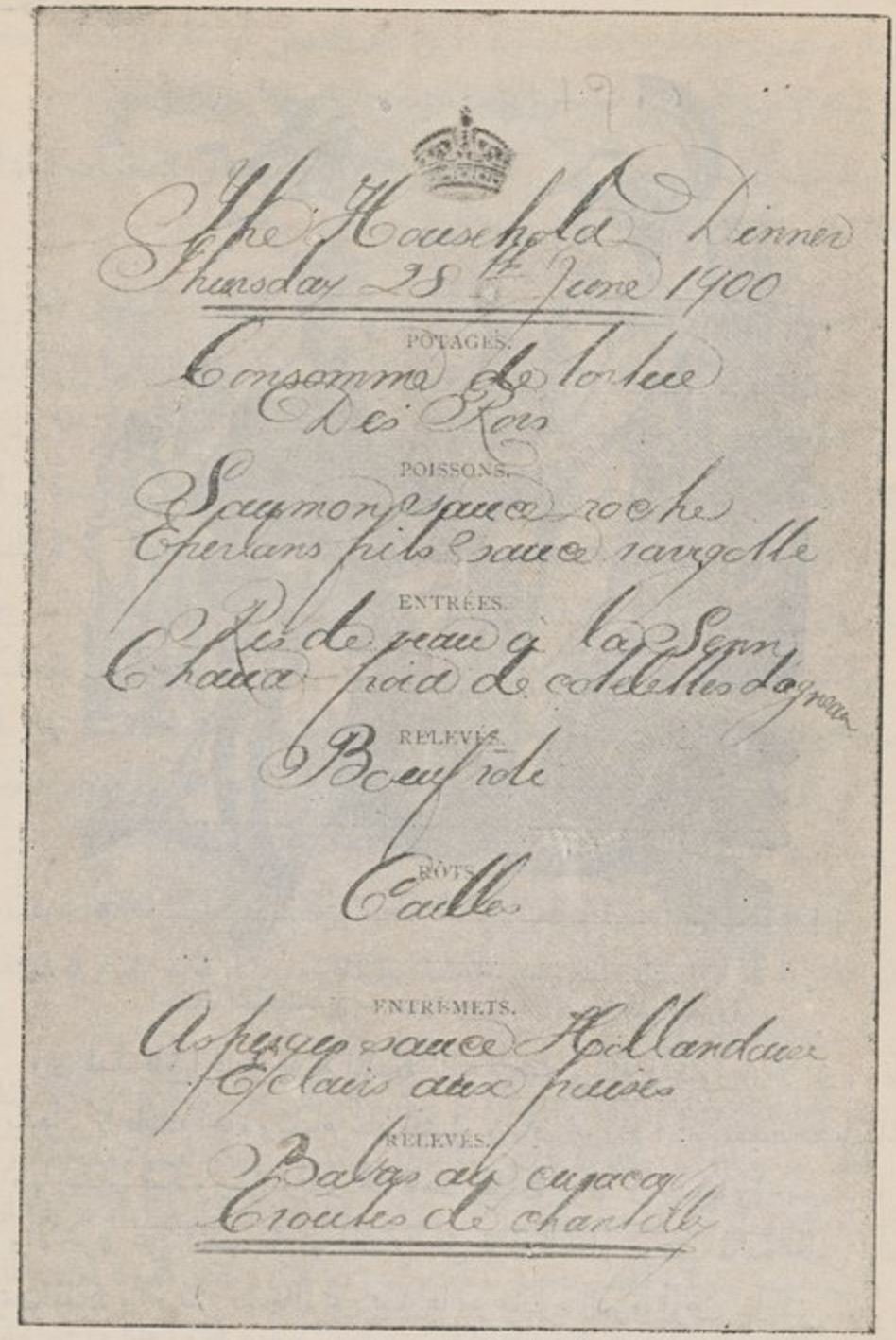
فى قصر وندسور : وفى ٢٨ منه زار سموه البرنس دوجال فرد الزيارة لجنابه . وبعد الظهر خرجنا فى عربات ملكية وسافرنا إلى وندسور إجابة لدعوة ملكية . وكان على المحطة الدوق أوف كنوت والبرنس كرستيان والحرس السوارى أمام عربة الخديو وخلفها ، وعند وصولنا للقصر دخل مع البرنس دوجال وسفير الدولة ليرى الملكة فقامت له واقفة وحيته أحسن تحية ولثم يدها ؛ ثم قدمنا سموه لها واحدا واحدا ، وكان واقفاً وهى جالسة ، وخلفها سيدتان من الوصيفات ثم جلس وذهب كل منا إلى غرفته المخصصة له ، وبعد الاستراحة خرجنا مع الخديو للرياضة فى منتزه وندسور ، وهناك الاسطبلات وفيها من البقر والثيران مالم نر له نظيراً فى الحجم والنظافة وتناسق الأعضاء .

وبهذه المناسبة نشرت جريدة بنش الصورة الرمزية المنشورة هنا لاستقبال الملكة للخديو .



استقبال الملكة للخديو — صورة رمزية عن جريدة بنش المصورة

وفى المساء قابل الخديو جلالة الملكة ثانية فأهدته وسام فيكتوريا الأكبر، وقلدته إياه بيدها ، كما قلدت أخاه وسام سان ميشيل وسان جورج ؛ ثم أنعمت علينا بنياشين نالنى منها نيشان فيكتوريا ؛ وبعد ذلك قامت الملكة تتوكأ فى مشيتها وإحدى يديها على عصا والأخرى على كتف خادمها الهندى حتى غرفة الطعام . وعلى المائدة جلس الخديو عن يمين الملكة والبرنس دوجال عن يسارها ، وجلست الدوقة أوف ساكس كوبورج جوتا عن يمين الخديو ، وجلس البرنس محمد على أمام الملكة ، ثم البرنس شلزويج وقرينته والدوق أوف يورك وقرينته ووصيفتان والمركيز سالسبورى رئيس الوزراء ورئيس السراى الملكية وكبير الأمناء والميراخور ورئيس البلاط ودومرتينو باشا وحسن عاصم باشا واحمد زكى باشا وسفير الدولة .



The Household Dinner
Thursday 28th June 1900

POTAGES.
Consommé de tortue
Des Rois

POISSONS.
Saumon sauce roche
Perlans frits sauce tartare

ENTRÉES.
Ris de veau à la Soyer
Chaud froid de cotelettes d'agneau

RELEVÉS.
Bœuf rôti

RÔTS.
Cailles

ENTREMETS.
Asperges sauce Hollandaise
Eclairs aux fraises

RELEVÉS.
Babas au cognac
Croutes de chantilly

قائمة الطعام فى مأدبة وندسور

وكان خدم المائدة من جهة اليمين من الهنود المسلمين ، ومن اليسار من الانجليز طبقاً للترتيب المعتاد فى خدمة جلالة الملكة . وكان باقى أفراد المعية على مائدة أخرى

مع رجال السراى . وبعد العشاء قدم ونجت باشا الحاشية الخديوية للملكة ثانية ، ولما مثل عبد العزيز عزت بك أمامها قالت له إنها علمت أنه تخرج فى مدرسة دوليش ولهذا فانها تعتبره كضابط فى جيشها فشكر . وبعد ذلك انتقلت جلالة الملكة مع المدعوين الى قاعة الطرب حيث كان أشهر أرباب الموسيقى الانكليزية يعزفون على الآلات وكان جميع الحاضرين هناك وقوفا على أقدامهم ، أما الخديو فكان جالساً أمامها وحوله كريمتاها تحادثانه وتؤنسانه ؛ ولما كان اللورد سالسبورى لا يمكنه الوقوف نظراً لكبر سنه فقد انزوى بعيداً عن نظر الملكة وجلس .

وفى صباح ٢٩ يونيو ارتدينا الملابس الرسمية وتوجهنا بالعربات الى كشك خارج القصر كانت الملكة تتناول فيه طعام الافطار ، فدخل الخديو والبرنس دوجال ثم دومرتينو باشا وحسن عاصم باشا وأحمد زكى باشا ، وبعد وداع الملكة عدنا إلى المحطة وركبنا قطاراً خاصاً إلى لندرة فوصلناها بعد الظهر ورجعنا إلى سراى بكنجهام .

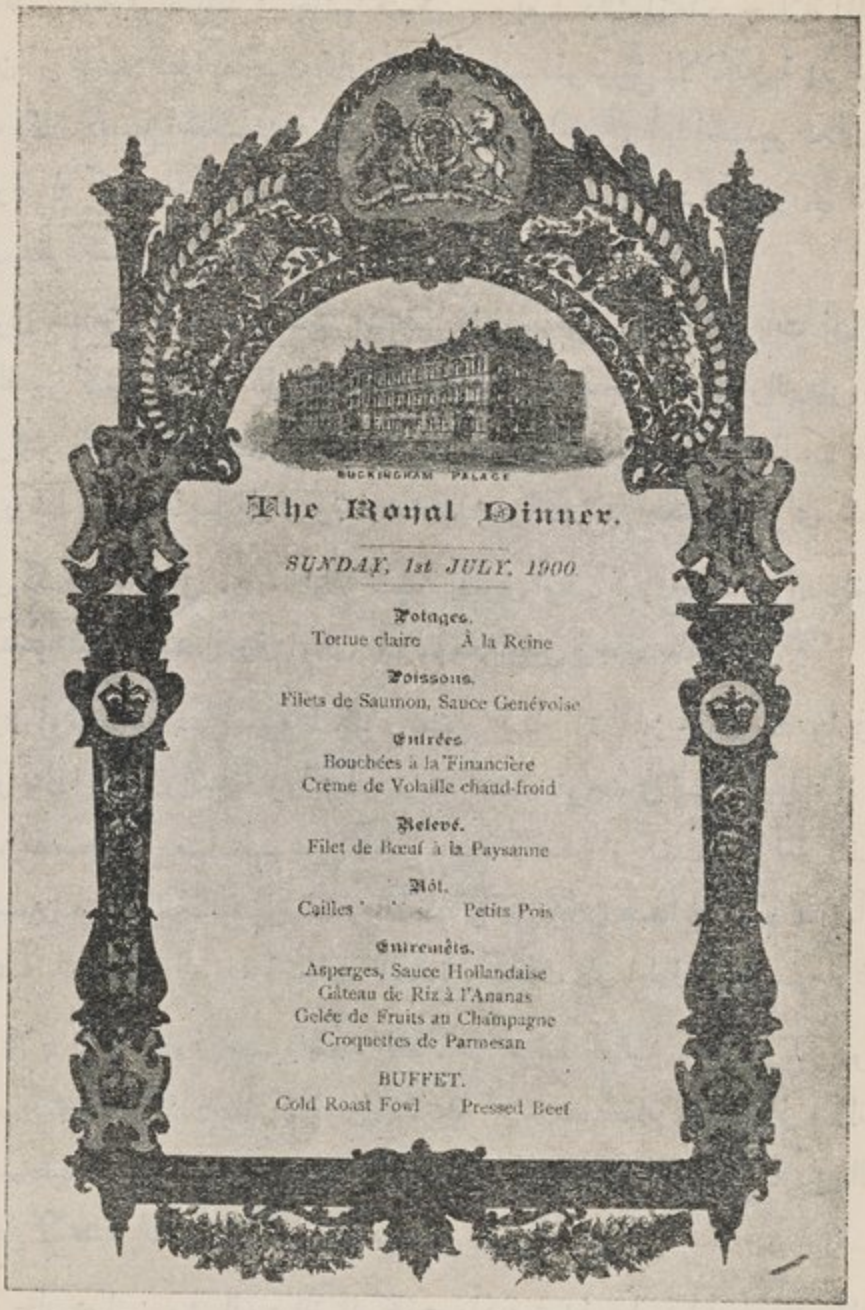
فى بكنجهام : وفى ٣٠ منه زار سموه الدوق أوف كمبردج وسفير الدولة . وكان عباس مدعوا للغذاء عند الدوق أوف يورك مع بعض رجال حاشيته .

وفى أول يوليو دعا سموه لمائدته بعض كبار الانجليز الذين خدموا فى مصر وبعض رجال الجيش واللورد روتشيلد ، وبعد العشاء تفرجنا فى السراى على آلة صغيرة مركبة من قسمين كل منها بعيد عن الآخر برسم الانسان ويكتب بأى لغة كانت على أحد القسمين فتنقل الكتابة إلى القسم الآخر كما هى وكان هذا اختراعا جديداً ، وقد كتبت عليه بالحروف العربية فانتقلت كالعادة وكذلك كان الحال فى الرسوم وغيرها .

وفى ٢ يوليو تناول سموه طعام الغداء على مائدة البرنس أوف ويلس والعشاء فى قصر بوكنجهام وكنا جميعاً بكساوى التشريفة ثم شهدنا حفلة موسيقية فى صالة كبيرة عظيمة مستطيلة نظم فى طرف منها محل للمغنين والمغنيات والموسيقى ؛ وفى الطرف الآخر محل لأعضاء العائلة الملكية والسفراء .

فى جلد هول : وفى اليوم التالى كانت مأدبة غداء ببلدية لندرة وقد بلغ عدد المدعوين لها نحو ثمانمائة من الأمراء والعظماء ؛ وذهب سموه إلى جلد هول فى الساعة الواحدة بعد الظهر فى موكب فخم وكانت الشوارع مكتظة بالجماهير ؛ فلما وصل سموه استقبله محافظ المدينة « اللورد ماير » وبيده عصا من الفضة طويلة ، وهذه عادتهم فى استقبال الملوك فى الحفلات الرسمية الكبرى بملابسه المزركشة التاريخية ؛ وكان

يتقدمنا رجل طويل القامة ، وكان ولى العهد وكثير من اللوردات فى مقدمة المستقبلين ، وجلس سموه فى المكان المعد له فى قاعة الاستقبال .


BUCKINGHAM PALACE

The Royal Dinner.

SUNDAY, 1st JULY, 1900.

Potages.
Tortue claire — À la Reine

Poissons.
Filets de Saumon, Sauce Genévoise

Entrées.
Bouchées à la Financière
Crème de Volaille chaud-froid

Relevé.
Filet de Boeuf à la Paysanne

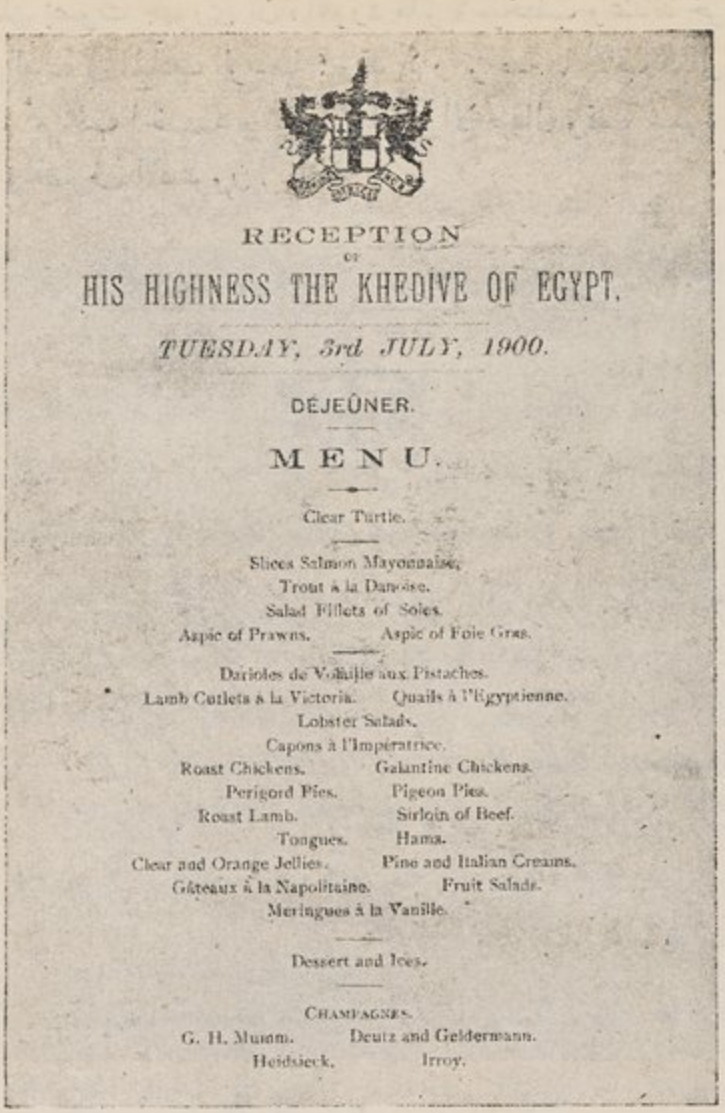
Rôt.
Cailles — Petits Pois

Entremêts.
Asperges, Sauce Hollandaise
Gâteau de Riz à l'Ananas
Gelée de Fruits au Champagne
Croquettes de Parmesan

BUFFET.
Cold Roast Fowl — Pressed Beef

قائمة الطعام فى مأدبة العشاء الملكية بقصر بكنجهام

وبعد هنيهة وقف المحافظ وخطب مرحباً بسموه ، ثم قدم لجنابه صينية من الذهب عليها طبق من الذهب كذلك فيه كتاب باسم البلدية يتضمن الترحيب بمقدمه ، فتقبله سموه باسما وهتف الحاضرون بحياته .



RECEPTION
OF
HIS HIGHNESS THE KHEDIVE OF EGYPT.

TUESDAY, 3rd JULY, 1900.

DÉJEÛNER.

MENU.

Clear Turtle.

Slices Salmon Mayonnaise.
Trout à la Danoise.
Salad Fillets of Soles.
Aspic of Prawns. Aspic of Foie Gras.

Darioles de Volaille aux Pistaches.
Lamb Cutlets à la Victoria. Quails à l'Egyptienne.
Lobster Salads.
Capons à l'Impératrice.
Roast Chickens. Galantine Chickens.
Perigord Pies. Pigeon Pies.
Roast Lamb. Sirloin of Beef.
Tongues. Hams.
Clear and Orange Jellies. Pine and Italian Creams.
Gâteaux à la Napolitaine. Fruit Salads.
Meringues à la Vanille.

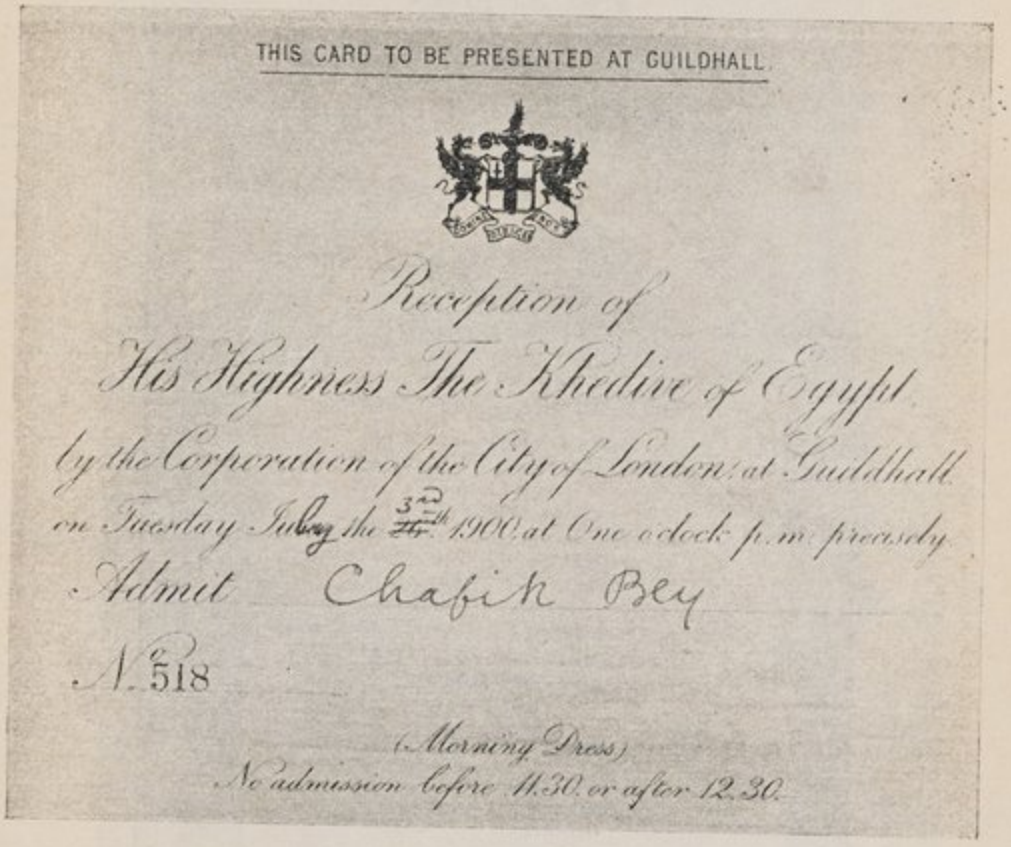
Dessert and Ices.

CHAMPAGNES.
G. H. Mumm. Deutz and Geldermann.
Heidsieck. Irroy.

قائمة طعام الغداء فى جيلد هول

ثم وقف سموه فألقى خطبـــة باللغة الانجليزية أظهر فيها سروره بالحفاوة الكبيرة التى لقيها بلندرة ، وأنه بزيارته هذه يؤمل أن تزداد الصلات الحسنة بين مصر وانجلترا ، ويتسع نطاق التجارة بين البلدين بما يعود بالنفع العظيم عليهما . ثم ختم خطبته بشكر أعضاء المجلس ورئيسهم على حسن استقباله . فهتف الحاضرون . ثم دعوا الى قاعة الطعام ، وكانت الأوانى من الفضة والصينى ؛ وأول ما قدم لنا من الطعام حساء من الضفادع ، وهى من التقاليد القديمة فى مثل هذه الحفلة ، وكنت أعتقد أنها ستكون مما تشمئز منه النفس ولكنى وجدتها مقبولة سائغة ؛ وكانت الموسيقى تصدح أثناء الطعام . وبعد انتهائه جاء رئيس روحانى فبارك الحاضرين ، ثم

سمعنا من يعلن بصوت جهورى أن « اللورد مايور » سيخطب وعندئذ خرج جميع خدم المائدة كما هى العادة فى المآدب الرسمية ؛ وقد كرر ترحيبه بالجناب العالى ودعا للشرب نخب الملكة ، ثم نخب الخـــديو . وقبل انتهاء الاحتفال وقف سموه وكرر شكره للمحتفلين به وانصرف المدعوون .



THIS CARD TO BE PRESENTED AT GUILDHALL

Reception of

His Highness The Khedive of Egypt

by the Corporation of the City of London at Guildhall

on Tuesday July the 3rd 1900 at One o'clock p.m. precisely

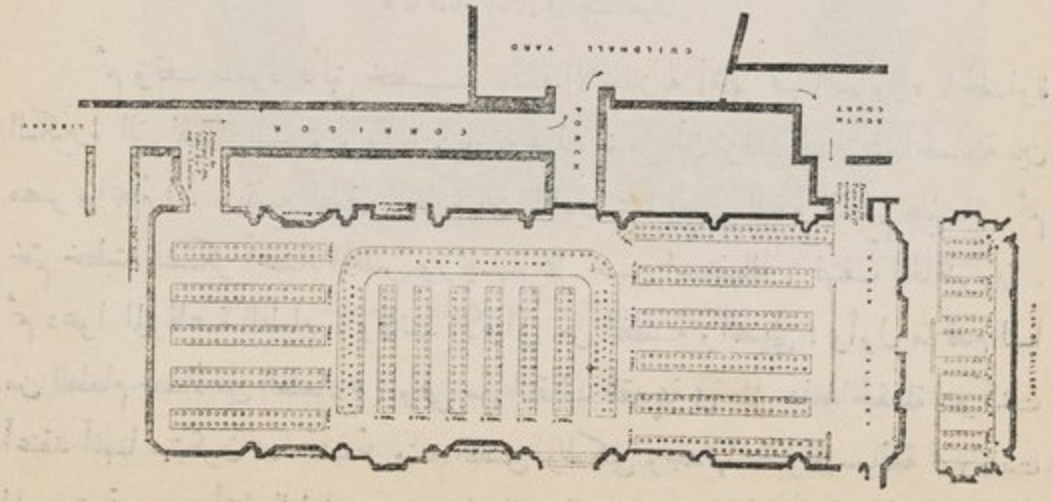
Admit Chafik Bey

No. 518

(Morning Dress)

No admission before 11.30 or after 12.30

رقعة الدعوة لمأدبة جيلد هول



قاعة الطعام فى جيلد هول

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO LIBRARY

رجوعى للاستانة ومسألة الداماد : وفى ٤ يوليو سافر سموه من لندرة إلى « بادوكاليه » بفرنسا ، ومنها إلى ديفون فى اليوم التالى للاستحمام فى حماماتها كالسنة الماضية ؛ وسافرت أنا إلى الاستانة للالتحاق بمعية الوالدة فوصلتها يوم ٧ منه ؛ وقابلت دولتها وشرحت لها تفاصيل استقبال الخديو فى لندره فسرت كثيراً وقد وردت لى برقية من سموه بأنه مستريح فى ديفون ، وأنه قابل محمود الداماد باشا زوج أخت السلطان ، وأحد كبار رجال تركيا الفتاة .

وفى اليوم نفسه ذهبت للباشكاتب فأخبرنى أن جلالة السلطان غير مرتاح لما بلغه من أن الداماد كان بالقطار الذى ركب فيه الخديو من بلغراد إلى ديفون ، وأن جلالته مع هذا يرغب فى مرور الخديو بالاستانة ؛ وعلى الأثر كتبت لسموه بذلك فجاءنى الرد من محمود شكرى باشا بنفى مسألة وجود الداماد مع سموه فى القطار ، وأنه إنما قابله فى ديفون وسموه يبذل كل مجهود لارجاعه للاستانة . وأما مسألة مرور سموه بالاستانة فقد يكون فى أغسطس إذا استطاع ذلك ، على ألا يمكث أكثر من أسبوع .

عود الخديو الى مصر . وقد بقى الخديو فى ديفون حتى يوم ٢٢ يوليو فتحسنت صحته ، وسافر إلى جنيف فبقى بها حتى يوم ١٠ أغسطس ، ثم بارحها إلى بودابست فقضى بها أسبوعا .

وفى ١٨ أغسطس بارحها إلى تريستا ومنها إلى برنديزى .

وفى ٢٤ منه جاءتنى برقية بسفر الحرم على اليخت المحروسة لمقابلة سموه فى برنديزى للعودة إلى مصر ؛ إذ أنه عزم على عدم زيارة الاستانة . وقد سافرت يوم ٢٦ منه ، وجاءتنى يوم ٣٠ أغسطس برقية بوصول الجناب العالى إلى الاسكندرية فكتبت لسموه برقية أطلب التصريح لى برحلة عائلية مع حرمى فى بلاد أوربا فسمح سموه بذلك .

رحلتى فى أوربا . وفى ٣١ أغسطس تجهزنا للسفر فغادرنا الاستانة الى بلاد اليونان ومنها الى إيطاليا فالسويسرا ؛ وهنالك شاهدنا أهم مافيها من الجبال والمناظر الجميلة.

ثم قصدنا باريس فوصلناها فى ٢٢ سبتمبر ، وقابلنا فى المحطة المسيو فيليب بولاد والسيد مصطفى الديب الماوردى ؛ وهما من مؤسسى القسم المصرى بالمعرض ، ونزلنا بفندق كحيل وبولاد .



السيد مصطفى الديب الماوردى



مسيو فيليب بولاد

وفى اليوم التالى زرنا المعرض ودخلنا القسم المصرى ، وقد أقيم فى بناء مزخرف وهو نظيف جداً ؛ وتأسفت لعدم نجاحه مالياً . ويرجع ذلك إلى أنه كانت ضمن المعروضات فى هذا القسم رقصة القلة ؛ وتلك أن ترقص إحدى الراقصات ويؤتى بقلة وتوضع على الأرض وبعدها تأتى الراقصة وفى أثناء رقصها تميل على القلة بجسمها وتأخذها بين فخذيها تحت الملابس دون أن تستعمل يديها ، ثم تنهض بها وقد كان الباريسيون يقبلون أفواجا لمشاهدة هذه الرقصة . وقد كان بجوار المعرض المصرى معرض الجزائر وتونس ومراكش ولم يكن عليها إقبال مثل المعرض المصرى فاشتكوا إلى محافظ باريس ، مدعين أنه يعرض فى القسم المصرى بعض الرقص المخل بالآداب فأصدر المحافظ أمره بمنع هذه الرقصة .

وقد سررت لمهارة الراقصات اللاتى رقصن أمامى رقصاً لم تر عينى أبرع منه .

وصعدنا برج إيفل ، وكان منظر المعرض ومدينة باريس من فوقه بديعاً جداً ثم تفرجنا على الكرة السماوية الهائلة .

وفى يوم من الأيام ذهبنا إلى فرساى وتفرجنا على قصرها وما فيه من الصور الزيتية ، وغرفة سرير لويس الرابع عشر ، وفوارتها المشهورة وهما مما سبق وصفه فى الجزء الأول .

وفى ١٨ اكتوبر ذهبنا إلى أورليان تلبية لدعوة من مسيو بوكار فوجدناه فى انتظارنا على المحطة ، فذهبنا إلى قصره على منبع نهير لواريه ؛ ولشد ما أعجبنا جمال هذا القصر

وروعة موقعه على منبع ذلك النهير ، كما أدهشنا سخاء الداعى وكرمه ، وبعد أن قضينا ليلتين فى مرح وسرور متنزهين فى الغابة البديعة التى تحيط بالقصر ، عدنا إلى باريس .

وقضينا منذ حضورنا الى يوم ٣٠ اكتوبر فى مشاهدات باريس . ومما لفت نظرنا أننا شاهدنا فى مسرح « باريسيانة » رواية يظهر فيها كثير من الفتيات الجميلات عاريات لا يسترهن سوى غلالة رقيقة ، وكل أبدانهن بادية للمتفرج . وشاهدنا فى مسرح الفاريتيه « التابلوفيفانت » ، وهو عبارة عن قيام بعض الممثلات الجميلات بعمل بعض أشكال هندسية — كما يسمونه فى الألعاب الرياضية بالمدارس بالقلعة — كذلك تفرجنا على فولى مارينى ، وأغرب ما فيه وجود بنات فى حوض كبير من البللور ملآن بالماء النظيف وهن يفعلن فيه ما يفعله السمك من العوم والخروج منه والنزول فيه ، والمكث فيه مدة طويلة حتى ليندهش الانسان كيف يتنفسن داخل الماء .

والحقيقة أن محلات اللهو من مسارح وغيرها كان بها استعراض دائم من الفتيات الحسان راقصات وغيرهن ، حتى أنه فى احدى الروايات التى شاهدناها كانت الفتيات ينشدن : « المرأة المرأة لا غيرها ، بحياتها تدور الدنيا . »

أما المعرض فلا يمكننى أن أشرح كل ما رأيته فيه ، بل أقتصر على ما شاهدناه ويجدر ذكره ؛ من ذلك العجلة الهائلة وقد صعدنا فيها ؛ وكان الطقس لطيفاً ، وبدا لنا منظر المعرض وباريس بديعاً جداً من أعلى العجلة وهو على ارتفاع عظيم .

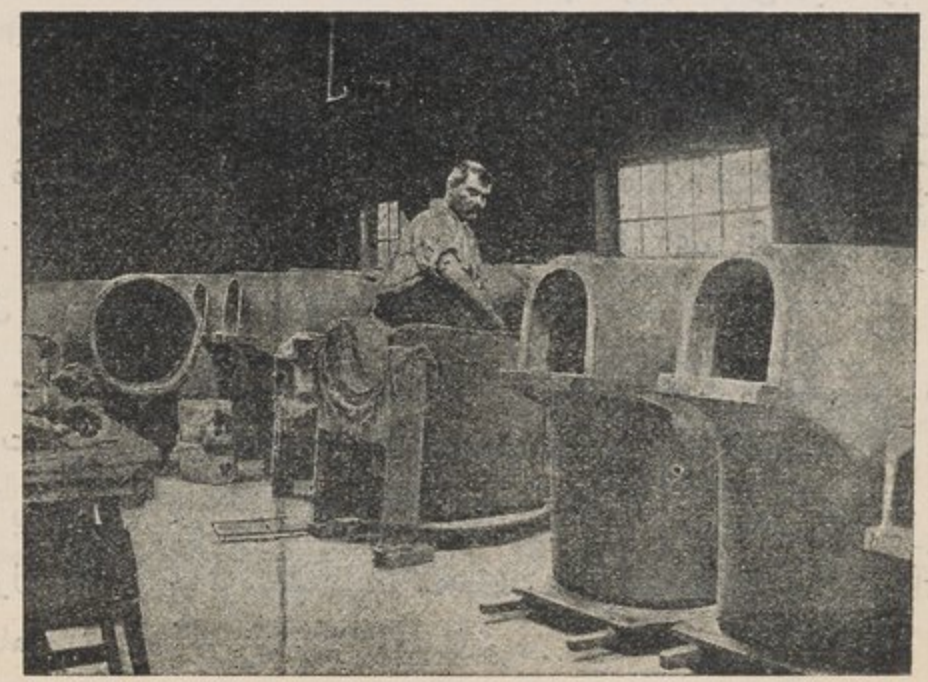
وكذلك على محل به صناديق مخصوصة لوضع الأطفال الذين يولدون غير كاملى النمو ، فيوضعون فى هذه الصناديق فى حرارة معينة ، ويغذون أغذية خاصة حتى يكمل نموهم . كما شاهدنا الرصيف المتحرك وقد ركبناه وعليه قابلنا محمد راتب باشا السردار السابق وحرمه .

وعلى العموم فقد شاهدنا معروضات جميع الدول صغيرها وكبيرها ؛ وقد اقتصرت على ما سلف لأهميته وعلى وضع الصور التى توضح أهم ما شاهدناه .

بعد ذلك بارحنا باريس الى ليون ومنها إلى مرسيليا فوصلناها فى ٣١ اكتوبر . وفى أول نوفمبر بارحنا مرسيليا الى الاسكندرية ، والبحر هادىء والريح مواتية فوصلناها صباح ٥ نوفمبر وسافرنا تواً الى القاهرة .



الرصيف المتحرك

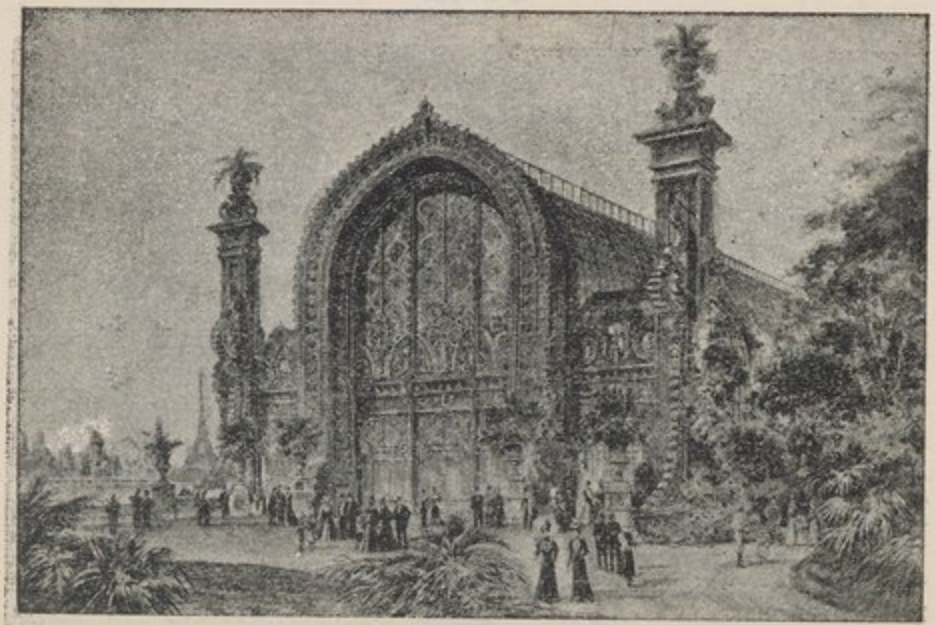


المنظار المعظم

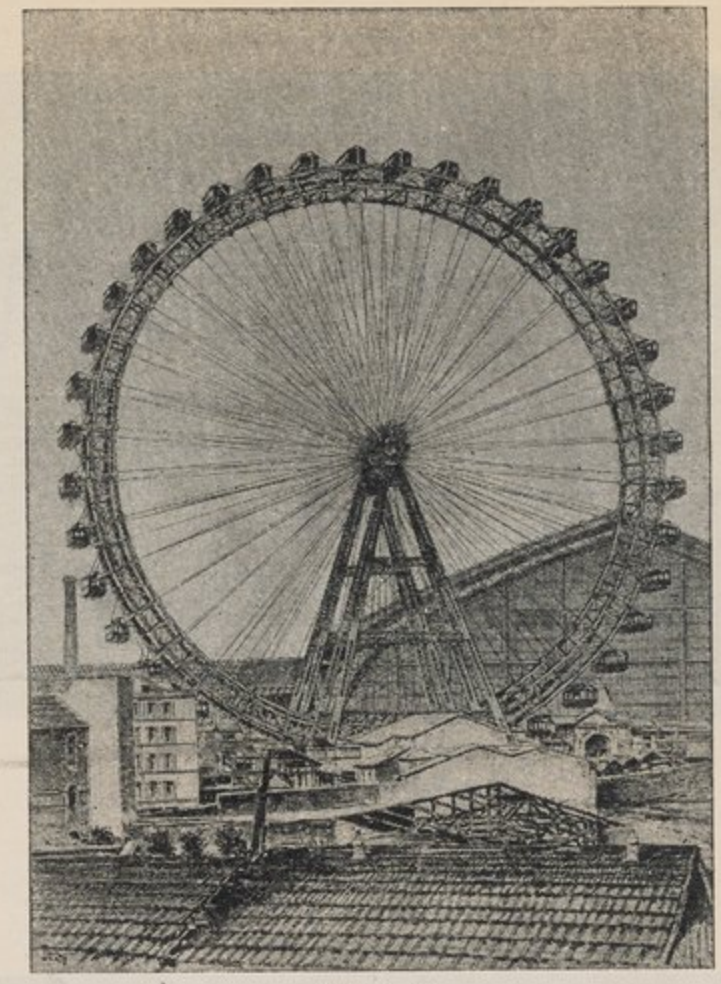
AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO LIBRARY



السيارة سنة ١٩٠٠
مكان تعليم الناس قيادة السيارات



سراى النباتات (صوبه)



العجلة الهائلة



مناظر من بعض بلاد العالم

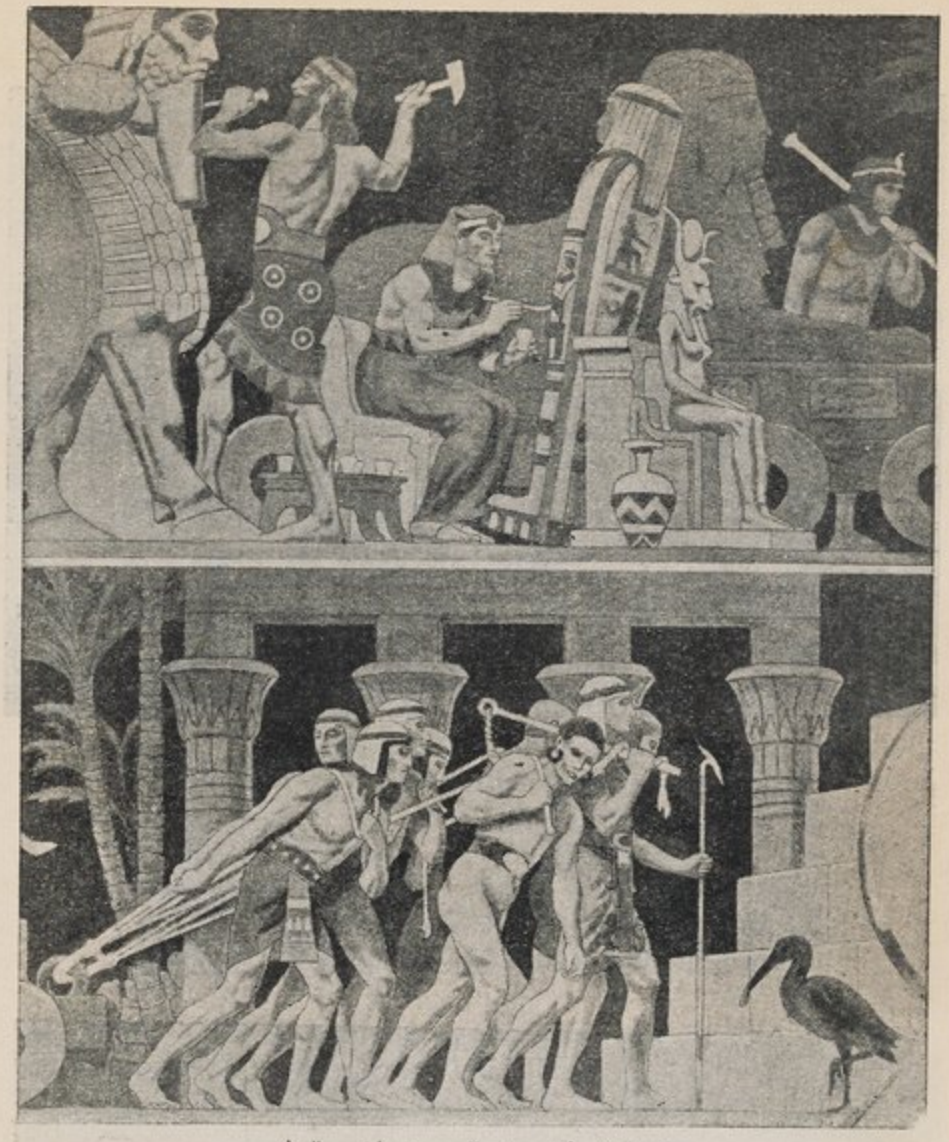
AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO LIBRARY



الوجهة المهمة للحارة المصرية ومعبد دندرة ومنظر وكالة وتياترو



سراى النظارات



الزخارف المصرية والسورية بالقصر العظيم



AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO LIBRARY

سنة ١٩٠١

تهنئة مصطفى كامل لعباس فى عيد الجلوس يعقبها فتور بينهما . وفاة ملكة الانجليز . عباس وأبو الهدى وشكيب معشوقه . محمود باشا الدامار والجونه تورك ومهمتى فى الاستانة . سفير انجلترا وبعض الشئون المصرية . اتهام الخديو بمعاونة ثوار اليمن . سفرى للاستانة ثانيا بمعية الوالدة لاتمام المسائل المعلقة . مسألة ليونه فرهمى الأرمنى . الخديو فى الاستانة وأوربا . هدايا الخديو للسلطان والحاشية السلطانية . الشيخ محمد عبده فى الاستانة . رأى عزت العابد بك فى علائق عباس وعبد الحميد . شئون مختلفة .

تهنئة مصطفى كامل لعباس فى عيد الجلوس يعقبها فتور بينهما . نشرت جريدة اللواء فى ٩ يناير مقالا بقلم مصطفى كامل يهنىء فيه الخديو بعيد جلوسه وقد جاء فيه : « لو فقه نظار مصر وحكامها ما للأمير من الآمال الكبار وما فى أفئدة الأمة من الحب والاخلاص لذاته وكانوا ممن قرءوا التاريخ واعتبروا بعبره وخدموا الأمير والبلاد بالصدق والوفاء ونزعوا من أنفسهم كل يأس وقنوط لكنا اليوم أشركناهم فى التهانى التى نزفها إلى سمو الأمير وفرائض الاخلاص والاجلال التى نقدمها إليه ولكان الوطن حباهم فى عيد الأمس بخير الشكر والامتنان ولكنهم أرادوا وأرادت الأيام ألا نخاطب إلا الأمة والأمير ، وأن يكونوا فى عزلة عنا وانقطاع فى هذا الوجود ، فلندعهم إذاً فيما هم فيه ونهنىء أميرنا الجليل وبأمته العزيزة التى أحبته لصفاته العالية ونواياه الطاهرة ، وعرفت له جهاده فى سبيل حرية مصر واستقلالها وخيانة الدول والرجال له فى أصعب المواقف وأشد الأحوال خطراً .

وإن للأمير فى نهضة الأمة السلوة الكبرى ؛ فقد تحولت الأنظار إلى التربية والتعليم وفتحت المدارس فى كل صقع وبلد ، ودخل الشعب فى طريق جديد وسبيل سعيد من دخله فقيراً خرج منه غنياً ؛ ومن سلكه ذليلا اجتازه حراً . وإذا ذكر التاريخ حكم العباس على صفحاته فانما هو سيذكر أنه أول أمير أرشد الأمة الى محبة الوطن وأوقفها على ما لها من الحقوق وما يجب أن تكون عليه من المجد الجزيل والشرف الأثيل وحسبه ذلك شرفاً وفخارا أمام الشعوب والأمراء . »

لما سافرت الى الاستانة كما سيجىء بعد ، طلبنى تحسين بك وأفهمنى أن مصطفى كامل بك أرسل عريضة للسلطان قال فيها إن الجرائد المعادية لجلالته وجماعات الجون تورك « تركيا الفتاة » فى ازدياد بمصر ، والسلطان يقول كيف حصل ذلك والخديو موجود ، ولو أن مختار باشا هناك إلا أنه لا يركن إلا على سموه وأمر أن أكتب بذلك للخديو ، فأجبت رئيس الكتاب أنه إذا كان ما يقوله مصطفى كامل صحيحاً فقد كان عليه أن يبين فى عريضته أسماء الجرائد والجمعيات التى استجدت وأضفت على قولى أننى أظن أن ما كتبه هو تقربا إليكم لمآرب شخصية فلمح لى البك أن مصطفى كامل من المقربين للخديو وكأنه يقول لولا أنه يكتب على علم لما فعل .

فأبلغت ذلك إلى مصر فكتب لى محمد عزت بك فى ١٩ يونيو يقول : « إن ولى النعم أخبر مصطفى كامل بالمحادثة التى حصلت بينكم وبين الباشكاتب بخصوص عريضته للسلطان ليفهم أننا على علم بما يصدر منه ، فيلزم إخطار تحسين بك بما حصل وإذا كتب مصطفى كامل شيئاً بعد الآن عن أحوال مصر فلا يعول إلا على ما نخبره به . »

ومن هذا التاريخ بدأ الفتور بين عباس ومصطفى كامل .

وفاة ملكة الانجليز . وردت البرقيات فى ٢٢ يناير بوفاة الملكة فيكتوريا فأرسلت التعازى من الخديو والحكومة وانتدب البرنس محمد على باشا ليسافر لحضور تشييع الجنازة عن الخديو فسافر فى ٢٦ يناير يصحبه البرنس محمد ابراهيم بك وطورنيزون باشا والأميرلاى عبد العزيز عزت بك والقائمقام محمد ياور بك وعلى بك شاهين وعادوا فى ٢٥ فبراير وقد توج البرنس دوجال ملكا لبريطانيا وأمبراطوراً للهند وسمى الملك أدوارد السابع .

عباس وأبو الهدى وشكيب معشوقه . فى بداية هذا العام أخذ السيد توفيق البكرى وابراهيم بك المويلحى يسعيان فى التقريب بين عباس والشيخ أبى الهدى ، بعد

ما عرف من دسائس الشيخ للخديو فى المابين من قبل ؛ وقد عرضا على سموه رسائل وردت لهما فى العهد الأخير من الشيخ يظهر فيها رغبته فى هـذا التفاهم ، وقد رأينا نحن رجال المعية أنه لا مانع من ذلك ، نظراً لما لأبى الهدى من النفوذ الكبير لدى السلطان ؛ ولذا وافق سموه وأمر السيد توفيق البكرى بارسال من يدعو عثمان بدرخان باشا من باريس لانتمائه لأبى الهـدى ثم قرر سموه أن يوفد الى الاستانة حسين بك زكى (*) لمعرفة رأى الشيخ أبى الهـدى الأخير ؛ فسافر إليهـــا ومعه رسالة من السيد البكرى هذا نصها :

« صاحب السماحة والسيادة الوالد الأعظم أدام الله بقـاه . إن الأمر هنا جميعه على ما يسر سيدى حفاوة به ودعاء له ولن يخصه بما لا فوقه مزيد وأن حامل هذا إلى سيدى حضرة حسين زكى بك مرسل من قبل الجناب الأسمى والملاذ الأعظم فليعتمد عليه سيدى فيما ينقـله إليه من ذلك المقام ؛ والأمل فى تلك الهمم الهاشمية والذمم الأحمدية ، أن تحقق بمعاليها كل ما يسر ويذكر ويؤثر بالشكر أدام الله مجدها وأبقاها . »

وكان سفر حسين زكى بك إلى الأستانة فى ٦ فبراير .

ولما أن سافرت إليها فى ١٢ منه قابلته فأوصيته بالآتى :

(١) إبلاغ الشيخ الســـلام الخديوى وبأن سموه اهتم بفرار صديقه « شكيب » إلى مصر وعثرنا عليه بعد أن بثثنا العيون والأرصاد فى الاسكندرية وبور سعيد .

(٢) رسـالة طعن فى الشيـخ كانت تحت الطبع وقد تحصلنـا عليهـا وسنقدمهـا لسماحته ليتحقق من تعطفات الخديو .



حسين بك زكى

(*) كان قاضياً بالمحاكم الأهلية وسبق له أن تعرف بالشيخ أبى الهدى .

(٣) هل لسماحة الشيخ علم بمهمة شفيق بك ؟ وهل تستعمل الشدة أو اللين فى مفاوضاته مع المابين بخصوص طلباتنا لمعادن طاشيوز واليالى والرتب والنياشين التى سبق طلبها الخديو لبعض الأشخاص فتأخر رد المابين فى شأنها ؟

(٤) هل من المستحسن أن تطلب ضمانة أجنبية للداماد ؟

(٥) هل لشفيق بك أن يعتمد على سماحته فى مساعدته ، وما هى نصائحه ؟ وإن كان عنده شىء يريد توصيله للخديو فيقوم بارساله فى البريد القادم .

وفى ٢٣ فبراير سلمت الى محمد بك يكن أحد رجال أبى الهدى الرسالة التى كانت ستطبع فى مصر ضد الشيخ ، لتسليمها إليه حتى يعرف تعطفات الخديو نحوه ؛ وفهمت من الحديث أن للشيخ نفوذاً كبيراً لدى البرنس سعيد حليم ولدى سفير انجلترا ؛ وبعد ذلك علمت أن أبا الهدى لا يكاد يصبر على فراق شكيب له وأن جسمه هزل لغيابه عنه ، وأرسل ما يقرب من المائتى برقية لمصر لارجاعه .

وأخيراً أوفد أبو الهدى زكى بك لمصر لاستصحابه .

وفى ٢٢ مارس أمكن إقناع شكيب بالعودة للاستانة وسافر إليها برفقة حسين زكى بك بعد أن صرف الخديو له مبلغ ١٧٠ جنيهاً .



ابراهيم المويلحي بك

وكان السلطان نظراً لمكانة الشيخ ونفوذه لديه يغض الطرف عن هذا الموضوع ، إلا أنه لم يكن يسلم من بعض ملاحظات جلالته التى توجه إليه تعريضاً بهذه العلاقة المريبة بين الشيخ وصاحبه . من ذلك أنى قابلت يوم ٢٨ مايو الفزلر أغاسى فى غرفة الباشكاتب ، وسألته عن واقعة كان أخبرنى بها الشيخ على يوسف وهى إرسال ابراهيم بك المويلحى تقريراً ضد أبى الهدى مع رسمه هو وشكيب يتعاطيان الشمبانيا ، وعلى غطاء

الزجاجة صورة السلطان ، وحسن خالد بك ابن الشيخ يحول نظره عنهما متأففاً بينما كان المويلحى يرقبهما متنكراً من فوق ويكتب تقريره ضدهما . فقال الأغا إنه وصلته نسخة من التقرير وبداخله الرسم ، وإنه ترجمه إلى التركية وقدمه للسلطان .

ولما أظهرت له تخوفى من أن تكون النتيجة التفات السلطان للشيخ بدلا من مؤاخذته ، قال : « إن مولانا يعرف الآن الشيخ جيداً ، ويعلم بخبثه . » ثم أظهر تعجبه من انقلاب المويلحى ضد أبى الهدى مع أنه كان من أعز أصدقائه .

وكنت أعلم أن الفزلر أغاسى من ألد أعدائه .

ونورد هنا خطاباً من ابراهيم بك المويلحى إلى الشيخ دليلا على ما كان بينهما من الصداقة :

« دولتلو سماحتلو افندم حضرتلرى — أرى أن سيدى متغير الخاطر علىّ لأجل مسألة شكيب ولا أعلم ما السبب . والحال أنه بمجرد وصول التلغراف بقدومه عمد كاتبه الذى هو فى الاستانة الآن شفيق بك ، فأرسله إلى الاسكندرية قبل سفره للاستانة وأذنه بالرواح إلى أثينا إذا لزم لأجله ولما حضر ووقع ما تعلمونه من قبل المحافظة فأمرنى الخديو بأخذه مع كافة أمتعته من المحل الذى كان فيه إلى لوكاندة الجزيرة ودفع عنه الأجرة ، وهو يقيم على نفقته وله عربة مخصوصة للفسحة ؛ وجماعة سموه تتردد إليه كل يوم حتى فى المحافظة أرسلنى بياوره الميرالاى وكاتبه المخصوص وأمر باستعمال نفوذه ، وأمر المنافق البكرى بكفالته وله معه خلوات مخصوصة وأتباعه وحشمه تقف حرسا ، ولا أعلم ما أقول غير أن سوء حظ الأصدقاء يجعلهم محل الشبهات وهدف الأخطار . سموه جاعل للداماد ولبدرخان باشا ولفاضل وللكوكبى ولشكيب وأمثاله بل ولكل من يكون له سوء العلاقة مع استانبول معاشات مخصوصة ، ولا يزال يستجلبهم ويلاطفهم وظن أن عند شكيب مفتاح الكنوز من أسراركم ومن أسرار السراى ، وزعم أنه من الكتاب المخصوصين فى قصر يلدز ، وكم حسنت له دفعه وإرساله لطرفكم فكان يقول عنده أشياء مخفية لنستكشفها ، وهو يفضلكم الآن بالمودة بواسطة العبيط حسين زكى وبواسطة كاتبه العاجز شفيق ، وكان بودى إرسال شكيب برفقة محمد بك المويلحى ثانى يوم قدومه ، فحالت قوة سموه بينى وبين هذا المقصد وإلى الآن يظن أن شكيب على شىء مع أنه صار من أسباب الفضيحة له ويفتكر أن له أهمية عظيمة تجبركم بسببه على خدمة أفكاره ، وفى كل يوم تتوجه رسله لأخذ الأخبار

من شكيب عن تلغرافات وغيرها ، فماذا أصنع عاملونى بانصافكم ولا بد أن يتضح حال الغلام المذكور للغلام الآخر ، وينقضى هذا المرسح ويعود شكيب حقيراً ، ويتبين لكم الصادق فى محبتكم من المنافق ، وأدام الله سيدى .

٣ ذى القعدة سنة ١٣١٨ — ٢٠ فبراير سنة ١٩٠١ إمضاء — ابراهيم مويلحي »

وعلى أثر ذلك توترت العلائق مدى حين بين أبى الهدى والسراى الهمايونية ؛ ولكن ذلك لم يدم طويلا ؛ كما توترت العلاقات بينه وبين السيد محمد توفيق البكرى حتى أن الأخير أرسل إليه فى ١٨ أبريل الخطاب التالى :

سيدى صاحب السماحة السيد ابو الهدى افندى دام علاه

« بعد تقبيل يدكم الكريمة فان لى كلاماً إن كتمته أمرضنى فلا بد أن أذكره ليعلم سيدى أنى عانيت كل صعب فى سبيل إخلاصى له منذ عشرسنوات فكيف يجوز أن يكون الجزاء على ذلك إرسال مكاتيبى الخصوصية إلى عزيز مصر ثم إرسال درويش البيروتى الى أزمير لمقابلة شكيب بالتعليمات المخصوصة وإلقاء الشبهة علىّ وعلى غيرى ثم نسبتى بعد ذلك الى التزوير فى المكتوبين اللذين أرسلهما مولاى معى أحدهما لجانب العزيز والآخر للورد كرومر . وما كنت أتخيل هذا ولكن قام عليه البرهان ولا غرو أن يكون ذلك وأكثر منه ما دام للوشايات من عثمان بدرخان وأمثاله قبول لديكم واستحسان منكم . على أننا لم نقصر يعلم الله مع أحد من المنسوبين إليكم فقد قمنا لعثمان بما رفه حاله ورغد عيشه ولكن قابل هذا الاحسان الذى عملناه لأجلكم بالكفران ولولا كم لم يجد ما يسره فى مصر .

وإنى لأنظر إلى هذه الأعمال وما تؤدى إليه كل يوم من فساد وما أصلحناه من الحال وما كنا نؤمله فى الاستقبال . فيأخذنى الأسف العظيم » ولدكم

١٨ أبريل سنة ١٩٠١ محمد توفيق البكرى

كما أن علاقته الحسنة مع الخديو لم تدم طويلا . ففى ٢٤ نوفمبر أبلغنى تحسين بك أن أبا الهدى تمكن من دخول السراى ، بعد أن كانت علاقته بها على غير ما يرام ؛ وألقى بدسيسة ضد الخديو ، مؤداها أن سموه تآمر مع رفعت باشا الصدر الأعظم ، الذى توفى أخيراً ، والقزلر أغاسى والمشير فؤاد باشا وغيرهم لخلع السلطان وتولية ولى العهد ، وأن المتآمرين أخذوا رشوة قدرها عشرون ألف جنيه بواسطة الكريدى ليونيه ، وأنى كنت الواسطة بين الخديو ورشاد افندى ولى العهد فى هذه

المؤامرة ، وأنى لست مصرياً بل إن عمى من قسطمونى وكان يشتغل حوذيا عند ولى العهد .

وقد بعثت بذلك لسمو الخديو(*) ، وطلبت البحث عن الرسائل التى قد يكون أبو الهدى أرسلها لأعوانه فى مصر ، وربما كان فيها ما يكشف عن سر هذه الدسيسة ، وقد علمت بعد ذلك أن هذه المؤامرة لم تفلح لما رأيته من إقبال تحسين بك علىّ وتسلمه منى رسالة وردت لى من الخديو خاصة بجماعة تركيا الفتاة ، وأن السلطان أمر بكتابة رد على سموه بالشكر .

ومع ذلك ففى أول ديسمبر قابلت احمد جلال الدين باشا فأخبرنى أن السلطان أمره باجراء تحقيق دقيق فى هذه المسألة رغم أن جلالته لا يميل مطلقاً إلى تصديقها .

محمود باشا الداماد والجمعية تركيا وحركة فى الاستانة . كان محمود الداماد باشا وولداه قد حضروا إلى مصر فى أواخر العام الماضى كما تقدم . وظل السلطان يلح على الخديو فى إرجاعهم إلى الاستانة أو على الأقل إخراجهم من مصر ؛ وقد دارت مخابرات كثيرة فى ذلك وكلف سموه محمد عزت بك بالديوان التركى ، أن يكون الواسطة بينه وبين الداماد فى المفاوضة فى الرجوع للاستانة ، ونظراً لأن محمود باشا لم يكن مرتاحا إلى عزت بك فقد كلفنى الخديو أن أتصل به بدلا منه ليطمئن ، وظلت المفاوضات بيننا وهو فى تخوف من الرجوع للاستانة ، لئلا يلقى اضطهاداً أو معاكسة . وفى ١٦ يناير أخبرنى البرنس محمد على حليم بأنه توجد جماعة ، مؤلفة من سفير فرنسا فى الاستانة المسيو كونستان ، وترجمانه الأول ، ومكسيموف ترجمان سفارة روسيا الأول ، تريد أن يكون رجوع الداماد على يديها وفى نظير ذلك يحصل الخديو على معادن طاشيوز ، فعرضت ذلك على سموه فارتاح له كثيراً وعلى ذلك سافر البرنس إلى أثينا للاجتماع فيها مع مندوب هذه الجماعة فذهب ومكث أسبوعا ثم عاد وقال : « إن المندوب منتظر إشارة للحضور » فأمر الخديو بكتابة خطاب للبرنس ، بأن يرسل برقية للمندوب بالمجىء لمصر ففعل ، وحضر وهو المسيو « البير روويه » ابن أخى الترجمان الأول لسفارة فرنسا ، ولما قابله علمت أن البرنس كاتبه وهو فى الاستانة ، فعرض المسألة على كونستان فوافق عليها ، وحضر هو مندوباً من طرفه ، وقال إنه مستعد لاعطاء ضمانة للداماد ليطمئن بها على حياته وأولاده وأمواله ، ويتوسط له عند السلطان

(*) كنت بالاستانة حيث سافرت إليها فى ١٣ إبريل مع الوالدة كما سيأتي .

فى رجوعه ، وفى نظير ذلك يطلب من جلالة السلطان معادن طاشيوز باسم الخديو ؛ ولتسهيل هذا الحل يرغب مسيو روويه فى أن يحصل على جواب يتعهد فيه الداماد بالرجوع للاستانة عندما يأذنه الخديو ، ثم ضمانة من أحد بنوك مصر التى ليس لها علاقة بالاستانة بأن يدفع إلى روويه خمسة وعشرين ألف جنيه من طرف الخديو عند الحصول على فرمان معادن طاشيوز في ظرف ثلاثة أشهر ؛ وهذا المبلغ ، كما قال لى ، سيصرف على ملحمة باشا واحمد عزت العابد بك وتحسين بك من رجال المابين وفائق بك من الأمناء وأبى الهدى وغيرهم ؛ وطلب أيضاً مبلغ عشرة آلاف جنيه احتياطياً لتذليل المصاعب التى ربما تطرأ .

وتقابل روويه مع الخديو فى أول فبراير وتحادثا فى الموضوع ولكن لم يتناقشا فى المبلغ ولا فى جواب الداماد وخرج روويه مسروراً بالمقابلة ولكنه لم يقف منه على رأى قاطع .

وفى ٣ منه تحادثت بناء على الأمر مع صالح بك سكرتير الداماد لأخذ التعهد من محمود باشا وبنيت طلبى هذا على ورود أخبار من الاستانة تفيد أن للداماد علاقات مع رجال المابين ، وربما يعود بواسطتهم . والقصد قطع الألسن بالجواب المذكور ؛ وقد كتب الداماد هذا الخطاب فسلمته للخديو فلما طلب روويه نسخة منه فضلنا أن نرسله رأساً بدون واسطة إلى ترجمان سفارة فرنسا . وأما جواب البنك بضمان المبلغ المطلوب فأفهمته أنه لايكون — إن حصل — إلا على ٢٥ ألف جنيه فقط وكتبت له عندما أراد التوجه الى الاستانة خطابا أقول له فيه : « إن الورقتين اللتين حدث الكلام بيننا بشأنهما سترسلان فى البوستة القادمة ، دون أن أصرح بمضمونهما من باب الاحتياط .

وفى ٨ فبراير أمرنى الخديو بعدم إعطاء صورة خطاب الداماد الى روويه وأن أتوجه لسراى القبة لتلقى الأوامر ؛ فلما مثلت بين يديه علمت أن احمد مختار باشا الغازى حضر للقبة ، وأخبر بأنه كان قد طلب من السلطان إعطاء الخديو معادن طاشيوز ويالى وجفلك فى ضفة الأناضول ، وعلى أثر هذا الطلب وردت برقية من عاصم بك كاتب الشفرة يطلب فيها من مختار باشا أن يخبر الخديو بارسال من يعتمد عليه للمفاوضة معه فى هذا الموضوع وإنهائه ، وقد تردد سموه فى أن يرسلنى أو يرسل محمد عزت بك ؛ ولكن المويلحى والشيخ على يوسف وآخرين استحسنوا إرسالى . أما مختار باشا فكان يود إرسال عزت بك .

وفى ١١ فبراير كلفنى سموه بالسفر وأعطانى الأوامر الأخيرة وخطابا للسلطان وسلمنى الغازى مختار باشا كتابا آخر ، وتقرر أن يكون واسطة المواصلة القزلر أغاسى ، ولم آخذ معى صورة من كتاب الداماد ولا ضمانة البنك ، اعتمادا على الحصول على معادن طاشيوز رأساً .

ولأجل أن تلغى كل ما حصل الاتفاق عليه شفاها سواء أكان بين الخديو ورووبه أم بينى وبينه ، حصلت منه على خطاب ينص على أنه بعد عشرة أيام تمضى من تاريخه إذا لم نرسل إليه صورة خطاب الداماد وضمانة البنك ، فانه لا يمكن عمل اللازم فى يلدز للحصول على معادن طاشيوز .

وأبحرت فى ١٢ فبراير فوصلت فى ١٦ منه ونزلت بفندق بيرا بلاس . وفى اليوم التالى توجهت إلى المابين وسلمت القزلر أغاسى كتابى الغازى والخديو فعرضهما ؛ ثم قابلت تحسين بك ، وفهمت منه أن السلطان متكدر لعدم اهتمام الخديو بأمر الصحف التى تحمل على جلالته ، وأن السلطان يرغب فى إيجاد وسيلة لحسم ذلك ، وقد تقرر بينى وبين رئيس الكتاب أن أكتب للخديو عما يأتى :

أولا — رجوع الداماد بدون شرط ولا ضمانة أجنبية .

ثانياً — أن يصدر السلطان عفوا عن باقى جماعة تركيا الفتاة ويقبل رجوعهم بواسطة الخديو وتوظيفهم ؛ ومن لم يقبل منهم فلا ينال بعد ذلك شيئاً ولا تقبل السراى فيما بعد توسط شخص آخر فى رجوعه .

ثالثاً — يعمل اللازم لتعطيل الصحف الناقمة على السلطان ، إما بالتهديد أو بالشراء على أن يتولى ذلك عزت بك وصاحب هذه المذكرات .

وقد حررت بذلك لمصر .

ثم تقابلت مع ادوار رووية ترجمان سفارة فرنسا ، فعلمت منه أن السفير لا يزال يرغب فى التوسط فى مسألة الداماد ، وإعطاء الخديو معادن طاشيوز ولكن يجب إنفاق ألوف الجنيهات على الأعوان ، وفهمت منه أن الضمانة التى ستعطى للداماد على سلامته إنما هى أدبية فقط .

وكنت أتردد على تحسين بك فيأمر السلطان بكتابة بعض البرقيات فيما لا يخرج عن مسألة الداماد ، وكان يظهر كبير اهتمام بمسألة رجوعه .

وفى ٣ مارس قابلت الباشكاتب وأخبرته بناء على تعليمات وردت أن الخديو

عامل على تنفيذ رغبات السلطان ، فأبلغ تحسين بك جلالته ذلك فأمر بكتابة برقية طويلة للخديو بسروره .

وفى اليوم التالى عدت للمابين فعلمت أن السلطان ينوى إرسال ياور خاص للخديو لاعلان رضا جلالته على سموه ، ويخبره بأنه مهتم بأمر الداماد شخصياً ولكنه يود عوده للتخلص من إلحاح وبكاء سنيحة سلطان شقيقته وزوجة الداماد .

وبعد ذلك زرت مسيو مكسيموف ، فأخبرنى أن السلطان لا يقبل شرطا لعود الداماد ، وأنه لا خوف عليه مطلقاً إذا عاد ؛ وإذا رغب الخديو أن يدخل الداماد بواسطة السفارة الروسية فانها تضمن سلامته ، وإذا ضيق عليه فى شىء ترسل روسيا مركباً حربياً للدفاع عنه ، ففهمت من ذلك أنه يرغب التدخل فى المسألة وتقوية النفوذ الروسى .

ثم قابلت سفير فرنسا فأبلغته سلام الخديو وسألته عن مأمورية روويه فأنكر معرفته بها وقال لى : « إنه لا خوف على الداماد من رجوعه ، وإنه لو ذهب لفرنسا وطلب من السلطان إرجاعه فأنه لا يتأخر عن السعى فى ذلك ، ثم أكد لى أنه لا يمكنه طلب معادن طاشيوز نظير رجوعه ، وإنما كل ما يستطيع أن يعمله بعد الرجوع أن ينصح للسلطان باعطاء المعادن للخديو ولكنه لا يضمن النجاح . »

وبعد ذلك قابلت رئيس الكتاب وتكلمت معه بخصوص نياشين ورتب كان طلبها الخديو لبعض الأفراد فى مصر ، فأخبرنى بأنه يتوقع إرسالها معى عند عودتى . ثم طلبت منه إصدار إرادة سلطانية بجميل عطفه الشاهانى وتكرار العفو عن الداماد وتجليه ، والعفو كذلك عن جماعة تركيا الفتاة الموجودين بمصر ، على أنه عند إعادتهم بمعرفتنا لا تسمع وشاية فيهم ولا تقبل ضدهم تقارير .

وعلمت منه أثناء الحديث أنه لم يرد من مصر فى مدة إقامتى ما يكدر خاطر السلطان من جهة الخديو ، فلمحت له أنه إذا عادت العلاقات الحسنة بين الخديو وجلالته فان سموه يقدر أتعابه حق التقدير ! وقد فعلت ذلك نظراً لما ورد لى من الخديو بأن أجتهد فى ضم تحسين بك إلى جانبنا .

وفى ٨ منه طلبت إلى المابين ، فتوجهت فأمر الخليفة بأن أبعث برقية أطلب فيها تعيين موعد لرجوع الداماد ، وطلب استعلامات عما بلغ جلالته من اتفاق جمعية تركيا الفتاة بمصر وجمعيتها فى جنيف على عمل مظاهرة كبيرة ، وعن سفر اسماعيل كمال بك —

أحد رؤساء جمعية تركيا الفتاة وقد كان أستاذاً فى الجامعة التركية — من روما إلى مصر وأنه فى حالة حضوره لا يقبله الخديو ، فأرسلت هذه البرقية وأضفت اليها ملاحظاتى .

وبعد ذلك زرت سفير انجلترا ، فأشار علىّ بأن أعجل سفرى حتى لا ينقلب نجاحى فشلا لكثرة الطلبات ، وأنه إذا رغب الداماد الرجوع اختياراً فلا بأس وإلا فلا ، وظهر لى أنه يفضل عدم رجوعه .

وفى ٩ منه ورد لى من عزت بك رد على برقيتى يقول فيه : « إن الخديو يبذل بلاشك كل اجتهاده فى ارجاع الداماد ونجليه قريباً ، وأن لا علم لسموه بمسائل جمعية تركيا الفتاة المنوه عنها ولا عن حضور اسماعيل بك كمال ، وأنه يأمر بعمل التحقيقات اللازمة عن ذلك » . وقد عرفت فيما بعد أن هذه إشاعات أبى الهدى ومحمد يكن بك واختلاقاتهم الكاذبة ، فزرت البرنس سعيد باشا وحدثته عن استيائى لهذه الألاعيب المكشوفة .

وفى ١٠ مارس سلمت الباشكاتب البرقية التى وردت لى وقلت له : « بعد ذلك لا تطلبوا شيئاً لأن مولانا نال كل مرغوبه » وبعد أن عرضها على جلالته قال : « إن الخليفة لما قرأ كلمة « قريباً » ، أمر بارسال برقية للاستفهام عن تاريخ السفر » فأجبته بأن الخديو يتأثر من ذلك ويقول إن الخليفة ، مع كل ما نعمله . يظهر عدم اطمئنانه ، والأفضل إرسال برقية أقول فيها إنه نظراً لقرب مبارحتى الأستانة ، إذا كانت توجد أخبار بخصوص الداماد ورجوعه فأرجو أن تبلغوها سريعاً ، وبعثت فعلا برقية بهذا النص .

ثم بارحت الاستانة فى ١٢ مارس بعد الاستئذان فوصلت الاسكندرية فى ١٧ منه .

وبعد عودتى دارت المخابرات بين الخديو ويلدز بخصوص رجوع الداماد إلى الأستانة ، ولما كنت قد طلبت من رئيس الكتاب أن يعرض على السلطان كتابة خطاب يوضح فيه الشروط السابق ذكرها مع العفو عن الداماد ونجليه حتى يتيسر إقناعهم بالرجوع والتنويه عن طلبات الخديو بارسال الرتب والنياشين التى التمسناها لبعض المصريين وللآن لم ترد ، أوعزنا إلى الغازى مختار باشا بارسال برقية يبين فيها ما لهذا التأخير من الوقع السيىء فى نفس الخديو .

وعلى الأثر وردت برقية لسموه جاء فيها : « ان السلطان يكرر العفو الشاهانى عن الداماد ونجليه ، وان اللازم رجوعهم فى أقرب وقت إلى الأستانة ، وبما أن الخليفة بلغه أنه فى العزم أن يرافقوا الجناب الخديوى عند قدومه إليها وهذا ما لا تسمح به الظروف ولا يرغبه الخليفة فالأفضل أن يعودوا كما خرجوا بأنفسهم . أما جماعة تركيا الفتاة

فيخرجون من مصر ويتوجهون إما إلى أوربا أو إلى الاستانة . ولم يذكر شيء فى هذه البرقية بخصوص الطلبات ، وليس فيها ما يعبر عن امتنان السلطان وشكره للخديو ، فتأثر سموه وأرسل برقية يقول فيها إن إشاعة توجهه الى الأستانة مع الداماد ونجليه باطلة ، وسموه لم يفكر فى هذه الزيارة . أما رجوع الداماد فلا يتأتى إلا بطريقتين إما على المحروسة مع الوالدة يوم ١٤ أبريل ، أو بارسال ياور شاهانى يرافقهم إلى الأستانة وأنه إذا حصل رفض ذلك فلا يرسل أحدا مع الوالدة ، فرد المابين ببرقية فيها سلام وتلطيف شاهانى وقبول رجوع الداماد ونجليه مع الوالدة على المحروسة وبهذا نال الخديو ترضية معنوية من إجابة طلبه .

وأرسلنى سموه للداماد ونجليه فعرفتهم بما ورد من الأستانة فرفض نجلاه الرجوع قبل إدخال اصلاحات فى إدارة الدولة ورضى الأب ؛ ولكنه كان يخشى عدم قبول عوده منفرداً ورجا أن يبقى بمصر مدة شهرين حتى يسافر ولداه لأوربا ، فعرفنا أن الغرض هو التخلص ولذلك اصطنعنا برقية مفادها بأن السلطان يقبل رجوعه وحده وأطلعناه عليها ، فقبل الرجوع ولكن على مضض وأصر ابناه على الرفض ، غير أن المابين قال إن سنيحة سلطان لا تقبل زوجها منفرداً ؛ فأخفينا عنه ذلك ، ورغبنا فى إرجاعه على أى حال حتى لا يقال إن الخديو حبط فى مسعاه ؛ ثم إن يلدز صارت ترسل برقيات عديدة ، فياضة بالالتفات الشاهانى ، وتطلب بذل الجهد فى إقناع الولدين ، ومن ضمن ذلك برقية يقول الباشكاتب فيها : « إن الخليفة كان على وشك إرسال رد على برقية تهنئة الداماد للسلطان بعيد الأضحى ، ولكنه امتنع عندما علم بتصميم الولدين ، وقد أرسل الجناب الخديوى مرة أخرى اليهما لاقناعهما فلم يقبلا مطلقاً ؛ وقيل لنا إن صالح بك ألح عليهما بالرجوع مع والدهما فقالا : « إن كل إنسان مسئول عن نفسه ، فنحن لا نسأل عن والدنا فهو يفعل ما يريد ، وإننا عزمنا عزماً ثابتاً على عدم الرجوع والانفصال عن والدنا ، لأننا لم نتعهد للخديو مثله بالعودة وسموه لم يسألنا ؛ وقد كنا طلبنا مقابلته فلم يتنازل لذلك ، وكان غرضنا أن نعرفه بعزمنا هذا . »

وقد غضب سموه من هذا الاصرار فعرضت أنا والشيخ على يوسف ، وعزت بك وآخرين على سموه بأن يجمع الأب وولديه ويتفاهم معهم ؛ وكان عباس يدّعى أنهم فى قبضة يده ، والآن اتضح أنهم ليسوا كذلك وهذا ما زاد فى غضب سموه .

ثم إن صالح بك أرسل يطلب ١٠٥٠ جنيها بأمر من الداماد منها ٥٠٠ لسفر

الولدين ، و ٤٠٠ للمصاريف المنزلية و ١٥٠ لمصاريف السفر للاستانة ، فقرر الخديو رفض المبلغ الأول وعدم تسليم الباقى على أن تصرف الخاصة نفقات المنزل بمعرفتها كالمعتاد ، وهذا لمنع سفر الولدين .

واستعلمت من مصرف الكريدى ليونيه بصفة سرية ، فوجدت أن للداماد مبلغ ستمائة جنيه متوفرة ، فبحث الخديو فى كيفية حجزها ، ولكنى لم أستصوب هذا الرأى ووافقنى حسن عاصم باشا وعزت بك والشيخ على يوسف .

وفى ٣ أبريل قابل سموه صالح بك والولدين وكلمهم بشدة ؛ وكنت حاضراً مع عزت بك ؛ وكان النجل الكبير يحادثه بهدوء والصغير صامتاً ، وقد أصرا على عدم الرجوع . ولكنهما قبلا ما قاله الخديو من التروى ثم إعطاء رأيهما الأخير . وسافر الخديو إلى المنتزه تاركا المسألة عند هذا الحد .

وفى اليوم التالى قابلت الولدين . فوجدتهما متأثرين جد التأثر من كلام الخديو لهما ، ومن وجود عزت بك أثناء الكلام ، ومن انتظارهما طويلا فى سراى عابدين حتى قابلهما سموه ، ومن قوله لهما إنهما السبب فى تغرب والدهما على هذه الحال ؛ وعلمت أنهما قابلا كرومر فشجعهما على السفر لأوربا وسأل عما إذا كان والدهما سيسافر للاستانة ؛ وقيل إنه أفهمهما أن الداماد يستطيع الحصول على المال اللازم بسهولة إذا توجه لأوربا . ولما قابلتهما بناء على الأمر وطلبت تأخير سفرهما لحين رجوع الخديو كوعدهما قالا إنهما صمما على السفر ولا حاجة للانتظار .

وأبحرا فعلا إلى مرسيليا .

وفى ١٠ أبريل أرسل لى محمود باشا الداماد مع البرنس محمد على حليم يطلب المقابلة ، فلما قابلته صرح لى بأنه لا يرغب فى الرجوع للاستانة نظراً لما حصل له ولولديه من الاهانات من جانب الخديو ، ولأنه لا يأمن على حياته إذا رجع بدون ضمانة أجنبية ، ولأن سموه أغرى الويلحى على إهانة ولديه فنشر ضدهما مقالة شديدة اتهمهما فيها بالالحاد ؛ وأنه يطلب بياناً بجميع المبالغ التى أنفقت عليه حتى يفكر فى سدادها ، فعرضت الأمر على الخديو فكان له فى نفسه أسوأ الأثر ، وقد انتهى الأمر بأن صمم الداماد على اللحاق بولديه(*) .

(*) وقد استمرت المخابرات بدون جدوى معه هو وولديه فى أوربا حتى توفى فى يوم ٣١ يناير سنة ١٩٠٣ ببروكسل ولم يرجع نجلاه إلى الأستانة إلا بعد خلع السلطان عبد الحميد .

وفى ٢٠ أبريل ، وكنت قد رجعت للاستانة ، ذهبت لمقابلة رئيس الكتاب فأخبرنى بوصول برقية من الخديو ، فيها أنه سيبلغ صالح بك سكرتير الداماد ، الذى تخلف فى مصر لانجاز أشغال الداماد ، بالأوامر القاضية برجوع الباشا للاستانة مع نجليه نظراً لسفرهم إلى مرسيليا .

وبعد بضعة أيام أخبرنى تحسين بك ، أنه وردت برقية من الخديو يقول فيها إنه تحقق أن الداماد ونجليه سافروا ومعهم ألف جنيه ؛ منها ستمائة كانت فى البنك وأربعمائة تحصلوا عليها من سورى مسيحى ، وأن سكرتير الداماد يسعى ليحصل على مبلغ من أحد المصريين ورهن أملاك الباشا فى البلغار ، ولكن الخديو يبذل جهده فى إحباط هذه المساعى.

وفى ٩ مايو قابلت سفير فرنسا وأخبرته بما حصل للداماد ونجليه ، وتاريخ مغادرتهم لمصر ثم استفهمت منه عما إذا كان السلطان حادثه بخصوصهم نظراً لوجودهم فى فرنسا فلم يفدنى بشىء .

وفى ٢١ يوليو ، أرسلت للخديو فى ديفون(*) برقية بناء على الأمر السلطانى بأن سنيحة سلطان طلبت من جلالة أخيها قطع علائقها مع زوجها ونجليها ، واعتبارهم قد فقدوا . فطمأنها جلالته ووعدها خيراً برجوعهم ، ولذلك فهو يطلب من الخديو مخابرة الداماد ونجليه للمرة الأخيرة ، على أن ينسى السلطان كل شىء خاص بهم رحمة منه بأخته . وقد رد سموه يوم ٢٢ منه بأنه سيبذل جهده إرضاء للسلطان .

وفى ١٢ أغسطس وردت برقية بأن الداماد لحق بصالح بك وكيله فى كورفو ، فاستفهم الخديو من المابين عما يجب اتخاذه ، وهل يرسل له أحداً من طرفه أو أذهب أنا اليه ؛ ولكن السلطان أمر بعدم سفرى ، وأطلق الحرية للخديو لعمل ما يراه صالحا لأنه لن يرسل أحداً من الاستانة بعد ذلك .

وقد يتساءل القارىء هل كانت المصاريف التى صرفها الخديو من خاصته على الداماد وولديه هى لارضاء السلطان ؛ الجواب على ذلك أن سموه كان يرمى بذلك إلى غرضين أولهما إرضاء السلطان ، وثانيهما تنازل محمود الداماد باشا لسموه عن بعض امتيازاته فى معادن تركيا إن لم يحصل سموه على معادن طاشيوز .

سفير انجلترا وبعض الشئون المصرية فى ١٧ فبراير تقابلت مع سفير انجلترا

(*) وكان سافر اليها للاستشفاء كالمعتاد .

وأبلغته سلام الخديو فأخبرنى أنه قابل السلطان منذ أسبوع وأبدى أسفه من إعطاء رتبة الروملى بكلر بك للمنشاوى باشا قائلا : « إن هذه الأمور مما تثير الأحقاد بين الحكومتين المصرية والعثمانية . »

وفى ١٩ منه طلبنى وأخبرنى بملخص حديث دار بينه وبين السلطان بخصوص مسألة المنشاوى ، فأخبرته بأنى علمت من رئيس الكتاب أن السلطان سحب إرادته وقد ظهر للسفير كذبه ؛ وقال لى إنه وردت اليه برقية من كرومر بخصوص القاضى الذى عينه السلطان دون أن ينتخب أحد الاثنين اللذين رشحهما الخديو وقد أرسل السفير ترجمانه مرتين يطلب تأخير سفر القاضى فقيل له إنه سافر أمس ؛ فأخبرته بأن القاضى سافر اليوم فقط ، فتعجب السفير لهذا الرياء .

وفى ٢٠ منه قابلت تحسين بك فقال لى إن السلطان يأمر بأن أكتب برقية للخديو ألتمس فيها أن يرحب بالقاضى ، فأجبت بالطاعة ، ولكنى أعربت عن خوفى أن تكون المسألة قد أفلتت من يد سموه إلى يد النظار فيعارضون فى قبول القاضى الذى عينه السلطان دون ترشيح الخديو ، وربما يستعينون بالانجليز فى المعارضة . ومع ذلك فسأبلغ سموه أوامر مولانا ؛ وقد أطنب تحسين بك فى صفات القاضى الجديد وميل السلطان له ، وأن التعليمات التى أعطيت للقاضى هى أنه لايخلق مشكلات ويقوم بواجبه فى هدوء . ثم استفهم منى عما إذا كانت توجد لدى شفرة فأجبت بالنفى فقال لى إن السلطان يأمر بطلب شفرة خصوصية ، فأرسلت برقية بطلبها فتسلمتها يوم ٢٠ وحملتها إلى تحسين بك وقد طلب منى أن أرسل البرقية الآتية : « نظراً لما ثبت لدى مولانا الخليفة الأعظم من معروضات إخلاص الحضرة الخديوية للمقام السلطانى ، ولكون سماحة يحيى افندى عين من طرف أمير المؤمنين قاضياً لمصر وسافر اليها أول أمس ، فلو رحبتم به سموكم وأمرتم هيئة النظار بحسن استقباله فانى أعتقد أنه سيكون لهذه الهمة تأثير عظيم وستستجلب زيادة رضا مولانا الخليفة الأعظم . »

وبعد أن كتبت هذه البرقية أخذها منى لارسالها بالشفرة ، ثم دار الحديث بيننا ، فأفهمته عدم ارتياحى لأنه أخفى عنى ما حدث من سفارة انجلترا بهذا الخصوص وأخبرنى به السفير الانجليزى ، وعرضت عليه أن يتلافى هذا الخطر باعطاء رتبة الوزارة إلى مصطفى فهمى باشا ، فوعد بعرض الأمر على الخليفة .

ثم عدت إليه فى نفس اليوم وأكدت له ضرورة إرسال الرتبة لمصطفى فهمى باشا

عاجلا ، كذلك نيشان الامتياز المرصع للبرنس محمد على باشا منعاً لما عساه أن يحدث من معارضة النظار فى مسألة القاضى ، فاستحسن أن أنتظر صدور الارادة السلطانية ، ومتى أخبرنى بها فانى أكتب برقية عربية بمضمونها وأبعثها اليه ليرسلها بالشفرة . ولكنها لم تصدر حتى يوم سفرى لمصر .

وفى ١١ مارس وردت لى برقية من محمد عزت بك يقول فيها : « إنه بناء على الأمر الخديوى أرسل بالبريد صندوقا فى داخله كتاب مهم ، ومعه مذكرة من سموه لجلالة السلطان ، وهى بناء على الأخبار الطيبة الواردة منكم ، وهى مقدمة لخدمات أخرى . »

سفرى للاستانة ثانيا بمعية الوالدة لاتمام المسائل المعلقة وقد تقرر سفرى مع الوالدة ، وفى يوم ١١ أبريل تلقيت التعليمات الآتية :

(١) التقرب من احمد جلال الدين باشا رئيس الرجال السريين الذين يوصلون الأخبار الخفية للخليفة .

(٢) إفهام الشيخ أبى الهدى بأن طلباته وطلبات السلطان قد نفذت ، ونحن فى انتظار الخدمات التى يقوم بها الشيخ للخديو .

(٣) ألا أتحدث عن سفر الخديو وعائلته . وكذلك أعطانى سموه رسالتين إحداهما للسلطان ، والأخرى لرئيس الكتاب . وأهم ما فيهما أن الداماد رفض الرجوع لما علم أنه لايقبل وحده . وقد جمعنا تسعة من جماعة تركيا الفتاة قبلوا السفر للاستانة ؛ وسافروا معنا على المحروسة صباح ١٣ منه ، فوصلنا محجر أورلة فى ١٥ منه ، ثم قمنا للاستانة ، وعند وصولنا استقبلنا شاكر باشا والقزلر أغاسى والباش مصاحب — الأغا الأول وله منزلة عند السلطان — وقد طلب منى أسماء جماعة تركيا الفتاة الذين حضروا معنا فأعطيته بيانا بهم وعلمت منه أنه صدر أمر السلطان لناظر الضبطية باجراء التحقيق معهم وأخذ صورهم ؛ ولما قابلت تحسين بك بعد ذلك ، أخبرته بتفاصيل محادثاتنا مع الداماد ونجليه واشتدادنا فى معاملة الولدين عندما رفضا الرجوع وتحريض الصحف ضدهما ، وإخراج الثلاثة من مصر كرغبة الخليفة . وذكرته كذلك بأن هذه الخطة اتبعت مع اسماعيل كمال بك حتى اضطر لمبارحة القطر ، ثم جهادنا فى إقفال الصحف المعادية ، وفى إخراج جماعة تركيا الفتاة . وقد أبلغ ذلك للخليفة مع رسالة الخديو فأبدى سروره التام ، وأمر أن أرسل بالشفرة للخديو بذلك . وقال ينصح للداماد مرة أخرى بأخذ نجليه والرجوع للاستانة ، وكذلك للبرنس محمد على حليم الذى بلغ السلطان عنه أنه ينوى

التوجه إلى روما للقاء بعض المفسدين بأن يبتعد عن هذا الطريق المعوج وإلا كان سبباً فى إنزال الضرر بأخيه البرنس سعيد حليم الموجود بالاستانة ؛ وقد كتبت بذلك لسموه .

وفى ٢٠ منه أخبرنى رئيس الكتاب أنه وصلت برقية من الخديو بأنه لم يبلغه شىء عن سفر البرنس محمد على حليم ومع هذا فسوف ينصحه بعدم مغادرة مصر وهو واثق من إذعانه لذلك وفى النهاية قال سموه إنه مستعد لكل أمر يأمر به السلطان . فلما اطلع جلالته على هذه البرقية سر كثيراً ، ثم أمر أن أكتب بذلك للخديو ، وأعلمه أيضاً بأنه وردت برقية من منير بك سفير الدولة فى باريس بأن البرنس محمد على باشا وفؤاد باشا الأرنابودى تقابلا مع اسماعيل كمال بك ، وتكلما معه فى أمر تعيين أمير مصرى والياً على ألبانيا ، وكذلك بأنه تشكلت فى مصر جمعية اسمها « حميت » ، وأمر السلطان أن أعرض هذين الأمرين على الخديو لعمل ما يلزم ، فلبيت الأمر بعد أن كذبت مقدما هاتين الاشاعتين .

جلال الدين باشا : أخذت فى تنفيذ وصية الخديو فيما يختص باحمد جلال الدين باشا واعتمدت على بعض المخلصين له إذ أننى حينما كنت فى الاستانة قبل شهرين تقابلت مع رشيد بك وهو من المحبين للباشا ، فكلمنى بخصوصه وعن حسن نيته نحو الخديو ، وعن رغبته فى إيجاد العلائق الودية ؛ فوعدته باجراء اللازم وبالفعل عرضت ذلك على سموه فأمر بالكتابة إلى رشيد بك بأنه يغض النظر عما سمعه بالنسبة للباشا من الدسائس التى دسها فى حقه وفى حق والدته بالنسبة لجماعة تركيا الفتاة ؛ وعندما استأذنت عباسا للسفر مع عصمتها أمرنى أن أخبر رشيد بك بأنه يقبل بكل ارتياح رجوع العلاقات الودية بينه وبين الباشا ؛ وأنه يساعده فى مأموریاته بخصوص جماعة تركيا الفتاة وإذا صادفه سموه فى أوربا فلا يتأخر عن محادثته ، وقد أخبرت رشيد بك بذلك فتلقى الباشا هذه التعطفات بالشكر والممنونية ، وطلب مقابلتى فقابلته يوم ٢٨ ابريل ، وأخبرنى بأنه سيحرر مذكرة لسموه ويرسلها على يدى .

وفى ٢٤ مايو دعيت للغداء عنده فاستقبلنى بحفاوة ، وأفهمنى أنه كثيراً ما أدى خدمات للعائلة الخديوية ولا يعلم أنه عمل أمراً يكدرها ، وعليه فانه تأذى مما سمعه وعلمه من حنق الخديو عليه فى الماضى ؛ ثم سكت برهة وقال : « نعم من مدة سنتين نسبت تهمة لوالدته ، وتحملت أنا مسئوليتها مع أنى برىء منها ، لئلا يقع شقاق بين والدة وابنها — ويعنى بالابن البرنس جميل باشا — ولولا تعجلها لكنت صرفت التهمة بأن أفهم السلطان بأن ما قيل من إعطاء الوالدة نقوداً لجماعة تركيا الفتاة ليس المقصود

به والدة الخديو ، بل والدة أخرى كان يمكن إيجادها — يعنى والدة مخترعة — ولكنها لم تمهلنى ولهذا لم أفعل شيئاً ، ثم قال : « وربما علم الخديو أنى قلت عنه إنه « زوزك » غير رزين ولكن الذى قلته للداماد ، فى مناسبة دفاع عنه ضد ما كان يدعيه ، إنه « كنج » شاب ؛ وربما غضب من مسألة ثالثة وهى استدعاء البرنس حسين باشا منذ سنتين ، ولكن هل كنت أمتنع عن الكتابة اليه وقد أمرنى السلطان بذلك ؟ ثم إذا كان قد نال التفاتا فهذا مما يعود فى آن واحد على جميع العائلة وعلى رئيسها ، فان البرنس لم يحضر لغرض سياسى ولا لأمر يختص بمصر ، ولكن لما تحادث مع السلطان لم يجد فيه ما كان يؤمله ، ولهذا فان المقابلة لم تسفر عن شىء . » فقلت له : « إن مولاى لم يتكدر منكم إلا لما سمعه من اتهامكم لوالدته ، وكان غضبه أشد مما لو كانت التهمة قد نسبت اليه ، ولكن أما وقد اتضحت براءتكم أخيراً . فلم يعد متأثرا منكم ، وقد أمرنى أن أفهمكم ذلك ، وإنه يساعدكم فى كل أموركم ويقابلكم فى أوربا إذا وجدتم هناك وطلبتم ذلك ، وإذا كتبتم له خطاباً فهو يرد عليه كما حصل . » فشكرنى وبين لى أنه يستصوب حضور سموه للاستانة بعد مقابلتهما باوربا ومبادلة الأفكار بينهما ، وأفهمنى أن السلطان استغرب وجود صورة سموه عند شكيب ، وقال إن ذلك غير لائق .

جماعة تركيا الفتاة وجمعية حميت : فى ١٠ مايو توجهت للمابين ونظراً لغياب رئيس الكتاب تقابلت مع جواد بك أحد السكرتيريين وأخبرته بالتعليمات التى وردت إلىّ من مصر فيما يختص بادعاء سفير الدولة بباريس عن مقابلة البرنس محمد على باشا وفؤاد باشا الأرنابودى مع اسماعيل كمال بك وما دار بينهم ، وبشأن تأليف جمعية ضد السلطان بمصر اسمها « حميت » ورجوت جواد بك أن يخبر رئيس الكتاب بأن الخديو يقول ، أن لا أصل لهذين الخبرين ، مع ذلك أرسل استفهاما إلى فؤاد باشا عن ذلك بواسطة أخيه عبد العزيز عزت بك وتحذيراً له من مقابلة اسماعيل كمال بك .



فؤاد باشا الأرنابودى

وفى ١٨ مايو طلبت فى المابين وقابلت تحسين بك فعرفنى أن الخديو أرسل برقية يقول فيها : « إن الأشياء المتعذر الحصول عليها صار إيداعها فى مركب شراعى قادم الى رودس ، وإن التفصيلات سترسل برقياً لشفيق وهو يعرفها » فسألنى عطوفته عما إذا كانت وردت لى هذه البرقية فأجبت نفياً فقال لى : « إن الخليفة مشغول البال وقد أمر باحضارك حتى استفهم منك عن هذه الأشياء . » وبعد المداولة جال بخاطرى أنه ربما يكون المقصود بعض أعضاء جمعية تركيا الفتاة قبض عليهم الخديو وأرسلهم فى مركب شراعى حتى لا يفروا إذا ركبوا فى باخرة ، ووعدته باطلاعه على البرقية عند حضورها .

ولما لم يرد شىء فى اليوم التالى أرسلت برقية أستفهم بها من عزت بك عن الأمر .

وفى ١١ مايو وصلنى خطاب منه يقول فيه إن الخديو مسرور من أعمالى الصادقة ، وأن البرنس محمد على حليم باشا قال لسموه بناء على مخابرة صالح بك سكرتير الداماد ، إن المابين كلف البرنس حسين كامل باشا بارجاع الداماد ونجليه ، وأن الخديو يأمرنى أن أستفهم من رئيس الكتاب عن ذلك ، فاذا كان صحيحاً أعرفه أن هذا الأمر مما يغضب سموه .

وفى ٢٢ منه قابلت رئيس الكتاب وناولته عريضة من البرنس محمد على باشا للسلطان شكراً على امتنان جلالته التى بلغها له منير بك سفير الدولة فى باريس بالنسبة للخطة التى اتخذها ضد اسماعيل كمال بك .

ثم قابلت سفير انجلترا فأخبرنى أن السلطان أفهمه منذ بضع أسابيع أنه لم يعد يهتم بالداماد ونجليه .

وفى ٢٧ منه وصلتنى برقية من مصر شرحا للبرقية الغامضة التى وردت للمابين فى ١٨ مايو ، وهى أن مانوه عنه من الأشياء المتعذر الحصول عليها مقصود بها أعضاء جمعية تركيا الفتاة ؛ ويطلب سموه إرسالهم على مركب شراعى منعاً لفرارهم ، ولكنه يخشى من أن رئيس الحجر الصحى فى أورله — وهو رومى وفى الوقت نفسه وكيل قنصل انجلترا — يطلع على هذا العمل فينقل الخبر لحكومته ، ولا يخفى ما فى ذلك من الضرر الذى يعود على سموه ، فتوجهت للمابين وعرضتها على تحسين بك ، وبعد اطلاعه عليها ظهر خوفه أيضاً من تعريض حياتهم للخطر عند سفرهم على مركب شراعى .

ثم أطلعته على خطاب أرسله من الاستانة محمد توفيق بك — أحد التسعة الذين حضروا معنا — إلى صاحب له أرمنى بمصر بأن ينصح كل من يريد الرجوع من جماعة

تركيا الفتاة ألا يوسط الخديو فى رجوعه لما فيه من عدم القبول من جهة السلطان ، بل اللازم عدم الوساطة . فقلت لرئيس الكتاب : « إذا كان هذا صحيحاً ولا يرغب الخليفة أن يحضر أحد بمعرفتنا فلا بأس من ترك الموجودين فى مصر وعدم اهتمامنا بهم » وطلبت منه رداً حاسما ؛ فوعدنى به بعد العرض ، ولكنه سألنى عن عدد الموجودين الآن من هذه الجمعية فقلت له : « لا أعلم . »

وفى ٣ يونيو دارت المخابرات بينى وبين مصر بخصوص جماعة تركيا الفتاة وملخصها أن الخديو عدل عن إرسالهم بالسفن الشراعية خيفة أن يكون فى ذلك خطر على حياتهم ، كما لاحظ ذلك المابين ، وقرر أن يسفرهم على وابور « البحيرة » الذى اشتراه سموه بواسطة الخاصة لنقل الحجاج الأتراك الى الحجاز ، ويذهب الوابور بهم الى إركلى ثم يتركهم فى القلعة السلطانية بالدردنيل .

وقد رأى أن يخابر المابين قبل قيام الوابور حتى يصدر أمره بعدم التفتيش ، خيفة أن يعلم بالأمر الطبيب الرومى فى المحجر ، لأن هؤلاء الرجال سيؤتى بهم بالحيلة ، ويخشى افتضاح الموضوع .

وقد أطلعت رئيس الكتاب على نتيجة هذه المخابرات فوافق على الترتيب المتقدم وبناء على ذلك أعطيته بياناً بأسماء القادمين ، فأضاف اليهم عثمان بدرخان باشا ، وخوجه قدرى ، ورضا قبطان .

وفى ١٠ يوليو وردت للخديو — وكان عندئذ بالاستانة — برقية من حسن عاصم باشا تفيد بأن عثمان بدرخان باشا تحت أمر سموه وأن زوجته مريضة وهو فى حاجة للمال ؛ فكلفنى سموه بارسال برقية بضرورة حضوره ؛ فجاء الرد بأنه عملت لزوجته عمليتان جراحيتان ولا يمكن سفره الآن . فأمر الخديو بالكتابة لعاصم باشا بألا يعطيه شيئاً من المال حتى يسافر .

وفى ٢١ نوفمبر وردت برقية بأن عثمان بك العبادى سافر من الاسكندرية ومعه سبعة من أعضاء جمعية تركيا الفتاة ، وأنه يجب التنبيه على أحد الموظفين عند حضور الباخرة أن يتسلمهم بدون ضجة كالتى عملت عند حضور عثمان بدرخان باشا (*) . وفى ٥ ديسمبر حضر عثمان بك العبادى ثانية — بعد رجوعه لمصر — ومعه بعض أعضاء

(*) وقد صدر العفو عنه فيما بعد وعن بعض رجال تركيا الفتاة بناء على طلب عباس .

الجمعية ، ومن بينهم نجل عثمان بدرخان باشا وهو أهمهم . وقد دعوت عثمان بك للنزول فى مسكنى ، وبعثت إلى مصر بوصوله ، فبقى عندى حتى يوم ١٤ ديسمبر إذ وردت لى برقية بارساله لمصر إن كان قد أدى مهمته فعاد فى ١٨ منه .

اتهام الخديو بمساعدة ثوار اليمن ومنشور طلب مبايعته بالخلافة . فى أول يونيو وردت لى من الخديو برقية بالشفرة فأمرت مكتب التلغراف بأن يرسلها للباشكاتب . وفى اليوم التالى علمت أنه جاء بها : « أن بطرس غالى باشا ناظر الخارجية توجه من قبل كرومر إلى الخديو وأبلغه أن الحكومة الانجليزية ورد لها بلاغ من سفير الدولة بلندرة ، يقول فيه إن سموه أخذ فى إرسال مدافع ونقود إلى الثائرين فى اليمن . »

وقد تأثر سموه لذلك الاتهام ؛ ويقول فى برقيته : « كيف يصدق مثل هذا الكلام مع ما أبديه من الصداقة والاخلاص للخليفة !! » ويطلب تحقيق المسألة ومعاقبة مختلق هذا الخبر .

وقال لى تحسين بك : « إن الخليفة ارتاح لهذا الطلب ، وأمر أن أبعث لسفيرنا بلندرة أستفهم منه عن الشخص الذى أمره بابلاغ الحكومة الانجليزية هذا الخبر ولا بد أن يكون من رجال المابين ، وعندما أعرف الحقيقة أخبرك بها » ثم كلفنى بأن أرسل هذه الايضاحات لسمو الخديو ، ففعلت وزدت عليها بأن يطمئن سموه لأنى سأعطى المسألة من العناية ما تقتضيه أهميتها ، وأنها ستنفعنا أكثر مما تضرنا ، لأنه متى اتضح للسلطان حقيقة الأمر فانه يأسف على الوشاية ، وعندئذ لابد لنا من ترضية تزيل ذلك التأثير السيء ، بالالتفات الشاهانى عند تشريف سموه لدار السعادة .

وفى ١٣ منه قابلت الباشكاتب ولما سألته عن مسألة التحقيق فى تهمة السفير بلندرة ، أخبرنى أنه لم يتم بعد ، فلاحظت له أن كل تأخير فى ذلك ضار ومما يكدر خاطر الخديو ، فرد بأن النتيجة ستكون سارة جدا لسموه كما يعتقد مما وصل اليه ، وأبرقت للخديو بذلك .

وفى ٣١ اكتوبر طلبت للسراى وعرض علىّ تحسين بك صورة منشور عليه توقيع الخديو بصفته خديواً يدعو المسلمين فيه للخروج على السلطان ومبايعته بالخلافة ، وقال لى : « إن هذا المنشور أرسل الى الممالك العثمانية حتى اليمن ، ولكن جلالة الخليفة عرف أن هذه دسيسة ضد سموه ، وأحرق بيده نسخة وصلت لعارف بك الأمين فى السراى » ثم قال لى : « خذ هذا المنشور وأرسله لسموه حتى يعين واحداً مثل الشيخ

على يوسف يعرف حروف المطابع فيعرف بصفة سرية المطبعة التى طبع بها ، ومتى عرف الجانى يحاكم وينفى . . ، ثم قال لى : « إنه لا يبعد أن يكون المويلحى هو صاحب هذه الدسيسة » فعرضت عليه عندئذ أن يستدعى للاستانة لاستلام راتبه ، ثم يقبض عليه هنا وينفى إلى طاغستان ، فوعد بعرض المسألة على السلطان .

مسألة ليون فهمى الارمنى . فى ٦ يوليو أرسلنا برقية لفخرى باشا بوصول الخديو للاستانة وأخرى لحسن عاصم باشا بمخابرة محافظ الاسكندرية للحصول على أختام مزورة ضبطت عند المدعو ليون فهمى الأرمنى باسم رئيس كتاب يلدز وغيره من رجال السراى السلطانية . ولهذا الرجل حكاية مع سمو الخديو : تلك أنه حينما ظهر هذا التزوير منذ حين أمر الخديو على بك شاهين بتدبير حيلة للقبض عليه سراً فأرسل هذا خادمه إلى ليون يطلبه لسراى رأس التين ، وأركبه الخادم عربة وجاء به وحبس هناك فأذاع الخبر احمد كمال بك من جماعة تركيا الفتاة ، ولعله كان متفقاً مع ليون على تمثيل هذا الفصل لأنه بادر بابلاغ دار الاحتلال ، فاهتم كرومر بالأمر لأنه سبق أن أعلن بأنه يمنع كل اغتصاب يقع لأى مقيم فى مصر ، وعين شايمان بك لتحقيق هذه المسألة . ولما أدرك الخديو ما ستجر إليه من الاهانة الشخصية أرسل ليون للمحروسة خوفا من تفتيش السراى واستشار الشيخ محمد عبده فى المسألة فأشار عليه بأن يخرج ليون من السراى أو من المحروسة إن كان فى إحداهما ، وبعد إخراجه يوجه سموه بلاغا إلى معتمدى الدول المعترفة باستقلال مصر تحت سيادة الباب العالى بأن سلطة الاحتلال تريد الاعتداء على استقلاله وإهانته بتهمة إجرام باطلة وتحتج عليها وتحملهم تبعة تفتيش قصره ووصمته بهذه التهمة وأن يبلغ لورد كرومر أنه سيفعل ذلك إذا اجترأ أحد على محاولة تفتيش السراى . عند ذلك كلف الخديو رجلا سورياً اسمه احمد العريس افندى ، بعد الاتفاق معه على مقدار من المال ، بأخذ ليون فهمى للسفر على باخرة فرنسية من بور سعيد الى مرسيليا بعد استرضائه بمبلغ خمسمائة جنيه مصرى ، على أن يرسل برقية لمحافظ الاسكندرية يعلن بها سفره . ولما جاء شايمان بك لتفتيش السراى ، قال له الخديو إنه بصفته خديو مصر يقرر له أن ليون فهمى غير موجود لا فى السراى ولا فى المحروسة ؛ وهذا هو الواقع إذ أنه كان فى طريقه لبور سعيد . وبذلك انتهت هذه الحادثة التى كادت تزعزع مركز الخديو بتدخل الانجليز ، وكانت سبباً من أسباب قدوم الخديو للاستانة دون انتظار دعوة من السلطان كما كان يجب وذلك لاستمالة الخليفة ضد الانجليز .

وكانت هذه الفكرة أيضاً هى التى أشار بها الشيخ محمد عبده وقد أرسل اليه الخديو عقب وصوله الى الاستانة برقية للحضور لاستشارته فى هذا الموضوع .

الخديو فى الاستانة وأوربا . فى يوم ٢٦ ابريل عندما كنت بالاستانة وردت لى برقية لمقابلة رئيس الكتاب ، وعند المقابلة سألنى عما إذا كان فى عزم الخديو التوجه لأوربا هذا الصيف أو الى أى جهة أخرى ومتى ؛ فأخبرته بأنه يغلب على ظنى أنه يسافر من مصر بعد شهرين الى فينا لاستشارة الأطباء ، وربما مكث بها أسبوعا ، ثم يستحم فى ديفون مدة ستة أسابيع كالمعتاد ، ثم يعود الى فينا ثانية . فقال لى : « إذا رغب سموه الحضور للاستانة لرؤية السلطان عند الذهاب لأوربا أو الاياب منها فانه يقابل بكل ارتياح ، وإنما فى حالة التشريف عند العودة متى كانت بالسكة الحديدية فلا تكون عن طريق الصرب والبلغار ، منعاً لما يقال من عزم سموه على التوجه الى ألبانيا كما أشيع فى السنة الماضية . » وكانت فعلا قد وقعت دسائس فى حق الخديو بهذا الخصوص ؛ فعرضت عليه طريق رومانيا فقال : « لا بأس ، وإنى متأكد من أن عواطف السلطان كبيرة الآن من جهة سموه ، فلا نريد أن يمسها شىء وقد تحققت أن العلاقات صارت حسنة للغاية . » وكتبت للخديو فى شأن تشريفه وملاحظات الباشكاتب عن الطريق .

وفى ١٣ مايو ورد لى خطاب من عزت بك يعلمنى فيه أن الجناب الخديوى ممتن من أعمالى الصادقة ، وقد أظهر ارتياحه عند قراءة تقريرى الذى ضمنته دعوة السلطان لسموه ؛ وكلفنى بناء على أمره أن أبلغ رئيس الكتاب بأن الخديو سيزور مولانا السلطان عند العودة من أوربا . وأما من ناحية الطريق فكلفت أن أقول على لسان سموه أنه لم يسمع بمنع أحد من الأمراء الفخام من الطريق الذى يختاره للحضور للاستانة ، وأن أنوه للخليفة عن دعوة ملكى رومانيا واليونان لسموه لزيارتهما (وقد أظهر السلطان رغبته بأن يعتذر سموه عن قبول هذه الدعوة) وأن أستفهم منه عن المحل الذى سيعين لاقامته ، فان كان يالى حليم باشا فى بيك أو يالى بلطة ليمان ، فأقول له إنى مأمور باستئجار يالى فى بيوك دره ، وبالفعل أبحث عن مكان لائق وأعرض عنه لمصر وأطلب أيضاً من تحسين بك أنه عند وجود الخديو فى جنيف يأمر مولانا سفيره فيكرر له دعوة جلالته لسموه .

وفى ١٥ منه قابلت تحسين بك وأديت الرسالة فى لطف ، فقلت : « إن سيدى كان يود أن يزور مولانا قبل زيارته لأوربا ، ولكن عندما تسمح له الأشغال

بمغادرة مصر يصادف ذلك وقت الحمامات ، ولهذا فانه يحضر بعدها ، وبينت أن سموه يأسف لعدم توفر ثقة السلطان فيه بعد الخدمات التى قدمها والصداقة التى أبداها ، حتى أنه رغب فى عدم الحضور عن طريق البلغار ، فان سموه لو حضر من هذه الجهة فلن يكون نصب عينيه إلا الاستانة .» وبعدئذ استفهمت منه عما إذا كان جلالته عين محلا لنزول سموه فأجاب بالنفى ، فقلت : « إن لم يتم تخصيص جهة فمولاى أمرنى أن أختار محلا لاقامته فى جهة بيوك دره » فقال : « سأعرض ذلك . »

وفى ٣١ منه أخذت فى البحث عن بيوت فى بيوك دره لنزول سموه عند تشريفه فوجدت فيها ما يوافق المطلوب .

وفى ١٣ يونيو أرسل لى رئيس الكتاب . ولما ذهبت أخبرنى أن الخديو بعث برقية برغبة سموه فى إرسال أسرته إلى الاستانة لتمضية فصل الصيف ، وأنه يأمرنى بالبحث عن يالى فى بيوك دره ، وأن جلالة الخليفة سر بهذه الرغبة من جانب الخديو ، ولكن نظراً لعدم لياقة بيوك دره للمسلمين ، فقد أمر جلالته أن أبحث عن يالى فى جواربيك على أحد الشاطئين وإخطار المابين بالنتيجة قريباً .

وفى اليوم التالى عاينت جملة ياليات فى بر الأناضول ولم أرتح لواحد منها وكتبت بهذه النتيجة لمصر .

وفى ١٧ منه وردت لى برقية من سموه بأنه يفضل أخذ يالى فى جبوقلى ، وقد انقضت أيام بعد هذا فى البحث عن المسكن اللائق حتى يوم ٣٠ يونيو حيث جاءتنى برقية بأن الخديو سيسافر مع الأسرة فى أول يوليو ، وعندئذ أرسلت للقزلر اغاسى والباشكاتب بالتضرر من تأخير إيجاد مسكن مناسب مع سفر الأسرة وقرب الوصول

وفى ٣ يوليو وصلت الى برقية بوصول الخديو إلى أورله . وكان المابين بناء على إرشاداتى قد أجر يالين فى جبوقلى . فأرسلت لزكى باشا برفقة سموه ، أخبره بذلك وبأنى أرسلت عمالا للتنظيف وإعدادهما لنزول الأسرة الكريمة . وقد صدر أمر السلطان للصدارة بأن يجرى فرش اليالين . وأن يصرف ثمن الأثاث الذى أشتريه لاكمال التأثيث وقد تم ذلك بالفعل . وأرسلت الحساب للمالية لصرف أثمانها بناء على أمر تحسين بك . وقد أعد أحد اليالين سلاملك والآخر دائرة للحرم .

وقد أقنعت تحسين بك بدعوة الخديو لزيارة الاستانة مادام الآن فى أورله فاقتنع بذلك . وقال إنه سيجتهد فى إقناع السلطان بتوجيه الدعوة وقد كتبت لسموه بذلك .

وبعد يومين ، أى فى ٥ منه ، جاءت برقية بأن للحمامات فصلا معيناً وقد بدأ الآن ومع ذلك فسيتشرف سموه بزيارة السلطان فيحضر مع الأسرة ويمكث أياما قليلة ، وأنه سيبارح أورله اليوم للاستانة . وعلمت من تحسين بك أنه وردت برقية لى بهذا المعنى ، وأن السلطان قد سر كثيراً بهذه العواطف الخديوية ، وأنه أمر بارسال برقية بالرضاء الشاهانى .

وفى ٦ منه وصل سموه على المحروسة إلى أياستفانوس فى ضواحى الاستانة ، فتوجهت إليه هناك وحييته ، وأخبرته بأن الاستقبال اليوم سيكون بالملابس العسكرية مع البلاك ونيشان الخاندان ، لأن السلطان سيكون كذلك وأن الاقامة ستكون فى بيك حتى يتم إعداد يالى جبوقلى .

ثم تحركت المحروسة إلى ضولمة بغجة ، وكان فى الاستقبال على زورق شاكر باشا وحسنى باشا ، فصعدا إلى المحروسة للسلام ؛ وبعد ذلك نزل سموه ومعه المستقبلان ، وزكى باشا السرياور وعزت بك واحمد شفيق بك ، على رصيف جامع الوالدة بجوار بشكطاش ، واستمرت المحروسة فى سيرها بالحرم إلى أرناؤودكوى لتنزل العائلة فى يالى حليم باشا ، بجوار يالى الوالدة . أما نحن فركبنا عربات سلطانية إلى كشك شاليه فى يلدز ، وهو الذى كان معداً لامبراطور ألمانيا ، وكان فى الاستقبال ابراهيم بك التشريفاتى . وقد عين حسنى باشا الياور لمرافقة الخديو هو وواصف بك من الياوران . ثم ذهب سموه لمقابلة السلطان . ولما حان وقت الغداء دعانا ابراهيم بك التشريفاتى إلى الوقوف بجانب غرفة المائدة ، ولم نلبث طويلا حتى جاء السلطان ومعه الخديو ، فتقدم جلالته نحونا ، وسأل سموه عما إذا كنا نحن رجال معيته ، وعندئذ قدم له سموه زكى باشا ، ثم قدمنى ثم عزت بك ، وكان كلما تناول أحدنا رداءه لتقبيله قال : « استغفر الله لا تفعل لا تفعل » ثم دخلنا غرفة المائدة فجلس جلالته فى الصدر وأمامه ابنه برهان الدين افندى ، وعن يمينه سمو الخديو وشاكر باشا عن يساره ، وزكى باشا عن يمين البرنس واحمد شفيق بك فعزت بك وبعض رجال السراى . وفى أثناء الطعام لم يدر أى حديث بين السلطان والخديو ، ولم يجرؤ أحد على الكلام بالمرة . وبعد الطعام تناولنا القهوة وعزف برهان الدين افندى لحناً بأمر والده ، ثم استأذن الخديو فى الانصراف إلى بيك . وفى ٩ منه تناول العشاء مع السلطان .

تشريف سلطانى للخديو : وفى ١٣ يوليو أقيمت مأدبة فى سراى يلدز للخديو

والحاشية حضرها نجلا السلطان وهيئة الوكلاء بما فيهم الصدر الأعظم الحالى ، والصدر الأعظم السابق ورئيس مجلس شورى الدولة ورجال المابين العسكريين والملكيين ؛ وكان السلطان بالملابس الرسمية الكبرى والعسكريون كذلك وبجميع النياشين ودخل الخديو عند السلطان ، وبقينا نحن فى الانتظار . ثم جاء ابراهيم بك التشريفاتى وسلمنا نياشين من قبل الخليفة نالنى منها « الامتياز الذهبى » ولرفقائى الثلاثة « العثمانى الثالث . » وبناء على طلب الخديو أنعم السلطان على سعد الدين باشا مدير الغربية بمداليتى الامتياز وبالعثمانى الثانى على برتو باشا من كبار موظفى مصلحة الأراضى الأميرية ، وبالعثمانى الثالث على حسين واصف بك مدير الفيوم . وأهدى للخديو نيشان الافتخار المرصع وألبسه إياه بيده ؛ وبعد هذا دخلنا غرفة المائدة . وكان كل كرسى مرقوماً عليه اسم صاحبه ، كل ذلك دليل على التوفيق بين الخديو والسلطان ، وكان الصدر الأعظم على اليمين كالأصول المتبعة . ثم دخل السلطان ومعه الخديو ، وسلم على الحاضرين فحيناه التحية الرسمية بالسلام ؛ وبعدئذ نظر إلى الصدر الأعظم وقال له : « يا رفعت باشا تعال على يسارى لأنى أعطيت محلك للجناب الخديوى . » وكان ذلك بصوت جهورى مسموع ، فبدا على وجه سموه الارتياح لهذا الاكرام الذى لم ينله أحد من الخديويين قبله مع إنفاق الكثير من المال لنيله ؛ وبعد الطعام والاستراحة عدنا الى بيك وأرسلت برقية لحسن عاصم باشا بهذا الالتفات العظيم .

وزيادة فى حفاوة السلطان بالخديو دعا فى ١٥ منه الوالدة والحرم واثنتين من كريمات سموه للعشاء فى يلدز ، وشاهدن بعدها التمثيل ونلن رعاية السلطان ، كما أن جلالته أرسل عربة صغيرة يجرها زوج من الخيل الصغيرة (السيسى) لنزهة البرنسيسات بالجبل ، وأنعم على الوالدة والحرم بالنيشان المجيدى المرصع .

سفر الخديو للحمامات : وفى ١٥ يوليو عزم الخديو على السفر للحمامات ؛ وكانت الممالك البلقانية قد ضربت الحجر الصحى مدة عشرة أيام على واردات تركيا فخشى سموه ضياع الوقت ، وعزم على السفر بالباخرة النمساوية ؛ ولما بلغ ذلك مسامع السلطان أبى أن ينزل سموه كسائح ، وقال : « إنه سيعد له يختاً خاصاً إذا كان ولابد من السفر » ففهم سموه أن فى ذلك حجراً على حريته ، وخاطب تحسين بك فى ذلك فنفى له ما جال بخاطر عباس . وقد طلب السلطان مقابلة الخديو قبل سفره ، فذهب سموه ونحن برفقته الى السراى ، وأخذنا معنا بعض مكاتبات كانت وقد وردت لسمو الخديو من

الشيخ أبى الهدى وأتباعه والداماد ، وفى كثير منهـا طعن على الادارة السلطانية ، وقد علم السلطان بها فسلمها الخديو لجلالته ، فأبدى ارتياحه لاخلاصه وودعه متمنياً له الصحة .

وتقرر السفر براً ، وأمر جلالة السلطان بقيام قاطرة كشافة أمام قطار سموه ؛ وقد أخذت إذناً من سموه باهـداء ألف جنيـه الى رئيس الـكتاب ، ولـكنه لم يقبلها حينما عرضتها عليه .

وفى ١٦ يوليو جاءتنى برقيـة من عزت بك بأن الجنود السلطانية أدت السـلام الرسمى فى كل المحطات العثمانية ، وعنـد مرور سموه ببلغراد استقبله فى المحطة اللواء فتحى باشا سـفير الدولة العليـة وأكابر موظفى السفارة ، والدكتور ميلوس بترونويج كاتم أسرار جلالة ملك الصرب ، والمسيو فورامير سيجانين محـافظ بلغراد مرحبين بسموه . وقد نزل فى الدائرة الخاصة بجلالة الملك ومكث بهـا نحو ربع سـاعة التماساً للراحة وكان يلازمه أثناء ذلك سفير الدولة .

وفى ١٨ منه وصلت برقية تنبىء بوصول سموه إلى فينا وقيامه منها صباحاً إلى باريس فوصلهـا مساء ١٩ منه متنكراً ونزل فى فنـد ق برستول ؛ وفى اليوم التـالى غادرها الى ديفون الحمامات .

بين عرابى والسلطان : كان الأمر الخديوى قد صدر منذ ٢٥ مايو بالعفو عن عرابى وعلى فهمى والتصريح بعودتهما لمصر ؛ ففى ٣ أغسطس طلبنى رئيس الـكتاب ، وقال : « إن السلطان بلغه أن عرابى يعتزم عند عوده نشر كتاب يذيع فيـه المكاتبات السرية التى دارت بينه وبين الدولة العلية أيام الثورة ، فالسلطان يقول إن السراى يمكنها نشر جملة كتب تفضح بهـا عرابى ، ويطلب أن يلاحظ سيدى هـذا الأمر » فـكتبت لسموه بذلك .

رجوع الخديو للاستانة : وفى ٣١ أغسطس وردت إلىّ برقيـة بمغادرة الخديو لديفون بعـد انتهاء الاستشفاء وأمر بأن أكون بالانتظار على جسر مصطفى باشا عنـد الحدود حين مجىء سموه ومعى زكى باشا ، الذى حضر للاستانة ، والقبوكتخدا .

وكان ذلك هو يوم الاحتفـال بعيـد الجلوس السلطانى ، فذهبنا للسراى وقدمنا التهانى اللازمة .

وفى ٣ سبتمبر جاءنى نبأ عن ذهاب سمو الخديو لفرنسا ومقابلته لوزير خارجيتها

وأن جنابه سيخبر جلالة السلطان بما دار فى المحادثة بينهما فأبلغت ذلك للسراى .

وبعد يومين كان سموه فى فينا فبقى بها حتى يوم ٨ منه . ثم جاءت برقية بمغادرته لها ، ولما ذهبت إلى رئيس الكتاب ، وجدت لديه علما بذلك وأخبرنى أن الخليفة سمح له ولزكى باشا والماس أغا — الباش أغا — باستقبال سموه على الحدود ، فسافرت معهم . ووصل سموه فى الساعة الثانية مساء ، ومعه ابراهيم المويلحى بك وكان ينوى تركه فى الاستانة تخلصاً من دسائسه فى مصر وتعكير الصلات بين سموه والسلطان ، كما قال سموه ذلك فى برقية لرئيس الكتاب قبل حضوره ؛ ثم ركبنا إلى الاستانة ، وكان شاكر باشا وحسنى باشا فى المحطة وبعض البرنسات المصريين والعظماء ؛ ومن ثم توجهنا إلى السراى ودخل الخديو لمقابلة السلطان ، ثم خرج مسروراً بما لقيه من الرعاية والعطف . وبعدئذ ذهبنا إلى بيك فسلم على دولة الوالدة ، ثم خرجنا إلى جبوقلى .

وفى ١١ منه دعى جنابه لمأدبة فى يلدز حضرها السفراء وكبار رجال السراى وجلس الخديو عن يمين السلطان والصدر عن يساره ، وعن يمين سموه سفير انجلترا ، وكانت هذه المأدبة بمناسبة زواج ابنتين للسلطان مراد وثالثة للسلطان عبد العزيز .

ولما عاد سموه فهمت منه أنه لاقى من الرعاية الشىء الكثير ، وأنه حدث جلالة السلطان عن مسألة الداماد وعن النزاع القائم بين الدولة وفرنسا بسبب فوائد الديون ، ومحادثة سموه فى شأنه عند مقابلته لوزير خارجية فرنسا ، وأنه رأى منه إصراراً على وجهة النظر الفرنسية وسمع منه أنه إذا لم تنفذ الدولة ما تطلبه فرنسا ، فانها تطلق الحرية لجماعة تركيا الفتاة فيها ، وأن سموه أقنعه بأن هذا العمل لا يليق بدولة عظيمة كفرنسا ؛ ولذلك فالداماد محمود باشا هناك لا يلقى أية معونة ، وحالته فى ضنك ؛ وأن منير بك سفير الدولة بذل كذلك مجهوداً يشكر ، ولكن نظراً للعداء بينه وبين الداماد فلا يمكن أن يستميله ، وأن الرجل الذى ينفع فى هذه المهمة هو اسماعيل كمال بك رجل جلال الدين باشا فشكر السلطان سموه على هذا المجهود والاخلاص .

وفى ١٤ سبتمبر كان عيد ميلاد الخديو فاكتفينا بالتهانى ، وعدم الاحتفال مراعاة لخاطر الخليفة سيما ونحن فى العاصمة التركية ، ويلقى سموه من جلالته كل رعاية فلا تليق الاحتفالات الفخمة المعتادة ؛ وقد حضر شاكر باشا للتهنئة من قبل الخليفة لأول مرة فى مثل هذا العيد .

وفى ١٥ منه توجه الخديو ومعه حسنى باشا وزكى باشا إلى يلدز . وعند الساعة

العاشرة تقابل مع جلالة السلطان وركبا فى عربة يقودها جلالته ، ووراءهما الياوران المذكوران حتى مصنع الصينى فاستقبلهما مديره ملحمة باشا ، ودخلوا جميعاً وتفقدوه ، وكلما أعجب السلطان شىء يقول هذا للخديو ؛ ثم إنه خصص شيئاً للوالدة والحرم مثل أوعية للزهر وغيرها ؛ وانتقلا لمشاهدة الاسطبل الخصوصى ؛ ثم مشيا معاً برهة فى الحديقة ؛ وأخيراً ركبا العربة ورجعا ؛ وتعشى السلطان فى الحريم . أما الخديو وحاشيته فتعشوا مع رجال المابين ، وبعد الغروب بقليل دعى الخديو لحفلة تمثيلية ، ثم رجع سموه شاكراً داعياً ؛ وكان يسير أمام رفاصه بالبسفور رفاص كشاف ، نظراً لظلام الليل ، حتى جبوقلى .

وفى ١٦ منه حضر أحد الياوران البحريين ومعه صندوق فيه الأوانى الصينية التى تفضل السلطان باهدائها للخديو ، وقد أمر سموه بمنحة قدرها خمسون جنيها لمن أحضر الصندوق .

وفى ١٨ منه لبى الخديو دعوة سفير انجلترا للغداء ، وكان معنا حسنى باشا وزكى باشا ودعا السفير أيضاً عباس حليم باشا ونجل مستر تشمبرلن ، وزير المستعمرات الانجليزية .

وفى ١٩ سبتمبر ذهب الخديو لزيارة المستشفى الحميدى للاطفال وهو الذى أسسه الخليفة على نفقته فى نشان طاش وقد رافقت جنابه فى هذه الزيارة ، وكان معنا حسنى باشا وزكى باشا والدكتور كاوتسكى بك . والمستشفى يقع على مرتفع من الأرض بين مناظر جميلة ؛ وقد لاحظت فى داخله النظافة التامة والترتيب الجميل فى أقسامه ومعداته ، ومقدرة أطبائه ، وقد اختيروا من أمهر الأطباء المتخرجين من جامعات ألمانيا .

وقد نسى مدير المستشفى أن يقدم لسموه الدفتر المعد لزيارة العظماء ليبدى كل منهم ما يعن له بعد الزيارة ، ونسى سموه أن يطلبه . ولما عدنا كتب رسالة للمدير باعجابه وسروره ، وقد اطلع السلطان عليها قبل إرسالها فسر كثيراً .

وفى ٢٢ منه خرج الخديو متنكراً فى قارب عادى للتنزه فى كوكصو وأخذ معه الشيخ على يوسف وعزت بك ، ولما عرضت عليه قارب الوالدة لم يقبله لئلا يعرفه الناس . ولكن مع هذ الاحتياط رآه الداماد عثمان باشا الغازى وفائق بك ؛ ووصل الخبر إلى السلطان ، وبلغنا أنه لم يستحسن ذلك لأنه لا يليق فى نظره بمقام الخديو .

وفى ٢٥ منه أقيمت مأدبة فخمة لسمو الخديو ورجال حاشيته حضرها الوكلاء

والداماد وكنا بالكساوى والنياشين ؛ وبعد انتهاء الطعام أنعم علينا بنياشين مختلفة ، وقد تشرفنا بمقابلة جلالة السلطان واحدا فواحداً ، وكان يقول لكل منا إنه مسرور لرؤيتنا ؛ وبعدئذ دعينا لزيارة دار الآثار بيلدز ومديرها ملحمة باشا ؛ وكان السلطان يشرح للخديو ما فيها من الآثار النفيسة ، وأهدى اليه منها ساعة أثرية نادرة ؛ ثم ذهبنا إلى « دائرة خصوصية » فأخذ السلطان بيد الخديو وأشهده غرفة نوم جلالته الخاصة ؛ ثم جلسا فى غرفة الاستقبال وبقينا نحن فى الخارج ، على حين كان برهان الدين افندى يعزف لحنا موسيقياً . وبعد عودتنا كتب الخديو رسالة رقيقة شكراً على ما لقيه فى هذه المأدبة من الاكرام . وأنعم السلطان بنيشان شفقت من الدرجة الأولى على حرم رياض باشا ، ومصطفى فهمى باشا ومحمود صدقى باشا ؛ ومن الدرجة الثانية على باش قلفة الخديو ، وحرمى وحرم عزت بك ؛ وبالمجيدى الثانى ورتبة أولى صنف ثانى على الشيخ على يوسف ، وأنعم علىّ وعزت بك بأولى صنف ثانى (*) كما منح زكى باشا مدالية لياقت الذهبية .

وقد كانت هذه الحفلة للوداع إذ أن الخديو سافر يوم ٢٦ منه ، فودعه المشير شاكر باشا والقزلر أغاسى ، وقبل سفره وزع بعض المال كمنحة منها مائتا جنيه لحسنى باشا ولغيره ، كالجاويشية وسائق العربة وقومندان الزورق وبحارته ، والبوليس فى جبوقلى كالعادة ، كل بما يناسبه . وقد ودعت سموه حتى ركب المحروسة ثم عدت للمابين وأبلغت تحيته وشكره للباشكاتب وإخلاصه للسلطان . وبقيت بالأمر فى الاستانة .

ابراهيم المويلحى بك . وقد كان الخديو مستاءاً من دسائس ابراهيم بك المويلحى كما تقدم ، ومن تقاريره التى كان يرسلها للمابين ؛ وكنت قد أشرت على سموه بأن الطريقة الوحيدة لراحتنا أن يقترح سموه عليه استصحابه مع حاشيته ، وعمل اللازم عند الوصول للاستانة لابقائه بها .

وعندما أراد الخديو الرجوع إلى مصر ، ذكرت تحسين بك بحجز المويلحى فرد على بأن السلطان رأى أن حجزه وهو قد حضر فى كنف الخديو يكون مدعاة للنقد ، ولا يليق بمقام سموه ، ولذا ترك ليعود مع جنابه .

هدايا الخديو للسلطان والحاشية السلطانية . فى أثناء وجود الخديو بسويسرا اشترى بقرتين وثوراً من الصنف الجيد على أن يقدمها هدية للسلطان وفعلا وصلت فى

(*) استبدل الخديو فيما بعد بهذه الرتبة رتبة الميرميران

١٦ سبتمبر وأخذ جلالته إحدى البقرتين للتغذى بلبنها ؛ وكذلك أهداه سموه مضختين للحريق لوضعهما بمحل جلالته ، وهو اختراع جديد وبسيط ، ثم آلة توضع على البيانو وبعدها توضع عليها أفرع موسيقية من الورق ، فتضرب عندما تدار باليد أو بالكهرباء ، وقدمت هذه الآلة مع عشرين فرعاً موسيقياً . وقد سر السلطان بهذه الهدايا . كما أن الجناب العالى أوصى أثناء وجوده بفينا على صنع قميص من الحرير ذى زرد مصفح يرد الرصاص والخناجر والسيوف ، اخترعته شركة جان زيياتيك فى النمسا وجرب أمام سموه لاهدائه للسلطان . وقد وصلت هذه الهدية يوم ٢٦ نوفمبر فحملتها الى السراى ؛ ولكن لم يسمح بادخال الصندوق الذى وضعت فيه إلا بعد صدور الارادة وظلت العربة التى تحمله أكثر من ثلاث ساعات حتى سمح لها بالدخول لشدة الاحتياط ! وقد حازت هذه الهدية أحسن قبول . وكان قد عزم الخديو على إهداء ثلاث هدايا لبعض رجال الحاشية السلطانية إحداها لشاكر باشا والثانية لابراهيم بك التشريفاتى والثالثة لتحسين بك رئيس الكتاب .

وقد ورد لى من الخديو بأنه وجد طقم سفرة من الفضة قيمته ٢٨٠ جنيه لتقديمه الى المشير شاكر باشا وأنه سيختار هدية أخرى مناسبة لابراهيم بك التشريفاتى ، ولكن رؤى عدم تقديم هذه الهدايا نظراً لرفض الباشكاتب الهدية التى قدمتها اليه كما سبق . وبهذه المناسبة تحادثت معه باعتراف الخديو بفضله وحسن معونته وقلت له : « إن سموه تأثر لعدم قبول هديته » مشيراً إلى الجنيهات الألف ، فرد بأنه ليس فى حاجة لشىء ؛ فقلت له : « إن الخديو يعرف أن كل شىء بيد السلطان فهو لا يعطى هذه الهدية مقابل شىء ، ولكنه وقد سر بما يلقى من الحفاوة أراد أن يقدم تذكاراً لهذه الزيارة ، وهو يرجو فى المرة الثانية أن تكون هداياه مقبولة » . فضحك وقال إنه سيبلغ عواطف الخديو للسلطان .

دعوتى عند سفير انجلترا : دعيت للعشاء فى ٢٩ ديسمبر عند سفير انجلترا ، وكان هناك سفير إيطاليا الجديد وقرينته ، وسفير بلجيكا ومسيو بابست متولى أعمال فرنسا ، فقلت لسفير انجلترا : « إن الخديو لما حضر إلى الاستانة كان متأثراً جداً مما حصل له من الانجليز فى مصر ، ولكن لما قابلك ورأى لطفك نسى ما كان من هذا الكدر ، فسموه يذكر دائماً هذا اللطف . » فطلب منى أن أشكره على هذه العواطف .

الشيخ محمد عبده فى الاستانة . فى ٢٠ يوليو قدم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية والشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد إلى الاستانة وكانا قد اتفقا مع

الخديو على أن يحضرا حين وجوده ، وكنت أود ألا يصلا فى غيبة سموه إذ كنت أعلم أن هناك وشاية ضد المفتى ؛ ولكنهما حضرا فرأيت أن أقابلهما وأصطحبهما من الباخرة مباشرة إلى يلدز منعاً للقيل والقال ؛ وقد قدمتهما لرئيس الكتاب فطلبا عرض ولائهما للذات الشاهانية فأبلغا رضاء السلطان فخرجا شاكرين ؛ ونزلا فى مسكن بجهة استينيا ، على البسفور بالقرب من ميركون . وقد استعان المفتى على زيارة المساجد والمكاتب وغيرها بمراسل المؤيد بالاستانة واسمه زكى مغامز وذلك لمعرفته اللغة العربية وجهل الشيخ باللغة التركية وكان هذا الرجل مسيحياً والمفتى لا يعلم ذلك ، فانتهز أعداء الشيخ محمد عبده هذه الفرصة وبتحريض الشيخ أبى الهدى وابراهيم المويلحى بك والسيد محمد توفيق البكرى ، قدموا فى حقه بعض التقارير فحضر له أحد مأمورى الضبطية ، وقد كان من تلاميذه يوم كان منفياً فى سوريا ، وأبلغه سلام ناظر الضبطية وشوقه للقائه فشكر له الشيخ ووعده بالمقابلة يوم الجمعة ، ولما أخبرنى فضيلته بذلك أشرت عليه بارسال حسين بك زكى ليشكر الناظر وليقول له إن المفتى يود كثيراً أن يراه ، ولكنه رأى منعاً للوشايات أن يستأذن السراى فى ذلك ، فرد الناظر بأن مثله لا يستأذن فى زيارته ، وألح فى الطلب وأرسل أحد كبار مساعديه لاستدعاء الشيخ بصفة رسمية للضبطية ؛ وعندئذ تأكدت أن هناك نية سيئة ضد فضيلته وقدرت أن أقل مساس به سيعكر ما بين الخديو والسلطان ؛ إذ يعتبر إهانة لسموه وللحكومة المصرية ؛ ولذلك عزمت على إحباط هذه المساعى ، وكتبت تقريراً بالتركية رفعته للسلطان ملخصه : « إن شفيق باشا ناظر الضبطية استدعى إليه المفتى مراراً ، وخشية أن يلحق به إهانة بسبب دسائس دبرت ضده وهو فى مركز الخلافة وضيف مولانا السلطان ، وقد يكون لمس كرامته أثر سيء فى نفس الخديو والحكومة والأهالى ، فقد دعوته إلى منزلى وبما أننى واثق من إخلاصه للخلافة ، وأن كل دسيسة ضده باطلة ، فهو فى ضمانتى أضمنه وأسترحم الخليفة أن يقبل هذه الضمانة المبنية على إخلاص للاسلام والخليفة . »

ثم أخذت المفتى الى منزلى حتى لا يصاب بضرر .

وسعيت فى رفع التقرير إلى السلطان حتى يعلم حقيقة هذه الدسائس وسوء نتائجها ، وبعد أن ختمت على غلافه بالشمع الأحمر ، أخذته الى رئيس الكتاب ولما علم أن هذا التقرير هو بخصوص المفتى رأى أن يبتعد عن عرضه ، فالتجأت الي كبير الأمناء والسر تشريفاتى فأبيا رفعه بمجرد معرفة موضوعه ، ونصحا لى بمقابلة القزلر أغاسى فرضى بالقيام بهذه المهمة ، خصوصاً لما علم أن مساس المفتى وهو فى ضيافة الخليفة

سيكون له أثر سيء فى مصر كلها ، ودخل به للسلطان فسأله لماذا لم يحضره رئيس الكتاب؟ فأجابه بأن ذلك بسبب اشتغاله فيما أمره به جلالته . فأمره بتسليمه له ليعرضه هو عليه فى أول فرصة . فذهب به لرئيس الكتاب ، فقال له أن يبلغنى تحيته وطلب حضورى فى اليوم التالى لمعرفة النتيجة .

وفى الميعاد المحدد ، أى يوم ٣٠ يوليو ، ذهبت فقال لى رئيس الكتاب : « إن جلالة السلطان اطلع على التقرير ، وبالرغم مما بلغه عن الشيخ محمد عبده واختلاطه بزكى مغامز وهو ذو سوابق سيئة عندنا ، من ذلك أنه طلب الدخول فى الاسلام ثم رجع عن نيته ، واتصل ببطريرك السوريين ؛ وله علاقات كبيرة بأصحاب المقطم ؛ بالرغم من ذلك فقد عفا جلالته ورضى عن المفتى ما دمت أنت قد ضمنته ، وأمر بعدم مس المفتى بسوء » ثم طلب إلىّ أن أنصح له بعدم إطالة إقامته بالاستانة . فأبديت شكرى الكثير ، واعتذرت عن الشيخ بأنه لم يكن يعرف هذه الأشياء عن زكى مغامز بل ما كان يعرف أنه مسيحى .

وكانت مع المفتى توصية من اللورد كرومر لسفير انجلترا بالاستانة خشية الطوارىء ، ولكنى منعته من الالتجاء إليه إلا إذا حبط مسعانا .

عريضة المفتى للسلطان : ولما انتهى الأمر على هذا النحو ، غادر فضيلته منزلى ، وأبلغته نصيحة الباشكاتب بعدم إطالة بقائه بالاستانة ؛ ولكنى أشرت عليه بكتابة عريضة قبل السفر وإرسالها لمقام الخلافة هذا نصها :

« أرفع إلى مولاى أن عبده المخلص أحمد شفيق بك سكرتير الجناب الخديوى أبلغنى أن الارادة السنية صدرت إلى محافظ العاصمة بأن يكف عما كان تشبث به من طلبى إلى دائرته بصفة رسمية ، لغير سبب أعرفه ، كما أنه أبلغنى أيضاً أن السبب فيما قد كان ، هو ورود تقارير فى شأنى . ومما فيها أن شخصاً مسيحياً قصيراً ذا لحية يضع نظارات على عينيه يلازمنى من يوم مجيئى إلى الاستانة مع أن له علاقة ببطريرك الكاثوليك فى سوريا ولهذا البطريرك علاقة بأصحاب جريدة المقطم ، أما الارادة السنية فقد جبرت قلباً كسيراً ، وكشفت هماً كثيراً ، وأزالت منكراً كبيراً ، فهى نعمة أشكرها ولا أكفرها ، وليس فى وسع قلبى أن يقدرها قدرها .

وأما بيان السبب فمرحمة أخرى أضيفت إلى أختها ، ومثل الخليفة جدير بأن يضمن النعمة الواحدة ألف نعمة ؛ لكن عذرى فى استصحاب الرجل الذى وصف لى

هو أنى أعرفه مكاتب المؤيد، ولم أر فى رسائله ما يخالف الولاء الصادق للذات الشاهانية، وبينه وبين أرباب المقطم عداوة، حتى إنى كنت أعتقد أنه مسلم ولم أعرف أنه مسيحى وله بطريرك إلا أمس، ولهذا كنت أستصحبه فى زياراتى ليدلنى على الأماكن التى لا أعرفها. ولا ريب أنه قد بلغ علم مولانا المعظم أننى لم أزر إلا سماحة شيخ الاسلام تأدية لحق لا يخفى على ذكاء أمير المؤمنين التى تهم زيارتها للتبرك أو الانتفاع بالعلم، وأرجو أن يكون عذرى فى استصحاب الرجل مقبولا ومع ذلك فهو لا يصحبنى أبداً منذ اليوم.

ثم أنتهز هذه الفرصة لأبث لمولاى ما يختلج بخاطرى الكليل، إنى جئت إلى الاستانة العلية لأشهد عظمة الاسلام، وأقوى ما ضعف منى برؤية مظاهر قوته فى مركز خلافته قائمة، بروح الصدق من عناية خليفته، وكثيراً ما نصحنى الناصحون، فى ألا أعرض نفسى للدخول فيها مخافة أن يمسنى سوء، وقد هولوا فى ذلك وأكبروا لما يسمعونه من إشاعات أهل الفساد، ولكن ثقتى من نفسى بالولاء وصفاء الاخلاص بشخص أمير المؤمنين، بددت عن نظرى كل ريبة، وجئت تحت حماية الصدق والاخلاص. وما كان يخطر ببالى أن الريبة تمر باسمى، فضلا عن أن تلصق به، بل الذى كان يلمع أحياناً فى خاطرى هو أن نور بصيرة مولانا الخليفة يمتد إلى باطن ما أنا عليه، فيحيط بأن شخصاً مجرباً لا تمر عليه الحوادث، وهو نائم عنها مثل هذا العبد المخلص، يمكنه أن يقوم بخدمة جليلة صادقة لشخص الخليفة وذاته الرفيعة.

إن صدق نظرى فى حالة الفارين من الأشقياء إلى مصر، قد يمكننى من أن أقول فى شأنهم ما لا يقوله غيرى وخبرتى بحالة الجرائد المصرية، وانطلاق ألسنتها بما لا يليق بالمقام العالى، والغايات التى ترمى إليها تلك الحالة الرديئة، التى لم يستطع أحد علاجها، قد تسهل لى من أحكام الرأى فيها ما لا يسهل لغيرى ما يتكلم به بعض المغرورين فى أمر الخلافة، ونصابها، والأفكار التى تجرى على الألسنة فيها، قد يكون لى من الرأى فيه ما يسر مولانا أمير المؤمنين. غير أنى لست ممن يندفع لرغبة أو رهبة ولا من يسعى لاظهار ما فى نفسه، إلا على حسب ما تقتضيه المناسبات، فكان يمر بخاطرى أن أرباب المفاسد أنفسهم يحولون بينى وبين خدم كان يمكننى بتوفيق الله ومدد رسوله صلى الله عليه وسلم، أن أقوم بها للذات الشاهانية خاصة دون سواها؛ لكن ذلك ما قد كان. والآن طابت نفسى وقنعت بالرضا العالى، وأصبت من الحظ ما جئت له، وشهدت من المشاهد الجليلة ما أتيت لأجله والحمد لله ولم يبق علىّ إلا أن أتقدم إلى الكرم

الملوكانى ، وأستمنحه الاذن لى بالسفر فانى فى أشد الحاجة إليه ؛ ولا ريب عندى فى أن مولانا يمن علىّ باذنه الكريم فى مبارحة الاستانة فى وقت قريب ، وإنى لا أزال شاكر النعمة مستعداً لخدمته ، أيد الله دولته وقوى شوكته والأمر لمن له ولاية الأمر .

التوقيع : مفتى الديار المصرية : « محمد عبده » ٣١ يوليو سنة ١٩٠١ — ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣١٩

وقد جاء الاذن له بالسفر يوم ٤ أغسطس وسافر فضيلته يوم ٥ منه .

ولما أن بلغت هذه الحادثة مسامع الخديو أرسل إلىّ ليعلم منى تفاصيل ذلك وتصرفاتى حيال هاته الحادثة . فرددت فى ١٥ أغسطس بما يأتى : « تلقيت الأوامر وجواباً عليها أعرض ما يأتى : إنى ما كنت أريد مطلقا حضور فضيلة المفتى للاستانة عند غياب سموكم عنها لأنى عرفت فى الشتاء الماضى أن الأعداء وشوا بسماحته ، وكنت عرضت وقتئذ هذا الأمر على الأعتاب السنية ، ولكن قدر ما كان ، وحضر فضيلته مع الشيخ على يوسف رغماً عن البرقية التى أرسلتها لهما فى بيريه وأوضحت فيها سفر سيدى ، واستقبلهما على الرصيف حسين بك زكى وعلى بك راغب قبودان ومصطفى بك عبد الواحد المصرى . أما أنا فكنت متوجهاً يومها إلى المابين فلحقت بهما عند الجمرك ، وأشرت عليهما بالتوجه تواً إلى السراى ولعلمى أن مركز مفتى الديار المصرية سام ومرموق من مولاى الخديو بالرعاية ، خصوصاً فى الأيام الأخيرة ، وأن الاهانة التى تحصل له مما تكدره كثيراً ، وأن أعداءنا لابد وأن ينتهزوا فرصة وجود سماحة المفتى لايجاد ذريعة للشقاق ، بين التابع والمتبوع المعظمين ، رأيت من باب الحكمة أن أرافقهما إلى المابين وأقدمهما لرئيس الكتاب دون غيره ، نظراً للعلائق التى بينه وبين أبى الهدى الذى هو أكبر أعدائنا وبتقديمهما له يتقى بعض الفتن ، ولما قدمتهما ظهرت على وجهه علامات السرور ، واعتنى بهما اعتناء زائداً ، وتوجه للسلطان ثم عاد بتعطفاته وتسليماته ؛ على أنى لم أغفل عن واجباتى عند تقديمهما لأنى قلت له إننى قابلتهما وهما على أهبة المجىء هنا ، ولعدم معرفتهما التركية ولأنها أول زيارة للمفتى قد صحبتهما لأقدمهما لعطوفتكم ، فتشكر لى على ذلك . ولا يخفى على مولاى أن رجال المابين يحب كل واحد منهم ألا يطرق غير بابه ، ورئيس الكتاب أكثرهم مراعاة لهذه الأمور ، ونحن قد أحسنا معه العلائق إلى درجة صار يظن معها أنه واسطتنا الوحيدة ولذلك أصبح يعتنى بأمورنا كثيراً ؛ وقد تحققت الآن أن توجه فضيلة المفتى مباشرة إلى المابين وتقديم فرائض العبودية والاخلاص قد هدم دسائس كثيرة ، كان المفسدون بنوها ضده ،

ولعلى أن أقل إهانة له تعتبر مساساً لمقام الخديوية الجليل وللحكومة المصرية معاً والملامة تقع علىّ حين ذاك . »

فجاء لى رد من عزت بك بأن سمو الخديو متكدر غاية الكدر لتصرفاتى ، ويقول إن هذه أعظم الغلطات التى ارتكبتها فى حياتى ، وقد تأثرت من ذلك اللوم وكنت أقدر أننى سأشكر على عملى الذى استحسنته بينى وبين ضميرى .

على أن جانباً من هذا اللوم كان منصرفاً إلى عدم اهتمامى بشقيق حرم سموه وقد قضيا ليلتين فى الضبطية بصفة ضيفين ، والحقيقة أنهما حجزا للتحقيق معهما عن سبب حضورهما إلى الاستانة ، ومعرفة المكان الذى يقصدانه ؛ على أنى لم أكن أعلم شيئاً من ذلك .

وفى ٢٧ أغسطس أطلعنى تحسين بك على برقية من قنصل الدولة فى جنيف ، يقول فيها : « إن الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية يصاحب فى جنيف لبيب بك البتانونى وبعض الطلبة المصريين ، ويتحدث ضد السلطان » ثم أخبرنى بأن سفير الدولة فى انجلترا أرسل برقية بأنه وزعت نشرات فى مصر ضد الادارة التركية ، وأرسل بعضها إليه فى الاستانة .

فنفيت له ما نسب إلى المفتى ووعدت أن أستفهم عن هذه النشرات ، وأن أعرض المسألتين على الخديو . وبعد خروجى فعلت ذلك فجاء لى الرد فى ٢٩ منه من دومرتينو باشا بأن الاحتياطات قد اتخذت بخصوص هذه النشرات .

ولقد دار الحديث مرة بين الشيخ على يوسف وعزت بك العابد عن هذا الموضوع فقال البيك : « إن ما حصل للشيخ محمد عبده كان من المنتظر ، ولكن تلافيتم الأمر بحكمة فالحمد لله لأن أعداء المفتى كانوا قد ملأوا رأس السلطان منه سراً منذ سنين ، وأحسن شىء عمله أنه توجه من الباخرة مباشرة إلى المابين حيث عرض فروض إخلاصه ، وأحسن من ذلك أنه لم يمكث فى الاستانة طويلا بعد التشبث الذى صدر من ناظر الضبطية .

أما الوشاية فموضوعها لا شىء يذكر ولكنهم قالوا فيه ما ذكر السلطان باسمه وعلى كل حال فمجيئه للاستانة وظهوره بمظهر الاخلاص للحضرة الشاهانية ، قد عدل فكر جلالته فيه » وفى ٢٨ أغسطس تلقيت من المفتى بجنيف خطاب شكر لما قمت به له من المعاونة فى هذه المسألة .

رأى عزت العابد بك فى علاقات عباس وعبد الحميد . فى أول يوليو تقابلت مع عزت العابد بك ففهمت من حديثه أن السلطان لا يجازى الذين وشوا بالخديو ، فيجب على سموه عند حضوره للاستانة أن يشدد فى طلب عقابهم ، ثم يترك تحديد العقوبة للسلطان ؛ وأن من رأيه أن يحضر الخديو من أورله للاستانة لتقديم فروض الاخلاص للخليفة ، وألا يقدم بنفسه أوراقا تختص بالشيخ أبى الهدى بل بالعكس يخبر السلطان أنه يشك فيما يبلغه من عداوة الشيخ لسموه ، وأن يتعفف جنابه فلا يحضر كثيراً للاستانة ، ولا يطلب من السلطان مسكناً ولا حقلا ولا شيئاً من ذلك ؛ وأما معادن طاشيوز فالفرمانات السابقة كافية فى إخراجها باسم الخديو دون امتيازات جديدة .

ثم حدثنى عن نوايا الخليفة نحو مصر والاحتلال الانجليزى ، بما يفيد أن السلطان لا يعتمد على الخديو فيها ، وضرب لى مثلا على ذلك ، بأن السفير العثمانى بلندرة كان قد طلب المخابرة فى شأن تحديد أجل الاحتلال ، وقبل طلبه واستحضرت السجلات المختصة بمصر ، ولكن السلطان طلبها وأبقاها عنده ، وأمر بقطع المخابرات . وقد تأكدت ذلك من جلال الدين باشا ؛ وزاد على قوله بأنه مع وجود الاحتـــلال فان جلالته لا يخشى قيام شخص يعيد سيرة محمد على باشا ضد السلطان .

وفى ١٢ أغسطس تقابلت مع الشيخ على يوسف فأخبرنى بأنه دار بينه وبين عزت بك العابد الحديث الآتى بخصوص علاقة مصر بالدولة العلية وبخصوص السلطان والخديو ، فقال له عن الأولى : « إن الأمل فى مساعدة الدولة جديا لمصر إنما هو وهم باطل ، فليس للترك فى الواقع سياسة معينة وكل ما تعمله هو ضرب روسيا بانجلترا وانجلترا بروسيا ؛ والدولة هى التى ستخسر فى كلتا الحالتين » ، وقال عن الموضوع الثانى : « إن الخديو يجب أن يكون بعيداً عن الاتصال بالسراى إلا فى الأشياء الرسمية ؛ ولا بأس من مطاردة أعضاء جمعية تركيا الفتاة لأنهم يتجرون باسم سموه ، ويسر الخليفة ذلك » ، ثم قال : « وليس الذى أعنيه بالابتعاد عن السراى هو الانقطاع بل ينبغى لسمو الخديو أن يكون له وقوف تام على الكليات والجزئيات من أعمال السراى ، مهما كانت حالتها ومهما تنوعت حوادثها ، لأن الخديو هو أكبر أمير مسلم تتجه إليه أنظار المسلمين بعد سلطان آل عثمان . ولكن هذا الوقوف لا يتيسر لجنابه دائماً ، إلا إذا كان له مأمور ثابت مخلص متبصر ، وأعنى بهذا أن يغير القبوكتخدا الحالى ، برجل يعرف أحوال الزمان والمكان ، فيخدم مولاه بالصدق للمستقبل القريب والبعيد ، ويمكنه أن

يتدخل مع رجال السراى وبعض كبار الأتراك ليستميل هذا وذاك ، وحيث إن السلطان ينفذ إرادته غالباً عن طريق رئيس الكتاب فمن الحكمة استمالته . »

وهنا قال : « ربما لم يكن من صالحى أن أوجه إليه الأنظار لأننا نتنافس فى الوظيفة والعمل ، ولكنى الآن أتكلم بصفتى ناصحاً مخلصاً ، ينظر لمصلحة الخديو من حيث هى . » ثم قال : « إن رئيس الكتاب يستمال بالمال ولكن بالنسبة لدقة مركزه ، يتعفف طويلا حتى يطمئن فاذا اطمأن أخذ ، وإذا أخذ نفع كثيراً . »

وأردف هذا بقوله : « مثلى فى مركزه لا يمكن أن ينفعكم كرئيس الكتاب ، لأننى عربى الأصل أتهم بالميل مع مصر ، كما أتهم به مع كل قطر عربى ، وكثيراً ما وشوا بى بادعاء أننى أعمل لانشاء خلافة عربية فى مصر أو فى مكة الخ .

أما رئيس الكتاب فهو من جهة صاحب المركز الرسمى الأول فى المابين ، ومن جهة أخرى هو تركى يعرف عنه التعصب لبنى جنسه ، فاستخدامه يوافقكم كثيراً ولكن ينبغى أن تكون علاقاته مع شخص لا يتغير ، لأنه لا يوافقه أن يوزع أسراره على أكثر من واحد ، ولذلك أقول إنه يجب أن يكون للخديو قبوكتخدا يعمل ويعرف كيف يعمل . » ولما سأله الشيخ على عمن يكون صالحاً فقال : « إما محمود شكرى باشا أو شفيق بك لأن هذا الأخير سار سيراً حسناً فى أعماله هنا ، وعرف الأحوال جيداً . » ولكن الشيخ على لم يكتب ذلك فى رسالته للخديو .

قال عزت بك : « وكما أن رئيس الكتاب ملجأ الأعمال الرسمية فكذلك عاصم بك كاتب الشفرة ملجأ الأعمال غير الرسمية ، وهو آخر واسطة للخفايا ولطريقته فى تبليغ الأخبار والحوادث دخل كبير فى النتائج ، فينبغى استمالته . ولكن أمره يختلف عن أمر رئيس الكتاب ، لأن هذا يستمال باسم الخديو ، ليكون واسطة لدى السلطان ، وذلك يستمال ليكون واسطة لمأمور الخديو ، وكذلك لا يلزم لهذا إلا بعض ما يلزم لذاك يعنى أنه يستمال ببعض هدايا صغيرة .

« وإذا تمكن الخديو من مثل هذه الوسائل وهى وسائل تساعده الظروف على تحقيقها استطاع أن يمسك بيده زمام السراى فى كل ما يتعلق به وبمصر رسمياً وغير رسمى ، وانقطع دابر المفسدين . »

ثم تكلم البك عن علاقات سموه مع الانجليز فقال : « أما شأن سموه معهم فلا بد أن يكون سلمياً وودياً دائماً . » ثم ذكر حادثة تعدى العساكر الانجليزية على حدود الدولة

وعساكرها فى جهة عدن — وقد وقعت فى هذه الأيام — واستنتج منها أن علاقات الدولة مع انجلترا ليست مكفولة بالصفاء الحقيقى كما يظن الناس ، وربما جاءت حادثة أخرى فهدمت كل ما بنى السفير الحالى من ظواهر المودة . »

ثم قال : « وحيث إن بلادكم محتلة بالانجليز وأمركم دائر بين الدولتين مرتبط بسياستهما معاً ، فالحكمة تقتضى أن يكون الخديو مع حسن علاقاته الرسمية العثمانية على اتفاق تام مع الانجليز ، يعمل دائماً لتوطيد ثقتهم به ، ويعطيهم كل ضمانة يطلبونها لقطع دابر كل نفوذ لدولة أخرى فى مصر ، ولا يبالى بما يقوله المصريون والفرنسيون فى ذلك ، لأنه بهذه الواسطة وحدها يمكنه أن يطلب يوما ما من الانجليز جلاء عساكرهم عن وادى النيل ، فلا يكون إلا احتلالهم المدنى بعد ذلك وهم بهذه الواسطة وحدها يجيبونه لما يطلب .

فاذا تحصل سموه على هذه النتيجة أمكنه أن يتحالف بعدها مع الانجليز على مطلب أكبر مما تقدم ، يجده إذا تغيرت الأحوال هنا ، ووجه المسلمون وجههم شطر خديو مصر ؛ ولذلك أرى من الضرورى لجنابه أن يبذل قصارى جهده فى وسائل تنمية ثروته الخصوصية ، حتى إذا جاءت الساعة التى تدعوه لعمل كبير خطير وجد نفسه مستعداً . »

ثم قال : « ومما يرتبط بكل ما تقدم شراء بعض رجال أوربا النافعين وتحسين العلاقات مع رجال السفارات المهمة فى الاستانة ، وهذا الأمر يتيسر بسهولة إذا وجد قبو كتخدا متبصر فى الأمور . »

ثم تحدث عن الهدايا التى تزجى للسلطان قال : « إن مولانا يحب الهدايا ويعدها من أمارات الاخلاص الكبرى ، وإذا كان سمو الخديو يحب أن يقدم لجلالته هدية فى هذه الأيام ، فذلك يكون فى غاية الحكمة والصواب . »

شئون مختلفة .

أعضاء العائلة الخديوية : كتب لى عزت بك من مصر وأنا بالاستانة ، يقول : « إن الحكومة قررت حصر عدد أعضاء العائلة الخديوية الذين يحملون لقب أمير بحيث لا يكثر عددهم مع الزمن فيقع أحدهم فى مركز لا يناسب مقام العائلة ومنزلتها الرفيعة . » وقد نشر هذا الأمر فى الوقائع الرسمية فى ١٦ مايو .

زيارة الخديو للسودان : لم أكن بمصر عند زيارة الخديو للسودان غير أننى

وضعت هذا العنوان لكى يراجع من شاء من القراء هذه الزيارة التى بدئت فى ٢٨ نوفمبر وانتهت فى ١٠ ديسمبر بالجرائد العربية والأفرنجية وقد طالعتها فيها ولفت نظرى خطبة حاكم السودان ورد سموه عليها .

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

سنة ١٩٠٢

افتتاح خزان أسوان . المؤتمر الطبي الدولي في مصر . البرنس محمد علي باشا والوالدة على الطائرة السلطانية . التشريفات السلطانية في عيد الأضحى . قضية المفتاوي باشا . بين الخديو وأبي الهدى . قضية المطبعة العثمانية . مسألة طاشوز ومعادنها والخلاف بين الخديو والباب العالي . الوالدة واعانة الجمعية الخيرية الاسلامية . مسألة القبوكنخرا . رحلة الخديو الى الاستانة وأوربا . بين عبد الحميد وعباس . سفري الى ديفونه . مسألة طاشوز ترفع عباس للتقرب من الانجليز . بين عباس والشيخ محمد عبده . شئون مختلفة .

افتتاح خزان أسوان . بلغني وأنا بالاستانة أنه في ٥ ديسمبر حضر الدوق أوف كنوت شقيق ملك الانجليز وقرينته لحضور الاحتفال بافتتاح خزان أسوان ، فاستقبلهما الخديو على المحطة بحفاوة كبيرة .

وحدد يوم ١١ منه لافتتاح الخزان في حفلة فخمة حضرها الخديو والدوق وقرينته ، والبرنسات والنظار ، ونحو ستمائة من عظماء المصريين والأجانب وقناصل الدول، ومثل قنصلا ألمانيا وإيطاليا مليكيهما فأعدت لهما باخرتان خاصتان ، وأرسل الخديو برقيات الشكر إلى إمبراطور ألمانيا وملكي انجلترا وإيطاليا .

وقد كان الغازي احمد مختار باشا ضمن المدعوين ؛ وكان من المنتظر أن يكون له مكان ممتاز عن بقية المدعوين بأن يكون مثلا في القطار الخديوي الذي أقل مع سموه البرنسات والقناصل وقاضي افندي ، وأن يكون له أيضاً كرسي قريب من الخديو في الحفلة الرسمية ؛ ولكنه دعي كأي شخص آخر دون أن تكون له صفه رسمية ، فأخذت

بعض الصحف هـذا التصرف على الخـديو ، واستاء الغازى لذلك أيما استياء ، وكانت فاتحة النفور بينه وبين الخديو .

وقد أناب عباس الدوقة أوف كنوت فى وضع الحجر الأخير فى البناء كما سبق أن أناب عنه الدوق فى وضع الحجر الأساسى .

وبعد انتهاء الحفلة عاد الخديو إلى القاهرة ، ومعه الدوق وقرينته ؛ وقد بقيا بها حتى يوم ١٥ منه ؛ فأدب لهما سموه مأدبة وودعهما فى صباح اليوم التالى على المحطة .

المؤتمر الطبى الدولى فى مصر . كان يوم ١٩ ديسمبر موعد افتتاح هذا المؤتمر بدار الأوبرا ؛ وتولى الخـديو افتتاحه ، واستقبله عنـد قدومه النظار وأعضاء لجنة تنظيم أعمال المؤتمر ، وألقى سموه الخطاب التالى : « بمزيد الارتياح أبادر إلى إهدائكم تحية القدوم ، وأعرب لكم عن أكيد سرورى باجتماعكم ، وأرى من الواجب علىّ بعد ذلك ، أن أقدم عظيم شكرانى للحكومات والمجـامع العلميـة التى تفضلت فلبت دعوة حكومتى ، وبعثت من ينـوب عنها فى هـذا المؤتمر الأول للطب فى مصر ؛ على أن وادى النيل باعتدال هوائه وموقعه الجغرافى الذى يجعله نقطة الصلة بين الشرق والغرب ، هو المحل الذى لم يكن اختيار المؤتمر يقع على أفضل منه فى مهمته التى هى درس الأمراض المنتشرة فى البلاد الحارة ، وإنى أفتخر بأن بلادى تصل السير فى طريق التقدم وتأخذ بالأعمال الصالحة العائدة بالنفع على بنى الانسان ، ولذلك أوجه مساعىّ دائماً إلى تثبيت قدمها فى هـذا الطريق ؛ وأنا على يقين أيها السادة من أنها ستستفيد من أعمالكم فوائد جمة . بقى علىّ أن أشكر جمـاعة العلماء الذين قدموا ليمدوا المؤتمر بمساعدتهم الرشيدة الغالية ، وأن أثنى على لجنة ترتيب أعمـال المؤتمر لتوفقها إلى تمام مهمتها . وإنى أبتهج منذ الآن بنتائج أعمالكم مفتتحاً الجلسة الأولى للمؤتمر الطبى فى مصر . »

وعلى أثر ذلك ألقيت الخطب فتكلم أصحاب السعادة الدكتور ابراهيم حسن باشا رئيس المؤتمر ، وأباته باشا والدكتور فورنوف والمندوبون الرسميون عن الحكومات فى المؤتمر .

ثم ألقى الدكتور بوشار خطاباً علمياً غزير الفائدة .

وبعد ذلك بارح الخديو الأوبرا مسلماً على الجميـع ، وتبعه النظار وكبار موظفى المعية ونفر من أعضاء المؤتمر ، فتفضل سموه فشكرهم على هذا التلطف .

واستمر المؤتمر بعد ذلك يعقد جلساته فى مدرسة الطب ؛ ورأس حفلة الختام التى أقيمت بالأوبرا حسين فخرى باشا ناظر المعارف ، وخطب الدكتور نوتناجل النمسوى فى مواضع علمية شتى .

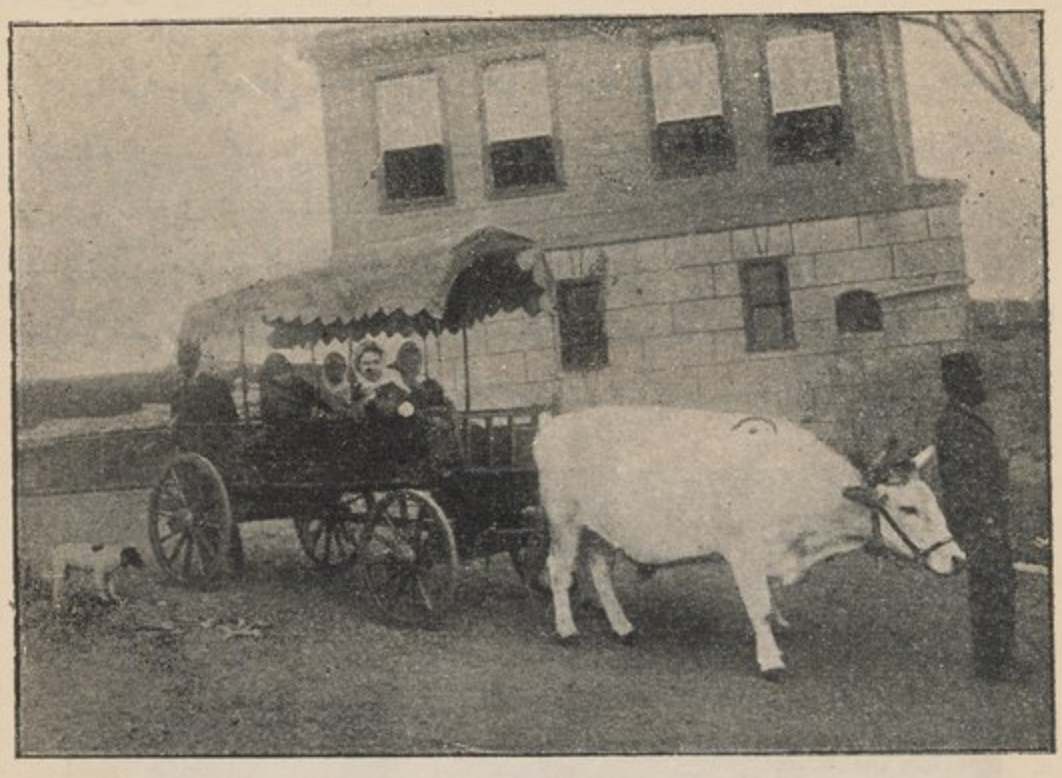
البرنس محمد على باشا والوالدة على المائدة السلطانية . فى ١٩ فبراير حضر إلى الاستانة البرنس محمد على باشا فاستقبله فى بشكطاش القائمقام عبيد بك الياور الشاهانى وركب معه فى عربة سلطانية إلى يلدز فنال تعطفات الحضرة السلطانية ودعى ودولة الوالدة لمأدبة خاصة تقام بسراى يلدز يوم ٢٨ منه ثم علمت بعد ذلك أن دولتها وسمو نجلها كانا موضع حفاوة وإكرام من السلطان . وبمناسبة تمضية دولة الوالدة شتاء هذا العام بالاستانة نورد هنا الصورتين التاليتين .



الوالدة وهى فوق الجبل مع حاشيتها يترامين بالثلج بجوار الكشك

التشريفات السلطانية فى عيد الاضحى . وافق عيد الأضحى المبارك يوم ٢٠ مارس ؛ ففى ١٩ منه وردت دعوة من المابين إلى البرنس محمد على باشا لحضور التشريفات هذا نصها : « بمناسبة عيد الأضحى المبارك فقد صدرت الارادة الشاهانية بوجود سموكم فى حفلة التشريفات العظيمة يوم ٢٠ منه ، ومع سموكم شفيق بك ،

وعلى شاهين بك بالنياشين والملابس الرسمية فى الساعة الواحدة ونصف عربى صباحا ، بسراى ضوله بغجه ، فى المكان المخصص لاجتماع المدعوين لحضور التشريفات . »



الوالدة مع حاشيتها فوق الجبل فى عربة الثيران

فذهبنا فى الموعد المحدد . وبهذه المناسبة أذكر أن المتبع فى التشريفات السلطانية غير المتبع فى التشريفات الخديوية ؛ فاننا عندما وصلنا إلى السراى قابلنا رجال التشريفات ، ودلنى وعلى شاهين بك بعضهم إلى المحل المخصوص لدرجة رتبنا . أما البرنس محمد على باشا فقد جلس مع أمراء آل عثمان عن يمين السلطان ؛ وبعد أن تم اجتماع المشيرين وما يليهم من الرتب العسكرية ؛ والملكيين على حسب رتبهم ؛ دخلنا إلى الصالة الكبرى التى فوقها القبة الكبيرة ، وفيها لوجات بعضها للأميرات السلطانية ، وبعضها للسفراء ؛ وفى محل آخر كانت الموسيقى العسكرية تعزف عند دخول الهيئات المختلفة لتقديم رسوم التبريك للسلطان ؛ وقد شاهدنا السرياور واقفا عن يسار السلطان وحاملا بين يديه كرسياً مغطى بالقطيفة تتدلى منه هداب « شراريب » من القصب ، وكلما مرت هيئة تقبل الغطاء ، وتمر أمام جلالته مؤدية السلام عن بعد ؛ وهذا السلام يبتدىء منذ دخول أية هيئة إلى الصالة ، ومرورها أمام السلطان حتى خروجها من باب آخر .

وكانت كلما مرت هيئة تقف فى المحل المخصص لها ، حتى يتم مرور جميع الهيئات . وكان المنظر فى غاية الفخامة .

وكانت الهيئات جميعها ، عسكرية وملكية ، بكساوى التشريفة والنياشين .

ثم انصرفنا بعد انتهاء الاحتفال .

قضية المنشاوى باشا . وصلت إلى أنباء قضية تختص بأحمد المنشاوى باشا خلاصتها أنه سرق من مزارع سمو الخديو بالرجدية « غربية » ثوران فى يوم ٢٢ مارس ، فاهتمت المديرية بالأمر ولكنها لم توفق للعثور عليهما ؛ وعندئذ تقدم المنشاوى باشا إلى الخاصة وعرض عليها معاونته فى العمل لاعادة الثورين ، فقبل طلبه ؛ وقد توصل بعد البحث إلى معرفة السارقين واسترد الثورين ؛ وقبض المأمور على اثنين من بلدة شبراقاص انحصرت فيهما التهمة ، فتسلمتهما النيابة للتحقيق وأودعا سجن المركز . وبعد يومين أخذهما المأمور إلى القرشية بلد المنشاوى باشا بناء على طلب منه ، بعد أن أفهم المأمور أن وجودهما بداره يفيد القضية ويعاون فى الكشف عن خباياها ، ثم أعيدا إلى السجن . ولما ذهب رئيس النيابة لسؤالهما ثانية قررا أنهما عذبا بالضرب فى دار المنشاوى باشا ؛ فأحيلا إلى الكشف الطبى ، ووجدت بهما آثار الضرب ؛ وتقرر لأحدهما علاج خمسة عشر يوما ، وللآخر عشرة أيام ، فأخذت النيابة فى تحقيق هذه الواقعة الجديدة . وذهب إلى طنطا النائب العام والمستر ويلسن مفتش الداخلية للاشراف على التحقيق .

وفى ٢٩ مارس قرر المنشاوى والمأمور وعدة شهود أن المتهمين لم يضربا فى داره ؛ ولكن التحقيق انتهى بالقبض على المنشاوى باشا والمأمور . كما أوقف سعد الدين باشا مدير الغربية وأحيل إلى مجلس تأديب . وقد علمت أن وفداً من الكبراء حضر إلى السراى لرجاء سمو الخديو فى الافراج عن الباشا نظراً لمكانته ، ولكن جنابه رأى أن يأخذ التحقيق مجراه .

وفى ١٤ أبريل رفع المنشاوى باشا إلى الخديو برقية بأنه برىء من تهمة التعذيب وبرجاء اهتمام سموه بالأمر ، فأوفد اليه أحد رجال السراى لتحقيق شكواه ؛ ولكن سموه كان يعرف أن المنشاوى باشا إنما يعامل هذه المعاملة نظراً لصلته بالسراى الخديوية ، وأن هذه المسألة موجهة للخديو فى شخص المنشاوى باشا ؛ ولكنه لم يكن يريد الاصطدام بالانجليز فى مسألة قانونية .

وقد قدم المحامى عن المنشاوى باشا تقريراً إلى اللورد كرومر طالباً فيه نفى موكله من مصر ؛ إذ أنه يفضل النفى على حالة الاذلال التى يلاقيها فى السجن ، وأنه يعامل معاملة سياسية لاقانونية ! فأجاب اللورد بأن ذلك خارج عن حدود اختصاصه ، وأن المسألة داخلية بحتة .

وقدم المنشاوى وشركاؤه إلى المحكمة . فأصدرت حكمها فى ٢٥ أبريل بحبس المنشاوى باشا ، ثلاثة شهور ، والمأمور ، شهرين ونصفاً وخادمين من خدم المنشاوى نفذا أمره بالتعذيب ، شهرين .

وكان تحسين بك قد طلب منى باسم السلطان ، معلومات عن هذه المسألة فاستفهمت عن تفاصيلها . وبلغته ما تقدم .

بين الخديو وأبى الهدى . لم يدم التوفيق طويلا بين الخديو والشيخ أبى الهدى ، وعاد الأخير يحيك الدسائس للخديو كما أسلفنا ، وتوترت العلاقات بينهما ؛ وابتدأت الوشايات فى حق الشيخ للخديو . من ذلك أنه فى ١٤ أبريل قدم لى محمود حمدى الرفاعى أحد المنتسبين للشيخ مذكرة منه لعرضها على الخديو ؛ فأرسلتها فى الحال إلى سموه . وإليك خلاصة ما ورد فيها وما اقترح عمله :

أولا — أن نبين ما هو الشيخ وما هى صفاته وأحواله الداخلية وأعماله الخارجية ، وما الذى يكنه ويضمره . وما الذى يرمى اليه ويقصده ؛ كل ذلك بالبراهين الحسية .

ثانياً — قد تمكنا من إغراء المخلصين لحفظ خزينة أسراره . وقد توفقنا والحمد لله إلى ضم هؤلاء وصار فى الامكان الحصول على كل مانريده ، دون أن ينتبه إلى شىء من ذلك نظراً لوثوقه التام فيهم .

ثالثاً — أن نقدم مسودات التذاكر المحررة من الشيخ مباشرة لجلالة السلطان بخطه وإمضائه ، حتى يتضح للجناب الخديوى خطته ومسلكه ، ويعلم كيف يكتب فى حقه ويستعمل الوسائل الشيطانية التى يتمكن بواسطتها من بث النفور والبغضاء بين التابع والمتبوع ، ويحوز هو زيادة القبول وحفظ المركز .

رابعاً — أن نرسل اثنين من غلمانه الخصوصيين الواقفين على جميع حركاته وسكناته ، ممن لا يطيق الصبر عنهما ، وترتعد فرائصه من وجودهما بمصر خشية فضيحته وكشف ستاره ، لأنهما أدرى بأحواله من كل إنسان ؛ وعليه فان شاء مولانا الانتقام

كان هذان الشخصان وما نرسله من الأوراق سلاحا ماضيا لسحق الشيخ وإسقاطه .

خامساً — أن نعطى لمولانا كل ما يقع فى المستقبل لدى الشيخ من خير وشر وكذلك المراسلات التى ترد إليه من مصر ، ومراقبة جميع ما يجريه من الأمور ، مع إرسال كتاب عزم الشيخ على طبعه قريباً فى مصر . وكله طعن فاحش فى حق مولانا الخديو . لنفقة أحد مأمورى الدولة الذين لا خلاق لهم وهو بخطه بنـــاء على إيعاز الشيخ وإملائه .

سادساً — قد اعتمدنا على أحدنا محسب افندى ليكون مركز المخابرة لتنفيذ كل ما يرغبه ولى النعم .

سابعاً — إذا أراد مولانا بعد اطلاعه على كل هذه الأشياء خطة السلم ، وهى أقوم الطرق وأحسنها سيما عند المقدرة ، فنحن نرغم الشيخ على إتمام كل ما يرغبه ولى النعم ، ونعمل على قطع لسانه من الاشتغال بهذه الأمور . »

ولما عاد سمو الخديو من الاستانة ، وصلت إليه فى هذا الشأن عريضة مؤرخة فى ١٧ اكتوبر من مجهول وقع عليها باسم مصرى عثمانى صادق وهذا نصها بعد الديباجة :

« لا ألام إذاً إذا جعلت عرائض متصلة بسدتكم العلية تقريراً لبعض الحقائق ، التى توضح مكنون الدقائق المختصة بالشيخ أبى الهدى الذى عد سفر سموكم على هذه الصورة أحسن فرصة ، ولا حديث للشيخ مع زائريه اليوم إلا بانتصاره على سموكم ، ولو كان عاقلا لما نسى اندحاره أمامكم وترامیه على أقدامكم فى مسألة معشوقه شكيب ، فيا أفندينا المعظم لو صارت السماء أرضاً والأرض سماء ، لما تاب هذا الشيخ عن محبة ذلك الغلام ، وهو اليوم أكثر هياماً به وأشد كلفاً فيه من قبل ، وهو يسعى لارجاعه إليه على أيدى سفلة لئام مثل المويلحى وكساب واسماعيل أباظة وابراهيم أدهم ؛ وقبل سفر اسماعيل أباظة من هنا تزود من الشيخ بتعليمات ، فأمروا سموكم بتعكيس أعماله هناك لأنه أعظم خائن بين المصريين لسموكم ؛ ولما كان هنا كانت كل أشغاله مع الشيخ أبى الهدى مثل تقارير ولوائح منافية لارادتكم ومصالحكم ، كما كانت أحاديثه فى حضرة الشيخ وعلى أسماع العوام والخواص سفاهات وقلة حيـاء تجاه ذاتكم المعظمـة . ومن المعلوم لدى أعتابكم وللعموم ، أن حياة هذا الشيخ المعنوية والمادية متوقفة على رجوع غلامه إليه وموته المعنوى والمادى قائم بخروج ذلك الغلام عليه ، ولهـذا فان الشيخ الآن يهيء مشروعاً لأجل أن يسلكه وينفذه ، بعـد أن يقطع ما بقى من أمله برجوع

غلامه على يد المويلحى وكساب وأباظة وأدهم ، وهذا المشروع مقتضاه أن الشيخ يتملق لسموكم ويظهر المصافاة ونسيان الماضى معكم ، ويظهر استعداده لخدمة مصالحكم هنا ، بشرط أن تردوا اليه معشوقه ، ومتى نال أمنيته من سموكم على هذه الصورة قلب لكم ظهر المجن ، وذكركم بما أسأتم به اليه فى معارك السنة الماضية ، وحاشا لمثل سموك أن يشترى مودة الشيخ باغضاب ولى نعمة كريم وسلطان باسل شامخ عظيم ، وفضلا عن أن الشيخ حاقد عليك ومذبوح منك بمسكك لمعشوقه فى العام الفارط فى زيارته الأولى لمصر ، وبغدرك به عند مولانا السلطان الأعظم فى العام الفارط ، وقد قالت الحكماء ليس للحقود أمان ، والأحقاد مخوفة حيث كانت ، وأخوفها وأشدها ما كان فى نفس العشاق . وإن العاقل لا يغتر بسكون الحقد إذا اشتد لغاية ما فى أعماق القلب . فحكمة سموك الآن تقضى بهدم كل ما يبنيه الشيخ لأجل إعادة شكيب بحيث أن سموكم لا يسمح بعودته لها من طريق عرقلة الشيخ ورد مكايده ، لا من طريق إعطاء أهمية لغلام سافل كشكيب لأنه ولد لئيم لا وثوق به ولا اعتماد عليه . . . الخ . »

قضية المطبعة العثمانية . فى ١٧ أبريل وصلتنى بعض الصحف المصرية مع كتاب من المعية وبها تفاصيل عن حادث المطبعة العثمانية ؛ وقد كان لهذه المطبعة حديث من سنة ١٩٠٠ ، إذ كانت تطبع بها مطبوعات ضد السلطان لجماعة تركيا الفتاة ؛ وكان الخديو يسعى للحصول على أوراق سرية سياسية بها تفضح سرهم إرضاء للسلطان ؛ وكانت المطبعة ملكا لشخص يسمى صالح افندى كمال ، وادعى شخص آخر يسمى بحرية لى رضا افندى ملكية جزء منها ، وأقيمت فى ذلك عدة قضايا انتهت بالحكم لبحرية لى رضا بما ادعاه ؛ وكان النائب عنه يوسف عزت باشا رئيس قلم تركى المعية سابقاً . فطلب تنفيذ الحكم وتسليم المطبعة إليه ؛ ولما جاء المحضر للتنفيذ اعترضه رجل فرنسى بحجة أنه خصم ثالث فعاد المحضر دون أن ينفذ الحكم ؛ ولكن يوسف باشا عزت استرضى هذا الفرنسى بالمال بايعاز من المعية ، فرضى بالتنازل عن المشاكسة ولم يبق مانع بعد ذلك من تسليم المطبعة ؛ فلما أحس جماعة تركيا الفتاة بالخطر بعثوا للورد كرومر ببرقية قالوا فيها : « إن فى هذه المطبعة أوراقاً سياسية لو نشرت لكانت سبباً فى القضاء على حياتهم ، وإن المعية تبحث منذ عامين للحصول عليها إرضاء للسلطان ، وإن هذه القضية مدبرة فقط للحصول على هذه الأوراق . » والأوراق المشار إليها عبارة عن سجلات المشتركين فى جماعة تركيا الفتاة ، وبعضهم يقيم فى البلاد التركية وفى

متناول يد السلطان ؛ وفى ١٠ أبريل أمر اللورد كرومر منسفيلد بك قومندان بوليس العاصمة باقتحام المطبعة وكسر الأختام القضائية ، وأخذ الأوراق الموجودة بها ، وفعلا قام القومندان بتنفيذ هذا الأمر . وأخذ السجلات وسلمها الى الوكالة البريطانية وذلك دون أمر قانونى من السلطات المختصة .

وقد أحدث هذا العمل هزة عنيفة فى أنحاء البلاد ولا سيما فى السراى ، نظراً لأنه اعتداء صريح على القانون المصرى . وليس له ما يبرره فى الظاهر ؛ وكتبت الصحف الوطنية فصولا شديدة فى هذا الشأن .

فلما تلقيت هذه الصحف مع كتاب المعية عرضتها على الباشكاتب وطلبت منه تقديم ترجمة أقوال الصحف المصرية للسلطان . وعرضت عليه معلوماتى الخاصة فى هذا الموضوع ؛ ففهمه جلياً ووافق على مخاطبة سفير انجلترا فى هذا الشأن . واقتنع معى بالمصاعب التى تلاقيها المعية فى سبيل تنفيذ رغبات السلطان ، والتضحيات التى تحتملها بسبب مساعدة المحتلين لأعداء المابين .

وبعد ذلك بأيام وصلنى خطاب من محمد بك عزت جاء فيه : « ورد اليوم تلغراف شفره من المابين يطلبون فيه بذل الهمة فى استرداد الأوراق المأخوذة ، من عند كرومر كما تحرر لكم ببريد أمس ، فلم نعلم أى همة تبذل فى هذا الشأن ، يا ترى لم يفهموا كلامنا أم هم متجاهلون فبالله يا أخى أن تفهمهم جيداً بأن يتركوا هذه السفسطة . كيف يمكن لنا أخذ الأوراق من أيدى كرومر لا حول ولا قوة الا بالله . بل نحن نطلب من المابين إجراء ما يلزم سياسياً إن رأوه موافقاً حيث يدعون السيادة على مصر ، فعليك التفهيم بكل ما ذكر وعرض النتيجة . »

وقد اطلعت المابين على كل التفاصيل وكتبت للمعية بما يجب .

وبعد ذلك أرسل الجناب العالى مذكرة للسلطان عن الحادثة وأظهر فيها أنه لا يتقدم لعمل شىء ما لم يتحرك المابين ويعمل عملا صريحاً فى هذه المسألة .

مسألة طاشوز ومعادنها والخلاف بين الخديو والباب العالى . بينما كانت مسألة المطبعة العثمانية معلقة لم تنته الى شىء معين ، إذا بحادثة أخرى تقع فى جزيرة طاشوز ؛ وذلك أن الخديو كان قد اتفق مع مسيو هكسيوس السويسرى على إنشاء معصرة للزيت بالجزيرة المذكورة ؛ وأخذ فى إعداد الآلات اللازمة ، وأمر عباس

باجراء إصلاحات أخرى . وقد رأى مسيو هكسيوس أن يحصل على خطاب من البطريرك ، الى أسقف الجزيرة وقسسها ليسهلوا له مهمته ، وكتب الىّ بذلك فى ٢٢ أبريل .

ومن أهم حاصلات جزيرة طاشوز الزيتون الذى ينبت فى حقولها بكثرة ، ولكن الأهالى يقتنون عدداً كبيراً من الماعز وهى تأكل كثيراً من الشجيرات ؛ ففكر احمد خيرى باشا مدير الأوقاف الخصوصية الخديوية فى طريقة لتقليل عدد الماعز ، حتى يوفر الكثير من أشجار الزيتون لعصر الزيت منها ، فقرر ضريبة عالية على الماعز .

كان ذلك سبباً فى تذمر الأهالى هناك ، فأرسلوا للخديو يلتمسون إلغاء هذه الضريبة ، وخاطبوا مأمور الجزيرة فى ذلك ، وهو تركى اختاره الخديو ، وقبل أن يتم النظر فى مطالبهم ألفوا مظاهرة ، وذهبوا الى المأمورية مركز إدارة الجزيرة ، فوقع تصادم بينهم وبين القوات المحافظة ، وأطلق الرصاص فقتل بعض الأهالى .



احمد خيرى باشا

ولما وصلتنى هذه الأنباء السيئة أمرت أن أبلغها الى مسيو هكسيوس فى جنيف ، فرد علىّ بأنه يأسف لوقوع هذه الحوادث خصوصاً فى هذا الظرف لأن ذلك مما يعرقل المشروع ، وأنه سيذهب الى طاشوز قريباً وسيطلب من الخديو إرسال احمد خيرى باشا اليها للتفاهم مع المأمور فى شئونها .

ولما وصلت هذه الأخبار إلى السلطان ، أمر متصرف قوله بالذهاب إلى الجزيرة ومعه قوة من البوليس ليتولى زمام الأحكام بها ، وينظر فى شكوى الأهالى ، فوصلها فى ١٢ مايو واحتلها عسكرياً ، وصدرت إرادة سلطانية بتأليف محكمة مخصوصة للنظر فى الحادث .

وقد وصل من المعية أن الخديو استاء لهذا العمل ، وخاطب مختار باشا فى الأمر ، وأمر خيرى باشا بالسفر إلى الجزيرة ، ومراقبة الأحوال وكتابة تقرير واف عنها .

ثم كتب لى محمود شكرى باشا رئيس الديوان التركى بأنه ورد من الصدارة العظمى إلى الخديو ، بأنه بناء على قرار مجلس الوكلاء عين المأمورون الملكيون والعسكريون لجزيرة طاشوز ، وأن الغرض الوحيد المقصود بهذا العمل هو احتلال الجزيرة لأن وقوع مثل هذا الحادث البسيط يقتضى كل هذه الاجراءات . فأرسل الباشا برقيتين بناء على أمر الخديو إحداهما للسلطان والأخرى للصدارة ؛ بأنه إذا عين الباب العالى مديراً فان الخديو سيعين مديراً آخر لأن الجزيرة وقف محض ، وأنه فى حالة وجود مديرين فان سموه لن يعترف بالمدير المعين من الاستانة فضلا عن أن الأهالى سينقسمون الى فريقين وتكثر الحوادث والمشاحنات .

وطلب منى تبليغ ذلك للباشكاتب . ثم مخابرة احمد جلال الدين باشا ليبذل جهده فى هذا السبيل . وقد أخبرنى أن خيرى باشا سيحضر للاستانة للعمل معى لاتخاذ ما يلزم لتسوية المشكل .

ثم وردت الىّ رسالة أخرى بالاسراع فى تنفيذ ما تقدم ومقابلة احمد عزت بك العابد والاستفهام عن الأسباب الحقيقية التى دفعت الباب العالى إلى اتخاذ هذه الاجراءات .

وقد نفذت ما كلفت به . وذهبت للصدارة العظمى للمحادثة فى الموضوع فقابلت مستشارها فعرفنى بأنه كتب الى الجناب العالى بكل ما يجب ولم يرد أن يزيد شيئاً على ذلك فطلبت مقابلة الصدر الأعظم فمانع المستشار أولا فى هذا الأمر بحجة أن المسألة انتهت ولا داعى للمقابلة ، فأصررت على طلبى ولكن الصدر اعتذر ، لأن المسألة ليست فى يده وأنه لابد من تنفيذ قرار مجلس الوكلاء ، وقد أرسلت بنتيجة مباحثاتى مفصلة للمعية وزدت على ذلك :

« إن جميع العقلاء بالاستانة مجمعون على أن المسألة لا تنتهى إلا بتدخل يد أجنبية قوية . وأن هذه اليد هى يد انجلترا . » وكنت أعلم مما ورد لى من المعية أن اللورد كرومر عرض استعداده لمساعدة الخديو فى إنهاء المسألة وأن سموه شكره على ذلك قائلا إن المسألة ستنتهى بين المابين والمعية .

وحضر خيرى باشا للاستانة . ولما تحادث مع المابين والصدارة تبين له أن لا فائدة من المحادثات . فكتب بذلك للمعية . وقد كانت حجة الباب العالى الأخيرة أن طواف الأسطول الانجليزى . ووقوفه كثيراً على سواحل طاشوز هو الذى حفزه الى احتلالها بالجنود العثمانية .

وسعى مسيو هكسيوس لدى البطريرك فأرسل الى أسقف الجزيرة ومندوبها رسالتين : إحداهما بدعوة الأهالى الى الهدوء والسكينة والتمسك بالحكم الخديوى ، وطمأنهم بأنه سيصرف لأسر القتلى تعويض عن قتلاهم ، وسينظر فى أمر الضريبة التى يشكون منها . والرسالة الثانية بالتوصية على مسيو هكسيوس ومعاونته فى مشروع المعصرة .

وأخذت المعية تعالج المسألة بطريقة أخرى ، وتحاول إقناع السلطان بسوء العاقبة ، فقدم يوسف باشا طلعت عريضة لجلالته هذه ترجمتها :

« ترتب على الحادث الذى وقع فى جزيرة طاشوز أن أرسل لها قائمقام قوله ليقوم بادارتها مؤقتاً ، وأخيراً جرى تعيين قائمقام آخر ، وهكذا تم ربط إدارة أمور الجزيرة مباشرة بولاية سلانيك .

وغنى عن البيان والايضاح أن واردات هذه الجزيرة أهديت من طرف أجداد مولانا العظام ، الى المرحوم محمد على باشا والى مصر ، لتصرف على العمارات الموجودة فى قوله . وهذا جزاء توفيقه فى قهر الوهابيين الذين توغلوا فى ذاك الحين فى أقطار الحجاز المباركة وهددوا أطرافها ونواحيها ، فمن هذا الوقت أخذت الحكومة المصرية إدارة أمور هذه الجزيرة على عاتقها .

وقد أرسل الخديو الحالى خادمه خيرى باشا ناظر الأوقاف الى الاستانة بصورة خصوصية لحل هذه المسألة وإرجاعها الى حالها السابق . فلما عاد الباشا المشار إليه أبلغ جنابه التعليمات التى تلقاها من الباب العالى وهى عدم الانحراف عن سبيل الطاعة وحفظ الصداقة والعبودية . وأن هذه المسألة التى تلقاها الباب العالى بصورة جدية لا أهمية لها فى الأصل . وأنها قابلة الحل والتسوية اذا وقع استرحام من طرفه العالى بصورة خصوصية لحضرة صاحب الخلافة الأعظم .

أما الآن فقد تغير شكل المسألة وتعين قائمقام بالاصالة للجزيرة المذكورة ؛ وحيث إن هذه المسألة على جانب من الخطورة وستأخذ دوراً سياسياً مهماً فى المستقبل . ربما يشغل حكومته السنية بما لم يخطر على البال . فباسم الاخلاص الذى فطرت عليه قد تجرأت على عرض حقيقة الحال بخصوص هذه المشكلة المنتظر حدوثها قبل فوات الفرصة .

ولما وقعت حادثة طاشوز زار اللورد كرومر الجناب العالى الخديوى وبلغه أن حكومة انجلترا مستعدة لتقديم كافة المساعدات فى هذا الصدد . فرد عليه الجناب العالى

بأن المسألة على وشك الحل مع الذات الشاهانية . وأن خيرى باشا سيقوم الى الاستانة بخصوصها ؛ وبهذه الصورة منع حكومة انجلترا من التدخل الذى تتوق اليه ؛ فلما تبين الآن من تعيين قائمقام أصلى للجزيرة المذكورة ، أن صورة التسوية المرغوبة من جانب الخديوية لا يمكن تحقيقها ، فالمسألة ستخرج من خصوصيتها فيما بعد وستأخذ شكلا سياسيا.

وحيث إن حكومة انجلترا عقدت الصلح مع حكومة الترنسفال ، وهى الآن تملك حريتها التامة لاتخاذ الاجراءات التى توافق سياستها فى كافة الأقطار ، فيجوز أن تتخذ هذه الاختلافات وسيلة للتدخل فى أمور الجزيرة ، وربما تحتلها احتلالا مؤبدا ، ويكون ذلك وبالا عظيما ، فتصبح هذه الجزيرة مركز رقابة انجليزية ضد القلعة السلطانية من جهة وسلانيك من جهة أخرى ، وبهذه الصورة سيقع بين السلطة السنية والحكومة الخديوية سوء تفاهم لا يمكن الآن التكهن بما يترتب عليه من المضار المادية والمعنوية فالأمر والفرمان فى قاطبة الأحوال لصاحب الخلافة الجليلة . »

وبعد ذلك قدم أهالى طاشوز مذكرة للمابين هذه ترجمتها : « بناء على الحادثة التى ظهرت قبل بضعة أيام وانتهت بقتل شخصين وبجرح عدة أشخاص وهى من جملة الحوادث البسيطة العادية التى لا علاقة لها ولا مساس بأساس إدارة البلدة وأمنها ، والتى هول فى شأنها بعض المغرضين ، قد أرسلت لجزيرتنا هيئة عدلية ووكيل قائمقام ، فجزيرتنا الموهوبة من طرف أجداد عظمتكم الأمجاد لمحمد على باشا خديو مصر والتى لها إدارة خاصة دون الجزائر الأخرى ، والمفتخرة بتابعيتها لحضرة صاحب التاج مولانا المعظم ، ما كانت يوما من الأيام مسرحا للأحوال والحركات الدنيئة والمخلة للأمن ، وأهاليها عبيدكم قد ألفوا واعتادوا إدارتها الخصوصية ، وقد اعترفوا بحق أن عدم الانحراف عن دائرة رغبات جلالة مولانا المقدسة ولو قيد شعرة ، هو من لوازم الاخلاص والعبودية والتحدث بالنعمة ، وخصوصاً أن حضرة الخديو الحالى مهتم ومنهمك بتزويد ثروة الجزيرة وإصلاح أحوالها وترقية معارفها ، وتقوية رابطة عبودية أهلها بعتبة جلالة مولانا . وبجلب الأدعية الخيرية لذاته السنية . وحيث إنه محقق مؤكد لدينا أن مدبرى الحادثة المذكورة سيلاقون جزاءهم اللائق ، وأنه لا يبقى مجال لحدوث أحوال غير مرضية مثل ذلك فى المستقبل ، بناء عليه نتقدم نحن أهل الجزيرة راغبين ومسترحمين من أعتاب جلالة مولانا أن يحيينا باعادة الادارة الخصوصية الممنوحة لنا من قبل ويشملنا بعنايته السنية . »

ورغم ذلك كله فان المسألة بقيت فى الوضع الذى وصلت اليه فتحركت مسألة الاستعانة فعلا بالانجليز لتسويتها ، ولكن الخديو رأى أن يؤجل هذا الى ما بعد حضوره للاستانة والكلام فيها بنفسه اجتنابا لتدخل النفوذ الانجليزى .

وفى ١٨ يوليو أذاعت صحف الاستانة أن طاشوز جعلت متصرفية عثمانية . وعين لها موسى كاظم بك . فعزمت على تقديم تقرير للسلطان بهذا الخصوص . ثم عزمت على السفر الى ديفون لاطلاع الخديو على الأمر — وكان قد حضر للاستانة وسافر لديفون لأخذ الحمامات كعادته السنوية — ولما تقابلت مع سموه لبثنا نبحث المسألة عدة أيام . وقد كان من رأى محمود شكرى باشا أن إدارة الجزيرة لا يمكن أن تعود لبد الوقف . وأن الأوراق المختصة بالجزيرة تبيح للسلطان تغيير الوقف وإبطاله . واتفق الرأى على عمل كل وسيلة لاعتراف السلطة التركية بحقوق الخديو وتوضيحها حتى لا تقع مشاكل أخرى فى المستقبل .

وعدت للاستانة يوم ٢٣ أغسطس وهناك قابلت تحسين بك ، وأبلغته رجاء الخديو فى حل مسألة طاشوز حلا يرضى سموه ، وكذلك قدمت له مذكرة أخرى بهذا الخصوص يوم ٢٩ منه ولكنى لم أتلق جواباً عليها .

وفى ٤ سبتمبر زرت سفير فرنسا فدار الحديث حول طاشوز فأبدى السفير أنه يصعب ارجاعها لما كانت عليه .

ولما عاد سموه للاستانة من أوربا فى ٢٥ منه قابل سفير انجلترا وتحادث معه فى الموضوع فأشار عليه بأن يتشدد فى طلب إرجاع الادارة لبد سموه . والاحتفاظ بالوقف رغم أنه يأمل كثيراً فى إرجاع الادارة مع إمكان الاحتفاظ بالوقف .

وفى صباح ٢٧ منه أرسل الخديو عزت بك — وكان قد حضر للاستانة — الى رئيس الكتاب بأن يعرض على السلطان أن لدى سموه مسائل يريد التحدث فيها مع جلالته ، ويرجو تعيين وقت لذلك فجاء الرد بالدعوة الى مأدبة فى الغد . ومما لاحظته على الخديو أنه كان يتظاهر فى مجالسنا بالاستياء من معاملة السلطان له ، ويتحدث فى فساد الادارة التركية بصراحة .

وفى ٢٨ منه أرسل لى رئيس الكتاب ، وهناك حادثنى فى طلب الخديو وعما اذا كانت مسألة طاشوز من الأمور التى يعنيها ، فقلت إنها فى المقدمة فأبدى لى أن الحديث فيها لا يسر السلطان ، فأجبته بأن هذا لابد منه لضرورة تسويتها قبل سفر

سموه ؛ وهنا ناقشنى فى أنه لا حق للوقف فى الادارة فدافعت عن ذلك مؤيداً دفاعى بتاريخ الوقف وأصله من عهد محمد على باشا ، فتركنى وتوجه لعرض المسألة على الخليفة . وبعد عودته أخبرنى أن جلالته منحرف المزاج ولذلك تأخرت المأدبة يوما . ثم كلفنى بابلاغ الخديو ذلك والرجوع لأخذ تعليمات بخصوص طاشوز ؛ فأخبرت الخديو بما داربيننا ، ثم عدت لتحسين بك فدخل للسلطان وظل عنده مدة ساعة ونصف ؛ ثم عاد فأخبرنى بأن جلالته لم يكن يأمل أن ييأس الخديو من حل المسألة مع وجود العلاقات الودية بينهما ثم قال : « وسأخبر الصدر غدا بالأوامر اللازمة ، وهو يرسل للجناب الخديوى خبراً لتعيين مندوب من قبله للمفاوضة . » فقلت له : « لقد سبق مخابرة الصدر مع خيرى باشا وإصراره على ما حدث . » فقال إنه يرجو أن تجدى المفاوضات هذه المرة .

ولما عدت للخديو تقرر أن يكون خيرى باشا وعزت بك مندوبين عن سموه ، وفى أثناء الحديث تكلم حسنى باشا فى المسألة — وربما كان مدفوعاً من المابين — فأبدى للخديو عدم أهميتها ، فغضب سموه وقال له : « كيف تفاتحنى فى موضوع كهذا وأنت برتبة لواء فقط ! » وأضاف على ذلك أن دم محمد على يجرى فى عروقه ، وأنه سيثأر لحقه ما لم يرد له ؛ لا بالقوة والحرب ، ولكن بوسائل أخرى ؛ وأنه لا يهتم مطلقاً بتهديد السلطان ، لأن المسألة المصرية أصبحت دولية . فتأثر حسنى باشا لهذا الرد القاسى .

وفى ٣٠ سبتمبر قابلت سفير انجلترا وتحادثنا فى الموضوع ، فأخبرته بجميع التفصيلات الماضية ، فقال لى : « إن السلطان عادة لايود الحديث فى مثل هذه المسائل ، وأن الأصوب أن يكتب الخديو مذكرة ويسلمها للسلطان عند سفره يحتفظ فيها بحقه » ثم قال لى : « إن حاكم قبرص أرسل بأن الكوليرا منتشرة فى مصر ، وأنه يحسن وجود سمو الخديو وعائلته بعيداً عنها ، فاذا وافق فان دار الحكومة فى قبرص مهيأة لنزوله . » ولما أخبرت سموه بذلك قال : « عجباً ؛ إن الانجليز يسعون كثيراً فى توجيهى لقبرص . »

وفى ٤ اكتوبر عرضت على الخديو برنامجاً للعمل فى مسألة طاشوز ، وهو أن عزت بك يتقابل مع رئيس الكتاب لأخذ جواب قطعى ، فان كان مرضياً فبها وإلا يقول لتحسين بك إنه مأمور بعدم التكلم فيها ، ثم لا نرسل أحداً بعد ذلك للصدر ، ونوهم أننا سنتبع طريقة أخرى ؛ ثم نطلب السفر ونكتب ثلاثة خطابات الأول مختصر للسلطان والثانى لرئيس الكتاب والثالث للصدر ، نحتفظ فيها بحقوقنا

وبعد سفر الجناب العالى ، نسلم يالى جبوقلى للمابين فيتحقق للسلطان غضب سموه ، وقد قبل الخديو هذا البرنامج .

وفى ٦ اكتوبر توجه عزت بك وقابل تحسين بك فقال له إن الأوامر لم تصدر من السلطان وعندئذ أخبره بما اتفقنا عليه فقال له أن انتظروا كتابة من الصدر أو تصدر أوامر باستدعائك أو استدعاء شفيق بك . وبعد رجوعه صدر له الأمر بكتابة الخطابات الثلاثة المشار اليها، ففعل .

وفى ٨ اكتوبر أرسل سموه حسنى باشا للاستئذان بالسفر وهو مصرّ على رفض الدعوة لو وجهت إليه من السلطان ولم يقبل نصيحتنا بالمسالمة فى القبول . وقد قابل سموه سفيرى انجلترا والروسيا فشجعاه على مفاتحة السلطان بالأمر ولو غضب .

وفى ١٠ منه وردت الأوامر لحسنى باشا بخصوص مسألة السفر ، وخلاصتها أن السلطان يرغب فى بقاء الخديو أسبوعا آخر ؛ وأما مسألة طاشوز فان سموه مخطىء فيها لأنها من أملاك الدولة . فكلفه سموه بالذهاب للسراى والاخبار بأنه لابد أن يسافر لورود برقيات من مصر بالاستعجال لمناسبة قرب افتتاح خزان أسوان ، وأن مسألة طاشوز إذا أراد السلطان حلها فسموه مستعد لترك مندوبين عنه للمفاوضة فجاء الرد من السلطان بأنه اذا كان لا بد من السفر فليحضر الخديو غدا للوداع .

وفى الغد حضرنا مأدبة فى السراى ، ولكن الخديو لم يأكل شيئاً وبعد مقابلته للسلطان علمنا أن جلالته أظهر نحوه عواطف كثيرة لترضية خاطره وعلمت من سموه أنه يوجد فى حجرة الخليفة كلب من نوع « فورستر » وقد قال له السلطان إنه يحبه جداً ولا يفارقه وينام معه فى غرفته ويطعمه بيده . وقد سأل سموه بمناسبة استعجاله للسفر الى مصر للافتتاح خزان اسوان عن أعمال هذا الخزان ، وسأله عما إذا كان قد أعطى امتيازاً للانجليز باقامته ، لأن جلالته استكثر على الخزانة المصرية مبلغ خمسة ملايين من الجنيهات لبنائه فأخبره بأن الحكومة المصرية عقدت اتفاقا مع المتعهد الانجليزى بنصف المبلغ الذى فرضته الحكومة كضريبة على الأراضى التى تنتفع بهذا الخزان .

مسألة معادن طاشوز : وقفت مسألة الادارة فى الجزيرة عند هذا الحد ، وقد جددت بهذه المناسبة المناقشة فى موضوع معادنها وأحقية الخديو لها ؛ وكانت قد بذلت بعض المساعى فى هذا الخصوص فى العام الماضى .

ففى ٢٩ يونيه — لما كان عباس فى الاستانة — قابله مكسيموف ، وفاتحه فى مسألة معادن طاشوز ، فقال إن السفير لا يتأخر عن المساعدة فى هذا الموضوع . ولما لاحظ الخديو أن مصالح روسيا الكثيرة فى تركيا قد تحول دون هذه المساعدة ، أكد لسموه ما عرضه من المعونة ؛ وبهذه المناسبة رجا مكسيموف عباسا فى اعطاء مسيو البير روويه — الذى توجه لمصر فى العام الماضى مبلغ ثلاثة آلاف فرنك كمكافأة ؛ فوعد سموه بذلك .

وفى اليوم التالى قابل سموه سفير الروسيا وتحدث معه بشأن طاشوز فوعد بمعونة دولته .

ضم المعادن لخزانة الخاصة السلطانية : ولكن حدث فى ١١ يوليو أن أبلغنى رشيد بك نقلا عن أحمد جلال الدين باشا ، أن الارادة صدرت بضم معادن طاشوز للخزينة الخاصة ؛ وقد أكد لى هذا الخبر الدكتور زمباكو باشا . وهو من الرجال المتصلين بالسراى ، والمطلعين على أسرارها — وقد كنت مدعواً للغداء عنده ؛ فنقلت للخديو ما وصل لعلمى عندما قابلت سموه فى ديفون لسفرى لها كما سبق .

وفى يوم ١٤ منه زرت أحمد جلال الدين باشا ، فأكد لى صدور الارادة فيما يختص باضافة معادن طاشوز للخزينة السلطانية ، فطلبت منه معرفة نصها وتاريخها ، وقد أكد لى أن السلطان لا يريد خيراً للخديو وأن الوسائل الودية لا تجدى لحل هذه المشكلة ولا بد من اتخاذ وسائل أخرى .

وبعد رجوعى من ديفون تقابلت فى أوائل سبتمبر مع سفير فرنسا وحدثنى عن هذه المسألة ، فقلت له : « أن بأيدينا وثائق تثبت ملكيتنا لها سنظهرها عند الحاجة . »

وفى ٢٥ منه قابل الخديو سفير انجلترا فى السفارة وتحادث معه فى مسألة المعادن ، فأبدى السفير أنه يمكن الاحتفاظ بالمعادن ؛ وقد كرر سموه له ماقاله لسفير فرنسا .

مسألة القبوكتخدا . وردت لى رسالة من مصر فى ١٢ مايو يكلفنى الخديو فيها بأن استلم أعمال القبوكتخدائية مؤقتاً لوفاة عزيز بك الذى كان يشغلها حتى يعين أحد فى هذا المنصب وكان الخديو يرى بعد حادث طاشوز وجوب إسناده لرجل يعتمد عليه فى المشاكل ، ويعين من قبله ؛ ولكن السلطان أجاب بأن التقاليد جرت أن المابين يختار هذا الشخص ، والخديو يوافق على تعيينه ؛ فرأى سموه ترك المسألة لحين حضوره . ثم وصلنى خطاب مؤرخ ٢٩ يونيو من الشيخ محمد عبده يقول فيه : « اليوم

أعطيت القوس باريها ويروض الفرس فارسه فأهنئك بوظيفتك الجديدة وأهنئها بك وأرجو أن تكون فيها النافع لملتك الخادم لولى نعمتك . » ؛ وبقيت أعمل فى هذا المنصب حتى ٤ سبتمبر حيث جاءتنى رسالة من الشيخ محمد عبده يقول فيها : « علمت أن الحكومة عندنا دخلت فى أمر تعين الكتخدا وما كنت أعلم ذلك من قبل ولكن علمت أن الاتفاق وقع على تعيين محمود شكرى باشا وعرض ذلك بالفعل على الاستانة ولم يرد جواب لا بالموافقة ولا بالمخالفة ، وربما نجح سعى لك إن حصل توقف من هناك . »

والحقيقة أنه كانت هناك فكرة لتعيينى فى هذا المنصب ولكن بعض النظار عرضوا على الخديو تعيين محمود شكرى باشا . وتم الاتفاق على تعيينه .

وفى ١١ اكتوبر — عندما كان الخديو بالاستانة بعد رجوعه من أوربا — كان سموه مدعواً بالسراى وعند خروجه ذكره عزت بك بمسألة القبوكتخدا فقال سموه لابراهيم بك التشريفاتى : « إنى سآخذ شفيقاً معى ولذا فان مكان القبوكتخدا سيبقى خالياً ، وما أردت أن أعرض ذلك على السلطان حتى لا يتأثر فأرجوك عرضها عليه . » فدخل ثم عاد فقال لنا : « إن السلطان سيتحدث فى الموضوع مع الصدر ، وإنما يطلب ابقاء شفيق بك مؤقتاً لمباشرة الأعمال . » فقال له الخديو : « سأفكر . » وهنا نظر لى المشير شاكر باشا بابتسام وقال : « ستبقى عندنا . »

وعدنا الى جبوقلى فتحادثنا فى الموضوع ، وكان رأى عزت بك أن إحالة المسألة على الصدر تفيد المراوغة ، وأنه يجب انتهاز فرصة طلب السلطان لابقاء شفيق لنطلب تعيينه قبوكتخدا ، والا فلا ضرورة لبقائه فوافق سموه على ذلك وقال أمام خيرى باشا وعزت بك : « يا شفيق أنا لم أفاتحك فى المسألة الى الآن لأنها وظيفة ظهورات لا تنفعك كثيراً ، ومن جهة أخرى فان محمود شكرى باشا قال لى إنه يقبلها ولكنه لمح الى كثرة أعمالها ، وأن صحته ربما لا تساعده على تحمل برد الاستانة فى الشتاء ، إنما أنت صحتك تساعدك وأنا أريد وجودك هنا لولا ما قلته لك من أنها وظيفة غير ثابتة . »

فأجبته : « يا مولاى إنى عاجز عن شكر أفندينا على عنايته ورعايته فان كان لك ثقة لى وتعهد فىّ الكفاءة فأنا لا أتأخر عن قبول أى عمل . » فقال لى سموه : « إذا لم أكن أعهد فيك ذلك فهل كنت أبقيك هنا طول هذه المدة . » فتأثرت لهذا الثناء وشكرت سموه عليه .

ثم ذهب سموه للرياضة وذهبت مع عزت بك الى يلدز لمقابلة رئيس الكتاب

فلما خاطبنا فى الموضوع فهمنا أن الغرض من إبقائى هو متابعة مسألة طاشوز وتلقى الأوامر ، فأظهرنا له أن فى بقائى مسئولية لأن الحكومة المصرية سألت عن مهمتى فى الاستانة فقيل لها إنه فى معية الوالدة وما دامت الوالدة قد رجعت فقد سقطت هذه الحجة ؛ فقال تحسين بك : « إن هذه رغبة السلطان فاما أن تجيبوا بالقبول أو عدمه . » ثم قال هو وابراهيم بك التشريفاتى : « وبقاؤك ننتظر منه خيراً !! »

وبعد ذلك كتب عزت بك خطاباً بأمر الخديو : « بأنه نظراً لوجود أعمال عند شفيق بك فى مصر فانه سيسافر مع سموه وفيما بعد إذا أمر السلطان برجوعه للاستانة لتلقى أوامر فانه يعود . » وبذلك انتهى الكلام .

وفى ٢٢ نوفمبر وردت برقية من الصدر الأعظم يلفت فيها نظر الخديو الى خلو منصب القبوكتخدا ، وإلى أن الأصول المرعية تقضى بملئه وقد جرت التقاليد بأن يكون اختيار من يتولى هذا المنصب عن طريق الاستانة ، ولكن اذا أريد تعيين شفيق بك فلا مانع .

ولما عرض على الخديو صدر النطق بكتابة الرد بأن سموه كتب فى الماضى إلى المابين بتعيين محمود شكرى باشا (*) .

اعانة الوالدة للجمعية الخيرية الاسلامية . ورد لى خطاب من الشيخ محمد عبده رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية يقول فيه : « كنا نود أن نراكم مساعدين لنا فى خدمة فقراء الجمعية الخيرية الاسلامية حسبما تعودنا فى السنين الماضية ، ولكن لعلكم تخدمون الاسلام والمسلمين بمساعيكم حيثما تكونون . أرجو تذكرة دولة الوالدة حفظها الله وتعرض على كرمها المعهود ما عودت الجمعية من المساعدة وهو مبلغ خمسة آلاف قرش ، وكنا نود أن تزيد بهجة الاحتفال بتشريفها حسب العادة لكن قضت المقادير بحرمان مصر منها هذه السنة ، ونسأل الله ألا يطيل غيبة دولتها عن مصر وأهلها وأن يجعل مدد الخير متصلا بينها وبين الفقراء المحسوبين على كرم دولتها . »

فلما عرضت الأمر على دولتها أمرت بأن أكتب للدائرة بمصر بدفع مائتى جنيه إعانة للجمعية . وبعد ذلك وصلنى من الشيخ محمد عبده خطاب مؤرخ ٢٩ يونيو يقول فيه : « جاءنى أمس مأمور من قبل دائرة دولة الوالدة ودفع الىّ مائتى جنيه مصرى مساعدة

(*) ولم يتم هذا التعيين فاختار الخديو يوسف صديق بك للقيام بأعمال القبوكتخدائية كما سيأتي بعد .

لمن نكبوا بالحريق فى ميت غمر وغيرها ، فتناولت المبلغ وأنا عاجز عن تناول قلم يفى بشكر دولتها لما تجود به على الفقراء فى كل فرصة يدعو الداعى لبرهم والاحسان اليهم . »

رحلة الخديو الى الاستانة وأوربا . نظراً للمشاكل المتقدم ذكرها وما أحدثته من جفاء بين المعية والمابين ، رأى الخديو أن يكون حضوره الى الاستانة بلا مظاهر ولا مخابرات مع المابين فى نظام الاستقبال كما هى العادة المتبعة ، فجاءنى فى ٢٢ يونيو خطاب من محمود شكرى باشا بألا أتحدث مع أحد فى هذا الشأن ، وقبل حضور الخديو بليلة واحدة أذهب فقط لأخطرهم بحضور سموه وتلقى الأوامر .

وفى ٢٦ منه طلبنى تحسين بك وسألنى عن موعد حضور الخديو فأخبرته بأنه سيكون فى مساء ٢٧ يونيو ، وتقف المحروسة أمام مقرى كوى حتى الصباح .

وبعد أن تلقيت تعليمات بشأن الاستقبال انصرفت وفى صباح ٢٨ منه ركبت زورقاً مع احمد خيرى باشا ، وقابلنا سموه فى مقرى كوى وعرضت عليه برنامج الاستقبال .

وصول الخديو واستقباله : وقامت المحروسة فى الساعة الثامنة من مقرى كوى ولما دخلت الميناء أدت البحارة المصرية السلام كالمعتاد أمام ضولمة بغجة وحضر للسلام المشير شاكر باشا ومعه حسنى باشا الذى عين مأموراً للوفادة « مهمندارا » مع الصاغ واصف بك ، وبعد ذلك نزلنا فى زورق « رهبر » الذى خصص بأمر وزير البحرية لخدمة الخديو ، إلى رصيف « جامع والده سلطان » وكانت العربات الشاهانية فى الانتظار فركب سموه مع المشير ، وحسنى باشا مع احمد زكى باشا ، وخيرى باشا ومحمد عزت بك معى ، وتوجهنا إلى « كشك شاليه » وبعد ذلك دعينا للغداء ، وكان معنا الحاج على بك وابراهيم بك التشريفاتى ، ثم تقابل الخديو مع السلطان ومكث معه نحو نصف الساعة ، وبعدها خرجنا إلى بيك للسلام على الوالدة ، ومنها إلى يالى جبوقلى الذى أعد لنزول سموه .

وفى ٣٠ يونيو دعى الخديو وأفراد المعية للعشاء بالسراى فذهبنا وبعد انتهاء الطعام دعينا لمشاهدة التمثيل بالتياترو الخصوصى وبعد الخروج علمنا أن محادثة السلطان مع عباس كانت تدور حول الملاهى والنساء وأنه فى زمن السلطان عبد العزيز كان السلطان والوزراء يأخذون منها بأوفر قسط . أما الآن فالسلطان معتدل فى هذه الناحية وكذلك أغلب الوكلاء .

بين عبد الحميد وعباس . وفى ٧ يوليو دعى الخديو والحاشية إلى مأدبة فى يلدز فذهبنا بالعربات ، وقد وجدت على الباب خادم رئيس الكتاب يطلب منى مقابلة سيده أولا ، فتوجهت اليه فأمر أن أبلغ الخديو ما يأتى :

١ — أن مراد بك الذى كان فى مصر رئيساً لحزب تركيا الفتاة ورشيد بك العضو فى شورى الدولة — وكان فى مصر أيضاً — قد توجها لمقابلة الخديو فى جبوقلى وأنه وإن كان السلطان قد عفا عنهما ، ولكن من غير المرغوب فيه أن يقابلا جنابه . وقد أكدت له أن مراد بك لم يحضر وأما رشيد بك فأنه حضر ثلاث مرات فى السنة الماضية بأمر من عطوفته .

٢ — كما أن الخديو قد أبدى صداقته وإخلاصه للسلطان فى مصر فكذلك يبديه عند ذهابه لأوربا فلايقابل اسماعيل بك كمال وزملاءه أعضاء تركيا الفتاة ولا يساعدهم لأن حالتهم المالية أصبحت سيئة .

وبهذه المناسبة أذكر أن اسماعيل كمال بك ألبانى الأصل ومن كبار المفكرين من رجال الدولة والناقمين على استبداد عبد الحميد وكان يخشى انتقامه منه ففر إلى أوربا ليجتمع ببعض أقرانه لتدبير طريقة لقلب الحكومة وعلم الخليفة بفراره وبما يقوم به هناك .

٣ — يرغب السلطان فى تأخير عقد المؤتمر الطبى المزمع انعقاده فى مصر .

٤ — أن يعرض سموه على جلالة السلطان كل رغباته .

وبعد أخذ هذه التعليمات توجهت إلى داخل السراى فوجدت الخديو على المائدة وبناء على تشدده فى أن يطلع على الأوامر أخبرته بها ، فانفعل وقال بصوت مسموع : إنه لايتنازل بالسلام على مراد بك لو رآه فى الطريق ، لأنه يعده من الأوباش ، وكذلك فهو لا يتقدم لمساعدة اسماعيل بك وزملائه من تلقاء نفسه ، ثم أبدى استياءه من أنه يخلص للسلطان ، ولكنه حينما يوجه اليه خطاباً لا يرد عليه . مشيراً بذلك إلى مخابراته فى مسألة طاشوز .

وبعد تناول العشاء ، تقابل الخديو مع السلطان فمكث نحو ثلث الساعة ثم خرج وبيده حلقة لربط رباط الرقبة بها لؤلؤة ثمينة أرسلت للخليفة من طرابلس فأهداها

للخديو ووضعها فى الحلقة . ثم تحادث معى سموه فى الرد على المسائل الأربع قبيل سفره إلى ديفون فاتفقنا على أن يكون كما يأتى :

١ — أن الخديو لم يقابل مراد بك ولا يمكن أن يقابله .

٢ — أن سموه لم يساعد اسماعيل بك كمال وزملاءه وليس هناك مايدعوه لمساعدتهم .

٣ — أنه سيجتهد فى تأخير عقد المؤتمر الطبى .

٤ — أنه لا يطلب شيئاً من الخليفة إلا الانصاف فى مسألة طاشوز برجوعها لما كانت عليه .

وقد سافر سموه فى نفس اليوم فذهبت للباشكاتب ومعى عزت بك فحدثته بما قرره الخديو ، فاتفق معى على كتابة مذكرة بهذه المسائل لعرضها على السلطان من قبلى ووعد بأن يصلح ماعساه يكون فيها من العبارات التى قد تغضب السلطان ، ولما عدنا لجبوقلى باحثت خيرى باشا فى الموضوع واتفقنا على كتابة أربع مذكرات كل منها خاص بأحد الموضوعات السابقة . وذهبت بمسوداتها فى صباح اليوم التالى لتحسين بك فغير فيها بعض ألفاظ ، وردها لى لتهيئتها فكتبتها وسلمتها إليه يوم ٩ يوليو لعرضها .

وفى ١٣ منه قابلت تحسين بك فابلغنى أن السلطان علم بأن بعض العساكر المصرية ، تعمل فى جبل جبوقلى لاصلاح مجرى الماء المتخرب ، وأن جلالته لا يستحسن ذلك ثم قال: «إن جلالته اطلع على ما كتبته وأظهر رضاءه فيما يختص بمراد بك واسماعيل بك كمال ولكن لما وصل لمسألة طاشوز قال : « كيف ذلك وقد بلغنى أن الخديو راجع الحكومة الانجليزية فى هذا الخصوص؟ » فأكدت له أن سموه لم يراجع فى ذلك أحداً ، وأنى أخشى أن تتكدر العلائق إذا لم تنته هذه المسألة ، لأن أعداء الوفاق يقولون عندئذ للجناب العالى : « هذه نتيجة الاخلاص للسلطان ! »

سفرى الى ديفون . وفى ٢١ يوليو أرسلت إلىّ دولة الوالدة وسألتنى عن مسألة السفر ، فأجبتها بالسبب فأبدت لى مخاوفها من أن التشدد مع السلطان ربما أدى إلى سقوط الخديوية المصرية ، ونفى أفراد الأسرة إلى سيلان كعرابى وأتباعه ، ولكنى أفهمت دولتها أنه لابد لى من النصح باخلاص للجناب العالى كما يقتضى واجبى ، فطلبت منى أن أحذر سموه سوء العاقبة .

ثم دارت مخابرات بينى وبين دومرتيزو باشا فى ديفون وبينى وبين تحسين بك

بخصوص إصلاح مجرى المياه فى جبوقلى بواسطة البلدية ، فوعدنى بأن الأعمال ستجرى بواسطتها .

وقد بقيت فى الاستانة إلى يوم ٨ أغسطس ، ثم سافرت إلى ديفون بعد مقابلة تحسين بك وقد أبلغ إلىّ التعليمات الآتية :

أولا : أن السلطان يهدى سلامه للخديو .

ثانياً : أنه بلغ جلالته أن شكيباً تابع أبى الهدى هرب من الاستانة إلى مصر ، بايعاز من مصطفى كامل بك صاحب اللواء ، وعند وصوله إليها أرسل برقية للجناب العالى يطلب مقابلته فصرح له وسافر إلى ديفون ، فيجب الاستفهام من سموه عن ذلك .

ثالثاً : أن صحف « المفسدين » كانت قد سكتت ، ثم عادت الآن إلى الظهور فيطلب السلطان عناية الخديو بهذا الأمر ومنع ظهور هذه الصحف .

رابعاً : بلغ جلالته ممن لهم علاقة بمصر أن الخديو ينوى جعل الأوقاف تحت يده وهو ضد المتبع الآن .

فوعدت رئيس الكتاب أن أرسل له برقية بمسألة شكيب بواسطة قنصل الدولة فى جنيف . أما عن الأوقاف فقد أوضحت له أنها تنقسم قسمين : أوقافاً عمومية وهى تحت إدارة عبد الحليم عاصم باشا وتابعة للحكومة ولو طلب الخديو أخذها لمنعته . وأوقافاً خصوصية أى عائلية مثل أوقاف أجداده وهى تحت إدارة أحمد خيرى باشا ونظر سموه .

ثم سألنى عما إذا كان لمحمود مختار باشا نجل الغازى نصيب فى هذه الأوقاف الأخيرة فقلت : « نعم إن لحرمه نصيباً فيها » ، وعلمت من ذلك أنه يريد تعريفى بلباقة بأن الواشى هو محمود مختار باشا .

وقد قال لى عطوفته : « عليك يا شفيق أن تصلح الأمور حتى لا يذهب تعبنا سدى » . ثم أفضى إلىّ بأن علاقته بى قد أثارت حسد بعض رجال السراى ، وأن الواجب الاتصال بالحاج على بك فى بعض الأحيان منعاً لذلك . وأظهر لى أن العلاقات بين السلطان والخديو لم تفسد نهائياً حتى اليوم .

وصلت إلى ديفون فى ١٢ منه وعرضت على سموه كل الحوادث التى وقعت فى الاستانة وقد حضر شكيب إلى مصر حقيقة فلم يسمح له الخديو بالمقابلة ، وكان

منشاوى باشا قد جاء لتحية الخديو قبل سفره للاستانة وأبى أن يستصحب شكيبا إليها كرغبة الخديو ، ونصح للخديو بألا يقرب إليه هؤلاء المشكوك فى أخلاقهم ، فأعجبت بشهامته ووافقت على آرائه . وقد طلبت من القنصل إرسال برقية رمزية بأن شكيبا حضر من تلقاء نفسه ، فطرده الخديو وأبى مقابلته .

عودتى للاستانة ودعوة سفير فرنسا إلى المحروسة : ثم عدت إلى الاستانة فوصلتها يوم ٢٣ منه .

وفى ٧ سبتمبر دعوت سفير فرنسا وقرينته لزيارة المحروسة وأخبرت بذلك حرم الخديو وبعثت لسموه برقية بذلك . وقد حضر فى اليوم المعين مستصحباً قائد المدرعة الفرنسية وثلاثة ضباط بحريين ، وقد أدت بحارة المحروسة التحية العسكرية ثم طفت بهم اليخت وعزفت الموسيقى السلام الشاهانى ثم المارسيليز فالسلام الخديوى ثم تناولوا بعض الحلوى والبسكويت . وعنـــد الانصراف حيته العساكر بالسلام وقد سر الجميع بهذه الزيارة .

السلطان وعلاج الكوليرا : وفى ١٢ سبتمبر دعانى تحسين بك وسلمنى ورقة قال لى إن جلالة السلطان أمره بتسليمها لى وفيها وصف لعلاج استعمل ضد الكوليرا فى الاستانة ، وجلالته يرغب فى تجربته بمصر وإخطاره بالنتيجة ، فبعثت بهذه الورقة إلى حسن باشا عاصم لاجراء ما يلزم .

عود الخديو إلى الاستانة : وفى ١٨ منه جاءتنى برقية بأن الخديو سيكون فى الاستانة يوم ٢٠ سبتمبر فتوجهت للمابين وأخبرت رئيس الكتاب بذلك ؛ وبعد العرض على السلطان صدر الأمر بأن يكون الاستقبال كالسابق . وأخبرت سفير انجلترا بموعد الحضور حيث كان قد رغب فى معرفة اليوم المحدد .

وفى الميعاد حضر سموه وكان ضمن المستقبلين ترجمان ثانى سفارة انجلترا ، وبعد الاستقبال العادى فى المحطة ذهبنا إلى يلدز ثم إلى بيك لزيارة الوالدة ثم لجبوقلى .

الخديو وأمير البلغار : وكان أمير البلغار قد حضر لمقابلة عباس أثناء مروره بالقطار بأرض البلغار ورجاه تقبيل أعتاب السلطان ، فأخبر سموه جلالته بذلك فصرح له بالرد عليه بشكره — وإن كان قد تكدر لهذه المقابلة — ولما كتبنا الرد ذهبت لعرضه على المابين قبل إرساله للأمير ، فقابلنى رئيس التشريفات واستحسن الرد ، ولكنه

لم يشأ عرضه على السلطان خوفا من أن يوشى فى حقه بأن له علاقات خاصة مع الخديو . وقال لى إن رؤساء السراى يتفادون مقابلة رجال المعية ، خوفاً من التقارير التى يرفعها الجواسيس للسلطان نظراً لحقدهم على الخديو الحاضر ، لأنه لا يعطيهم من الأموال ما ألفوا أخذه من الخديوين السابقين !

تذمر عباس من تصرفات عبد الحميد : وفى ٢٣ منه كنت مع الخديو ومعنا حسنى باشا المرافق لجنابه ، فقال له وهو محتد ، إنه سئم سماع السلطان للوشايات فى حقه مع إخلاصه لجلالته ، وأنه حضر للاستانة فقط لتسوية مسألة القبوكتخدا ومسألة طاشوز وكفاه مشاهدة للتياترو فى سراى يلدز .

حفلة أول رجب فى يلدز : وفى أول اكتوبر دعيت للمابين ، وهناك أخبرنى الباشكاتب بأن السلطان يدعوسموه إلى حضور حفلة دينية بالسراى لمناسبة أول رجب، إن لم يكن هناك ما يمنعه فيعتذر . ولما أخبرت سموه بذلك كان ينوى الرفض ، ولكن الشيخ على يوسف ، وكان قد حضر من مصر، أشار بالقبول نظراً إلى أن الحفلة دينية ورفضها غير مستحسن ، فقبل سموه الدعوة وذهبت معه أنا وزكى باشا وعزت بك . وقد علمنا أن السلطان أثناء الحفلة تحادث مع سموه فى فضائلها ، وفى أن قراءة البخارى قد أزالت الكوليرا فى العام الماضى ، ولذا يرغب فى قراءته بمصر فقال سموه : « إن هناك علماء دينيين يختصون بهذا الأمر !» ومن التقاليد المتبعة فى هذا الاحتفال أن يجلس المدعوون والسلطان كذلك على طرح مفروشة فوق الأرض ، على ركبهم لسماع قراءة البخارى وتفسيره مقدار نصف ساعة .

عود الخديو إلى مصر : وفى ١٢ أكتوبر تجهزت المحروسة للسفر ، وحضر للوداع شاكر باشا والقزلر أغاسى ، ولم يحسن الخديو بشىء حسب العادة على أحد من المشيعين؛ فوصلنا إلى مصر فى ١٤ أكتوبر .

مسألة طاشوز ترفع عباسا للتقرب من الانجليز . نظراً لما لقيه الخديو فى الاستانة من التسويف والمراوغة فى تحقيق رغائبه ، رأى من السياسة أن يستميل إليه الانجليز وأن يحسن علاقته بهم ، فلما عاد إلى مصر قابل فى ١٦ أكتوبر المستر جورست المستشار المالى وأطلعه على تفاصيل مسألة طاشوز ، ونصائح السفير الانجليزى، بصفة شخصية، لسموه فى الموضوع .

وفى ٢٠ منه حضر اللورد كرومر للاسكندرية لزيارة الخديو ، فأظهر له سموه رضاءه عن سفير الدولة الانجليزية فى الاستانة ، وعزم سموه على زيارة لندره فى الصيف القادم ، وقال كرومر إن جلالة الملك يرغب زيارة مصر فأجاب الخديو بأنه يتمنى تحقيق هذه الرغبة ، لأن مصر تكسب كثيراً بهذه الزيارة . ثم أشار إلى مسألة طاشوز وعزم سموه على عرضها على الحكومة المصرية ؛ وأنها ستطلب مساعدة اللورد فى المسالة . ثم أظهر سروره بدعوة الدوق أوف كنوت لحفلة افتتاح خزان أسوان ، ورجا اللورد عباسا فى العمل على استكمال أسباب الراحة لسموه وقد خرج كرومر مغتبطاً بهذا الحديث .

وفى ٢١ منه زرت الشيخ محمد عبده وتحادثنا فى الأحوال العامة ، وفى مسلك الخديو مع المحتلين ، فعلمت منه أن الوفاق كان تاماً بينه وبينهم حتى وقعت حادثة ليون فهمى ، وأن الخديو أراد أن يستغل هذا الوفاق ليتدخل شخصياً فى الأعمال ويستبد برأيه فيها . ولكن الانجليز لم يشاءوا أن يمثل سموه حكومة خاصة داخل حكومة عامة . ثم قال : « ويمكن رجوع هذا الوفاق إذا ترك الخديو الاشتغال بالمسائل الصغيرة مع أناس جهلاء مثل على شاهين وسعيد الشيمى وحسين زكى وأحمد العريس ممن لهم اتصال بسموه ، وكذلك إذا طرح مسألة جماعة تركيا الفتاة ، واشتغل بمسائل عامة نافعة كتعميم التعليم وإصلاح المحاكم الشرعية وغيرها » فقلت للشيخ « إننى أوافق على آرائه هذه وسأسعى جهد طاقتى لتنفيذها ، فوعد بمساعدتى فى ذلك عند الحكومة والانجليز ، ونصح لى ألا يكون كلامى مع الخديو بشكل نصيحة له . وكنت أعلم أن سموه كان يستثقل كلمة « النصيحة » التى يتفوه بها بعض رجال حاشيته .

وفى ٢٦ أكتوبر حضر ونجت باشا إلى سراى رأس التين لزيارة الخديو وفى أثناء الحديث أطلعه سموه على مسألة طاشوز ، وأنه ربما يحتاج لمعونة اللورد كرومر فيها فأجابه ونجت بأن اللورد على استعداد لذلك ، وأن المسألة تنتهى بمجرد إرسال سفينة حربية انجليزية لهذه الجزيرة ، فقال له الخديو : « ولكنى أخشى أن تشجعونى أولا ثم تتخلوا عنى » فقال : « إن ذلك لا يكون » فقال سموه : « سأنتظر الشتاء وأرى ماذا يحصل من الدولة العلية ، فان لم تنصفنى طلبت تدخل الانجليز فى الصيف المقبل . » ثم أثنى على اللورد كرومر وأظهر ميله إلى العمل معه فى وفاق تام ، وأن ما حصل فى مسألة ليون فهمى لا يؤثر فى هذا الوفاق ، وإن كان سموه مستاء من

تصرف مستر شايمان وسؤاله سموه وعزمه على تفتيش المحروسة ، لأن هذا العمل كان وقاحة كبرى لا ينساها مدى الحياة ، وأنه لا يعارض الانجليز ولا أعمالهم ، ولكنه يعارض مثل هذه التصرفات الشاذة .

وفى ٢٩ اكتوبر كنت أتحدث مع خيرى باشا فيما دار من الحديث بين الخديو وكرومر وونجت وجورست فاستحسنت هذه الخطة لأنها تسهل للخديو الاحتفاظ بحقوقه ، وتمنع الاصطدام بينه وبين الانجليز على غير جدوى . فقال خيرى باشا : « إن الانجليز مستعدون لتعضيد مركز الخديو إذا اتفق معهم ، وأنا أعلم أن سموه كان قد شكا لمستر بالمر اثنين من النظار فقال بالمر : إنى سمعت اللورد كرومر يقول : لو سار الخديو معنا ووافقنا فى الأمور فانه مأذون من حكومته أن ينفذ لسموه كل ما يريد ، فيعزل من شاء من النظار وكبار الحكام حتى بدون أخذ رأى اللورد . »

وفى ٣١ منه حضر دومرتينو باشا من أوربا ، ولما قابلته أخبرته بأحاديث الخديو فوافق عليها وسر لهذه الخطة الجديدة .

وفى ٣ نوفمبر حضر مختار باشا من الاستانة وقابل الخديو فى رأس التين فأظهر له سموه تأثره من تصرفات الدولة فى مسألة طاشوز ومابدا من الفتور فى الاستقبالات فأعرب مختار باشا عن أسفه لذلك وبهذه المناسبة ذكر أن الخديو رغب فى منع الحج فى هذا العام مراعاة لرغبة الانجليز ، وقد بلغنى أن سموه عاتبهم على توسيط آخرين بينهم و بينه وأنه على استعداد لاجابة رغباتهم إذا خوطب فيها مباشرة . وكان عباس كثير الاستشارة لجورست يوقفه على نياته وأعماله .

بين عباس و الشيخ محمد عبده . كانت العلاقات بين الخديو والشيخ محمد عبده إلى ذلك الحين على أحسن حال ولكن حدث فى يوم ٨ نوفمبر أن قابل مصطفى بك كامل والشيخ على يوسف سمو الخديو ومكثا عنده مدة كبيرة ؛ وبعد ذلك بأيام بلغنى أن الخديو ينقم على الشيخ محمد عبده بسبب ما قدماه فى حقه من الوشايات ، وأن سموه دبر مكيدة أدبية للمفتى ؛ وذلك بأن أوعز لشيخ الأزهر بأن سموه سيطلبه بحضور مصطفى فهمى باشا والمفتى للمناقشة فى مسألة منع الحج هذا العام ، وأن شيخ الأزهر يجب أن يصر على عدم المنع رغم ما يتظاهر به الخديو من تعضيد فكرة المنع ، وفعلا اجتمع هذا المجلس ، وكان الخديو والمفتى على هذا الرأى أولا ، ولكن

الخديو انضم أخيراً لشيخ الأزهر وانضم لهما مصطفى فهمى باشا ، وبقى المفتى وحيداً فى رأيه مصراً عليه .

شئون مختلفة .

مولد البرنس محمد عبد القادر :

وصلتنى برقية من مصر بمولود جديد للخديو ؛ ولد فى ٤ فبراير وسمى البرنس محمد عبد القادر ، فأرسلت برقية بالتهنئة .



اللواء أحمد زكى باشا

إنعامات وتعيينات : فى نوفمبر أنعم الخديو برتبة اللواء الفخرية على عبد العزيز عزت باشا وفى ٣١ ديسمبر صدر الأمر باحالة محمود فهمى باشا رئيس الديوان العربى إلى المعاش مع الانعام عليه برتبة الروملى بكلر بك وتعيين حسن عاصم باشا السرتشريفاتى بدله وقد خلف الأخير فى منصبه اللواء أحمد زكى باشا .

الصور التى لم ترد فى مناسباتها سهواً



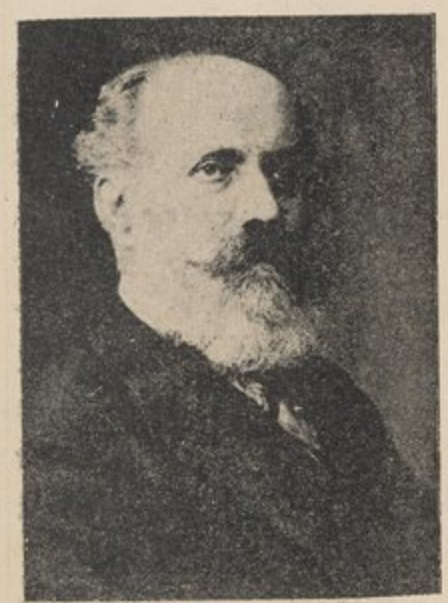
قليـــنى فهمى بك
ص ٣١٩



البرنس رادولين سفير ألمانيا بالاستانة
ص ١٤٥



الأستاذ جورجي زيدان
ص ٣٢

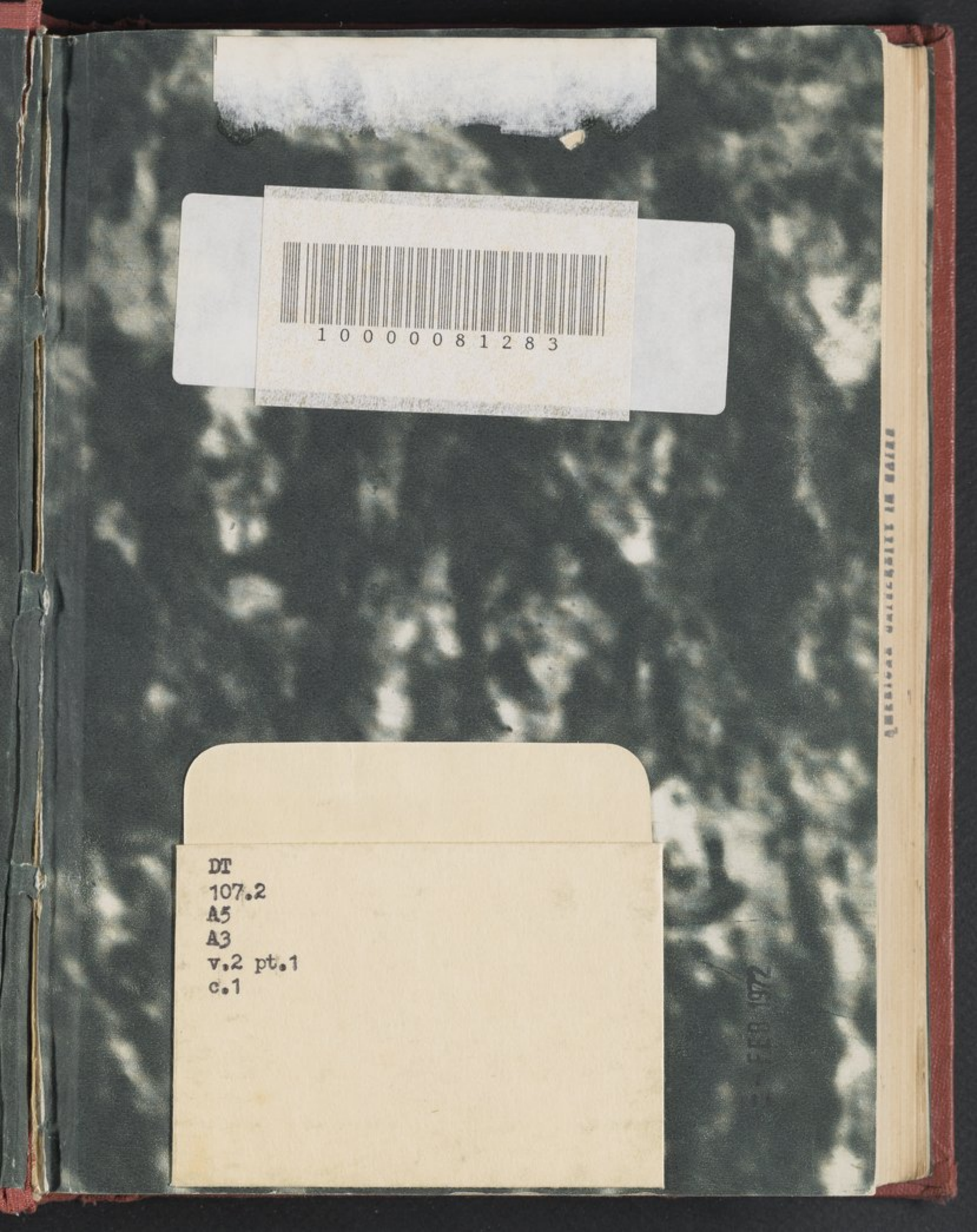


البارون ريشتهوفن وكيل خارجية ألمانيا
ص ٢٦٩

تصويب الأخطاء التى وقعت فى هذا الجزء

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٢٣	٢٧	يكون	تكون
١٠	٢٨	يحضرها	يحضرونها
١٥	٢٨	حتى يغلينا	حتى لا يغلبنا
٢١	٣٩	أجزاءها	إجراءها
١٠	٤٤	بهذه	هذه
١١	٤٤	رجال ونساء	رجالا ونساءا
٤	٤٥	يلتفت إلى صاحبه	لم يلتفت إلي صياحه
٩	٤٥	قصر أنيق	قصراً أنيقاً
١٦	٤٦	السرياد	السرياور
١٤	٤٧	أبا ديوس	أبى ديوس
١١	٦٢	لا غيرة لشخصه	ولا عبرة بشخصه
٢٧	٦٣	وتخير	وتخبر
١٢	٦٤	جهنم	جهنم ن
٢٠	٦٧	الانجليرية	الانجليزية
٢٧	٧٣	يريد	تريد
٨	٧٩	هما	هى
٢٥	٧٩	القائد	إلغاءه
٢٢	٨٠	وكانت تقدمها	وكان يقدمها
٢٢	١٢٨	الشقة	الثقة
١٧	١٣٥	أخبرتنى	أخبر منى
٧	١٤٣	موسيقاء	موسيقاه
٦	١٤٩	فى يوم ١٢ وجاء	وفى يوم ١٢ جاء
١٩	١٥٣	فأحيا	فأحيي
٢٣	١٦٣	أى بحر الجليد	أى مثلجة الرون
٢٥	٢٠٤	وموظفى	وموظفو
٢٢	٢٠٦	الخبث	الحنث
٢٧	٢١٢	تسعة	ستة
٠٠	٢١٤	وضعت صورة السيد محمد على البيلاوى بصفحة ٢١٤ وموضعها سيأتى فى سنة ١٩١٠	
١٠	٢١٧	الدعوات	الأغاوات
٢٤	٢٢٩	صدائة	حدائة
١٣	٢٣٦	بعد	بعض
١٢	٢٣٧	تحل	تخل
٢٤	٢٣٩	للفرعية	الفرعية
٢	٢٤١	فاضطر	فاضطرت الدولة
١٢	٢٤٦	حيا	حيي
٣	٢٥٠	لمديرية	لمدير
١٣	٢٥٢	مفتياً	مفتى
٥	٢٥٣	الخديوى	الخديو
١٧	٢٥٤	طركر	طوكر
٦	٢٦٠	قلنا	أقلنا
٨	٢٦٠	العربية	الغربية
٣	٢٦٤	حتى كان هذا قد	حتى
٢٠	٢٦٩	تعيين	وتعيين
٢	٢٨٤	الانجليزى	الايطالى
٢٣	٢٨٦	أعطيت	أعطت
٩	٢٩٢	داسيال	وإسيال
٢٧	٢٩٥	معفوله	مفعوله
٣	٢٩٧	منه	عنه
٢٣	٣٠٥	أظن فى	أظن أن فى
٢	٣٠٨	هى	كانت
١	٣١٣	پابراس	پاتراس
٢٦	٣١٤	ألواح	ألواحاً
٢٧	٣٢٣	جندى فار	جنديين فارين
٢	٣٣٠	أوزيون	أوزبورن
٣	٣٣٠	الكولونيل	وعلى الكولونيل
٢٧	٣٣١	حديو	خديوى
١٦	٣٣٢	خاص بها	ووضع بها دفتر خاص
١٧	٣٣٢	منها ثلاث	منها من ثلاث
٢	٣٣٥	دوليش	ووليش
١٦	٣٣٥	منها	منهما
١٧	٣٤٧	ويأته	بأمته
٢٢	٣٥٠	الفزلر	القزلر
١	٣٦٨	احمد	اسماعيل

B 1207 1687
i 1422177


10000081283

DT
107.2
A5
A3
v.2 pt.1
c.1

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

AUC - LIBRARY

DATE DUE

APR 1 1 1985